الجزء الاول

من كتاب الكامل
فى اللغة والادب تأليف العلامة
الهمام علم الائمة الاعلام أبى العباس محمد
ابن يزيد المعروف بالمبرد النحوى المتوفى سنة ٢٨٥
هجريه تغمده الله برحمته وأسكنه
فسيح جنته
آمين

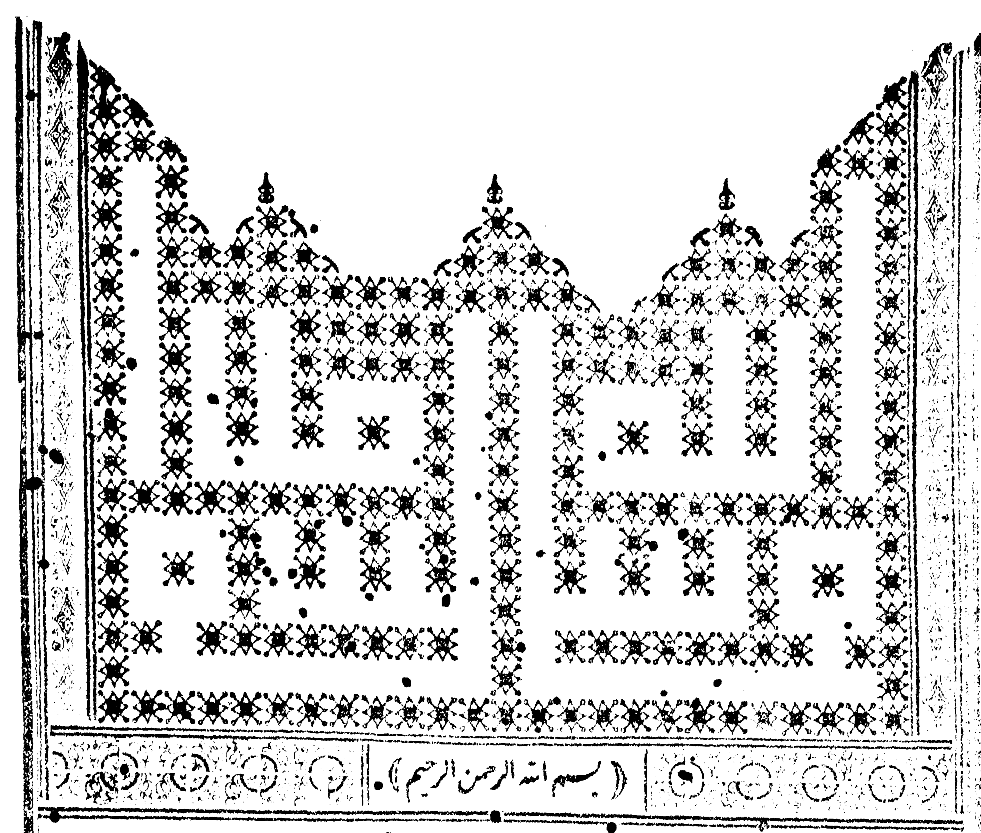
((فى مقدمة تاريخ الامام ابن خلدون ما نصه))

وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواوين وهى كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابى على القالى البغدادى وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع منها اه

وقد طرز هامشه بكتاب الفصول المختارة من كتب الامام أبى عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى المتوفى بالبصرة فى المحرم سنة ٢٥٥ هجريه اختيار الامام عبيد الله بن حسان رحمه الله ونفعنا به آمين

((محل مبيعه))
(بمكتبة السيد محمد عبد الواحد بك الطوبى وأخيه)
((بجوار المسجد الحسينى بمصر))

((الطبعة الأولى))
((بمطبعة التقدم العلميه بدرب الدليل بمصر المحميه))
((سنة ١٣٢٣ هجريه))



(بسم الله الرحمن الرحيم)

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن جابر قال حدثنا أبو الحسن علي بن سليمان الاخفش قراءة عليه قال قرئ لي هذا الكتاب على أبي العباس محمد بن يزيد المبرد

الحمد لله حمدا كثيرا يبلغ رضاه ويوجب مزيده ويجير من سخطه وصلى الله على محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلاة نامية زاكية تؤدي حقه وتزلفه عنده (قال أبو العباس) هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق وأن نشرح ما يعرض فيه من الاعراب شرحا شافيا حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا وعن أن يرجع الى أحد في تفسيره مستغنيا وبالله التوفيق والحول والقوة واليه مفزعنا في درك كل طلبة والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا من عمل بطاعته وعقد برضاه وقول صادق يرفعه عمل صالح انه على كل شئ قدير • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار في كلام جرى انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع الفزع في كلام العرب على وجهين أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذعر والآخر الاستنجاد والاستصراخ من ذلك قول

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فصل من صدر كتابه في الحاسد والمحسود)

وهب الله لك السلامة وأدام لك الكرامة ورزقك الاستقامة ورفع عنك الندامة كتبت الي أيدك الله تسألني عن الحسد ما هو ومن أين هو وما دليله وأفعاله وكيف تعرف أموره وأحواله وبم يعرف ظاهره ومكتومه وكيف يعلم مجهوله ومعلومه ولم صار في العلماء أكثر منه في الجهلاء ولم كثر في الاقرباء وقل في البعداء وكيف دب في الصالحين أكثر منه في الفاسقين وكيف خص به الجيران من بين جميع أهل الاوطان والحسد أبقاك الله من داء ينهك الجسد ويفسد الأود علاجه عسر وصاحبه ضجر وهو باب غامض وأمر متعذر وما ظهر منه فلا يداوى وما بطن منه فمداويه في عناء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الأمم من

سلامة

سلامة بن جندل   كنّا اذا ما أتانا صارخ فزع ٭ كان الصراخ له قرع الظنابيب

يقول اذا أتانا مستغيث كانت اغاثته الجدّ فى نصرته يقال قرع لذلك الامر ظنبوبه اذا جدّ فيه ولم يفتر ويشتق من هذا المعنى ان يقع فزع فى معنى أغاث كما قال الكلحبة اليربوعى (قال أبو الحسن الكلحبة لقبه واسمه هبيرة وهو من بنى عرين بن يربوع والنسب اليه عرينى وكثير من الناس يقول عرنى ولا يدرى وعرينة من اليمن قال جرير يهجو عرين بن يربوع

عرين من عرينة ليس منا ٭ برئت الى عرينة من عرين)

فقلت لكأس ألجميها فانما ٭ حللت الكثيب من زرود لأفزعا

يقول لأغيث وكأس اسم جارية وانما أمرها بالجام فرسه ليغيث والظنبوب مقدّم عظم الساق

٭ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأحبكم الىّ وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطّؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ألا أخبركم بأبغضكم الىّ وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون قوله صلى الله عليه وسلم الموطؤن أكنافا مثل وحقيقته ان التوطئة هى التذليل والتمهيد يقال دابة وطىء يا فتى وهو الذى لا يحرّك راكبه فى مسيره وفراش وطىء اذا كان وثيرا لا يؤذى جنب النائم عليه فأراد القائل بقوله موطأ الاكناف ان ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى ولا ناب به موضعه (قال أبو العباس) حدثنى العباس بن الفرج الرياشى قال حدثنى الاصمعى قال قيل لأعرابى وهو المنتجع بن نبهان ما السميدع فقال السيد الموطأ الاكناف وتأويل الاكناف الجوانب يقال فى المثل فلان فى كنف فلان كما يقال فلان فى ظل فلان وفى ذرى فلان وفى ناحية فلان وفى حيز فلان وقوله صلى الله عليه وسلم الثرثارون يعنى الذين يكثرون الكلام تكلفا وتجاوزا وخروجا عن الحق وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء يقال عين ثرثارة وكان يقال لنهر بعينه الثرثار وانما سمى به لكثرة مائه قال الاخطل (واسمه غياث بن غوث يكنى أبا مالك ويلقب بدوبل والدوبل الخنزير)

لعمرى لقد لاقت سليم وعامر ٭ على جانب الثرثار راغية البكر

قوله راغية البكر أراد أن بكر ثمود رغا فيهم فأهلكوا فضربته العرب مثلا وأكثرت فيه قال علقمة بن عبدة الفحل   رغا فوقهم سقب السماء فداحض ٭ بشكته لم يستلب وسليب

قبلكم الحسد والبغضاء وقال بعض الناس لجلسائه أى الناس أقل غفلة فقال بعضهم صاحب ليل انما همه أن يصبح فقال انه لكذا وليس كذا وقال بعضهم المسافر انما همه أن يقطع سفره فقال انه لكذا وليس كذا فقالوا له فاخبرنا باقل الناس غفلة فقال الحاسد انما همه ان ينزع الله منك النعمة التى اعطاكها فلا يغفل أبدا ويروى عن الحسن انه قال الحسد أسرع فى الدين من النار فى الحطب اليابس وما أتى المحسود من حاسده الا من قبل فضل الله عنده ونعمه عليه قال الله عز وجل أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما والحسد عقيد الكفر وحليف الباطل وضد الحق وحرب البيان فقد ذم الله أهل الكتاب به فقال ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم منه تتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة ومنتج كل وحشة ومفرق كل جماعة وقاطع

(قال أبو الحسن الداحض الساقط والداحض أيضا الزالق) وكذلك اذا لم تضعف الثاء فقلت عين ثرة فانما معناها غزيرة واسعة قال عنترة

جادت عليها كل عين ثرة * فتركن كل حديقة كالدرهم

(قال أبو العباس) وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثرثارة ولكنها في معناها ويجب أن يكون من الثرة ثرثارة وقوله صلى الله عليه وسلم المتفيهقون انما هو بمنزلة قوله الثرثارون توكيد له ومتفيهق متفيعل من قولهم فهق الغدير يفهق اذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضع مزيد كما قال الاعشى

نفى الذم عن رهط المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقي تفهق

كذا ينشده أهل البصرة وتأويله عندهم ان العراقي اذا تمكن من الماء ملأ جابيته لانه حضري فلا يعرف مواقع الماء ولا بجاله (قال أبو العباس) وسمعت اعرابية تنشد (قال أبو الحسن هي أم الهيثم الكلابية من ولد المحلق وهي راوية أهل الكوفة) كجابية السيح تريد النهر الذي يجري على جابيته فماؤها لا ينقطع لان النهر يمده ومثل قول البصريين فيما ذكروا به العراقي الشيخ قول الشاعر (قال أبو الحسن هو ذو الرمة)

لها ذنب ضاف وذفرى أسيلة * وخد كمرآة الغريبة أسجح

يقول ان الغريبة لا ناصح لها في وجهها لبعدها عن أهلها فمرآتها أبدا مجلوة لفرط حاجتها اليها وتصديق ما فسرنا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يريد الصدق في المنطق والقصد وترك ما لا يحتاج اليه قوله لجرير بن عبد الله البجلي يا جرير اذا قلت فأوجز واذا بلغت حاجتك فلا تتكلف (قال أبو العباس) ومما يؤثر من حكيم الأخبار وبارع الآداب ما حدثنا به عن عبد الرحمن ابن عوف وهو انه قال دخلت يوما على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في علته التي مات فيها فقلت له أراك بارئا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما اني على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي اني وليت أموركم خيركم في نفسي فكلكم ورم أنفه أن يكون له الامر من دونه والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الاذربي كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان والذي نفسي بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من ان يخوض غمرات الدنيا يا هادي الطريق جرت انما هو

والله

كل رحم من الاقرباء ويحدث التفرق بين القرناء وملقح الشر بين الحلفاء يكمن في الصدر كمون النار في الحجر ولو لم يدخل على الحاسد بعد تراكم الغموم على قلبه واستمكان الحزن في جوفه وكثرة مضضه ووسواس ضميره وتنغص عمره وكدر نفسه ونكد عيشه الا استصغاره نعمة الله وسخطه على سيده بما أفاد غيره وتمنيه عليه ان يرجع في هبته اياه وان لا يرزق أحدا سواه لكان عند ذوي العقول مرحوما وكان لديهم في القياس مظلوما وقد قال بعض الاعراب ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد نفس دائم وقلب هائم وحزن لازم والحاسد مخذول وموزور والمحسود محبوب ومنصور والحاسد مغموم ومهجور والمحسود مغشي ومسرور والحسد رحمك الله أول خطيئة ظهرت في السموات وأول معصية حدثت في الأرض خص به أفضل الملائكة فعصى ربه وقايسه في خلقه واستكبر عليه فقال خلقتني من نار وخلقته من طين فلعنه

وانها الفجرا والبجر فقلت خفّض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا يهيضك الى
ما بك فوالله ما زلت صالحا مصلحا الا تأس على شئ فاتك من أمر الدنيا ولقد تخلّيت بالامر وحدك فما
رأيت الا خيرا قوله نضائد الديباج واحدتها نضيدة وهى الوسادة وما ينضد من المتاع قال الراجز

وقرّبت خُدّامها الوسائدا * حتى اذا ما علّوا النضائدا * سبّحت ربى قائما وقاعدا

وقد تسمى العرب جماعة ذلك النضد والمعنى واحد انما هو ما نُضد فى البيت من متاع قال النابغة

* ورفّعته الى السجفين فالنضد * ويقال نضدت المتاع اذا ضممت بعضه الى بعض فهذا أصله
قال الله تبارك وتعالى لها طلع نضيد وقال عز وجل فى سدر مخضود وطلح منضود ويقال
نضدت اللبن على الميت وقوله على الصوف الأذربى فهذا منسوب الى أذربيجان وكذلك تقول
العرب قال الشماخ   تذكّرتها وهنا وقد حال دونها * قرى أذربيجان المسالح والجال
وقوله على حسك السعدان فالسعدان نبت كثير الحسك تأكله الابل فتسمن عليه ويغذوها
غذاء لا يوجد فى غيره فمن أمثال العرب مرعى ولا كالسعدان تفضيلا له قال النابغة

الواهب المائة الابكار زيّنها * سعدان توضح فى أوبارها اللبد

ويروى فى بعض الحديث انه يؤمر بالكافر يوم القيامة فيسحب على السعدان والله أعلم بذلك
(قال أبو الحسن السعدان نبت كثير الشوك كما ذكر أبو العباس ولا ساق له انما هو منفرش على
وجه الارض حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى عن ابن الاعرابى قال قيل لرجل من أهل
البادية وخرج عنها أترجع الى البادية فقال أما ما دام السعدان مستلقيا فلا يريد أنه لا يرجع
الى البادية أبدا كما أن السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبدا وقال أبو على البصير واسمه الفضل
ابن جعفر وان لم يكن بحجة ولكنه أجاد فذكرنا شعره هذا لجودته لا للاحتجاج به يمدح عبيد الله

ابن يحيى بن خاقان وآله فقال   يا وزراء السلطان * أنتم وآل خاقان
كبعض ما روينا * فى سالفات الازمان * ماء ولا كصدّاء * مرعى ولا كالسعدان

وهذه الامثال ثلاثة منها قولهم مرعى ولا كالسعدان وفتى ولا كمالك وماء ولا كصدّاء تضرب
هذه الأمثال للشئ الذى فيه فضل وغيره أفضل منه كقولهم ما من طامّة الا فوقها طامّة أى
ما من داهية الا وفوقها داهية ويقال طما الماء وطمّ اذا ارتفع وزاد ومالك الذى ذكروا هو مالك

وجعله ابليسا وأنزله من
جواره بعد ان كان أنيسا
وشوه خلقه تشويها وموه
على مثليه تمويها نسى به
عزم ربه فواقع الخطيئة
فارتدع المحسود وتاب عليه
وهدى ومضى اللعين
الحاسد فى حسده فشقى
وغوى وأما فى الأرض
فابنا آدم حسد أحدهما
أخاه فعصى ربه وأثكل
أباه وبالحسد طوعت له
نفسه قتل أخيه فقتله
فأصبح من الخاسرين فقد
حمله الحسد الى غاية
القسوة وبلغ أقصى حدود
العقوق فانساه من رحمته
جميع الحقوق اذ ألقى الحجر
عليه تفادخا وأصبح عليه
نادما صارخا ومن شأن
الحاسد ان كان المحسود
غنيا ان يوبخه على المال
فيقول جمعه حراما ومنعه
أيتاما وغلب عليه
شحاويح أقاربه فتركهم له
خصما وأعانهم فى الباطن
وحمل المحسود على قطيعتهم
فى الظاهر فقال لقد
كفروا معروفك وأظهروا
فى الناس ذمك ليس
أمثالهم يوصلون فانهم لا
يشكرون وان وجدهم
خصما أعانه عليه ظلما
وان كان ممن يعاشره
فاستشاره غشه أو تفضل

ابن نُوَيرة أخو مُتَمِّم بن نُوَيرة وصَدَّاء عَدٌّ وبعضهم يقول صُدَّى فيضم أوله ويقصُر فأما أبو العباس

محمد بن يزيد فانه قال لم أسمع من أصحابنا الا صَدْآء يافتى وهو اسم لماء معروفة وهما همزتان بينهما

ألف والالف لا تكون الا ساكنة كانك قلت صَدْعاع ياهذا) وقوله انما هو والله الفجر أو البجر

يقول ان انتظرت حتى يُضِيء لك الفجرُ الطريقَ أبصرت قصدك وان خبطت الظلماء وركبت

العشواء هجما بك على المكروه وضرب ذلك مثلا لغمرات الدنيا وتحييرها أهلها وقوله يَهِيضك

مأخوذ من قولهم هِيضَ العظمُ اذا جُبِرَ ثم أصابه شيء يُعْنِتُه فآذاه فكسره ثانية أو لم يكسره وأكثر

ما يستعمل في كسره ثانية ويقال عظم مَهِيض وجَناح مَهِيض في هذا المعنى ثم يشتق لغير ذلك

وأصله ما ذكرت لك فمن ذلك قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما كسر يزيدُ بن المُهَلَّب سجنه

وهرب فكتب اليه لو علمت انك تَبْقَى ما فعلت ولكنك مسموم ولم أكن لأضع يدي في يد

ابن عاتكة (هو يزيد بن عبد الملك بن مروان وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ولي الملك بعد عمر

ابن عبد العزيز ولا يعلم أحد أعرق في الخلافة منه) فقال عمر اللهم انه قد هاضني فهِضْه فهذا

معناه وقوله فكلكم ورِمَ انفُه يقول امتلأ من ذلك غضبا وذكر انفه دون السائر كما يقال فلان

شامخ بانفه يريد رافع رأسه وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر • ولا يُهاج اذا ما أنفُه ورِما •

أي لا يُكلَّم عند الغضب ويقال للمائل برأسه كِبْرًا مُتشاوِسٌ وثاني عِطْفه وثاني جِيدِه انما هذا

كله من الكبرياء قال الله عز وجل ثاني عِطْفِه ليُضِلَّ عن سبيل الله وقال الشماخ (يهجو

الربيع بن عَلْباء السُّلَمي) نُبِّئْتُ أن رُبَيعًا أن رعى إبلا • يُهدي الى خَناه ثاني الجِيد

وقوله أراك بارئا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من برئتُ من المرض وبرأتُ كلاهما

يقال فمن قال برئتُ قال أبرأ يافتى لا غير ومن قال برأتُ قال في المضارع أبرأ وأبرؤ يافتى مثل فرَغ

يَفرَغ ويَفرُغ والآية تقرأ على وجهين سَنَفْرُغ لكم أيها الثقلان وسنفرَغ والمصدر فيهما

البُرْء يافتى • ومما روي لنا عنه رضي الله عنه حيث عهد عند موته وهو بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول

عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر اني استعملت عليكم عمر

ابن الخطاب فان بَرَّ وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه وان جار وبدّل فلا علم لي بالغيب والخير أردتُ

عليه بمعروف كفره
أو دعاه الى نصر خذله وان
حضر مدحه ذمه وان
سئل عنه همزه وان كانت
عنده شهادة كتمها وان
كانت منه اليه زلة عظمها
يحب ان يعاد ولا يعود
ويرى عليه القعود وان
كان المحسود عالما قال
مبتدع لرأيه متبع حاطب
ليل ومبتغي نيل لا يدري
ما حمل قد ترك العمل
فاقبل على الحيل قد أقبل
بوجوه الناس اليه وما
أحمقهم اذ مالوا عليه
فقبحه الله من عالم ما أعظم
بليته وأقل رعيته
وأسوء طعمته وان كان
المحسود ذا دين قال يتصنع
ان يوصى اليه ويحج
بشيء عليه ويصوم لتقبل
شهادته ويظهر النسك
ليودع المال بيته ويقرأ
في المسجد ليزوجه جاره
ابنته ويحضر الجنائز
لتعرف شهرته وما لقيت
حاسدا قط الا تبين مكنونه
بتغير لونه وتخوص عينه
واخفاء سلامه والاقبال
على غيرك والاعراض
عنك والاستثقال لحديثك
والخلاف لرأيك وكان
عبد الله بن أبي قيل نفاقه
يسمع وحده لجودة رأيه
وبعد همته ونبل شيمته

ولكل

ولِكلِّ امرئ ما اكتسب وسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ مُنقلَبٍ ينقلبون نصب أيّ بقوله ينقلبون ولا يكون نصبها بسيعلم لان حروف الاستفهام اذا كانت أسماء امتنعت مما قبلها كما يمتنع ما بعد الالف من أن يعمل فيه ما قبله وذلك نحو قولك علمتُ زيدا منطلقا فان أدخلت الالف قلت علمتُ أزيدٌ منطلقٌ أم لا فأيٌّ بمنزلة زيد الواقع بعد الالف ألا ترى ان معناها أذا أم ذا وقال الله عز وجل لنعلمَ أيُّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا لان معناها أهذا أم هذا وقال تعالى فلينظر أيُّها أزكى طعاما على ما فسرتُ لك وتقول اعلم أيُّهم ضربَ زيدا واعلم أيَّهم ضرب زيدٌ تنصب أيا بضرب لان زيدا فاعل فانما هذا لما بعده وكذلك ما أضيف الى اسم من هذه الاسماء المستفهم بها نحو وقد علمتُ غلامُ أيِّهم في الدار وقد عرفتُ غلامُ مَن في الدار وقد علمتُ غلامَ مَن ضربتَ فتنصبه بضربتَ فعلى هذا مجرى الباب * ومما يُؤثَرُ من هذه الآداب ويُقدَّم قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في أول خُطبة خطبها حدثنا العُتْبيُّ قال لم أرَ أقلَّ منها في اللفظ ولا أكثر في المعنى حمد الله وأثنى عليه وهو أهله وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا أضعفُ عندي من القوي حتى آخذ الحق منه ثم نزل وانما حَسُنَ هذا القول مع ما يستحقه من قِبَل الاختيار بما عَضَدَهُ به من الفعل المشاكل له (قال أبو الحسن قدرويناه هذه الخطبة التي عزاها الى عمر بن الخطاب عن أبي بكر رضي الله عنهما وهو الصحيح) قال أبو العباس ومن ذلك رسالته في القضاء الى أبي موسى الاشعريّ وهي التي جمع فيها جُمَلَ الاحكام واختصرها بأجود الكلام وجعل الناسُ بعده يتخذونها اماما ولا يجد محقٌّ عنها معدلا ولا ظالمٌ عن حدودها محيصا وهي بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلامٌ عليك أما بعد فان القضاء فريضةٌ محكَمةٌ وسُنّة متّبعة فافهم اذا أُدلي اليك فانه لا ينفع تكلُّمٌ بحق لا نفاذ له آسِ بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمعَ شريف في حيفك ولا ييأسَ ضعيف من عدلك البينةُ على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحلَّ حراما أو حرَّم حلالا لا يمنعنَّك قضاءٌ قضيتَهُ اليوم فراجعتَ فيه عقلك وهُديت فيه لرُشدك أن ترجعَ الى الحق فان الحق قديم ومراجعةُ الحق خيرٌ من التمادي في الباطل الفهمَ الفهمَ فيما تلجلجَ في صدرك مما ليس في كتاب

وانقياد العشيرة له بالسيادة واذعانهم له بالرياسة وما استوجب ذلك الا بعد ما استجمع لهم لبه وتبين لهم عقله وفقد بينهم جهله ورأوه لذلك أهلا لما أطاق حملا فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة ورأى غيره تشمخ بأنفه فهدم اسلامه لحسده وأظهر نفاقه وما صار منافقا حتى صار حسودا ولا صار حسودا حتى صار حقودا فحمق بعد اللب وجهل بعد العقل وتبوأ النار بعد الجنة ولقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فشكاه الى الانصار فقالوا يا رسول الله لا تلمه فانا كنا عقدنا له الخرز قبل قدومك لنتوجه ولو سلم لمخذول قلبه من الحسد لكان من الاسلام بمكان ومن السودد في ارتفاع فوضعه الله لحسده وأظهر نفاقه ولذلك قال القائل

طال على الحاسد أحزانه
فاصفر من كثرة أحزانه
دعه فقد أشعل في جوفه
ما هاج من حر نيرانه
العيب أشهى عنده لذة
من لذة المال لخزانه
فارم على غاربه حبله
تسلم من كثرة بهتانه

ولاسنة ثم اعرف الاشباه والامثال فقس الامور عند ذلك واعمد الى اقربها الى الله واشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا او بينة امدا ينتهى اليه فان احضر بينته اخذت له بحقه والا استحللت عليه القضية فانه انفى للشك واجلى للعمى المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا فى حد او مجربا عليه شهادة زور او ظنينا فى ولاء او نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايمان واياك والغلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فان الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته واقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام (قال ابو العباس) قوله آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك يقول سو بينهم وتقديره اجعل بعضهم اسوة بعض والتأسى من ذا ان يرى ذو البلاء من به مثل بلائه فيكون قد ساواه فيه فيسكن ذلك من وجده قالت الخنساء

فلولا كثرة الباكين حولى • على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل اخى ولكن • اعزى النفس عنه بالتأسى
يذكرنى طلوع الشمس صخرا • واذكره لكل غروب شمس

تقول اذكره فى اول النهار للغارة وفى آخره للضيفان وتمثل مصعب بن الزبير يوم قتل بهذا البيت

وان الالى بالطف من آل هاشم • تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وقوله حتى لا يطمع شريف فى حيفك يقول فى ميلك معه لشرفه وقوله فيما تلجلج فى صدرك يقول تردد واصل ذلك المضغة والاكلة يرددها الرجل فى فيه فلا تزال تتردد الى ان يسيغها او يقذفها والكلمة يرددها الرجل الى ان يصلها باخرى يقال فى لجلاج وقد يكون من الآفة تعترى اللسان قال زهير

تلجلج مضغة فيها انيض • اصلت فهى تحت الكشح داء

وقوله انيض اى لم تنضج ومن امثال العرب الحق ابلج والباطل لجلج اى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مخرجا وقوله او ظنينا فى ولاء او نسب فهو المتهم واصله مظنون وهى ظننت التى تتعدى الى مفعول واحد تقول ظننت بزيد وظننت زيدا اى اتهمت ومن ذلك قول الشاعر واحسبه عبد الرحمن بن حسان

فلا ويمين الله ما عن جناية • هجرت ولكن الظنين ظنين

(فصل فى حسد الجيران) وذلك ان الجيران رحمك الله طلائع عليك وعيونهم نواظر اليك فمتى كنت بينهم معدما فايسرت فبذلت واعطيت وكسوت واطعمت وكانوا فى مثل حالك فاتضعوا وسلبوا النعمة والبستها عظمت عليهم بلية الحسد وصاروا منه فى تبغيض آخر الابد ولولا ان المحسود بنصر الله اياه مستور وهو بصنعه محجور لم يأت عليه يوم الا كان مقبورا ولم تأت ليلة الا وكان عن منافعه مقصورا ولم يمس الا وماله مسلوب ودمه مسفوك وعرضه بالضرب منهوك (فصل منه) وانا اقول حقا ما خالط الحسد قلبا الا لم يمكنه ضبطه ولا قدر على تهذيبه وكتمانه حتى يتمرد عليه بظهوره واعلانه فيستعبده ويستهلكه ويستنطقه لظهوره عليه فهو اغلب على صاحبه من السيد على عبده ومن السلطان على رعيته ومن الرجل على زوجته ومن الآسر على الاسير وكان ابن الزبير بالصبر موصوفا وبالدهاء معروفا وبالعقل موسوما وبالمداراة متهوما

وفي بعض المصاحف وما هو على الغيب بظنين وانما قال عمر رضي الله عنه ذلك لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ملعون ملعون من انتمى الى غير أبيه أو ادعى الى غير مواليه فلما كانت معه الاقامة على هذا لم يره للشهادة موضعا وقوله ودرأ بالبينات والأيمان انما هو دفع ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات وقال الله عز وجل قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين وقال فادارأتم فيها أي تدافعتم وأما قوله واياك والغلق والضجر فانه ضيق الصدر وقلة الصبر يقال في سوء الخلق رجل غلق وأصل ذلك من قولهم أغلق عليه أمره اذا لم يتضح ولم ينفتح من ذلك قولهم غلق الرهن أي لم يوجد له تخلص وأغلقت الباب من هذا قال زهير

وفارقتك برهن لا فكاك له * يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

وقوله ومن تخلق للناس يقول أظهر للناس في خلقه خلاف نيته وقوله تخلق يريد أظهر خلقا مثل تجمل يريد أظهر جمالا وتصنع وكذلك تجبر انما تأويله الاظهار أي أظهر جبرية (وان شئت جبروة وان شئت جبروتا وان شئت جبرية ومن كلامهم مما جاء على هذا الوزن رهبوتى خير لك من رحموتى أي لأن ترهب خير لك من أن ترحم) قال أبو العباس وأنشدنا عن أبي زيد (الشعر لسالم ابن وابصة الاسدي)

يا أيها المتحلي غير شيمته * ومن خليقته الاقلال والملق
دع التخلق يبعد عنك أوله) * ان التخلق يأتي دونه الخلق
ولا يؤاتيك فيما ناب من حدث * الا أخو ثقة فانظر بمن تثق

قال وأنشدتني أم الهيثم الكلابية

ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه * يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وقال ذو الاصبع العدواني (ذو الاصبع اسمه حرثان بن الحارث بن محرث وقيل له ذو الاصبع لأن أفعى نهشت اصبعه)

كل امرئ راجع يوما لشيمته * وان تخلق أخلاقا الى حين

أما قوله ثواب فاشتقاقه من ثاب يثوب اذا رجع أي يرجع اليك من مكافأة الله وفضله

* وكتب عثمان بن عفان الى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما حين أحيط به أما بعد فقد جاوز الماء الزبى وبلغ الحزام الطبيين وتجاوز الأمر بي قدره وطمع في من لا يدفع عن نفسه

فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فأدركني ولما أمزق

فاظهر بلسانه حمدا كان والقلب عليه أربعين سنة لبني هاشم فما اتسع قلبه لكتمانه ولا صبر على الكتمان له لما طالت في قلبه طيلة اظهره واعلنه مع صبره على المكاره وحمله نفسه على خوفها وقلة اكترائه والتفاته لاخطار الحدائق التي تمر عليه فتذهب بطائفة من قومه ما يلتفت اليها حدثت بذلك عن علي بن مسهر عن الاعمش عن صالح بن حباب عن سعيد بن جبير قال قدمت ابن عباس حتى ادخلته على ابن الزبير قال أنت الذي تؤنبني قال نعم لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس بمؤمن من بات شبعانا وجاره طاو فقال له ابن الزبير اني قلت ذلك اني لاكتم بغضكم أهل البيت منذ أربعين سنة فشمر ابن عباس عن ذراعيه كأنهما عسيبا نخل ثم قال لابن الزبير فليبلغ ذلك منك ما رأيت والله اني لأرى ظهر البطن وفكرت في جوابه لابن عباس ان أجد له معنى سوى الحمد لم أجده وكانت منه في قلبه فلم يبدها وزوى

قوله قد جاوز الماء الزبى فالزبية مصيدة الاسد ولا تتخذ الا فى قلة أو رابية أو هضبة قال الراجز

(فانت والامر الذى قد كيدا) * كاللذ تزبى زبية فاصطيدا

وقال الطرماح يا طيئ السهل والاجبال موعدكم * كمبتغى الصيد أعلى زبية الاسد

(ويروى فى عريسة الاسد) وتقول العرب قد علا الماء الزبى وقد بلغ السكين العظم وبلغ الحزام الطبيين وقد انقطع السلى فى البطن فالسلى من المرأة والشاة ما يلتف فيه الولد فى البطن قال العجاج * فقد علا الماء الزبى فلا غير * أى قد جل الامر عن أن يغير ويصلح وقوله وبلغ الحزام الطبيين فان السباع والخيل يقال لمواضع الاخلاف منها أطباء يا فتى واحدها طبى كما يقال فى الظلف والخف خلف هذا مكان هذا فاذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى فى المكروه ومثل هذا من أمثالهم التقت حلقتا البطان ويقولون التقت حلقتا البطان والحقب ويقال حقب البعير اذا صار الحزام فى الحقب قال الشاعر (قال أبو بكر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك) وأوله

سليمى تلك فى العير * قفى ان شئت أو سيرى * فلما أن بدا الصبح

بأصوات العصافير * خرجنا نبتغى الصيد * بأمثال اليعافير)

اذا ما حقب حال * شددناه بتصدير

(زجرنا العيس فارمدت * بأهداب وتشمير)

وقال أوس بن حجر وازدحمت حلقتا البطان بأقوا * م وطارت نفوسهم جزعا

وعند هذا البيت يشاكل قول القائل

فان الذى يقتيك لا تك أنت قاتلى * فبعض منايا القوم أكرم من بعض

* ويروى عن قنبر مولى على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال دخلت مع على بن أبى طالب على عثمان بن عفان رضى الله عنهما فأحبا الخلوة فأومأ الى على بالتنحى فتنحيت غير بعيد فجعل عثمان يعاتب عليا وعلى مطرق فأقبل عليه عثمان فقال ما بالك لا تقول فقال ان قلت لم أقل الا ما تكره وليس لك عندى الا ما تحب تأويل ذلك ان قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به على فلذعك عتابى وعقدى الا أفعل وان كنت عاتبا الا ما تحب * وتحدث ابن عائشة فى اسناد ذكره أن عليا رضى الله عنه انتهى اليه أن خيلا لمعاوية وردت الانبار فقتلوا عاملا له يقال له

هاشم حول الحرم باسقة وعروق دوحاتهم بين أطباقها راسية ومجالسهم من آمالها عامرة وبحورها بأوراق العباد زاخرة وأنجمها بالهدى زاهرة فلما خلت البطحاء من صناديدها استقبله بما كن فى نفسه والحاسد لا يغفل عن فرصته الى أن يأتى الموت على رمته وما استقبل ابن عباس بذلك الا لما رأى من تقدمه على أهل القدم ونظر اليه وقد أطاف به أهل الحرم فأوسعهم حكما وتنبلوا منه رأيا وفهما وسبقهم علما وحلما (فصل منه) وكيف يصبر من استكن الحسد فى قلبه على امامته ولقد كان اخوة يوسف حلماء وأجلة علماء ولدهم الانبياء فلم يغفلوا عما قدح فى قلوبهم من الحسد ليوسف حتى اعطوا أباهم المواثيق المؤكدة والعهود المقبلة والايمان المغلظة انهم له حافظون وهو شقيقهم وبضعة منهم فخالفوا العهود ووثبوا عليه بالظلم وألقوه فى غيابة الجب وجاؤا على قميصه بدم كذب فبظلمهم يوسف ظلموا أباهم طمعا

حسان بن حسان فخرج مغضبا يجر ثوبه حتى أتى النخيلة واتبعه الناس فرقي رباوة من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل وسيما الخسف وديث بالصغار وقد دعوتكم الى حرب هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم من قبل أن يغزوكم فوالذي نفسي بيده ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا فتخاذلتم وتواكلتم وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات هذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم كثيرا ونساء والذي نفسي بيده لقد بلغني انه كان يدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فتنتزع أحجالهما ورعثهما ثم انصرفوا موفورين لم يكلم منهم أحد كلما فلو أن امرأ مسلما مات من دون هذا أسفا ما كان عندي فيه ملوما بل كان به عندي جديرا يا عجبا كل العجب عجب يميت القلب ويشغل الفهم ويكثر الاحزان من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم حتى أصبحتم غرضا ترمون ولا ترمون ويغار عليكم ولا تغيرون ويعصى الله عز وجل فيكم وترضون اذا قلت لكم اغزوهم في الشتاء قلتم هذا أوان قر وصر وان قلت لكم اغزوهم في الصيف قلتم هذه حمارة القيظ أنظرنا ينصرم الحر عنا فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فأنتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال ويا طغام الأحلام ويا عقول ربات الحجال والله لقد أفسدتم علي رأيي بالعصيان ولقد ملأتم جوفي غيظا حتى قالت قريش ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا رأي له في الحرب لله درهم ومن ذا يكون أعلم بها مني وأشد لها مراسا فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيفت اليوم على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع يقولها ثلاثا فقام اليه رجل ومعه أخوه (الرجل وأخوه يعرفان بابني عفيف من الانصار) فقال يا أمير المؤمنين أنا وأخي هذا كما قال الله تعالى رب اني لا أملك الا نفسي وأخي فمرنا بأمرك فوالله لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضى وشوك القتاد فدعا لهما بخير ثم قال لهما وأين تقعان مما أريد ثم نزل (قال) أبو العباس قوله سيما الخسف قال هكذا حدثوناه وأظنه سيم الخسف يا هذا من قول الله عز وجل يسومونكم سوء العذاب ومعنى قوله سيما الخسف تأويله علامة هذا أصل ذا قال الله عز وجل سيماهم في وجوههم من أثر السجود وقال عز وجل يعرف المجرمون بسيماهم

ان يخلو لهم وجه أبيهم ويتفردوا بحبه وظنوا ان الايام تسليه وحبه لهم من بعد غمه يلهيه فاسالوا عبرته وأحرقوا قلبه وكيف تقر أعين الحاسدين بعد يوسف وقد ملكه الله خزائن الارض بصبره على أذى حساده ومقابلته اياهم بالعفو والمكافاة بحسن العشرة والمؤاخاة بعد امكانه منهم لما أتوه ممتارين ووفدوا عليه خائفين وهم له منكرون فأحسن رفدهم وكرم قراهم فاقروا له لما عرفوه بالاذعان وسألوه بعد ذلك الغفران وخروا له سجدا لما وردوا عليه وفدا فاذا أحسست رحمك الله من صديقك بالحسد فاقلل ما استطعت من مخالطته فانه اعون الاشياء على مسالمته وحصن سرك منه تسلم من شره وبوائق ضره واياك والرغبة في مشاورته ولا يغرنك خدع ملقه وبيان ذلقه فان ذلك من حبائل نفاقه فان أردت ان تعرف آية مصداقه فادنين اليه من يهينك عنده ويذمك بحضرته فانه سيظهر من شأنه لك ما أنت به جاهل ومن

وقال أبو عبيدة فى قوله عز وجل مُسَوِّمِينَ قال مُعَلِّمِينَ واشتقاقه من السِّيما التى ذكرنا ومن قال مُسَوَّمِينَ فانما أراد مُرْسَلِينَ من الابل السائمة أى المُرْسَلة فى مراعيها وانما أخذ هذا من التفسير وقال المفسرون فى قوله تعالى والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ القولين جميعا من العلامة والارسال وأما قوله عز وجل حِجارةً من سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عند ربك فلم يقولوا فيه الا قولا واحدا قالوا مُعَلَّمَة وكان عليها أمثال الخَوَاتِيم ومن قال سِيما قصر ويقال فى هذا المعنى سِيمِيَاء ممدود قال الشاعر (وهو ابن عَنْقاء الفزارى فى عُمَيْلة الفزارى)

غلامٌ رَماهُ اللّهُ بالحُسْنِ يافعاً * له سِيمِياءٌ لا تَشُقُّ على البَصَرْ

(كأنّ الثُّرَيّا عُلِّقَتْ فى جَبِينِه * وفى أنفه الشِّعْرَى وفى جِيدِه القَمَرْ)

وقوله وقَتَلُوا حَسّانَ بن حَسّانَ من أخذ حسّانا من الحُسْن صرفه لان وزنه فَعّالٌ فالنون منه فى موضع الدال من حَمّادٍ ومن أخذه من الحَسّ لم يصرفه لانه حينئذ فَعْلانُ فلا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة لانه ليست له فَعْلَى فهو بمنزلة سَعْدانٍ وسَرْحانٍ وقوله ودُيِّثَ بالصَّغارِ تأويله ذُلِّلَ يقال للبعير اذا ذَلَّلَتْه الرِّياضةُ بعيرٌ مُدَيَّثٌ أى مُذَلَّل وقوله فى عُقْرِ دارهم أى فى أصل دارهم والعُقْرُ الاصل ومن ثَمّ قيل لفلان عَقارٌ أى أصلُ مالٍ ويُروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال مَنْ باعَ دارا أو عَقارا فلم يردّ ثمنه فى مثله فذلك مال قَمِنٌ ألّا يُبارَكَ له فيه وقوله قَمِنٌ يريد خليق ويقال أيضا قَمِينٌ وقَمَنٌ (قال أبو الحسن من قال قَمَنٌ لم يثنّ ولم يجمع ومن قال قَمِنٌ وقَمِينٌ ثنّى وجمع) ويقال للرجل اذا اتّخذ ضيعة أو دارا تأثَّلَ فلان أى اتّخذ أصلَ مال وقوله وتَواكَلْتُمُوه مشتق من وَكَلْتُ الامرَ اليك ووَكَلْتَه انت الىّ أى لم يتوله واحد منا دون صاحبه ولكن أحال به كلّ واحد منا على الآخر ومن ذلك قول الحُطَيْئة

فلا يا قَصَرْتُ الطَّرْفَ عنهم بجَسْرَةٍ * أَمُونٍ اذا وَاكَلْتَها لا تُواكِلُ

وقوله واتّخذتموه وراءكم ظِهْرِيًّا أى رميتم به وراء ظهوركم أى لم تلتفتوا اليه ويقال فى المثل لا تجعل حاجتى منك بظَهْرٍ أى لا تطرحها غير ناظر اليها وقوله حتى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ يقول صُبَّتْ يقال شَنَنْتُ الماءَ على رأسه أى صببته وشَنَنْتُ الشرابَ فى الاناء أى صببته ومن كلام العرب فلما لَقِيَ فلانٌ فلانا شَنَّهُ السيفَ أى صَبَّهُ عليه صَبًّا وقوله هذا أخو غامد فهو رجل مشهور

خلاف المودة ما أنت عنه غافل وهو آلح فى حسدك من الذباب وأسرع فى غمز بقلك من السيل الى الحدور وما أحب أن تكون عن حاسدك غبيا وعن وهمك بما فى ضميره نسيا الا أن تكون للذل محتملا وعلى الدناءة مشتملا ولأخلاق الكرام مجانبا وعن محمود شيمهم ذاهبا أو تكون بك الحاجة قد صيرتك لسهام الرماة هدفا وعرضك لمن أباذك غرضا وقد قيل على وجه العرض الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها وربما كان الحاسد لاصطناع اليه المعروف أكفر له وأشد احتقادا منه وأكثر تصغيرا له من أعدائه

(فصل منه) ومتى رأيت حاسدا يصوب لك رأيا وان كنت مصيبا أو يرشدك الى صواب وان كنت مخطئا أو أفصح لك بالخير فى غيبته عنك أو قصر من غيبته لك فهو الكلب الكلب والنمر النمر والسم القشب والفحل القطم والعيل العرم ان ملك قتل وسبى وان ملك عصى وبغى حياتك موته وموتك

من أصحاب معاوية من بني غامد بن نصر بن الأزد بن الغوث وفي هذه القبيلة يقول القائل

ألا هل أتاها على نأيها • بما فضحت قومها غامد

تمنيتم مائتي فارس • فردكم فارس واحد (هو ربيعة بن مكدم)

فليت لنا بارتباط الخيو • ل ضأنا لها حالب قاعد

وقوله فتنتزع أحجالهما يعني الخلاخيل واحدها حجل ومن هذا قيل للدابة محجل ويقال للقيد حجل لانه يقع في ذلك الموضع قال جرير يعير الفرزدق حين قيد نفسه وأقسم ألا يحلها حتى يحفظ القرآن فلما هاجى جرير البعيث هجا الفرزدق جريرا معونة للبعيث وذبا عن عشيرته فقال جرير

ولما اتقى القين العراقي باسته • فرغت الى العبد المقيد في الحجل

(يعني بقوله ولما اتقى القين العراقي باسته البعيث وسماه القين لانه من رهط الفرزدق) ومعنى فرغت عمدت قال الله عز وجل سنفرغ لكم أيها الثقلان أي سنعمد (تميم تقول فرغ يفرغ فراغا وأهل العالية وهم قريش ومن والاها يقولون فرغ يفرغ فروغا) وقوله ورعثهما الواحدة رعثة وجمعها رعاث وجمع الجمع رعث وهي الشنوف وقوله ثم انصرفوا موفورين من الوفر أي لم ينل أحد منهم بان يرزأ في بدن ولا مال يقال فلان موفور وفلان ذو وفر أي ذو مال ويكون موفورا في بدنه اذا ذكرما اصيب به غيره في بدنه قال حاتم الطائي

وقد علم الاقوام لو أن حاتما • أراد ثراء المال كان له وفر

ويروى أنشى له وفر وقوله لم يكلم أحد منهم كلما يقول لم يخدش أحد منهم خدشا وكل جرح صغر أو كبر فهو كلم قال جرير

تواصت من تكرمها قريش • برد الخيل دامية الكلوم

وقوله ملت من دون هذا أسفا يقول تحسرا فهذا موضع ذا وقد يكون الأسف الغضب قال الله عز وجل فلما آسفونا انتقمنا منهم والأسيف يكون الاجير ويكون الأسير فقد قيل في بيت الأعشى

أرى رجلا منهم أسيفا كأنما • يضم الى كشحيه كفا مخضبا

المشهور انه من التأسف لقطع يده وقيل بل هو أسير قد كبلت يده ويقال قد جرحها الغل والقول الاول هو المجتمع عليه ويقال في معنى أسيف عسيف أيضا وقوله من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم يقول من تعاونهم وتظاهرهم وقوله وفشلكم عن حقكم يقال فشل فلان عن كذا اذا هابه

عرسه وسروره بصدق عليك كل شاهد زور ويكذب كل عدل مرضي لا يحب من الناس الا من يبغضك ولا يبغض الا من يحبك عدوك بطانة وصديقك علانية وقلت انك ربما غلطت في أمره لما يظهر لك من بره ولو كنت تعرف الجليل من الرأي والدقيق من المعنى وكنت في مذاهبك فطنا نهابا ولم تك في عيب من ظهر لك عيبه مرتابا لاستغنيت بالرمز عن الاشارة وبالاشارة عن الكلام وبالسر عن الجهر وبالجهر عن الرفع والاختصار عن التطويل وبالجمل عن التفصيل وأرحتنا من طلب التحصيل ولكني أخاف عليك أن قلبك أصدقك غير مستقيم وان ضمير قلبك غير سليم وان رفعت القذى عن لحيته وسويت عليك ثوبه فوق مركبه وقبلت صبيه بحضرته ولبست له ثوب الاستكانة عند رؤيته واغتفرت له الزلة واستحسنت كلما يقبح من جهته وصدقته على كذبه وأعنته على فجرته فا

فتكل عنه وامتنع من المضي فيه وقوله قلتم هذا أوان قر وصر فالصر شدة البرد قال الله عز وجل كمثل ريح فيها صر وقوله هذه حمارة القيظ فالقيظ الصيف وحمارته اشتداد حره واحتدامه وحمارة مما لا يجوز أن يحتج عليه ببيت شعر لان كل ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وزن الشعر الا في ضرب منه يقال له المتقارب فانه يجوز فيه على بعد التقاء الساكنين وهو قوله

فذاك القصاص وكان التقا * ص فرضا وحتما على المسلمينا

ولو قال وكان القصاص فرضا كان أجود وأحسن ولكن قد أجاز وا هذا في هذه العروض ولا نظير له في غيرها من الأعاريض وقوله ويا طغام الأحلام فمجاز الطغام عند العرب من لا عقل له ولا معرفة عنده وكانوا يقولون طغام أهل الشأم كما قال

(اذا ما كان مثلهم رجالا) * فما فضل اللبيب على الطغام

وقوله ويا عقول ربات الحجال تذهب بهم الى ضعف النساء وهو السائر في كلام العرب قال الله تعالى يذكر البنات أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين

(باب)

قال أبو العباس من كلام العرب الاختصار المفهم والاطناب المفخم وقد يقع الايماء الى الشئ فيغني عند ذوي الالباب عن كشفه كما قيل لمحة دالة وقد يضطر الشاعر المفلق والخطيب المصقع والكاتب البليغ فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق واللفظ المستكره فان انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره وسترتا من شينه وان شاء قائل أن يقول بل الكلام القبيح في الكلام الحسن أظهر وبمجاورته له أشهر كان ذلك له ولكن يغتفر السيئ للحسن والبعيد للقريب فمن ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة الحسنة الوصف الجميلة الرصف قول الحطيئة

وذاك فتى ان تأته في صنيعة * الى ماله لا تأته بشفيع

وكذلك قول عنترة

يخبرك من شهد الوقيعة أنني * أغشى الوغى وأعف عند المغنم

وكما قال زهير

على مكثريهم حق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

ومما وقع كالايماء قول الفرزدق

هذا الغباء كأنك لم تقرأ المعوذة ولم تسمع مخاطبته نبيه صلى الله عليه وسلم في التقدمة اليه بالاستعاذة من شر حاسد اذا حسد انطلب ويحك أثرا بعد عين أو عطرا بعد عروس أوتريد أن تجتني عنبا من شوك أو تلتمس حلب لبن من جمل انك اذا أعيا من باقل وأحمق من الضبع وأغفل من هرم ان كنت تجهل بعدما أعلمناك وتعوج بعد ما قومناك وتبلد بعد ما ثقفناك وتضل بعد ما هديناك وتنسى اذ ذكرناك فأنت كمن أضله الله على علم فبطلت عنده المواعظ وعمي عن المنافع نختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فنعوذ بالله من الخذلان انه لا يأتيك ولكن يناويك ولا يحاكيك ولكن يوازيك أحسن ما تكون عنده حالا أعظم ما يكون ضلالا وأفرح ما يكون بك أقرب ما يكون بالمصيبة عهدا وأبعد ما يكون فاذا كان الأمر على هذا فمجاورة الموتى ومخالطة الزمنى والاجتنان بالجدران ومصر

ضربت عليك العنكبوت بنسجها * وقضى عليك به الكتاب المنزل

فتأويل هذا ان بيت جرير في العرب كالبيت الواهي الضعيف فقال وقضى عليك به الكتاب المنزل يريد به قول الله تبارك وتعالى وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ومن كلامه المستحسن قوله لجرير

فهل ضربة الرومي جاعلة لكم * أبا عن كليب أو أبا مثل دارم

ومن أقبح الضرورة وأهجن الالفاظ وأبعد المعاني قوله

وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حي أبوه يقاربه

مدح بهذا الشعر ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو خال هشام بن عبد الملك فقال وما مثله في الناس الا مملكا يعني بالمملك هشاما أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحا وكان يكون اذا وضع الكلام في موضعه أن يقول وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح فدل على انه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول

تصرم مني ود بكر بن وائل * وما كاد مني ودهم يتصرم

قوارص تأتيني ويحتقرونها * وقد علأ القطر الاناء فيفعم

(القارصة الكلمة المؤذية) وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول

والشيب ينهض في السواد كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

فهذا أوضح معنى وأعرب لفظ وأقرب مأخذ وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما يستحق ألا ترى كيف يفضل قول عمارة على قرب عهده

تبحثتم سخطي فغير بحثكم * نخيلة نفس كان نصحا ضميرها

ولن يلبث التخشين نفسا كريمة * عريكتها أن يستمر مريرها

وما النفس الا نطفة بقرارة * اذا لم تكدر كان صفوا غديرها

فهذا كلام واضح وقول عذب وكذلك قوله أيضا

المصران وأكل القردان أهون من معاشرته والاتصال بحبله والغل نتيج الحسد ورضيعه وغصن من أغصانه وعون من أعوانه وشعبة من شعبه وفعل من أفعاله كما انه ليس فرع الا له أصل ولا مولود الا له مولد ولا نبات الا من أرض ولا رضيع الا من مرضع وان تغير اسمه فانه صفة من صفاته ونبت من نباته ونعت من نعوته ورأيت الله جل جلاله ذكر الجنة فحلاها في كتابه بأحسن حلية وزينها بأحسن زينة وجعلها دار أوليائه ومحل أنبيائه ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فذكر في كتابه ما من به عليهم من السرور والكرامة عند ما دخلوها وبوأهالهم فقال ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين فما أنزلهم دار كرامته الا بعد ما نزع الغل والحسد من قلوبهم فتهنوا

بَقِيَّة دارمِ إن يَفْنَ عُمري فقد مضى * حياتي لكم منّي ثناءٌ مُخَلَّدُ

بدأتم فأحسنتم فأثنيت جاهداً * وإن عدتم أثنيت والعود أحمد

ومما يُفضَّل لخلاصه من التكلف وسلامته من التزيُّد وبعده من الاستعانة قول أبي حيّة النميري

رمتني وستر الله بيني وبينها * عشيةَ آرامِ الكناس رميمُ

(قيل في ستر الله الاسلامُ وقيل فيه انه الشيبُ وقيل ما حرّم الله عليهما)

ألا رُبَّ يومٍ لو رمتني رميتها * ولكن عهدي بالنضال قديمُ

(يرى الناس أني قد سلوتُ وأنني * لمرميُّ أحناء الضلوع سقيمُ)

يقول رمتني بطرفها وأصابتني بمحاسنها ولو كنت شاباً لرميتُ كما رميتُ وفتنتُ كما فتنتْ ولكن قد تطاول عهدي بالشباب فهذا كلام واضح (قال أبو الحسن أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى البيتين عن عبد الله بن شبيب وروى * عشيةَ أحجار الكناس رميمُ * وزاد فيه

رميمُ التي قالت لجارات بيتها * ضمنتُ لكم أن لا يزال يهيمُ

الكناس والمكنس الموضع الذي تأوي اليه الظباء وجمع الكناس كُنُس وجمع المكنس مكانس ورميم اسم جارية مأخوذ من العظام الرميم وهي البالية وكذلك الرمة والرُّمّة القطعة البالية من الحبل وكل ما اشتق من هذا فاليه يرجع) قال أبو العباس وأما ما ذكرناه من الاستعانة فهو أن يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصحح به نظماً أو وزناً ان كان في شعر أو ليتذكر به ما بعده ان كان في كلام منثور كنحو ما تسمعه في كثير من كلام العامة مثل قولهم ألستَ تسمع أفهمتَ أين أنتَ وما أشبه هذا وربما تشاغل العيي بفتل اصبعه ومسّ لحيته وغير ذلك من بدنه وربما تنحنح وقد قال الشاعر يعيب بعض الخطباء في شعره

مليءٌ ببُهْرٍ والتفاتٍ وسعلةٍ * ومسحةِ عثنونٍ وفتلِ الاصابعِ

وقال رجل من الخوارج يصف خطيباً منهم بالجبن وأنه مجيد لولا أن الرعب أذهله

نحنح زيدٌ وسعل * لما رأى وقع الأسل ، ويلمّه اذا ارتجل * ثم أطال واحتفل

(وقال رجل يصف رجلاً من اياد بالعي وكان أبوه خطيباً وخاله).

جمعتَ صنوفَ العيّ من كل وجهةٍ * وكنتَ مليئاً بالبلاغة من كثبِ

ابوك

بالجنة وقابلوا اخوانهم على السرر وتلذذوا بالنظر في مقابلة الوجوه لسلامة صدورهم ونزع الغل عن قلوبهم ولو لم ينزع ذلك من صدورهم ويخرجه من قلوبهم لافتقدوا لذاذة الجنة وتدابروا وتقاطعوا وتحاسدوا وواقعوا الخطيئة ولمسهم فيها النصب وأعقبوا منها الخروج لانه عز وجل فضل بينهم في المنازل ورفع درجات بعضهم فوق بعض في الكرامات وسني العطيات فلما نزع الغل والحسد من قلوبهم ظن أدناهم منزلة فيها وأقربهم بدخول الجنة عهداً أنه أفضلهم منزلة وأكرمهم درجة وأوسعهم داراً بسلامة قلبه ونزع الغل من صدره فقرت عينه وطاب أكله ولو كان غير ذلك لصاروا الى التبغيض في النظر بالعيون والاهتمام بالقلوب وحدثت فيهم العيوب والذنوب وما أرى السلامة الا في قطع الحاسد ولا السرور الا في افتقاد وجهه ولا الراحة الا في صرم مداراته ولا الربح الا في

أبوك معمّ في الكلام ومخوَّل • وخالك وثّاب الجرائيم في الخطب)

ومما يشاكل هذا المعنى ويجانس هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله القسري فانه كان متقدما في الخطابة ومتناهيا في البلاغة فخرج عليه المغيرة بن سعيد بالكوفة في عشرين رجلا فعطعطوا به فقال خالد أطعموني ماء وهو على المنبر فعيّر بذلك فكتب به هشام اليه في رسالة يوبّخه فيها وسنذكرها في موضعها ان شاء الله وعيّره يحيى بن نوفل فقال

لأعلاج ثمانية وعبد • لئيم الأصل في عدد يسير
هتفت بكل صوتك أطعموني • شرابا ثم بلت على السرير

فهذا عارض وقال آخر يعيّره

بلّ المنابر من خوف ومن وهل • واستطعم الماء لما جدّ في الهرب
وألحن الناس كل الناس قاطبة • وكان يولع بالتشديق في الخطب

• ومما يستحسن لفظه ويستغرب معناه ويحمد اختصاره قول أعرابي من بني كلاب

فمن يك لم يغرض فاني وناقتي • بحجر الى أهل الحمى غرضان
(هوى ناقتي خلفي وقدّامي الهوى • واني واياها لمختلفان)
تحن فتبدي ما بها من صبابة • وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

(أنشد صاعد بعدهما زيادة تمّمهما

فيا كبدينا أجلا قد وجدتما • بأهل الحمى ما لم تجد كبدان
اذا كبدانا خافتا وشك نية • وعاجل بين ظلّتا تجبان)

يريد لقضى عليّ فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج قال الله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون والمعنى اذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ألا ترى أن أول الآية الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فهؤلاء أخذوا منهم ثم أعطوهم وقال الله تبارك وتعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا أي من قومه وقال الشاعر (هو أعشى طرود واسمه اياس ابن عامر)

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به • فقد تركتك ذا مال وذا نشب

أي أمرتك بالخير ومن ذا قول الفرزدق

تركه مكافأته فاذا فعلت ذلك فكل هنيا مريا وعش في السرور مليا ونحن نسأل الله الجليل أن يصفي كدر صدرنا ويجنبنا واياك سوء الألفة والانفاق ويحسن توفيقك وتسديدك والسلام

(فصل من صدر كتابه في المعلمين) أعانك الله على سورة الغضب وعصمك من ثورة الهوى وصرف ما أعارك من القوة الى حب الانصاف ورجح في قلبك ايثار الاناة فقد استعملت في المعلمين تولك السفهاء وخطل الجهلاء ومفاحشة الايذاء ومجانبة سبل الحكماء وتهكم المقتدرين وأمن المغترين ومن تعرض للعداوة وجدها حاضرة ولا حاجة بك الى تكلف ما كفيت

(فصل منه) ولولا الكتاب لاختلت أخبار الماضين وانقطعت آثار الغائبين وانما اللسان للشاهد لك والعلم للغائب عنك وللماضي قبلك والغابر بعدك فصار نفعه أعم والدواوين اليه افقر والملك المقيم بالواسطة لا يدرك مصالح أطرافه

ومنّا الذى اختير الرجال سماحة • وجوداً اذا هبّ الرياح الزعازع

أى من الرجال فهذا الكلام الفصيح وتقول العرب أقمت ثلاثا ما أذوقهنّ طعاما ولا شرابا أى ما أذوق فيهنّ وقال الشاعر

ويوماً شهدناه سليما وعامرا • قليلا سوى الطعن النهال نوافله

(قال أبو الحسن قوله لم يغرض أى لم يشتق يقال غرضت الى لقائك وحننت الى لقائك وعطشت الى لقائك وجعت الى لقائك أى اشتقت أخبرنا بذلك أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابى وأنشدنا عنه من ذا رسول ناصح فيبلغ • عنى علية غير قول الكاذب

أنى غرضت الى تناصف وجهها • غرض المحب الى الحبيب الغائب

التناصف الحسن) وأما قوله لقضانى فانما يريد لقضى على الموت كما قال الله تبارك وتعالى فلما قضينا عليه الموت فالموت فى النية وهو معلوم بمنزلة ما نطقت به فلهذا ناسب هذا قوله عز وجل واختار موسى قومه وكذلك قوله تعالى كالوهم فالشئ المكيل معلوم فهو بمنزلة ما ذكر فى اللفظ ولا يجوز مررت زيدا وأنت تريد مررت بزيد لانه لا يتعدى الا بحرف جر وذلك انه فعل الفاعل فى نفسه وليس فيه دليل على المفعول وليس هذا بمنزلة ما يتعدى الى مفعولين فيتعدى الى أحدهما بحرف جر والى الآخر بنفسه لان قولك اخترت الرجال زيدا قد علم بذكرك زيدا أن حرف الجر محذوف من الاوّل فأما قول الشاعر وهو جرير وانشاد أهل الكوفة له وهو قوله

تمرون الديار ولم تعوجوا • كلامكم علىّ اذا حرام

ورواية بعضهم لما تمضون الديار فليسا بشئ لما ذكرت لك والسماع الصحيح والقياس المطرد لا تعترض عليه الرواية الشاذة أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال قرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير • مررتم بالديار ولم تعوجوا • فهذا يدلك على ان الرواية مغيرة فاما قوله أقمت ثلاثا ما أذوقهن طعاما ولا شرابا وقول الراجز

قد صبحت صبحها السلام • بكبد خالطها سنام • فى ساعة يحبها الطعام

يريد فى ساعة يحب فيها الطعام وكذلك الاوّل معناه ما أذوق فيهن فليس هذا عندى من باب قوله جل وعلا واختار موسى قومه الا فى الحذف فقط وذلك أن ضمير الظرف تجعله العرب مفعولا على

وسد ثغوره وتقويم سكان مملكته الا بالكتاب ولولا الكتاب لما تم تدبير ولا استقامت الأمور وقد رأينا عمود صلاح الدين والدنيا انما يعتدل فى نصابه ويقوم على أساسه فى الكتاب والحساب وليس علينا لأحد فى ذلك من المنة بعد الله الذى اخترع ذلك لنا ودلنا عليه وأخذ بنواصينا اليه ما للعلمين الذين حضرهم لنا ووصل حاجتهم الى ما فى أيدينا وهؤلاء هم الذين هجوتهم وشكوتهم وحاجبتهم وغششت عليهم وألزمت الأكابر ذنب الأصاغر وحكمت على المجتهدين بتفريط المقصرين ورثيت لآباء الصبيان عن ابطاء المعلمين عن تحذيقهم ولم ترث للعلمين عن ابطاء الصبيان عما يراد بهم وبعدهم عن صرف القلوب لما يحفظونه ويدرسونه والمعلمون أشق بالصبيان من رعاة الضأن ورواض المهارة ولو نظرت من جهة النظر علمت ان النعمة فيهم عظيمة سابغة والشكر عليها لازم واجب (فصل منه)

السعة كقولهم يوم الجمعة سرته ومكانكم قمته وشهر رمضان صمته فهذا يشبه في السعة بقولك زيد ضربته وما أشبهه فهذا بين) قال أبو العباس ومما يستحسن ويستجاد قول أعرابي من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وكان مملكا فنزل به أضياف فقام الى الرحى فطحن لهم فمرت به زوجته في نسوة فقالت لهن أهذا بعلي فأعلم بذلك فقال (قال أبو الحسن أخبرنا به عن أبي محلم يعني السعدي)

تقول وصكت صدرها بيمينها * أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فقلت لها لا تعجلي وتبيني * بلائي اذا التفت على الفوارس

ألست أرد القرن يركب ردعه * وفيه سنان ذو غرارين يابس

اذا هاب أقوام تجشمت هول ما * يهاب حمياه الألد المداعس

لعمر أبيك الخير اني لخادم * لضيفي واني ان ركبت لفارس

قوله المتقاعس انما هو الذي يخرج صدره ويدخل ظهره ويقال عزة قعساء وانما هذا مثل أي لا تضع ظهرها الى الارض وقوله بالرحى المتقاعس لو أراد الذي يتقاعس بالرحى لم يجز لان قوله بالرحى من صلة الذي والصلة من تمام الموصول فلو قدمها قبله لكان لحنا وخطأ فاحشا وكان كمن جعل آخر الاسم قبل أوله ولكنه جعل المتقاعس اسما على وجهه وجعل قوله بالرحى تبيينا بمنزلة لك التي تقع بعد قولك سقيا وبمنزلة بك التي تقع بعد مرحبا فان قدمتها قبل سقيا ومرحبا فذلك جيد بالغ تقول بك مرحبا وأهلا وتقول لك حمدا ولزيد سقيا فأما قول الله عز وجل وأنا على ذلكم من الشاهدين وكذلك وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فيكون تفسيره على وجهين أحدهما أن يكون وأنا ناصح لكما وأنا شاهد على ذلكم ثم جعل من الشاهدين ولمن الناصحين تفسيرا للشاهد وناصح ويكون على ما فسرنا يراد به التبيين فلا يدخل في الصلة ويكون على مذهب المازني وقال أبو العباس وهو الذي أختار على أن الالف واللام للتعريف لا على معنى الذي الا ترى أنك تقول نعم القائم زيد ولا يجوز نعم الذي قام زيد وانما هو بمنزلة قولك نعم الرجل زيد وهذا الذي شرحناه متصل في هذا الباب كله مطرد على القياس وقوله * ألست أرد القرن يركب ردعه * فانما اشتقاقه من السهم يقال ارتدع السهم اذا رجع النصل متأخرا في السنخ ويقال ركب البعير ردعه اذا سقط فدخلت عنقه في جوفه فالكلام مشتق بعضه من بعض ومبين بعضه بعضا

واجمعوا على انهم لم يجدوا كلمة أقل حرفا ولا أكثر ريعا ولا أعم نفعا ولا أحث على بيان ولا ادعى الى تبين ولا اهجى لمن ترك التفهم وقصر في الافهام من قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه قيمة كل امرئ ما يحسن وقد أحسن من قال مذاكرة الرجال تلقيح لألبابها وكرهت الحكماء الرؤساء اصحاب الاستنباط والتفكير جودة الحفظ لمكان الاتكال عليه واغفال العقل من التمييز حتى قالوا الحفظ عذق الذهن ولأن مستعمل الحفظ لا يكون الا مقلدا والاستنباط هو الذي يفضي بصاحبه الى برد اليقين وعز الثقة والقضية الصحيحة والحكم المحمود انه متى ادام الحفظ أضر ذلك بالاستنباط ومتى أدام الاستنباط أضر ذلك بالحفظ وان كان الحفظ أشرف منزلة منه ومتى أهمل النظر لم تسرع اليه المعاني ومتى أهمل الحفظ لم يعلق بقلبه وقل مكثها في صدره وطبيعة الحفظ غير طبيعة

فيقال من هذا في المَثَل ذهب فلانٌ في حاجتي فارتدع عنها أي رجع وكذلك فلان لا يرتدعُ عن قبيح والاصل ما ذكرتُ لك أوّلا ومثل هذا قولهم فلانٌ على الدابة وعلى الجبل أي فوق كل واحد منهما ثم تقول فلانٌ عليه دينٌ ثقيلا وكذلك ركبه دينٌ واغما تريد أن الدَّين علاه وقهره وكذلك فلان على الكوفة اذا كان واليا عليها وكذلك علا فلانٌ القومَ اذا علاهم بأمره وقهرهم أو جعل في هذا الموضع وقوله • وفيه سنانٌ ذو غرارين يابسُ • فالغرار ههنا الحدّ وللغرار مواضع قال أبو العباس وحدثني الرياشيّ في اسناد له قال قال جبر بن حبيب وذكر الراعي أخطأ الاعور قال ولم يعلم الحاكي عنه أن الراعي كان أعورَ الا من هذا الخبر في قوله

فصادف سهمه أحجار قفٍّ • كسرن العيرَ منه والغرارا

وجبر بن حبيب هو المخطئ لان الغرار ههنا هو الحد وذهب جبر الى أنه المثال وقد يكون المثال وليس ذلك بمانعه من أن يحتمل معاني يقال بنوا بيوتهم على غرار واحد أي على مثال واحد كما قال عمرو بن أحمر الباهليّ

وضعن وكلهن على غرار • هجان اللون قد وسقت جنينا

(الرواية عن أبي العباس وضَعْنَ بفتح الضاد والواو والصحيح وُضِعْنَ بضم الواو وكسر الضاد)

ويقال لسوق نادرة وغرار أي نفاق وكساد فهذا معنى آخر واغما تأويل الغرار في هذا المعنى الاخير أنه شيء بعد شيء ومن هذا غار الطائر فرخه لانه اغا يعطيه شيأ بعد شيء وكذلك غارّت الناقة في الحلب ويقال من هذا ماغت الاغرارا قال الشاعر

ما أذوق النوم الاغرارا • مثل حسو الطير ماء الثماد

فكشف في هذا البيت معنى الغرار وأوضحه وقوله • يهاب حُمَيّاه الألدّ المداعسُ • فأصل الحميا انما هي صدمة الشيء يقال فلان حامي الحميا ويقال صدمته حميا الكأس يراد بذلك سورتها وقوله الالدّ فأصله الشديد الخصومة يقال خصمٌ ألدّ أي لا ينثني عن خصمه قال الله عز وجل وتنذر به قوما لدّا كما قال بل هم قوم خصمون وقال مهلهل

انّ تحت الأحجار حزما وجودا • وخصيما ألدّ ذا معلاق

ويروى مغلاق فمن روى ذلك فتأويله أنه يغلق الحجة على الخصم ومن قال ذا معلاق فانما يريد أنه اذا علق خصما لم يتخلص منه وجعل السعديّ الالدّ الذي لا ينثني عن الحرب تشبيها بذلك

الاستنباط واللذان يعالجان به ويستعينان متفق عليه الا وهو فراغ القلب للشيء والشهوة له وبهما يكون التمام وتظهر الفضيلة ولصاحب الحفظ سبب آخر يتفقان عليه وهو الموضع والوقت فأما الموضع فايهما يختار اذا أرادا ذلك الفرق دون الشغل واما الساعات فالاسحار دون سائر الأوقات لأن ذلك الوقت قبل وقت الاشتغال وتعقب تمام الراحة والجمام لان للجمام مقدارا هو المصلحة كما ان للكد مقدارا هو المصلحة (فصل منه) ويستدل أيضا بوصايا الملوك للمؤدبين في ابنائهم وفي تقويم احداثهم على انهم قد قلدوهم أمورهم وضميرهم بلوغ التمام في تأديبهم وما قلدوهم ذلك الا بعد ان ارتفع اليهم في الحذق حالهم في الأدب وبعد ان كشفهم الامتحان وقاموا على الخلاص وأنت حفظك الله لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب

والمداعس المطاعن يقال دعسته بالرمح اذا طعنته قال عمير بن الحباب السلمي

أنا عمير وأبو المغلس • وبالقناة مازني مدعس

(قال أبو الحسن تأويل قوله أي قول السعدي • أبعلي هذا بالرحى المتقاعس • بالرحى تبيين ولم يوضحه فان تقدير ما كان من هذا الضرب أنه اذا قال أبعلي هذا بالرحى المتقاعس فان المتقاعس يدل على أن تقاعسا وقع فكأنه قال وقع التقاعس بالرحى ولم يرد ان يعمل المتقاعس في قوله بالرحى لانه في الصلة والصلة من الموصول بمنزلة الدال من زيد أو الياء فكما لا يجوز أن يتقدم حروف الاسم بعضها على بعض لم يجز أن تتقدم الصلة على الموصول فأما قول الله عز وجل وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وكذلك وأنا على ذلكم من الشاهدين فانه يكون على التبيين الذي قدمنا ذكره وهو قول البصريين أجمعين الا أن أبا عمر الجرمي أجاز أن يجعل لكما وعلى ذلكم معلقين بشيئين محذوفين دل عليهما من الناصحين ومن الشاهدين لان من مبعضة فكأنه قال والله أعلم وقاسمهما اني ناصح لكما من الناصحين وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين وأما اختياره وذكره أنه قول المازني وجعله الالف واللام للعهد مثلهما في الرجل وما أشبهه فان هذا القول غير مرضي عندي لانك اذا قلت نعم القائم زيد فجعلت الألف واللام كالألف واللام الداخلتين على ما لم يؤخذ من الفعل كالانسان والفرس وما أشبهه فانه اذا كان هكذا دخل في باب الاسماء الجامدة وهي التي لم تؤخذ من أمثلة الفعل وامتنع من أن يعمل مؤخرا الا على حيلة ووجه بعيد من التبيين الذي ذكرنا واذا كان في التأخير لا يعمل بنفسه فكيف يعمل اذا تقدم عليه الظرف وهذا مستحيل لا وجه له وأما انشاده • لا أذوق النوم الا غرارا • فان هذه أبيات أربعة أنشدناها عن الزيادي وذكر أنه كان يستحسنها وهي لاعرابي قال

مالعيني كحلت بالسهاد • ولجنبي نابيا عن وسادي

لا أذوق النوم الا غرارا • مثل حسو الطير ماء الثماد

أبتغي اصلاح سعدى بجهدي • وهي تسعى جهدها في فسادي

فتتاركنا على غير شيء • ربما أفسد طول التمادي

وأما انشاده • وضعن وكلهن على غرار • فان البيت لعمرو بن أحمر بن العمرد الباهلي) قال

والخاطاطين لو جدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار فكم تظن انا وجدنا منهم من الرواة والقضاة والحكام والولاة من المناكير والدهاة ومن الحماة والكفاة ومن القادة والذادة ومن الرؤساء والسادة ومن كبار الكتاب والشعراء والوزراء والأدباء ومن اصحاب الرسائل والخطابة والمذكورين بجميع اصناف البلاغة ومن الفرسان واصحاب الطعان ومن نديم كريم وعالم حكيم ومن مليح ظريف ومن شاب عفيف ولا تعجل بالقضية حتى تستوفي آخر الكتاب وتبلغ أقصى العذر فانك ان كنت تعمدت تذممت وان كنت جهلت تعلمت وما أظن من احسن بك الظن الا وقد خالف الحزم (فصل منه) قال المعلم وجدنا كل صنف من جميع ما بالناس الى تعلمه حاجة المعلمين كمعلمي الكتاب والحساب والفرائض والقرآن والنحو والعروض والاشعار والاخبار والآثار ووجدنا

أبو العباس ومن سهل الشعر وحسنه قول طخيم بن أبي الطخماء الاسدي يمدح قوما من أهل الحيرة من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ثم من رهط عدي بن زيد العبادي قال

كأن لم يكن يوم بزورة صالح • وبالقصر ظل دائم وصديق
ولم أرد البطحاء يمزج ماءها • شراب من البروقتين عتيق
معي كل فضفاض القميص كأنه • اذا ماسرت فيه المدام فنيق
بنو السمط والحداء كل سميدع • له في العروق الصالحات عروق
واني وان كانوا نصارى أحبهم • ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

قال أبو العباس أنشدني هذا الشعر أبو محلم ثم أنشدنيه رجل نصراني يكنى أبا يحيى شاعر من هؤلاء القوم الذين مدحوا بهذا ذكر أنه يذكر طخيما وهو يتردد اليهم ويظل عندهم قال هذا النصراني وهو رجل من بني الحداء قال أذكره وأنا صغير جدا والسلطان يطلبه لقوله

• له في العروق الصالحات عروق • يقول ابتقول هذا القوم من النصارى وكان هذا النصراني قد قارب مائة سنة فيما ذكر وقوله معي كل فضفاض القميص يريد أن قميصه ذو فضول وانما يقصد الى ما فيه من الخيلاء كما قال زهير

• يجرون الذيول وقد تمشت • حميا الكأس فيهم والغناء

ويقال ان تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الازار في النار انما اراد معنى الخيلاء وقال الشاعر

ولا ينسيني الحدثان عرضي • ولا أرخي من المرح الازار

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي تميمة الهجيمي اياك والمخيلة فقال يارسول الله نحن قوم عرب فما المخيلة فقال صلى الله عليه وسلم سبل الازار والحديث يعرض لما يجري في الحديث قبله وان لم يكن من بابه ولكن يذكر به قال ابو العباس روي لنا ان رجلا من الصالحين كان عند ابراهيم بن هشام فانشد ابراهيم قول الشاعر

إذ أنت فينا لمن ينهاك عاصية • وإذ أجر اليكم سادرا رسني

فقام ذلك الرجل (هو ابن أبي عتيق) فرمى بشق ردائه واقبل يسحبه حتى خرج من المجلس ثم رجع على تلك الحال فجلس فقال له ابراهيم بن هشام مابك فقال اني كنت سمعت هذا الشعر

الأوائل كانوا يتخذون لابنائهم من يعلمهم الكتاب والحساب ثم لعب الصوالجة والرمي في التنبول والجثمة والطير الخاطف ورمي البنجكاز والبنادق وقبل ذلك الدبوق والنفخ في الشيطار وبعد ذلك الفروسية واللعب بالرماح والسيوف والمشاولة والمنازلة والمطاردة ثم النجوم والعون والطب والهندسة وتعلم النرد والشطرنج وضرب الدفوف وضرب الأوتار والوقع والنفخ في اصناف المزامير ويأمرون بتعليم ابناء الرعية الفلاحة والتجارة والبنيان والصياغة والخياطة والسرد والصبغ وانواع الحياكة نعم حتى علموا البلابل واصناف الطير الالحان وناسا يعلمون القرود والدببة والكلاب والظباء المكية والببغاء والسعل وغراب البين ويعلمون الابل والخيل والبغال والحمير والفيلة اصناف المشي واجناس الخطو ويعلمون الشواهين والصقور والبوازين

فاستحسنته فاليتُ ألّا أشعبه الابوَرث ردائي كما ترى كما شعب هذا الرجل رسنه وأما الفنيق فانه الفحل وانما أراد خطرانه بذنبه من الخيلاء فشبه الرجل من هؤلاء اذا انتشى بالفحل وهو اذا خطر ضرب بذنبه يمنة وشامة قال ذو الرمة

وقرّبن بالزرق الجمائل بعدما • تقوّب عن غربان أوراكها الخطر

ومن حسن الشعر ومايقرب مأخذه قول محمس بن أرطاة الاعرجي والاعرج الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم لرجل من بني حنيفة يقال له يحيى وكان يصير الى امرأة في قرية من قرى اليمامة يقال لها بقعاء (قال أبو الحسن أنشدته عن الرياشي نقعاء وسألت رجلا من أهل اليمامة فصيحا من بني حنيفة عن هذا فقال ما أعرفه الا بقعاء بالباء)

عرضت نصيحة مني ليحيى • فقال غششتني والنصح مرّ

وما بي أن أكون أعيب يحيى • ويحيى طاهر الاخلاق برّ

ولكن قد أتاني أن يحيى • يقال عليه في بقعاء شرّ

فقلت له تجنب كل شيء • يعاب عليك ان الحرّ حرّ

فهذا كلام ليس فيه فضل عن معناه وقوله ان الحر حر انما تأويله أن الحر على الاخلاق التي عهدت في الاحرار ومثل ذلك • أنا أبو النجم وشعري شعري • أي شعري كما بلغك وكما كنت تعهد وكذلك قولهم الناس الناس أي الناس كما كنت تعهدهم (قال أبو الحسن ومنه قول الله عز وجل فغشيهم من اليم ما غشيهم) وقوله فقلت له تجنب كل شيء يعاب عليك كقول عمرو بن العاص لمعاوية حين وصف عبد الملك بن مروان فقال آخذ بثلاث تارك لثلاث آخذ بقلوب الرجال اذا حدّث وبحسن الاستماع اذا حُدّث وبأيسر الأمرين عليه اذا خولف تارك للمراء تارك لمقاربة اللئيم تارك لما يعتذر منه كقوله تجنب كل شيء • يعاب عليك ان الحرّ حرّ

• ومما يستحسن انشاده من الشعر لصحة معناه وجزالة لفظه وكثرة تردد ضربه من المعاني بين الناس قول ابن ميّادة لرياح بن عثمان بن حيّان المرّي من مرّة غطفان وكلاهما من مرّة غطفان يقوله في فتنة محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن وكان أشار عليه بأن يعتزل القوم فلم يفعل فقتل فقال ابن ميّادة

أمرتك يا رياح بأمر حزم • فقلت هشيمة من أهل نجد

والفهود والكلاب وعناق الارض الصيد ويعلمون الدواب الطحن والبغال الهمز حتى يروضوا الهملاج والعناق بالتقليع وغير التقليع وبالموضوع والأوسط والمرفوع ووجدنا الاشياء كلها معلمين وانما قيل للانسان العالم الصغير سليل العالم الكبير لان في الانسان من جميع طبائع الحيوان اشكالا من ختل الذئب وروغان الثعلب ووثوب الأسد وحقد البعير وهداية القطاة وهذا كثير وهذا بابه ولانه يحكي كل صوت بفيه ويصور كل صورة بيده ثم فضله الله تعالى بالمنطق والرؤية وامكان التصرف وعلى انا لا نعلم ان لأحد من جميع أصناف المعلمين لجميع هذه الأصناف كفضيلة المعلم من الناس الاحداث المنطق المنثور ككلام الاحتجاج والصفات والمناقلات من المسائل والجوابات في جميع العلامات بين الموزون من القصائد والارجاز من المزدوج والاسماع مع الكتاب والحساب

نُهْنِهْتُ عن رجالٍ من قُرَيْشٍ * على مَحْبُوكَةِ الأَصْلابِ جُرْدِ

ووَجْداً ما وَجَدْتُ على رِياحٍ * وما أَغْنَيْتُ شيأً غيرَ وَجْدِي

فقوله فقلت هشيمة من أهل نجد تأويله ضعيفة وأصل الهشيم النبت اذا ولّى وجفّ وتكسر فذرته الرياح يمينا وشمالا قال الله تعالى فأصبح هشيما تذروه الرياح والنجد أعالي الأرض وقوله على محبوكة الاصلاب جرد فالمحبوك الذي فيه طرائق واحدها حِباك والجماعة حُبُك يقال لطرائق الماء حُبُك وكذلك الطرائق التي على جناح الطائر من ذلك قول الله تبارك وتعالى والسماء ذات الحُبُك

(قال أبو الحسن ابن ميّادة اسمه الرمّاح وأمه ميّادة وأبوه أبرد وكان عاتّا بأمه ولها يقول

اعرنزمي ميّادُ للقوافي * واستعجِلِيهِنّ ولا تخافي * تجدنَ ابنكِ ذا قذافِ

وأصل الاعرنزام التجمع والتقبض يقول استعدي لها رتميني وأنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد له

ونواعمٍ قد قلنَ يومَ تَرَحُّلي * قولَ الجحودِ هُنّ كالمُزّاحِ

يا ليتنا من غير أمرٍ فادحٍ * طلعت علينا العيسُ بالرمّاحِ

في أبيات له يعني نفسه قال أبو الحسن وتمام الابيات

بينا كذاك رأينني متعصّباً * بالخزّ فوق جُلالةٍ سِرداحِ

فيهنّ صفراءُ المعاصمِ طفلةٌ * بيضاءُ مثلُ غريضةِ التفّاحِ

ريشن حين أردن أن يرمينني * نبلاً بلا ريشٍ ولا بقداحِ

ونظرن من خلل الستور بأعين * مرضى مخالطها السقام صحاحِ)

قال أبو العباس ثم نذكر من كلام الحكماء وأمثالهم وآدابهم صدرا ثم نعود الى المقطّعات ان شاء الله يروى عن ابن عمر أنه كان يقول انا معشر قريش كنا نعدّ الجود والحلم السُّودد ونعدّ العفاف واصلاح المال المروءة قال الاحنف بن قيس كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزح تذهب المروءة ومن لزم شيأ عُرف به وقيل لعبد الملك بن مروان ما المروءة فقال موالاة الاكفاء ومداجاة الاعداء وتأويل المداجاة المداراة أي لا تظهر لهم ما عندك من العداوة وأصله من الدجى وهو ما ألبسك الليل من ظلمته وقيل لمعاوية ما المروءة فقال احتمال الجريرة واصلاح أمر العشيرة فقيل له وما النبل فقال الحلم عند الغضب والعفو عند القدرة وكان أبو سفيان اذا نزل به جار

وماشا كل ذلك ووافقه واتصل به وذهب مذهبه وقالوا انما اشتق اسم المعلم من العلم واسم المؤدب من الأدب وقد علمنا ان العلم هو الأصل والأدب هو الفرع والأدب اما خلق واما رواية وقد اطلقوا له اسم المؤدب على العموم والعلم اصل لكل خير وبه ينفصل الكرم من اللؤم والحلال من الحرام والفصل من الموازنة بين افضل الخيرين والمقابلة بين انقص الشرين فلم يعرضوا لأحد من هذه الأصناف الذى لا تخذ الناس لها المعلمين من جميع انواع الحق والباطل والسرف والاقتصاد والجد والهزل الا هؤلاء الذين لا يعلمون الا الكتاب والحساب والشعر والنحو والفرائض والعروض وما بالسماء من نجوم الاهتداء والانواء والسعود واسماء الأيام والشهور والمناقلات ويمنعهم العرامة ويأخذهم بالصلاة في الجماعة ويدرسهم القرآن ويهذبون السنتهم برواية القصيد والأرجاز ويعاقب على

قال له ياهذا انك قد اخترتني جاراً واخترت داري داراً لجناية يدك على دونك وان جنت عليك يد فاحتكم على حكم الصبي على أهله وذلك أن الصبي قد يطلب مالا يوجد الا بعيداً ويطلب مالا يكون ألبتة قال الشاعر (هو الأعرج المعني)

ولا تحتكما حكم الصبي فانه • كثير على ظهر الطريق مجاهله

ويروى أن معاوية بن أبي سفيان لما نصب يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لاضعتها والأحنف جالس فقال له معاوية مالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله عن الطاعة خيرا وأمر له بألوف فلما خرج الأحنف لقيه الرجل بالباب فقال يا أبا بحر اني لأعلم أن شر من خلق الله هذا وابنه ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فلسنا نطمع في استخراجها الا بما سمعت فقال له الأحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيها وقال رجل يهجو بلال بن البعير المحاربي (الشاعر الرماح بن ميادة)

يقولون أبناء البعير وماله • سنام ولا في ذروة المجد غارب
أرادت وذاكم من سفاهة رأيها • لأهجوها لما هجتني محارب
معاذ الهي انني بعشيرتي • ونفسي عن ذاك المقام لراغب

وقال أبو الطمحان القيني (اسمه حنظلة بن الشرقي والطمحان فعلان من طمح بأنفه وبصره اذا تكبر والقين الحداد وكل صانع قين والقين أيضا موضع القيد من البعير)

واني من القوم الذين هم هم • اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب • بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم • دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ومازال منهم حيث كانوا مسود • تسير المنايا حيث سارت كتائبه

وقال اياس بن الوليد يمدح قومه

اذا وجدتك من قوم اذا طلبوا • بعد النسيئة دينا أحسنوا الطلبا

التهاون ويضربهم على الفرار ويأخذهم بالمناقلة والمناقلة أسباب المنافسة لحقير بخلاف هذه السيرة وبضد هذه المعاملة (فصل منه) وقد ذهب قوم الى أن الأدب خرق وطلبه شؤم وأنشد قول الشاعر

ماازددت في أدبي حرفا أسر به
الا تزيدت حرفا تحته شوم
ان المقدم في حذق بصنعته
اني توجه فيها فهو محروم

ولم نر شاعرا نال بشعره الرغائب ولا أديبا بلغ بأدبه المراتب ذكر عن الأدب ولا بركة قول الشعر فانما حرم الواحد منهم والرجل الشاذ ذكر خرق الأدب وشؤم الشعر وان كان عدد من نال الرغائب أكثر من عدد من اخفق ومهما عيرنا من كان في هذه الصنعة فانا غير عايرين لابي يعقوب الخزيمي لانه نال بالشعر وأدرك بالأدب وليس الذي يحمل أكثر الناس على هذا القول الا وجدان المعاني والالفاظ فانهم يكرهون ان يضيعوا بابا من اظهار الظرف وفضل الشأن وهم عليه قادرون

لا تحسبوا هجم أبياتي علانية ٭ ولا استلاب سلاحي ذاهبا لعبا

تبقى المعاير بعد القوم باقية ٭ ويذهب المال فيما كان قد ذهبا

وقال آخر

لبسوا لعمرو وغير ناشب نسبة ٭ ولكن عمرا غيبته المقابر

اذا عيروا قالوا مقادير قدرت ٭ وما العار الا ما تجر المقادر

وقال رجل من بني نهشل بن دارم

اذا مولاك كان عليك عونا ٭ أتاك القوم بالعجب العجيب

فلا تخنع اليه ولا ترده ٭ ورام برأسه عرض الجبوب

فبالشآفة من غير ذنب ٭ اذا ولى صديقك من طبيب

قوله ورام برأسه عرض الجبوب يريد الأرض وهو اسم من أسمائها أنشدني التوزي لرجل من بني مرة يرثي ابنه

بني على عيني وقلبي مكانه ٭ ثوى بين أحجار ورهن جبوب

وقوله فبالشآفة يقول لبغض يقال شنفت الرجل أشنفه شنافة وشنفا مثل شعفا وقد يقال في هذا المعنى شنفته قال الراجز

لما رأتني أم عمرو صدفت ٭ ونعتني خبرها وشنفت

وقال آخر ٭ ولم تداو غلة القلب الشنف ٭ وقال نبهان بن عكي العبشمي

يقر بعيني أن أرى من مكانه ٭ ذرا عقدات الأبرق المتقاود

وأن أرد الماء الذي شربت به ٭ سليمى وقد مل السرى كل واجد

وألصق أحشائي ببرد ترابه ٭ وان كان مخلوطا بسم الأساود

قوله ذرا عقدات فالذروة من كل شيء أعلاه وذروة السنام أعلاه وذروة المجد أرفعه وأسناه ويقال فلان في ذروة قومه اذا كان في الموضع الرفيع منهم وأما قول لبيد

مذمن يجلو بأطراف الذرا ٭ دنس الأسوق عن عضب أفل

فانما يقول هذا رجل يعرقب الابل لينحرها ثم يمسح ذرا أسنمتها بسيفه ليجلو ما عليه من دم الأسوق وقوله عضب أي قاطع ومن ذلك رجل عضب اللسان وجعله أفل لكثرة ما يقارع به الحروب كما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ٭ بهن فلول من قراع الكتائب

وقوله عقدات فهو ما انعقد وصلب من الرمل الواحدة عقدة والجمع عقد وأعقاد أيضا وعقدات

(فصل) وقد قالوا الصبي عن الصبي أفهم وبه أشكل وكذلك الغافل والغافل والاحمق والاحمق والغبي والغبي والمرأة والمرأة قال الله تبارك وتعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لأن الناس عن الناس أفهم واليهم اسكن فمما اعان الله تعالى به الصبيان ان قرب طبائعهم ومقادير عقولهم من مقادير عقول العالمين وسمع الحجاج وهو يسير كلام امرأة من دار قوم فيه تخليط وهذيان فقال مجنونة أو ترقص صبيا ألا ترى ان أبلغ الناس لسانا وأجودهم بيانا وأدقهم فطنة وأبعدهم روية لو ناطق طفلا أو ناغى صبيا لتوخى حكاية مقادير عقول الصبيان والشبه لمخارج كلامهم وكان لا يجد بدا من ان ينصرف عن كل ما فضله الله به بالمعرفة الشريفة والالفاظ الكريمة وكذلك تكون المشاكلة بين المتفقين في الصناعات

(فصل في رياضة الصبي) واما النحو فلا تشغل قلبه منه الا بقدر ما يؤديه الى

قال ذو الرمة لهلال بن أحوز المازني يمدحه

رفعت مجد تميم يا هلال لها * رفع الطراف على العلياء بالعمد

حتى نساء تميم وهي نازحة * بقلة الحزن فالصمان فالعقد

لو يستطعن اذا ضافتك مجحفة * وقينك الموت بالآباء والولد

وقوله الابرق فالأبرق حجارة يخلطها رمل وطين يقال لتلك برقة وأبرق وبرقاء يا فتى كما يقال الأمعز والمعزاء وهي الأرض الكثيرة الحصباء ومثل ذلك الابطح والبطحاء وهو ما انبطح من الأرض فمن قال أبرق فانما أراد المكان ومن قال برقاء فانما أراد البقعة وقوله المتقاود يريد المنقاد المستقيم ومن ذلك قولهم قدته أي جررته على استقامة وكذلك طريق منقاد وفلان قائد الجيش قال حاتم بن عبد الله الطائي يضرب هذا مثلا

ان الكريم من تلفت حوله * وان اللئيم دائم الطرف أقود

وقوله ولو كان مخلوطا بسم الاساود يريد جمع أسود سالخ وجمعه على أساود لانه يجري مجرى الاسماء وما كان من باب أفعل اسما فجمعه على أفاعل نحو أفكل وأفاكل والأكبر والأكابر وكذلك كل ما سميت به رجلا نحو أحمد وأحامد وأسلم وأسالم فان كان نعتا فجمعه على فعل نحو أحمر وحمر وأصفر وصفر ولكن أسود اذا عنيت به الحية وأدهم اذا عنيت به القيد وأبطح اذا عنيت به المكان المنبطح وأبرق اذا عنيت به المكان مضارعة للاسماء لأنها تدل على ذات الشيء وان كانت في الأصل نعتا تقول في جمعها الأباطح والأبارق والأداهم والأساود فان أردت نعتا محضا يتبع المنعوت قلت مررت بثياب سود وبخيل دهم وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه قال جرير

هو القين وابن القين لا قين مثله * لفطح المساحي أو لجدل الأداهم

وقال الاشهب بن رميلة (قال أبو الحسن رميلة اسم أمه)

أسود شرى لاقت أسود خفية * تساقوا على حرد دماء الاساود

قوله على حرد يقول على قصد فأما قول الله عز وجل وغدوا على حرد قادرين فان فيه قولين أحدهما ما ذكرنا من القصد قال الشاعر

قد جاء سيل جاء من أمر الله * يحرد حرد الجنة المغله

السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب كتبه وشعر ان أنشده وشيء ان وصفه وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو اولى به ومذهل عما هو أرد عليه منه من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع وانما رغب في بلوغ غايته ومجاوزة الاقتصاد فيه من لا يحتاج الى تعرف جسيمات الامور والاستنباط لغوامض التدبير ولمصالح العباد والبلاد والعلم بالاركان والقطب الذي تدور عليه الرحا ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه وعويص النحو لا يجري في المعاملات ولا يضطر اليه شيء فمن الرأي ان يعتمد به في حساب العقد دون حساب الهند ودون الهندسة وعويص ما يدخل في المساحة وعليك في ذلك بما يحتاج اليه كفاة السلطان وكتاب الدواوين وأنا أقول ان البلوغ في معرفة الحساب الذي يدور عليه العمل والتوفي فيه والسبب اليه أرد عليه من البلوغ

(قال أبو حاتم هذه صنعة من لا أحسن الله ذكره يعنى قطربا) وقالوا على حرد أى على منع من قولهم حاردت السنة اذا منعت قطرها وحاردت الناقة اذا منعت درها (قال أبو الحسن رواية أبى العباس يقر بعينى يريد يقر عينى ثم أتى بالباء توكيدا وقال انا هكذا سمعته ويقال أقر الله عينه يقرها وقرت عينه تقر وقررت بالمكان أقر وقال الأصمعى قرت عينه من القر وهو البرد أى جدت فلم تدمع وهو بحذاء سخنت عينه وأجود ما روى عندى يقر بعينى وهو الاصل والباء فى موضعها غير مؤكدة وقال أبو العباس الذى رويت وقد مل السرى كل واحد وهو المنفرد فى السير المتوحد به وروى غيره كل واجد أى عاشق وروى أيضا كل واخد وهو من الوخد والوخدان وهو السير الشديد والوخد المصدر والوخدان الاسم) قال أبو العباس وقال القتال الكلابى واسمه عبيد بن المضرحى

أنا ابن أسماء أعمامى لها وأبى • اذا ترامى بنو الاموان بالعار
لا أرضع الدهر الا ثدى واضحة • لواضح الخد يحمى حوزة الجار
من آل سفيان أو ورقاء يمنعها • تحت العجاجة ضرب غير عوار
يا ليتنى والمنى ليست بنافعة • لمالك أو لحصن أو لسيار
طوال أنضية الاعناق لم يجدوا • ريح الاماء اذا راحت بأزفار

قوله اذا ترامى بنو الاموان بالعار فالاموان جمع امة وأصل أمة فعلة متحركة العين وليس شئ من الاسماء على حرفين الا وقد سقط منه حرف يستدل عليه بجمعه أو بتثنيته أو بفعل ان كان مشتقا منه لان اقل الاصول ثلاثة أحرف ولا يلحق التصغير ما كان أقل منها فأمة قد علمنا أن الذاهب منها واو بقولهم اموان كما علمنا أن الذاهب من أب وأخ الواو بقولهم أبوان وأخوان وعلمنا أن أمة فعلة متحركة بقولهم فى الجميع آم فوزن هذا أفعل كما قالوا أكمة وآكم ولا تكون فعلة على أفعل ثم قالوا اموان كما قالوا فى المذكر الذى هو منقوص مثله اخوان واستوى المذكر والمؤنث لان الهاء زائدة كما استويا فى فعل الساكن العين تقول كلب وكلاب وكعب وكعاب كما تقول فى المؤنث طلحة وطلاح وجفنة وجفان وصحفة وصحاف ونظير ذلك من غير المعتل ورل وورلان وبرق وبرقان وخرب وخربان وهو ذكر الحبارى والبرق الحمل ومن أنشد أموان فقد غلط لانه يحتج بقولهم حمل

في صناعة المحررين ورؤوس الخطاطين لان فى أدنى طبقات الخط مع صحة الهجاء بلاغا وليس كذلك حال الحساب ثم خذ بتعريف جميع الكتاب وتخاطبهم باللفظ السهل القريب المأخذ الى المعنى الغامض وأذقه حلاوة الاختصار وراحة الكفاية وحذرة التكلف واستكراه العبارة فان أكرم ذلك كله ما كان افهاما للسامع ولا يحوج الى التأويل والتعقب ويكون مقصورا على معناه لا مقصرا به عنه ولا فاضلا عليه فاختر من المعانى ما لم يكن مستورا باللفظ المنعقد مفرقا فى الاكثار والتكلف فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع براعة اللفظ وغموضه على السامع بعد ان يتبين له القول وما زال المعنى محجوبا لم تكشف عنه العبارة فالمعنى بعد مقيم على استخفائه وصارت العبارة لغوا وظرفا خاليا وشر البلغاء من هيأ رسم المعنى قبل ان يهيئ المعنى عشقا لذلك اللفظ وشغفا بذلك الاسم حتى صار يجر

وحلان وفلق وفلقان وهذا انما يحمل على ما كان معتلا مثله نحو أخ واخوان وقد روى أبو زيد أخوان فالى هذا ذهبوا والقياس المطرد لا تعترض عليه الرواية الضعيفة وقوله لا أرضع الدهر فهذا على لغته لان قيسا تقول رضع يرضع وأهل الحجاز يقولون رضع يرضع وينشدون بيت عبد الله بن همام السلولى على وجهين وهو

اذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا • ولكن حسن القول خالفه الفعل
وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها • أفاويق حتى ما يدر لها ثعل

وبعضهم يقول يرضعونها وقوله لا أرضع الدهر الا ثدى واضحة يقول انما ترضعنى أمى وليست غير كريمة كما قال الاعشى يا خير من يركب المطى ولا • يشرب كأسا بكف من بخلا
يقول انما تشرب بكفك ولست ببخيل ومثل هذا قول التميمى لنجدة بن عامر الحنفى الخارجى

متى تلق الحريش حريش سعد • وعبادا يقود الدارعينا
تبين أن أمك لم تورك • ولم ترضع أمير المؤمنينا

وقوله واضحة أى خالصة فى نسبها وليست بأمة وهذا توكيد لبيته الاول وقد أنشد بعضهم لواضح الجد والمعنى قريب وقوله يحمى حوزة الجار أى ما يحوزه يقال فلان مانع لحوزته أى لما صار فى حيزه ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال الازد أربع ليست لحى بذل لما ملكت أيديهم ومنع لحوزتهم وحى عمارة لا يحتاجون الى غيرهم وشجعان لا يجبنون وقوله لمالك أو لحصن أو لسيار فهؤلاء بيت فزارة وبيوتات العرب فى الجاهلية ثلاثة فبيت تميم بنو عبد الله بن دارم ومركزه بنو زرارة وبيت قيس بنو فزارة ومركزه بنو بدر وبيت بكر بن وائل بنو شيبان ومركزه بنو ذى الجدين وقوله طوال أنضية الاعناق فالنضى مركب النصل فى السنخ وضربه مثلا وانما أراد طوال الاعناق كما قال الاعشى

الواطئين على صدور نعالهم • يمشون فى الدفنى والابراد

يريد السودد والنعمة ولم يخصص الصدور وانما أراد النعال كلها وقال الشاعر (هو الشمردل ابن شريك اليربوعى عن ابن قتيبة)

يشبهن ملوكا فى تجلتهم • وطول أنضية الاعناق واللمم

اليه المعنى جواو يلزقه به الزاقا حتى كان الله تعالى لم يخلق لذلك المعنى اسما غيره ومنعه الافصاح عنه الا به والآفة الكبرى ان يكون ردىء الطبع بطىء اللفظ كليل الحد شديد العجب ويكون مع ذلك حريصا على أن يعد فى البلغاء شديد التكلف بانتحال اسم الادب فاذا كان كذلك خفى عليه فرق ما بين اجابة الالفاظ واستكراهها وبالجملة ان لكل معنى شريف أو وضيع هزلا أو جدا وحزم أو ضاعه ضرب من اللفظ هو حقه وحظه ونصيبه الذى لا ينبغى ان يجاوزه أو يقصر دونه ومن قرأ كتب البلغاء وتصفح دواوين الحكماء ليستفيد المعانى فهو على سبيل صواب ومن نظر فيها ليستفيد الالفاظ فهو على سبيل الخطأ والخسران ها هنا فى وزن الربح هنالك لان من كانت غايته انتزاع الالفاظ حمله الحرص عليها والاستهتار بها الى أن يستعملها قبل وقتها ويضعها فى غير مكانها

اذا بدا المسك يندى فى مفارقهم * راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(قال أبو الحسن وغيره يروى يشبهون قوما يشأى تجلتهم) وقوله بأزفار فالزفر الحمل ويضرب مثلا للرجل فيقال انه لزفر أى حمال للاثقال ويقال أتى حمله فازدفره قال أبو قحافة أعشى باهلة

أخو رغائب يعطيها ويسئلها * يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

وانما يريده بعينه كقولك لئن لقيت فلانا ليلقينك منه الأسد وقوله النوفل من قولهم انه لذو فضل ونوافل وقال رجل من بنى عبس (قال أبو الحسن يقوله لعروة بن الورد)

لا تشتمنى يا ابن ورد فاننى * تعود على مالى الحقوق العوائد

ومن يؤثر الحق النؤوب تكن به * خصاصة جسم وهو طيان ماجد

وانى امرؤ عافى انائى شركة * وأنت امرؤ عافى انائك واحد

أقسم جسمى فى جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد

قوله النؤوب يريد الذى ينوبه وكل واو انضمت لغير علة فأنت فى همزها وتركها بالخيار تقول فى جمع دار أدؤر وان شئت لم تهمز وكذلك النؤوب والقؤول لانضمام الواو فأما الواو الثانية فانها ساكنة وقبلها ضمة وهى مدة فلا يعتد بها ولو التقت واوان فى أول كلمة وليست احداهما مدة لم يكن بد من همز الاولى تقول فى تصغير واصل وواقد أويصل وأويقد لا بد من ذلك فأما وجوه فان شئت همزت فقلت أجوه وان شئت لم تهمز قال الله عز وجل واذا الرسل أقتت والاصل وقتت ولو كان فى غير القرآن لجاز اظهار الواو ان شئت وقوله تعالى ما ووري عنهما الواو الثانية مدة فلا يعتد بها ولو كان فى غير القرآن لجاز الهمز لانضمام الواو وقولى اذا انضمت من غير علة فالعلة أن تكون ضمتها اعرابا نحو هذا غزو يافتى ودلو كما ترى فهذا مما لا يجوز همزه لان الضمة للاعراب فليست بلازمة أو تنضم لالتقاء الساكنين فذلك أيضا غير لازم فلا يجوز همزه نحو اخشوا الرجل ولتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولترون الجحيم ومن همز من هذا شيأ فقد أخطأ وقال رجل من بنى تميم

ألبان ابل تعلة بن مسافر * ما دام يملكها على حرام

وطعام عمران بن أوفى مثلها * ما دام يسلك فى البطون طعام

ولذلك قال بعض الشعراء لصاحبه أنا أشعر منك قال صاحبه ولم ذاك قال لانى أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه وانما هى رياضة وسياحة والرفيق مصلح والآخر مفسد ولا بد من هذان طبيعة مناسبة وسماع الالفاظ ضار ونافع فالوجه النافع ان يدور فى مسامعه ويغيب فى قلبه ويختم فى صدره فاذا طال مكثها تناكحت ثم تلاقحت وكانت نتيجتها أكرم نتيجة وثمرتها أطيب ثمرة لانها حينئذ تخرج غير مسترقة ولا مختلسة ولا مغتصبة ولا دالة على فقر اذ لم يكن القصد الى شئ بعينه والاعتماد عليه دون غيره وبين الشئ اذا عشش فى الصدر ثم باض ثم فرخ ثم نهض وبين ان يكون الخاطر مختارا واللفظ اعتسافا واغتصابا فرق بين ومتى اتكل صاحب البلاغة على الهوينا والوكال وعلى السرقة والاحتيال لم ينل طائلا وشق عليه النزوع واستولى عليه الهوان

ان الذين يسوغ في أعناقهم * زاد يمن عليهم للئام

لعن الاله تعلة بن مسافر * لعنا يشن عليه من قدام

وهذا كلام فصيح جدا قوله يسوغ في أعناقهم يريد حلوقهم لان العنق يحيط بالحلق ويشبه هذا في الاتساع في الفصاحة لا في المعنى قول القطامي

لم تلق قوما هم شر لاخوتهم * منا عشية يجري بالدم الوادي

نقريهم لهذميات نقد بها * ما كان خاط عليهم كل زراد

لان الخياطة تضم خرق القميص والسرد يضم حلق الدرع فضرب به مثلا فجعله خياطة (قال أبو الحسن روى أبو العباس * وطعام عمران بن أوفى مثلها * رد الهاء والالف على الالبان وهذا لا نظر فيه وروى أيضا مثله لان الالبان تجري مجرى اللبن فحمله على المعنى وقد يجوز أن تجعل الالبان جمعا فتذكر لتذكير الجمع وروى أيضا * ما دام يسلك في الحلوق طعام * وروى الفراء في هذا الشعر * ان الذين يسوغ في أحلاقهم * وانما كان ينبغي أن يكون في أحلقهم كقولك فلس وأفلس وما أشبهه ولكنه شبه باب فعل بباب فعل كما قالوا زند وأزناد وفرخ وأفراخ قال الحطيئة لعمر رحمه الله تعالى

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ * حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

ففعلوا هذا تشبيها بباب فعل كما شبهوا فعلا بفعل في الجمع فقالوا اجبل وأجبل وزمن وأزمن كما قال

اني لاكني بأجبال عن اجبلها * وباسم أودية عن ذكر واديها

فأتى به على الأصل وتشبيها بغيره على ما أخبرتك وقال ذو الرمة

أمنزلتي مي سلام عليكما * هل الأزمن اللائي مضين رواجع

والباب أزمان كما قال رؤبة

أزمان لا أدري وان سألت * ما فرق بين جمعة وسبت

وروى أبو العباس البيت الاخير مقوى وجعله نكرة وهو قوله من قدام كما تقول جئتك من قبل ومن بعد ومن عل وما أشبهه كما قرأ بعضهم لله الامر من قبل ومن بعد كما تقول أولا وآخرا ورواه الفراء من قدام وجعله معرفة وأجراه مجرى الغايات نحو قبل وبعد كما قال طرفة بن العبد

ثم تفري اللجم من تعدائها * فهي من تحت مشيحات الحزم

واستهلكه سوء العادة والوجه الضار ان يحفظ ألفاظا باعيانها من كتاب بعينه أو من لفظ رجل ثم يريد ان يعد لتلك الالفاظ قسمها من المعاني فهذا لا يكون الا بخيلا فقيرا وحائفا سروقا ولا يكون الا مستكرها لالفاظه متكلفا لمعانيه مضطرب التأليف منقطع النظام فاذا مر كلامه بنقاد الالفاظ وجهابذة المعاني استخفوا عقله وبهرجوا علمه ثم اعلم أن الاستكراه في كل شيء سمج وحيث ما وقع فهو مذموم وهو في الطرف أسمج وفي البلاغة أقبح وما أحسن حاله ما دامت الالفاظ مسموعة من فمه مسرودة في نفسه ولم تكن مخلدة في كتبه وخير الكتب ماذا اعدت النظر فيه زادك في حسنه وأوقفك على حده

(فصل في ذم اللواط)

والذي يدل على أن هذه الشهوة معيبة في نفسها قبيحة في دينها ان الله تعالى وعز لم يعوض في الاخرة بشهوة الولدان من ترك لوجهه في الدنيا شهوة

وكما قال عتى بن مالك العقيلي أنشده الفراء أيضا

اذا أنا لم أومن عليك ولم يكن * لقاؤك الا من وراء وراء

فهذا الضرب مما وقع معرفة على غير جهة التعريف وجهة التعريف أن يكون معرفا بنفسه كزيد وعمرو أو يكون معرفا بالألف واللام أو بالاضافة فهذه جهة التعريف وهذا الضرب انما هو معرف بالمعنى فلذلك بني اذ خرج من الباب ويروى لعنا يسن عليه بالسين ويسن ويشن واحد أي يصب الا أن بعضهم قال السن الصب على جهة واحدة وقالوا يقال شننت عليه الماء وسننته وسننت عليه الدرع لا غير وقالوا اشننت عليه الغارة لا غير) قال أبو العباس وقال القطامي

فمن تكن الحضارة أعجبته * فأى رجال بادية ترانا

ومن ربط الجحاش فان فينا * قنا سلبا وأفراسا حسانا

وكن اذا أغرن على قبيل * فأعوزهن كون حيث كانا

أغرن من الضباب على حلال * وضبة انه من حان حانا

وأحيانا على بكر أخينا * اذا مالم نجد الا أخانا

قوله الحضارة يريد الأمصار وتقول العرب فلان باد وفلان حاضر وفي الحديث ولا يبيع حاضر لباد وتأويل ذلك أن البادي يقدم وقد عرف أسعار ما معه وما مقدار ربحه فاذا جاءه الحاضر عرفه سنة البلد فأغلى على الناس ومثل ذلك النهي عن تلقي الجلب ومثله دعوا عباد الله يصب بعضهم من بعض ويقال حي حلال اذا كانوا متجاورين مقيمين وأنشد الاصمعي

أقوم يبعثون العير نجرا * أحب اليك أم حي حلال

﴿ باب ﴾

قيل لمعاوية ما النبل فقال الحلم عند الغضب والعفو عند القدرة ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال من أكل وحده ومنع رفده وضرب عبده ألا أخبركم بشر من ذلكم من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا ألا أخبركم بشر من ذلكم من يبغض الناس ويبغضونه ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى

بذمتهم

الغلمان كما يسقى في الاخرة الخمر من تركها له في الدنيا ثم مدح خمر الجنة بأقصر الكلام فنظم به جميع المعاني المكروهة في خمر الدنيا فقال لا يصدعون عنها ولا ينزفون كأنه تبارك وتعالى قال لا اسكر فيها ولا خمار وفي اكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء انقطاع النسل وفي انقطاع النسل بطلان جميع الدين والدنيا وغشيان الرجل الرجل والمرأة المرأة من المنكوس المعكوس ومن المبدل المقلوب لان الله جل ذكره انما خلق الذكر للأنثى وجعل بينهما أسباب التحاب وعلائق الشركة وعلل المشاكلة وجعل الذكر طبقا للأنثى وجعل الانثى سكنا للرجل فقلب هؤلاء الامر وعكسوه واستقبلوا من اختار الله لهم بالرد والزهد فيه

(فصل) ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين عبد الله بن المقفع ويكنى أبا عمرو وكان يتولى لآل الاهتم وكان مقدما في بلاغة اللسان والقلم

يذمّهم أدناهم وهم يد على من سواهم والمرء كثير بأخيه قوله صلى الله عليه وسلم تتكافأ دماؤهم
من قولك فلان كفء لفلان أي عديله وموضوع بحذائه قال الله عز وجل ولم يكن له كفوًا
أحد ويقال فلان كفاء فلان وكفيء فلان وكفء فلان ويروى أن الفرزدق بلغه أن رجلا من
الحبطات بن عمرو بن تميم خطب امرأة من بني دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم
فقال الفرزدق

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع * وتنكح في أكفائها الحبطات

فآل مسمع بيت بكر بن وائل في الإسلام وهم من بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن
بكر بن وائل والحبطات هم بنو الحرث بن عمرو بن تميم فقوله أكفاؤهم إنما هو جمع كفء يا فتى
فقال رجل من الحبطات يجيبه

أما كان عبّاد كفيئًا لدارم * بلى ولأبيات بها الحجرات

يعني بني هاشم من قول الله عز وجل إن الذين ينادونك من وراء الحجرات وقال علي بن أبي طالب
رضي الله عنه من لانت كلمته وجبت محبته وقال قيمة كل امرئ ما يحسن وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ثلاث يثبتن لك الود في صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له في المجلس وتدعوه
بأحب الأسماء إليه وقال كفى بالمرء عيًّا أن تكون فيه خلة من ثلاث أن يعيب شيئا ثم يأتي مثله
أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه أو يؤذي جليسه فيما لا يعنيه وقال عبد الله بن العباس
لبعض اليمانية لكم من السماء نجمها ومن الكعبة ركنها ومن السيوف صميمها يعني سهيلا من
النجوم والركن اليماني وصمصامة عمرو بن معدي كرب ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال يوما من أجود العرب فقيل له حاتم قال فمن شاعرها قيل امرؤ القيس بن حجر قال فمن فارسها
قيل عمرو بن معدي كرب قال فأي سيوفها أمضى قيل الصمصامة وقال معاوية بن أبي سفيان
للأحنف بن قيس وجارية بن قدامة ورجال من بني سعد معهما كلامًا أحفظهم فردوا عليه
جوابا مقذعا وابنته قرظة في بيت يقرب منه فسمعت ذلك فلما خرجوا قالت يا أمير المؤمنين لقد
سمعت من هؤلاء الأجلاف كلامًا تلقّوك به فلم تنكره فكدت أخرج إليهم فأسطو بهم فقال
لها معاوية إن مضر كاهل العرب وتميمًا كاهل مضر وسعدًا كاهل تميم وهؤلاء كاهل سعد وكان
معاوية يقول إني لا أحمل السيف على من لا سيف معه وإن لم تكن إلا كلمة يشتفي بها مشتف جعلتها
تحت قدمي ودبر أذني المقذع الذي فيه إقذاع وهو السيء من القول

والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير وكان جوادا فارسا جميلا وكان إذا شاء أن يقول الشعر قاله وكان يتعاطى الكلام ولم يكن يحسن منه لا قليلا ولا كثيرا وكان ضابطا الحكايات المقالات ولا يعرف من أين غر المغتر ووثق الواثق وإذا أردت أن تعتبر ذلك إن كنت من خلص المتكلمين ومن النظارين فاعتبر ذلك بأن تنظر في آخر رسالته الهاشمية فإنك تجده جيد الحكاية لدعوى القوم رديء المدخل في مواضع الطعن عليهم وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم فيظن بنفسه عند ذلك أنه لا يحمل عقله على شيء إلا بعد به فيه كالذي اعترى الخليل بن أحمد بعد إحسانه في النحو والعروض أن ادعى العلم بالكلام وبأوزان الأغاني فخرج من الجهل إلى مقدار لا يبلغه أحد إلا بخذلان الله تعالى فلا حرمنا الله تعالى عصمته ولا ابتلانا بخذلانه

(فصـــل) وهذان

(باب)

قال أبو العباس قال رجل أحسبه من بني سعد يرثي رجلا

ومختصر المنافع أريحي * تبيل في معاوزة طوال
عزيز عزة في غير فحش * ذليل للذليل من الموالي
جعلت وساده احدى يديه * وتحت جنانه خشبات ضال
ورثت سلاحه وورثت ذودا * وحزنا دائما أخرى الليالي

قوله أريحي هو الذي يرتاح للمعروف أي يخف له ويقال أخذت فلانا أريحية أي خفة وحركة لفعل المعروف والمعاوز الثياب التي يتبذل فيها الرجل وهي دون الثياب التي يتجمل بها واحدها معوز قال الشماخ في نعت القوس

اذا سقط الانداء صينت وأشعرت * حبيرا ولم تدرج عليها المعاوز

وقوله في معاوزة فزاد الهاء فانما يفعل ذلك لتحقيق التأنيث لان كل جمع مؤنث كما تقول في جمع صيقل صياقل وصياقلة وكذلك جوارب وجواربة الا أن أكثر الاعجمي يختص بالهاء وهو في العربي جيد وفي العجمي أكثر استعمالا نحو الموازجة فان كان منسوبا كان الباب فيه اثبات الهاء وتركها جائز نحو المهالبة والمسامعة والمناذرة والاشاعرة وقالوا السيابجة لانه قد اجتمع فيه النسب والعجمة وقوله تحت جنانه يعني شخصه والضال السدر البري وما كان من السدر على الانهار فليس بضال ولكن يقال له عبري قال ذو الرمة

(قطعت اذا تجوفت العواطي * ضروب السدر) عبريا وضالا

وقوله ورثت سلاحه وورثت ذودا يصف قرب نسبه منه والذود القطعة من الابل وأكثر ما يستعمل ذلك في الاناث ويجوز في السائر ومنه قولهم الذود الى الذود ابل ثم قال

وحزنا دائما أخرى الليالي * كما قال الأول وغبط عيرات ورثه من أحد أهله

يقول بجزء ولم يقل جلالا * أني تزوجت ناعما جذلا
ان كنت أزننتني بها كذبا * جزء فلاقيت مثلها عجلا
أغبط أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصائصا نبلا

الشاعران جاهليان بعيدان من التوليد وبنجوة من التكليف (فصل) ومن خصال العبادة وان كانت كلها راجحة فليس فيها شيء أرد في عاجل ولا أفضل في آجل من حسن الظن بالله تعالى وعز ثم اعلم أن أعقل الناس السلطان ومن احتاج الى معاملته وعلى قدر الحاجة اليه ينفتح له باب الحيلة والاهتداء الى مواضع الحجة وما أقرب فضل الراعي على الرعية من فضل السائس على الدابة ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضا كما انه لولا المسيم لوثب السباع على السوام ودعني من تدريس كتب أبي حنيفة ودعني من قولهم اصرفه الى الصيارفة فان صناعة الصرف تجمع مع الكتاب والحساب المعرفة بأصناف الأموال ولا تجد بدا من حلة السلطان ودعني من قول من يقول قد كانت قريش تجارا فان هذا باب لا ينقاس ولا يطرد ومن قاس تجار الكرج وباعته وتجار

قوله

قوله ولم يقل جللا أى صغيرا والجلل يكون للصغير ويكون للكبير من ذلك قوله

كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ جَلَلْ • أى صغير وقال لبيد فى الكبير

وأرى أربدَ قد فارقنى • ومن الأرزاء رزءٌ ذو جَلَلْ

وقوله شصائصا يعنى حقيرة دميمة وزعم التوزى أن النبل من الاضداد يكون للجليل والحقير واحتج بهذا البيت الذى ذكرناه قال يريد ههنا الحقيرة وقوله أزننتنى أى قرفتنى ونسبتنى اليه يقال فلان يُزَنُّ بكذا وكذا أى يُتَّهَم به ويُنسَب اليه قال امرؤ القيس بن حجر

كذبتِ لقد أُصبى على المرء عِرْسَه • وأمنعُ عِرسى أن يُزَنَّ بها الخالى

وفى معنى قوله ورثت سلاحه قول الشاعر

يفرحُ الوارثُ بالمال اذا • ورثَ المالَ ويبكى ان غضب

ومثله قول نعامة الفزارى • يا حبذا التراثُ لولا الذلّه • وقال جميل بن معمر

ماصائبٌ من نابلٍ قد ذقتُ به • يدٌ وممرُّ العقدتين وثيقُ

له من خوافى النسر حُمٌّ نظائرٌ • ونصلٌ كنصل الزاعبىّ فتيقُ

على نبعةٍ زوراء أمّا خطامها • فمتنٌ وأمّا عودُها فعتيقُ

بأوشكَ قتلًا منكِ يوم رميتِنى • نوافذَ لم تعلم لهنّ خروقُ

كأنْ لم تحاربْ يا بثينَ لَوَ انّها • تكشّفُ غمّاها وأنت صديقُ

قوله ماصائب يريد قاصدا يقال صاب يصوب اذا قصد ومن ذلك قوله تعالى أو كصيّبٍ من السماء وقد قالوا النازل والقصد أحكم كما قال بشر بن أبى خازم الاسدى

تؤمّلُ أن أؤوب لها بغُنمٍ • ولم تعلم بأنّ السهمَ صابا

(صدر البيت عن أبى الحسن) وقوله وممرّ العقدتين يعنى وترا والممرّ الشديد الفتل وقوله من خوافى النسر حمّ نظائر يريد ريش السهم والحمّ السود وذلك أخلصه وأجوده وجعلها نظائر فى مقاديرها لانه أقصد للسهم واذا كانت الريشات بطن الواحدة منها الى ظهر الاخرى فهو الذى يختارونه والذى يقال له اللؤام وانما أخذ من قولهم ملتئم وان كان ظهر الواحدة الى ظهر الاخرى وبطنها الى بطن الاخرى فذلك مكروه يقال له اللغاب وقوله كنصل الزاعبى شبّه نصل السهم

الاهواز والبصرة على تجار قريش فقد أخطأ مواضع القياس وجهل اقدار العلل قريش قوم لم يزل الله تعالى يقلبهم فى الأرحام البريئة من الآفات وينقلهم من الاصلاب السليمة من العاهات ويبقيهم لكل جسيم ويربيهم لكل عظيم ولو علم هذا القائل ما كانت قريش عليه فى التجارة لعرف اختلاف السبل وتفاوت ما بين الطرق ولو كانت علتهم فى ذلك كعلة تجارة الابلة ومحتكرى أهل الحيرة لثلمت دقة التجارة فى اغراضهم وانهكت سخف الربح من مروآتهم ولصغر ذلك من اقدارهم فى صدور العرب ولوضع من علوهم عند أهل الشرف وكيف وقد ارتحلت اليهم الشعراء كما ارتحلت الى الملوك العظماء فاسنوا لهم العطية ولم يقصروا عن غاية فسقوا الحجيج وأقاموا القرى لزوار الله تعالى وهم بواد غير ذى زرع فلولا انه كان معهم من الفضل ما يبهر العقول

بنصل الرمح الزاعبي وهو منسوب الى رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الأسنة هذا قول قوم وأما الاصمعي فكان يقول الزاعبي هو الذي اذا هز فكأن كعوبه يجري بعضها في بعض للينه وتثنيه يقال مرّ يزعب بحمله اذا مرّ به مرا سهلا وقوله فتيق يعني حادا رقيقا يقال فتيق الشفرتين وتأويله انه يفتق ما عمد به له وفعيل يقع اسما للفاعل ويقع للمفعول فاما الفاعل فمثل رحيم وعليم وحكيم وشهيد وأما ما كان للمفعول فنحو جريح وقتيل وصريع وقوله زورا يريد معوجة وكلما كانت القوس أشد انعطافا كان سهمها أمضى وقوله على نبعة يعني قوسا وأكرم القسي ما كان من النبع وقوله أيما يريد أما واستثقل التضعيف فأبدل الياء من احدى الميمين وينشد بيت ابن أبي ربيعة

رأت رجلا أيما اذا الشمس عارضت ● فيضحى وأيما بالعشي فيخصر

وهذا يقع وانما بابه أن تكون قبل المضاعف كسرة فيما يكون على فعّال فيكرهون التضعيف والكسر فيبدلون من المضعف الأول الياء للكسرة وذلك قولهم دينار وقيراط وديوان وما أشبه ذلك فان زالت الكسرة وانفصل أحد الطرفين من الآخر رجع التضعيف فقلت دنانير وقراريط ودواوين وكذلك ان صغرت قلت قريريط ودنينير وقوله وأيما عودها فعتيق يصف كرم هذه القوس وعتقها وتحمد منها أن تترك ولحاؤها عليها بعد القطع حتى تشرب ماءه كما قال الشماخ

فمظعها حولين ماء لحائها ● وينظر منها أيها هو غامز

مظعها اشربها (قوله فمظعها حولين أي تركها في الظل حولين حتى تشرب ماء اللحاء يقال تمظع الرجل الظل اذا تحول من مكان الى مكان) وقوله بأوشك قتلا منك يقول بأسرع يقال أمر وشيك أي سريع ويقال يوشك فلان أن يفعل كذا وكذا أي يقارب ذلك ويوشك يفعل كذا بطرح أن كل ذلك جيد قال الشاعر (هو أمية بن أبي الصلت)

يوشك من فر من منيته ● في بعض غراته يوافقها

من لم يمت عبطة يمت هرما ● للموت كأس فالمرء ذائقها

(قال أبو الحسن هذه الابيات أربعة وهي لرجل من الخوارج قتله الحجاج أولها

ما رغبة النفس في الحياة وان ● عاشت قليلا فالموت لاحقها

ومن الجد ما يخرج فيه العيون لما أصلح طباعهم الشيء الذي يفسد جميع الأمة ولقد أورث ذلك صدورهم من السعة بقدر ما أورث غيرهم من الضيق ولو كانت سبلهم عند الملوك اذا وفدوا عليهم أو وردوا بلادهم بالتجارات سبل غيرهم من التجار لما أوجهوهم وقربوهم ولما أقاموا لهم قرى الملوك وحبوهم بكرامة الخاص واذا كانت قريش حمسا تتنسك في دينها وتتأله في عبادتها وكان مانعا لهم من الغارات والسباء ومن وطء النساء من جهة المغنم ولذلك لم يئدوا البنات ولا ولدت منهم امرأة غيرهم من جهة السباء ولا زوجوا أحدا من العرب حتى يتحمس ويدين بدينهم ولذلك لما صاروا الى بناء الكعبة لم يخرجوا في بنائها من أموالهم الا مواريث آبائهم ونسائهم خوفا من أن يخالطه شيء من حرام اذ كانت أرباح التجارات مخوفا عليها ذلك فلما كانوا بواد غير ذي زرع ويحتاجون الى الأقوات

وأيقنت أنها تعود كما • كان براها بالأمس خالقها

قوله عبطة أي شاباً يقال اعتبط الرجل اذا مات شابا من غير مرض وأصل العبيط الطري من كل شئ وقوله نوافذ لم تعلم لهن خروق معنى طريف وقد أخذه أبو حية منه فكشفه في أبيات مختارة وهي (اسم أبي حية الهيثم بن الربيع)

وان دما لو تعلمين جنيته • على الحي جاني مثله غير سالم
أما انه لو كان غيرك أرقلت • اليه القنا بالراعفات اللهاذم
ولكن لعمر الله ما طل مسلما • كغر الثنايا واضحات الملاغم
اذا هن ساقطن الحديث كأنه • سقاط حصى المرجان من سلك ناظم
رمين فأقصدن القلوب فلم نجد • دما مائرا الا جوى في الحيازم

(الكاف في قوله كغر فاعلة بقوله طل ومنه قول الأعشى

أتنتهون ولن ينهى ذوي شطط • كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وقول امرئ القيس وانك لم يفخر عليك كفاخر • ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

قال أبو الحسن وأول هذه الأبيات المختارة أنشدناه غيره

خبرك الواشون أن لن أحبكم • بلى وستور الله ذات المحارم
أصد وما الصد الذي تعلمينه • شفاء لنا الا اجتراع العلاقم
حياء وبقيا أن تشيع نميمة • بنا وبكم أف لأهل النمائم

قال أبو العباس فهذا مأخوذ من ذلك وقوله ولكن لعمر الله ما طل مسلما يقول ما طل دمه يقال دم مطلول اذا مضى هدرا كما قال الراجز • بغير عقل ودم مطلول • وحدثني التوزي قال قال يحيى بن يعمر لرجل نازعته امرأته عنده ان طالبتك بثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها قوله ثمن شكرها فانما يعني الرضاع والشبر النكاح والشكر الفرج وقوله أنشأت تطلها أي تسعى في بطلان حقها وقوله تضهلها أي تعطيها الشئ بعد الشئ يقال بئر ضهول اذا كان ماؤها يخرج من جوانبها أشياء بعد شئ وجوانبها جوانبها وانما يغزر ماؤها اذا خرج من قرارتها فتعظم جمتها وقوله واضحات الملاغم يريد العوارض قال الفرزدق

واقامة القرى لم يجدوا بدا من أن يتكلفوا ما يعيشهم ويصلح شأنهم فأخذوا الايلاف ورحلوا الى الملوك بالتجارات فهذا هو السبب فانظر كم بين علتهم وعلة غيرهم فيسرك بعد هذا ان يتحول ابنك في ملاح صالح الذراع البري أو في طباع ابن آدم وفي عقل بن سامري فان زعموا ان أصحاب السلطان بعرض مكروه فليعلموا ان كل مسافر بعرض مكروه وقد قال بعض الحكماء المسافر ومتاعه على قلة الا من حفظ الله تعالى يعني على هلاك وراكب البحر أشد خطرا ومشتري طعام الاهواز أشد تهورا ورافع الشراع بعرض هلكة والمتعرض للملام والمعرض نفسه للسباع أولى شفقة وسكان الجزائر والسواحل أحق بالتعرض وأولى بالخوف والهموم بالطعام الردئ والمدمن للشراب أشبه بأصحاب التغرير والمتبارى في ذلك والمتزيد منه أحق بتوقع الحدثان وحوادث الازمان قد جرت عليه عادة الدهر وسيرة الايام

سقتها خروق فى المسامع لم تكن • علاطا ولا مخبوطة فى الملاغم

يقول علم أرباب الماء لمن هى فسقاها ما سمعوه من ذكر أصحابها العز فهم ومنعتهم ولم تحتج أن تكون بها سمة والعلاط وسم فى العنق والخباط فى الوجه

﴿باب﴾

قال بعض الحكماء من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا وكان يقال من أدب ولده أرغم حاسده وقال رجل لعبد الملك بن مروان انى أريد أن أسر اليك شيأ فقال عبد الملك لأصحابه اذا شئتم فانهضوا فأراد الرجل الكلام فقال له عبد الملك قف لا تمدحنى فأنا أعلم بنفسى منك ولا تكذبنى فانه لا رأى لمكذوب ولا تغتب عندى أحدا فقال الرجل يا أمير المؤمنين أفتأذن لى فى الانصراف قال له اذا شئت وقال بعض الحكماء ثلاث لا غربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى وقال عمرو بن العاصى لدهقان نهر تيرى بم ينبل الرجل عندكم فقال بترك الكذب فانه لا يشرف الا من يوثق بقوله و بقيامه بأمر أهله فانه لا ينبل من يحتاج أهله الى غيره وبمجانبة الريب فانه لا يعز من لا يؤمن أن يصادف على سوأة و بالقيام بحاجات الناس فانه من رجى الفرج لديه كثرت غاشيته وقال بزرجمهر من كثر أدبه كثر شرفه وان كان قبل وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت الحاجة اليه وان كان مقترا وكان يقال عليكم بالادب فانه صاحب فى السفر ومؤنس فى الوحدة وجمال فى المحفل وسبب الى طلب الحاجة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أفضل ما أعطيته العرب الابيات يقدمها الرجل أمام حاجته يستعطف بها الكريم و يستنزل بها اللئيم وكان شعبة ابن الحجاج أو سماك بن حرب (قال أبو الحسن هو سماك بلا شك) اذا كانت له الى أمير حاجة استنزله بأبيات يقولها فيه وقال بعض الملوك لبعض وزرائه وأراد محنته ما خير ما رزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال فأدب يتحلى به قال فان عدمه قال فمال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد وقيل لرجل من ملوك العجم متى يكون العلم شرا من عدمه قال اذا كثر الادب ونقصت القريحة وقال أزدشير من لم يكن عقله أغلب خلال الخير عليه كان حتفه فى أغلب خلال الخير عليه وقال محمد بن على بن

وهذا كله أحق بالاهتمام وان كنت الى الاشفاق تذهب والى اعطاء الحزم أكثر من نصيبه وكيف دار الأمر فان التاجر قد استشعر الذل وتغشى ثوب المذلة وصاحب السلطان قد تجاوز حد العز والهيبة وانما عيبه شكر السلطان وافراط التعظيم قد استبطن بالعز وظاهر بالبشر واستحكمت تجربته وبعدت بصيرته حتى عرف مصلحة كل مضر واصلاح كل فاسد واقامة كل معوج وعمارة كل خرب ولا أعلم فى الأرض أعم افلاسا ولا أشد نكبة ولا أكثر تحولا من يسر الى عسر ولا رأينا الحوائج الى أحد أهدى منها الى أموال الصيارفة وكيف يقاس شأن قوم تعمهم المعاطب بشأن قوم أهل السلامة فيهم أكثر والنكبات فيهم أقل وبعد هذا فانى أرى ان لا تستكرهه فتبغض اليه الأدب ولا تهمله فيعتاد اللهو على انى لا أعلم فى جميع الارض شيأ أجلب لجميع الفساد من قرناء السوء والفراغ الفاضل

عبد الله بن العباس وذكر رجلا من أهله انى لأكره أن يكون لعله فضل على عقله كما أكره أن يكون للسانه فضل على عمله وقال محمد بن على بن الحسين جميع التعايش والتناصف والتعاشر فى ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلث تغافل فلم يجعل لغير الفطنة نصيبا من الخير ولا حظا فى الصلاح لأن الانسان لا يتغافل الا عن شئ قد عرفه وفطن به

﴿باب﴾

قال رجل من بنى عبد الله بن غطفان وجاور فى طيئ وهو خائف

جزى الله خيرا طيئا من عشيرة • ومن صاحب تلقاهم كل مجمع
هم خلطونى بالنفوس ودافعوا • ورائى بركن ذى مناكب مدفع
وقالوا تعلم أن مالك ان يصب • نفدك وان تحبس نزرك ونشفع

وقال رجل من بنى سلامان بن سعد هذيم من قضاعة وجاور فى طيئ

كأن الجار فى شمعبى بن جرم • له نعماء أو نسب قريب
يحاط ذماره ويذب عنه • ويحمى سرحه أنف غضوب
ألفت مساكن الجبلين انى • رأيت الغوث يألفها الغريب

(الجبلان سلمى وأجأ وهما لطيئ والغوث قبيلة من طيئ) وأنشدنى عبد الوهاب بن جنبة الغنوى لعبيد بن العرندس الكلابى يصف قوما نزل بهم

هينون لينون أيسار ذوو يسر • سواس مكرمة أبناء أيسار
لا ينطقون على العمياء ان نطقوا • ولا يمارون ان ماروا باكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم • مثل النجوم التى يسرى بها السارى

(قال أبو الحسن حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال حدثت عن أبى الفضل العباس بن الفرج الرياشى قال قصد رجل من الشعراء ثلاثة اخوة من غنى وكانوا مقلين فامتدحهم فجعلوا له عليهم فى كل سنة ذودا فكان يأتى فيأخذ الذود والشعر الذى امتدحهم به قوله

يادار بين كليات وأظفار • والحمتين سقاك الله من دار

عن الجهاد فى دراسة العلم ممن كان فارغا من أشغال الرجال ومطالب ذوى الهمم واحتل فى أن تكون أحب اليه من أمه ولا تستطيع أن يمحضك المقة ويصفى لك المودة مع كراهته لما تحمل اليه من ثقل التأديب عند من لم يبلغ حال العارف بفضل فاستخرج مكنون محبته ببر اللسان وبذل المال ولهذا مقدار من حازه أفرط والافراط سرف ومن قصر عنه فرط والمفرط مضياع ولا تستكثرن هذا كله فان بعض النعمة فيه تأتى على أضعاف النعامة والذى تحاول من اصلاح أمر من تؤمل فيه أن يقوم فى أهلك مقامك واصلاح ما خلفت كقيامك لحقيق بالحيطة عليه وباعطائه المجهود من نفسك وقال زكريا عليه السلام رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين فعلم الله تبارك وتعالى فوهب له غلاما وقال الله عز وجل وليس الذكر كالأنثى اعلم انه اعطاك ولدا غيرة عين العدو وقرة عين

عَلَى تقادُمِ ما قد مرَّ من عُصُرٍ * مع الذى مرَّ من ريحٍ وأمطارِ
عنَّا غنيتِ بذاتِ الرمثِ من أجَلَى * والعهدُ منكِ قديمٌ مُنذُ أعصارِ

أراد أنّى فقلب الهمز عينا

وقد نرى بكِ والأيامُ جامعةٌ * بيضًا عقائلَ من عينٍ وأبكارِ
فيهنّ عثمةُ لا يملَلْنَ عشرتَها * ولا عَلِمنَ لها يومًا بأسرارِ
اذ يحسبُ الناسُ أن قد نلتَ نائلَها * قدمًا وأنتَ عليها عاتبٌ زارى
بل أيها الراكبُ المُفنى شبيبتَه * يبكى على ذاتِ خلخالٍ وأسوارِ
خبِّر ثناءَ بنى عمرٍو فانهم * أولو فضولٍ وأنفالٍ وأخطارِ
هينونَ لينونَ أيسارٌ ذوو كرمٍ * سُوّاسُ مكرمةٍ أبناءُ أيسارِ
فيهم ومنهم يُعدُّ المجدُ متّلدًا * ولا يُعدُّ نثا خزىٍ ولا عارِ
لا ينطقونَ على العمياء ان نطقوا * ولا يمارونَ ان ماروا باكثارِ
وان تلينتهم لانوا وان شهموا * كشفت أذمار حربٍ غير أغمارِ
ان يُسألوا العرفَ يُعطوه وان جُهدوا * فالجهدُ يكشفُ منهم طيبَ أخبارِ
من تلقَ منهم تقل لاقيتُ سيّدَهم * مثل النجومِ التى يسرى بها السارى)

قال أبو العباس وكان قوم نزلوا ببنى العنبر بن عمرو بن تميم والقوم من بنى ضبة فأغير عليهم فاستغاثوا جيرانهم فلم يغيثوهم وجعلوا يدافعونهم حتى خافوا فوتها فاستغاثوا ببنى مازن بن مالك ابن عمرو بن تميم فركبوا فردوها عليهم فقال المكعبرا الضبى فى ذلك (اسمه حريث بن عفوط)

أبلغ طريفًا حيث شطت بها النوى * فليس لدهر الطالبين فناء
كسالى اذا لاقيتهم غير منطق * يلهى به المحروب وهو عناء
وانى لأرجوكم على بطء سعيكم * كما فى بطون الحاملات رجاء
أخبر من لاقيت ان قد وفيتم * ولو شئت قال المخبرون أساؤوا
فهلا سعيتم سعى أسرة مالك * وهل كفلائى فى الوفاء سواء
كأن دنانيرا على قسماتهم * وان كان قد شف الوجوه لقاء

الصديق الولى فاحمد الله وأخلص له فى الدعاء وأكثر من الخير ان شاء الله تعالى

(فصل من كتاب التربيع والتدوير)

فانظر فى مسالمة النفوس مع تقارب منازلها ولم تجاذبت عند تقارب مراتبها ولم اختلف الكثير واتفق القليل ولم كانت الكثرة علة للتخاذل والقلة سببا للتناصر وما فرق ما بين المجازاة والتحاسد وبين المنافسة والتغالب فانك متى عرفت ذلك استرحت منا ورجونا ان نستريح منك وكيف يعرف السبب من يجهل المسبب وكيف يعرف الوصل من يجهل الفصل وكيف يعرف الحدود من لم يسمع الفصول بل كيف يعرف الحجة من الشبهة والعذر من الحيلة والواجب من الممكن والعقل من الموسوم والمحال من الصحيح والاسرار من المجهول ومن كبار الدلائل الخفية وما يعلم مما لا يعلم وما يعلم باللفظ دون الاشارة مما لا يعلم الا بالاشارة دون اللفظ وما يعلم معقدا ولا

لهم

لهم أذرع بادنوا شرنجها • وبعض الرجال في الحروب غثاء

قوله حيث شطت بها النوى معنى شطت تباعدت يقال أشط فلان في الحكم اذا عدل عنه متباعدا قال الله تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وقال الأحوص

ألا يا لقومي قد أشطت عواذلي • ويزعمن أن أودى بحقي باطلي
ويلحينني في اللهو ألا أحبه • وللهو داع دائب غير غافل

والنوى البعد ويقال شطت بهم نية قذف أي رحلة بعيدة قال الشاعر

• وصحصحان قذف كالترس • وليس بمأخوذ من نأيت في اللفظ ولكنه مثله في المعنى وقوله

• فليس لدهر الطالبين فناء • يقول الطالب في اثر طلبته أبدا ويروى أن رجلا من قريش بعث الى رجل منهم وكان أخذ له غلاما يا هذا ان الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب فاما رددته واما عرضت اسمك على الله في كل يوم وليلة خمس مرات ومن أمثال العرب لا ينام الامن اثأر ويقال لمن أدرك ثأرا نبيلا أصاب ثأرا منيما وأنشد

تقول لي ابنة البكري عمرو • لعلك لست بالثأر المنيم

وقوله

واني لأرجوكم على بطء سعيكم • كما في بطون الحاملات رجاء

يقول هذا رجاء غير صادق ولا موقوف عليه كما أن هذه الحوامل لا يعلم ما في بطونها وليس بميؤوس منه وانما يتهكم بهم وهو يعلم أن سعيهم غير كائن ألا تراه يقول

أخبر من لاقيت أن قد وفيتم • ولو شئت قال المخبرون أساؤوا

وقوله كأن دنانيرا على قسماتهم زعم أبو عبيدة أن القسمات مجاري الدموع واحدتها قسمة وقال الأصمعي القسمات أعالي الوجه ولم يبينه بأكثر من هذا وقول أبو عبيدة مشروح ويقال من هذا رجل قسيم ورجل مقسم ووجه قسيم ومقسم قال الشاعر

ويوما توافينا بوجه مقسم • كأن ظبية تعطو الى وارق السلم

قوله تعطو أي تتناول يقال عطا يعطو اذا تناول وأعطيته أنا أي ناولته قال امرؤ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه • أساريع ظبي أو مساويك اسحل

والسلم شجر بعينه كثير الشوك فاذا أرادوا أن يختطبوه شدوه ثم قطعوه ففي ذلك قول الحجاج

يعلم مكيفا ولا يعلم معتقدا وما المستغلق الذي يجوز ان يفارقه استغلاقه والمستبهم الذي لا يفارقه استبهامه ومن هو طائر مع العوام حيث طارت وساقط معها حيث سقطت مع الزراية والرغبة عنها قد طلبها بفضل طلبه لنفسه وجرى معها بقدر مناسبتها القدره فاعرف الجنس من الصنف والقسم من النصف وفرق ما بين الذم واللوم وفصل ما بين الحمد والشكر وحد الاختيار من الامكان والاضطرار من الايجاب وستعرف ذلك من جملة ما ذكرنا بابا بابا أنت اليه أحوج وهو علينا أرد

(فصل) وما في الارض قرار أثبت ودليل أوضح وشاهد أصدق من شاهدي عليك على ما ادعيت لنفسك من الرفعة مع ما ظهر من حسدك لأصل الصنعة وهل يكون كذلك الا فاسد الحس ظاهر العناد راجل بالمحال وبعد فانت أبقاك الله في بذلك قياس لا ينكسر وجوار لا يقطع ولك حد

والله لا تخزمنكم حزم السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل قال وحدثنى التوزى عن أبى زيد قال سمعت العرب تنشد هذا البيت فتنصب الظبية وترفعها وتخفضها قال أبو العباس أما رفعها فعلى الضمير يريد كأنها ظبية وهذا شرط أن وكأن اذا خففتا انما هو على حذف الضمير وعلى هذا قوله تعالى علم أن سيكون منكم مرضى وهذا الكتاب قد شرحناه فى الكتاب المقتضب فى باب أن وإن بجميع علله ومن نصب فعلى غير ضمير وعملها مخففة عملها مثقلة لانها تعمل اشبهها بالفعل فاذا خففت عملت عمل الفعل المحذوف كقولك لم يك زيد منطلقا فالفعل اذا حذف يعمل عمله تاما فمصيرا التقدير كأن ظبية تعطو الى وارق السلم هذه المرأة وحذف الخبر لما تقدم من ذكره ومن قال كأن ظبية جعل أن زائدة وأعمل الكاف أراد كظبية وزاد أن كما تزيدها فى قولك لما أن جاء زيد كلمته ووالله أن لو جئتنى لاعطيتك وقوله * لهم أذرع بادنواشرها * فكل شئ كان على فعال من المؤنث فجمعه أفعل وكذلك فعال تقول ذراع وأذرع وكراع وأكرع لانهما مؤنثتان ومن أنث اللسان قال ألسن ومن ذكره قال ألسنة وشمال وأشمل كما قال (هو أبو النجم العجلى) * يأتى لها من أيمن وأشمل * فأما المذكر فعلى أفعلة فى أدنى العدد وفعل فى الكثير يقال حمار وأحمرة وحمر وفراش وأفرشة وفرش والنواشر ما يظهر من العروق فى ظهر الذراع مما يلى المعصم وذلك الموضع يقال له أسلة الذراع قال زهير .

ودار لها بالرقمتين كأنها * مراجع وشم فى نواشر معصم

وقوله * وبعض الرجال فى الحروب غثاء * فالغثاء ما يبس من البقل حتى يصير حطاما ويتهى فى اليبس فيسود فيقال له غثاء وهشيم ودندن وثن على قدر اختلاف أجناسه ويقال له الدرين قال الله عز وجل فجعله غثاء أحوى وقال فأصبح هشيما تذروه الرياح وقال الشاعر يصف سحابا

(هو ابن ميادة وقبله سحائب لا من صيف ذى صواعق * ولا محرفات ماؤهن حميم)

اذا ما هبطن الأرض قد مات عودها * بكين بها حتى يعيش هشيم

وقال الراجز * تكفى الفصيل أكلة من ثن * وقد يقال للشئ الذى لا خير فيه هذا غثاء أى قد صار كذلك الذى وصفناه ويضرب هذا مثلا للكلام الذى لا وجه له وقال رجل أحسبه تميميا

(هو الفرزدق) لو لم يفارقنى عطية لم أهن * ولم أعط أعدائى الذى كنت أمنع

لا يفل وغرب لا ينثنى وهو قياسك الذى اليه تنسب ومذهبك الذى اليه تذهب أو تقول وما على أن يرانى الناس عريضا وأكون فى حكمهم غليظا وأنا عبد الله تعالى طويل جميل وفى الحقيقة مقدود رشيق وقد علموا حفظك الله انك مع طول البال راكبا الظهر جالسا ولكن بينهم فيك اذا وقع اختلاف وعليك لهم اذا اضطجعت مسائل ومن غريب ما أعطيت ومن بديع ما أوتيت أنا لم نر مقدودا أوسع الجفرة غيرك ولا رشيقا مستفيض الخاصرة سواك فأنت المديد وأنت البسيط وأنت الطويل وأنت المتقارب فيا شعرا جمع الاعاريض ويا شخصا جمع الاستدارة والطول بل ما حسدك من آفاتك لهم ويتعاطمك من اختلافهم والراسخون فى العلم والناطقون بالفهم يعلمون ان استفاضة عرضك قد ادخلت الميم فى ارتفاع سمكك وان ماذهب منك عرضا قد استغرق ما ذهب منك طولا وان اختلفوا

شجاعٌ اذا لاقى ورامٍ اذا رمى ● وهادٍ اذا ما أظلم الليل مصدعُ

سأبكيك حتى تنفد العين ماءها ● ويشفى منى الدمع ما أتوجع

أحسن الانشادين عندى لم أهن بأخذه من وهن يهن لانه اذا قال لم أهن فهو من الهوان ومن قال لم أهن فانما هو من الضعف وهو أشبه بقوله ● ولم أعط أعدائى الذى كنت أمنع ● والآخر غير بعيد يقول لم أهن على أعدائى واذا قال لم أهن فالأصل لم أوهن ولكن الواو اذا كانت فى موضع الفاء من الفعل وكان ذلك الفعل على يفعل فالواو محذوفة وانما تحذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة وتصير حروف المضارعة الباقية تابعة للياء لئلا تختلف الباب وهى التاء من قولك تفعل اذا عنيت مخاطبا أو مؤنثا غائبا نحو أنت تعد وهى تعد والهمزة اذا عنيت نفسك نحو أنا أعد والنون اذا أخبرت عن نفسك ومعك غيرك نحو نحن نعد فان قال قائل انما هذا لان الفعل المتعدى تحذف منه الواو فان كان غير متعد ثبتت فقد قال أقبح قول لأن التعدى أو غير التعدى لا يحدث فى أنفس الأفعال شيأ ولو كان كما يقول لاثبت الواو فى وهن يهن لانك لا تقول وهنت زيدا وكذلك ورم يرم وكف البيت يكف وونم الذباب ينم وهذا أكثر من أن يحصى فان لم تكن بعد الواو كسرة لم تحذف نحو وحل يوحل ووجل يوجل ووجع الرجل يوجع وقد يجوز ييجع وياجع وييجع لما نذكره اذا جرى ذكر هذه المفتوحة ان شاء الله فأما الحذف فلا يكون فيها فان قال قائل فما بال يطأ ويسع حذفت منهما الواو ومثلهما اثبتت فيه الواو فانما ذلك لانه كان فعل يفعل مثل ولى يلى وورم يرم ففتحته الهمزة والعين والاصل الكسر فانما حذفت الواو مما يلزم فى الأصل ألا ترى أنك تقول ولغ السبع يلغ فهذا فعل يفعل والأصل يفعل ولكن فتحته العين لان حروف الحلق تفتح ما كان على يفعل ويفعل ولولا ذلك لم تقع فعل يفعل وحروف الحلق ستة الهمزة والهاء والعين والغين والحاء والخاء وهن يفتحن اذا كن فى موضع العين واللام فأما العين فنحو سأل يسأل وذهب يذهب وأما اللام فنحو قرأ يقرأ وصنع يصنع وسائر هذا الباب على ما وصفت لك وقوله

● وهاد اذا ما أظلم الليل مصدع ● فتأويل مصدع أى ماض فى الأمر قال الله عز وجل فاصدع بما تؤمر ويقال أحزم الناس من اذا وضح له الأمر صدع به وقال أعرابى يمدح سوار بن عبد الله القاضى وسوار أحد بنى العنبر بن عمرو بن تميم

فى طولك لقد اختلفوا فى عرضك وان كانوا قد سلموا لك بالزعم شطرا فقد حصلت ماسلموا وأنت على دعواك فيما لم يسلموا ولعمرى ان العيون لتخطئ وان الحواس لتكذب وما الحكم القاطع الا للذهن وما الاستبانة الصحيحة الا للعقل اذ كان زماما على الاعضاء وعيارا على الحواس ومما يثبت أيضا ان ظاهر عرضك مانع من ادراك حقيقة طولك قول أبى رواد الايادى فى أبله

سمنت فاستحش أكرعها ● لا النى نى ولا السنام سنام

ولولم يك فيك من العجب الا انك أول من عوده الله تعالى بالصد على خطاء الحس وبالشكر على صواب الذهن لقد كنت فى طولك غاية للعالمين وفى عرضك منارا للضلين وقد تكلم المربوع مثلى من الطول بل مثل عمرو من القصير مثل عمرو اذا زعم انه أفرط فى الرشاقة ونسب الى القضافة لان افراط عرضه غمر الاعتدال من طوله وكلاهما يحتاج الى

وأوقف عند الأمر ما لم يضح له • وأمضى اذا ما شك من كان ماضيا

فاستجمع في هذا المدح ركانة الحزم وامضاء العزم ومثله قول النابغة الجعدي

أبى لي البلاء وانى امرؤ • اذا ما تبينت لم أرتب

ومن أمثال العرب السائرة الجيدة روّ تحزم فاذا استوضحت فاعزم ومن أمثالهم قد أحزم لو أعزم وانما يكون هذا بعد التوقف والتبين فقد قال الشعبي أصاب متأمل أو كاد وأخطأ مستعجل أو كاد ومثل قوله • ويشفي منى الدمع ما أتوجع • قول الفرزدق

ألم تر انى يوم جو سويقة • بكيت فنادتنى هنيدة ماليا

فقلت لها ان البكاء لراحة • به يشتفي من ظن أن لا تلاقيا

(قال أبو الحسن ويتلو هذين البيتين مما يستحسن

قعيدكما الله الذى أنتما له • ألم تسمعا بالبيضتين المناديا

حبيب دعا والرمل بيني وبينه • فأسمعني سقيا لذلك داعيا

يقال قعيدك الله وقعدك الله ونشدك الله أى سألتك بالله كما قال متمم بن نويرة وهو من بني يربوع

قعيدك ألا تسمعيني ملامة • ولا تنكئي قرح الفؤاد فييجعا

ويروى فقعدك ألا تسمعيني والبيضتان موضع معروف) قال أبو العباس وقال أبو بكر بن عياش نزلت بي مصيبة أوجعتني فذكرت قول ذي الرمة •

لعل انحدار الدمع يعقب راحة • من الوجد أو يشفي نجي البلابل

فخلوت فبكيت فسلوت وقال نضلة السلمي في يوم غول وكان حقيرا دميما وكان ذا نجدة وبأس

ألم تسل الفوارس يوم غول • بنضلة وهو موتور مشيح

رأوه فازدروه وهو حر • وينفع أهله الرجل القبيح

فشد عليهم بالسيف صلتا • كما عض الشبا الفرس الجموح

فأطلق غل صاحبه وأردى • قتيلا منهم ونجا جريح

ولم يخشوا مصالته عليهم • وتحت الرغوة اللبن الصريح

قوله وهو موتور مشيح فالمشيح الحامل الجاد يقال أشاح يشيح اذا جد وأنشدنى التوزي قال

الاعتذار ويفتقر الى الاعتدال والمربوع بحمد الله تعالى قد اعتدلت أجزاؤه في الحقيقة كما اعتدلت في المنظر فقد استغنى بعدل الحقيقة عن الاعتذار وبحكم الظاهر عن الاعتدال وقد سمعنا من يذم الطوال كما سمعنا من يزرى على القصار ولم يسمع أحد ذم مربوعا ولا أزرى عليه ولا وقف عنده ولا شك فيه ومن يذمه الا من ذم الاعتدال ومن يزرى عليه الا من أزرى على الاقتصاد ومن يعيب الصواب الظاهر الا المعاند ومن يمارى في العيان الا الجاهل بل من يزرى على أحد بتفاقم التركيب وسوء التنضيد مع قول الله عز وجل ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وبعد فأى قد أردى وأى نظام أفسد من عرض مجاوز للقد أو طول مجاوز للقصد ومتى يضرب العرض بسهمه على قدر حقه ويأخذ الطول من نصيبه على مثل وزنه خرج الجسم من التقدير وجاوز التعديل فاذا خرج

أنشدني أبو زيد (وهو لأبي العيال الهذلي) مُشِح فوق شيحان * يشد كأنه كلب

قال شيحان اسم فرسه (قال أبو الحسن ويروى شَيْحان بفتح الشين وحقه على رواية أبي زيد أن لا ينصرف لانه فعلان فالالف والنون زائدتان وهو معرفة فضارع عطشان وما جرى مجراه وانما اضطر فصرفه) وقال ابن الاطنابة واسمه عمرو

واجشامي على المكروه نفسي * وضربي هامة البطل المشيح

ويقال في هذا المعنى رجل شيح كما يقال ناقة نقض اذا كانت هزيلا قال أبو ذؤيب

* وشايحت قبل اليوم انك شيح * وقوله بالسيف صلتا يقول منتضى ورجل صلت الجبين اذا كان نقيه وقوله كما عض الشبا يريد حد اللجام وشبا كل شيء حده * وقوله وأردى أي أهلك يقال ردى يردى اذا هلك والردى الهلاك قال الله عز وجل وما يغني عنه ماله اذا تردى قيل فيه قولان احدهما اذا تردى في النار والآخر اذا مات وهو تفعل من الردى وقوله

* ولم يخشوا مصالته عليهم * فهي مفعلة من صال يصول ويقال صال البعير اذا عض وقيل للمغيرة بن شعبة ان بوابك يأذن لاصحابه قبل أصحابك فقال ان المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف بالرجل الكريم وقوله * وتحت الرغوة اللبن الصريح * يقول اذا رأيت الرغوة وهو ما يرغو كالجلدة في أعلى اللبن لم تدر ما تحتها فربما صادفت اللبن الصريح اذا كشفتها أي انهم رأوني فازدروني لدمامتي فلما كشفوا عني وجدوا غير ما رأوا والصريح المحض الخالص من ذلك قولهم عربي صريح أي خالص ومولى صريح ومن أمثال العرب انه ليسر حسوا في ارتغاء ومعنى ذلك انه يوهمك انه يأخذ بفيه تلك الجلدة عن اللبن ليصلحه لك وانما يحسو من تحتها يضرب هذا المثل لمن يريك انه يعينك وانما يجتر النفع الى نفسه وقال أعرابي خبرت انه من بني سعد وقد تمثل بهذا الشعر الحتوف وهو توبة بن مضرس احد بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم في خلاف الدمامة ولما التقى الصفان واختلف القنا * نهالا وأسباب المنايا نهالها

تبين لي أن القماءة ذلة * وأن أشداء الرجال طوالها

دعوا يا السعد وانتمينا لطيئ * أسود الشرى اقدامها ونزالها

قوله نهالا يريد انها قد وردت الدم مرة ولم تثن وذلك ان الناهل الذي يشرب أول شربة فاذا شرب

من التقدير تفاسد واذا تفاسد وجاوز التعديل تباين ولو جاز هذا الوصف من حسن النعت هذا كان لابراهيم بن السندي ما ليس لأحمد ابن عبد الوهاب وهذا كله بعد ان صدق قولك على ما ادعيت لطولك في الحقيقة واحتججت اعرضك في الحكومة كما انك عالم لما تيقنه العيان واستشهادك لما تذكره الاذهان معترض للصدق من المتكرم ومتهكك بالحلم من المتغافل وأي صامت لا ينطقه هذا المذهب وأي ناطق لا يغويه هذا القول اذا كان هذا قضاء العزم المتسلم فانطنك بعادة المتكلف فأنشدك الله ان تغري بك السفهاء وتنقص عزائم الحكماء وما أدري حفظك الله بأي الامرين أنت أعظم انما وفي أيهما أنت أفحش ظلما أبتعرضك للعوام أو بافسادك حكم الخواص وبعد فانه وجد الى هذا وما يدعوك اليه واشباهك من القصار كثير ومن ينصرك منهم غير ذليل

ثانية فهو عال يقال سقاه علا بعد نهل وعللا بعد نهل وفي المثل سمته سوم عالة اذا عرضت عليه عرضا يستحيي من أن يقبل معه والعالة لا حاجة بها الى الشرب وانما يعرض عليها تعززا قال

• وأسباب المنايا نهالها • أي أول ما يقع منها يكون سببا لما بعده وأنشدني غير واحد

• وان أشداء الرجال طيالها • وليس هذا بالجيد وانما قلب الواو ياء لوقوعها بين كسرة والف كقولهم ثياب وحياض وسياط والواحد ثوب وحوض وسوط وهذا جيد لسكون الواو في الواحد فأما في مثل طوال فانما يجوز على التشبيه بهذا وليس بجيد لتحرك الواو في الواحد وأنشدني مسعود بن بشر المازني

لهم أوجه بيض حسان وأذرع • طيال ومن سيما الملوك نجار

ومجاز هذا في النحو ما وصفت لك والعرب تمتدح بالطول وتضع من القصر فلا يذكره منهم الا محتج عن نفسه ولا يمتدح به غيره قال عنترة

بطل كأن ثيابه في سرحة • يحذى نعال السبت ليس بتوأم

يقول لم يشارك في الرحم وقال جرير

تعالوا ففاتونا ففي الحكم مقنع • الى الغر من أهل البطاح الاكارم
فاني لأرضى عبد شمس وما قضت • وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال حسان بن ثابت

وقد كنا نقول اذا رأينا • لذي جسم يعد وذي بيان
كأنك أيها المعطى بيانا • وجسما من بني عبد المدان

ويقال ان علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان الى منكب عبد الله وكان عبد الله الى منكب العباس وكان العباس الى منكب عبد المطلب وحدثني التوزي قال طاف علي بن عبد الله بالبيت وهناك عجوز قديمة وعلي قد فرع الناس كأنه راكب والناس مشاة فقالت من هذا الذي فرع الناس فقيل علي بن عبد الله بن العباس فقالت لا اله الا الله ان الناس ليرذلون عهدي بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط أبيض وحدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس قال كان يقال صار شبه علي بن عبد الله في عظم الاجسام في العليين يعني علي بن أمير المؤمنين المهدي المنسوب الى أمه ريطة وعلي بن سليمان بن علي ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الأسوة والقدوة كان فوق الربعة ولم يكن بالطويل المشذب وكان اذا

مشى

(فصل) وقلت ولولا فضيلة العرض على الطول لما وصف الله تعالى وعز الجنة بالعرض دون الطول حيث يقول وجنة عرضها كعرض السماء والأرض فهذا برهانك الواضح ولو لم يكن فيك من الرضا والتسليم ومن القناعة والاخلاص الا انك ترى ما عند الله تعالى خيرا لك مما عند الناس وان الطول الخفي أحب اليك من الطول الظاهر لكن في ذلك ما يقضي لك بالانصاف ويحكم لك بالتوفيق وانا أبقاك الله أعشق انصافك كما تعشق المرأة الحسناء وأتعلم خضوعك للحق كما تعلم التفقه في الدين ولربما ظننت ان جورك انصاف قوم آخرين وانك بقنعك سماع رجال منصفين وما أظنك صرت الى معارضة الحجة بالشبهة ومقابلة الاختيار بالاضطرار واليقين بالشك واليقظة بالحلم الا بالذي خصصت به من ايثار الحق والهمته من فضيلة الانصاف حتى صرت أحوج ما تكون الى الانكار أذعن ما تكون

مَشَى مع الطوال طالهم ولم يختلف أهل الحكمة والنظر من العرب والعجم أن الكمال فى الاعتدال ولا يقال غير هذا عن حكيم وأبين ما فيه ما اختاره الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد يقال الكيس فى القصر وقد قيل فى خبر قصير وكيده ومكره ما قد سار به المثل واستغنى عن الاعادة وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى قال حدثنى أبو عثمان المازنى قال كان أعرابى يختلف الى مغنية لآل سليمان فأشرفت عليه ذات مرة فأومأت اليه بيدها ايماء عائب له بالقصر فأنشأ يقول

يا جعفر يا جعفر يا جعفر ● ان أك ربعة فأنت أقصر

أو أك ذا شيب فأنت أكبر ● غرك سربال عليك أحمر

ومقنع من الحرير أصفر ● وتحت ذاك سوأة لو تذكر

(قال أبو الحسن أنشدنى أبو العباس محمد بن الحسن الوراق الشعر الذى فيه قوله ● ولما التقى الصفان واختلف القنا ● بتمامه وهو شعر مختار لرجل من طيئ ويدل على ذلك ما تسمعه فى الشعر وهو قوله

جمعناهم من حى غوث ومالك ● كتائب يردى المقرفين نكالها

لهم عجز بالحزن فالرمل فاللوى ● وقد جاوزت حى جديس رعالها

وتحت نحور الخيل حرشف رجلة ● تتاح لحبات القلوب نبالها

أبى لهم أن يعرفوا الضيم أنهم ● بنو ناتق كانت كثيرا عيالها

فلما أتينا السفح من بطن حائل ● بحيث تناصى طلحها وسيالها

دعوا لنزار وانتمينا لطيئ ● كأسد الشرى اقدامها ونزالها

فلما التقينا بين السيف بيننا ● لسائلة عنا حفى سؤالها

ولما عصينا بالرماح تضلعت ● صدور القنا منهم وعلت نهالها

ولما تدانوا بالسيوف تقطعت ● وسائل كانت قبل سلما حبالها

فولوا وأطراف الرماح عليهم ● قوادم مربوداتها وطوالها

الكتائب جمع كتيبة سميت كتيبة لاجتماعها وانضمام بعضها الى بعض يقال تكتب القوم اذا تضاموا ومنه أخذ الكتاب لانضمام حروفه ولذلك قالوا بغلة مكتوبة اذا شد حياؤها وضم ويردى

بالاقرار وأشد ما تكون الى الحيلة فقرا أشد ما تكون للحجة طلبا غير ان ذلك بطرف ساكن وصوت خاضع وقلب جامع وجاش رابط ونية جسور وارادة تامة مع غفلة كريم وفطنة عليم ان انقطع خصمك تغافلت وان خرق توقفت غير مغضوب ولا متشعب ولا مدخول ولا مشترك ولا ناقص النفس ولا واهن العزم ولا حسود ولا منافس ولا متغالب ولا متعاقب بفصل الحد ويصيب المفصل ويقرب البعيد ويظهر الحق ويميز الملتبس ويلخص المشكل ويعطى المعنى حقه من اللفظ كما يعطى اللفظ حظه من المعنى ويحب المعنى اذا كان حيا يلوح وظاهرا يصح ويبغضه مستهلكا بالتعقيد ومستورا بالتقريب وتزعم ان شر الالفاظ ما أغرق المعانى وأخفاها واسرها وعماها وان راقت سمع الغمر واستمالت قلب المريض أعجب الالفاظ عندك ما رق وعذب وخف وسهل وكان

بهلك يقال ردى الرجل اذا هلك والردى الهلاك والارداء الاهلاك والمقرفون الذين دخلوا في
الفساد والعيب وهو في الأصل الهجنة يقال فرس مقرف اذا كان هجينا ثم يشيع في الفساد
والعجز مؤخر العسكر ههنا وهو مستعار والحزن ما خشن من الأرض وغلظ واللوى مستدق
الرملة حيث ينقطع يقال ألويتم فانزلوا أي صرتم الى آخر الرملة وهو اللوى وجديس قبيلة معروفة
فلذلك لم يصرفها والرعال الجماعات المتفرقة واحدها رعلة والحرشف نبت يكثر في البادية وانما
شبه النبل به في الكثرة والرجلة الرجالة وتتاح تقدر يقال أتاح الله له كذا وكذا أي قدره والنبال
جمع نبل والناتق الولود فاذا أسرفت في ذلك وكثر ولدها جدا قيل منتاق والسفح أصل الجبل
من الوادي وحائل موضع وتناصى تقابل وتقرب حتى يعلق هذا بهذا وهذا بهذا عند هبوب الرياح
يقال تناصى الرجلان نصاء وتناصيا اذا اقتتلا فأخذ كل واحد منهما بناصية صاحبه والطلح
والسيال ضربان من الشجر معروفان وانتمى وعزى انتسب والشرى موضع كثير السباع وانما يريد
كاقدام أسد الشرى اقدامهم ثم حذف لعلم السامع وعصينا جعلنا الرماح كالعصي والعلل الشرب
الثاني والنهل الأول يريد أنا أعدناها الى الطعن مرة بعد أخرى وقوادم ذات اقدام فجاء به على
الاصل كما قال * يخرجن من أجواز ليل غاضي * أي مغض فجاء به على الأصل وهو كثير
والمربوعات المعتدلة التي لم تبلغ أن تكون رمحا وهو رفع كأنه قيل له ما هي فقال هي مربوعاتها
وطوالها ولو خفض وجعله بدل البعض من الكل لكان حسنا وكان يكون مقوى ولكن هكذا
أنشدناه مرفوعا على التقدير الذي ذكرناه)

((باب))

قال أبو العباس حدثت أن صبرة بن شيمان الحداني دخل على معاوية والوفود عنده فتكلموا
فأكثروا فقام صبرة فقال يا أمير المؤمنين انا حي فعال ولسنا بحي مقال ونحن بأدنى فعالنا عند
أحسن مقالهم فقال صدقت وحدثت أن أبا بكر رضي الله عنه ولى يزيد بن أبي سفيان ربعا من
أرباع الشأم فرقي المنبر فتكلم فارتج عليه فاستأنف فارتج عليه فقطع الخطبة فقال سيجعل الله
بعد عسر يسرا وبعد عي بيانا وأنتم الى أمير فعال أحوج منكم الى أمير قوال فبلغ كلامه عمرو بن

موقوفا على معناه
ومقصورا عليه دون
ماسواه لا فاضل ولا مقصر
ولا مشترك ولا مغلق
وقد جمع خصماؤك
البلاغة واستوفى خلال
المعرفة فاذا كان الكلام
على هذه الصفة وألف
على هذه الشريطة لم يكن
اللفظ أسرع الى السمع
من المعنى الى القلب وصار
السامع كالقائل والمتعلم
كالمعلم وخفت المؤونة
واستغنى عن الفكرة
وماتت الشبهة وظهرت
الحجة واستبدلوا بالخلاف
وفاقا وبالمجاذبة موادعة
ورهبوا بالعلم وتقنعوا
ببرد اليقين واطمأنوا
بثلج الصدور وبان
المنصف من المعاند وتميز
الناقص من الوافر وذل
الخطل وعز المحصل
وبدت عورة المبطل
وظهرت براءة المحق وقلت
والناس وان قالوا في
الحسن كأنه طاقة ريحان
أو خوط آس وكأنه قضيب
خيزران وكأنه غصن بان
وكأنه رمح رديني وكأنه
صحيفة يمان وكأنه سيف
هندواني وكأنه جان
وكأنه جدل عنان فقد
قالوا كأنه المشتري وكأن

العاصي فقال هنّ مُخرِجاتي من الشام استحسانا للكلامه وقال عثمان بن عفّان رضي الله عنه لعامر بن عبد قيس العنبري ورآه ظاهر الاعرابيّة يا أعرابيّ أين ربك فقال بالمرصاد وقال قائل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض فقال علي أين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان وحُدّثتُ أن راهبين دخلا البصرة من ناحية الشام فنظرا الى الحسن البصري فقال أحدهما لصاحبه مل بنا الى هذا الذي كأنّ سمته سمت المسيح فعدلا اليه فألفياه مُفترشا بذقنه ظاهر كفّه وهو يقول يا عجبًا لقوم قد أُمروا بالزاد وأُوذنوا بالرحيل وأقام أوّلهم على آخرهم فليت شعري ما الذي ينتظرون ونظر الحسن الى الناس في مُصلّى البصرة يضحكون ويلعبون في يوم عيد فقال الحسن ان الله جعل الصوم مضمارا لعباده ليستبقوا الى طاعته فسبق أقوام ففازوا وتخلّف آخرون فخابوا ولعمري لو كُشف الغطاء لشُغل مُحسنٌ باحسانه ومسيءٌ باساءته عن تجديد ثوب أو ترطيل شعر قوله ترطيل شعر انما هو تليين الشعر بالدهن وما أشبهه ويقال للرجل اذا كان فيه لين وتوضيع رجل رَطْلٌ والذي يوزن به ويكال يقال له رِطْلٌ بكسر الراء وكان الحسن يقول اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها قوله القنطرة يعني هذه المعهودة المعروفة عند الناس والعرب تسمّي كل أزج قنطرة قال طرفة بن العبد

كقنطرة الرومي أقسم ربها • لتكتنفا حتى تشاد بقرمد

قوله حتى تشاد يقول تطلى وكل شيء طليت به البناء من جص أو جيار وهو الكلس فهو الشيد يقال دار مشيدة وقصر مشيد قال الله عز وجل ولو كنتم في بروج مشيدة وقال الشماخ

لا تحسبني وان كنت امرأً غمرا • كحيّة الماء بين الطين والشيد

وقال عدي بن زيد العبادي شاده مرمرا وجلّله كلسا فللطير في ذراه وكور

والمقرمد المطلي أيضا ثم قال حتى تشاد بقرمد في معنى حتى تطلى ومن ذلك قول النابغة

• رابي المجسّة بالعبير مقرمد • وقال الحسن تلقى أحدهم أبيض بضا يملخ في الباطل ملخا ينفض مذرويه ويضرب أصدريه يقول ها أنا ذا فاعرفوني قد عرفناك فمقتك الله ومقتك الصالحون قوله أبيض بضا فالبض الرقيق اللون الذي يؤثر فيه كل شيء وفي الحديث ان معاوية قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الشام وهو أبض الناس فضرب عمر بيده على عضده فاقلع عن

وجهه دينار هرقلي وما هو الا البحر وما هو الا الغيث وكأنه الشمس وكأنه دارة القمر وكأنه الزهرة وكأنه درة وكأنه غمامة وكأنه مهاة وقد تراهم وصفوا المستدير والعريض باكثرمما وصفوا القضيب الطويل وقلت ووجدنا الافلاك وما فيها والارض وما عليها على التدوير دون التطويل وكذلك الورق والحب والثمر والشجر وقلت والربع وان طالت فان التدوير عليها أغلب لان التدوير قائم فيها موصلا ومفصلا والطول لا يوجد فيها الا موصلا وكذلك الانسان وجميع الحيوان وقلت ولا يوجد التربيع الا في المصنوع دون المخلوق وفيما أكره على تركيبه دون ما خلي رسوم طبيعته على ان كل مرتفع في جوفه مدور فقد بان المدور بفضله وشارك المطول في حصته ومن العجب انك تزعم انك طويل في الحقيقة

مثل الشراب أو مثل الشراك فقال هذا والله لتشاغلك بالحمامات وذووا الحاجات تقطع أنفسهم حسرات على بابك وقال حميد بن ثور الهلالي

منعمة بيضاء لو دب محول * على جلدها بضت مدارجه دما

وقوله يلج في الباطل ملخا يقول يمر مرا سريعا يقال بكرة ملوخ اذا كانت سهلة المر وقوله يضرب أصدريه وازدريه فانما يقال ذلك للفارغ يقال جاء فلان يضرب أصدريه وازدريه ولا يتكلم منه بواحد ويقال فلان ينفض مذرويه وهما ناحيتاه وانما يوصف بالخيلاء قال عنترة

أحولي تنفض استك مذرويها * لتقتلني فها أنا ذا عمارا

ولا واحد لهما ولو أفردت لقلت في التثنية مذريان لان ذوات الواو اذا وقعت فيهن الواو رابعة رجعت الى الياء كما تقول في ملهى ملهيان وهو من لهوت وفي مغزى مغزيان وهو من غزوت وانما فعلت ذلك لان فعله ترجع فيه الواو الى الياء اذا كانت رابعة فصاعدا نحو غزوت فاذا أدخلت فيه الالف قلت أغزيت وكذلك غازيت واستغزيت وانما وجب هذا الانقلاب في المضارع نحو يغزي ويستغزي ويغازي وانما انقلبت لانكسار ما قبلها فان قال قائل فما بال يترجى ويتغازى يكونان بالياء نحو هما يتغازيان ويترجيان فانما ذلك لانهما في الاصل رجى يرجي وغازى يغازي ثم لحقت التاء بعد ثبات الياء والدليل على ذلك أن التاء انما لحقته على معناه فقولك مذروان لا واحد له لما أعلمتك وثبات الواو دليل على أن أحدهما لا يفرد من الآخر فلذلك جاء على أصله

(باب)

قال أبو العباس قال يزيد بن الصقيل العقيلي وكان يسرق الابل ثم تاب وقتل في سبيل الله

ألا قل لأرباب المخائض أهملوا * فقد تاب مما تعلمون يزيد

وان امرأ ينجو من النار بعدما * تزود من أعمالها لسعيد

وفي هذا الشعر

اذا ما المنايا أخطأتك وصادفت * حميمك فاعلم أنها ستعود

قوله ألا قل لأرباب المخائض فان الناقة اذا لقحت قيل لها خلفة وللجميع المخاض وهذا جمع على غير واحد انما هو بمنزلة امرأة ونساء ثم جمع الجمع فقال مخائض كما قالت في رسالة رسائل وكما

ثم تحنح للعرض والاستدارة وقد اضربت عما عند الله صفحا ولهجت بما عند الناس فاما حور العين فقد انفردت بحسنه وذهبت ببهجته وملحه الا ما أبانك الله تعالى به من المشاكلة فانها لا تكون في الشام ولا تفارق الكرام وأما سواد الناظر وحسن الحاجب وهدب الاشفار ورقة حواشي الأجفان فعلى أصل عنصرك وجائز اعراقك واما ادراك الشخص البعيد وقراءة الكتاب الدقيق ونقش الخاتم قبل الطابع وفهم المشكل قبل التأمل مع وهن الكبرة وتقادم الميلاد ومع تخون الايام وتنقص الازمان فمن توتيا الهند ولترك الجماع ومن الحمية الشديدة وطول استقبال الخضرة فانت يا عم حين تصلح ما أفسده الدهر وتسترجع ما أخذته الايام لكما قال الشاعر

عجوز ترجي ان تكون فتية * وقد يبس الجنبان واحدودب الظهر

تقول فى قوم أقوام فتجمع الاسم الذى هو للجمع وكذلك أعراب وأعاريب وأنعام وأناعيم وقوله أهملوا أى اسرحوا بالكم والهمل ما كان غير محظور وهو السدى ويروى فى مثل قوله

• اذا المنايا أخطأتك وصادفت • حميك • عن بعض الصالحين (هو محمد بن الحنفية) أنه كان يقول اذا مات له جار أو حميم أولى لى كدت والله أكون السواد المخترم وقال ابن حبناء التميمى

أعوذ بالله من حال تزين لى • لوم العشيرة أو تدنى من النار

لا أقرب البيت أحبو من مؤخره • ولا أكسر فى ابن العم أظفارى

ان يحجب الله أبصارا أراقبها • فقد يرى الله حال المدلج السارى

قوله لا أقرب البيت أحبو من مؤخره يقول لا آتيه لريبة ومثل ذلك قول الشاعر (وهو عقيل ابن علفة)

ولست بصادر من بيت جارى • كفعل العير غمره الورود

يقول لا أخرج خروج الخائف لانه انما يقال تغمر الشارب اذا لم يرو ويقال للقدح الصغير الغمر من هذا وقوله ولا أكسر فى ابن العم أظفارى يقول لا أغتابه وهذا مثل كما قال الحطيئة

ملوا قراه وهرته كلابهم • وجرحوه بأنياب وأضراس

وقوله فقد يرى الله حال المدلج السارى فالمدلج الذى يسير من أول الليل يقال أدلجت أى سرت من أول الليل وادلجت أى سرت فى السحر قال زهير • بكرن بكورا وادلجن بسحرة • والسرى لا يكون الا بالليل قال الله عز وجل فأسر بأهلك من قولك أسريت وهى اللغة القرشية وغيرهم من العرب يقول سريت وقد جاءت هذه اللغة فى القرآن قال الله عز وجل والليل اذا يسرى فهذا من سرى ولو كان من أسرى لكان يسرى كما قال (هو لبيد بن ربيعة)

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم • وما كان وقافا بغير معصر

والمعصر الملجأ والسارى انما هو من قولك سرى كقولك قضى فهو قاض ومن أسرى يقال للفاعل مسر كما تقول أعطى فهو معط كما قال الاخطل

نازعتهم طيب الراح الشمول وقد • صاح الدجاج وحانت وقعة السارى

والدجاج ههنا الديوك يريد وقت السحر لانه يقال للديك هذا دجاجة فان أردت الانثى قلت هذه وكذلك هذا بقرة وهذا بطة وهذا حمامة اذا أردت الذكر ولهذا باب يذكر فيه ان شاء الله قال جرير

تدس الى العطار سلعة أهلها
ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر
وكيف يطمع فى نزوعك عن اللجاج وقد سقيته قبل الحجاج وكيف أرجو اقرارك جهرا وقد أتيته سرا وكيف تجود به سماحا طمعا وقد بخلت به مريضا مؤيسا وكيف يرجو خيرك من رآك تطاول أبا جعفر وتخاشنه وتنافره وتراهنه لا تفعل ذلك الا فى المحافل العظام وبحضرة كبار الحكام ثم تستغرب ضحكا من طمعه فيك وتعجب الناس من محاولته لك واشهد لك بعد هذا انك تخاشن عمرا الجاحظ وتغافله ثم تطارقه وتطاوله وتتغنى مع مخارق وتتنكر فضل زرزب وتستجهل النظام وتستغبى قيس بن زهير وتستخف الاحنف بن قيس وتبارز على بن أبى طالب ثم تخرج من حد الغلبة الى حد المرة ومن حد الفتك الى حدود الموتى

لما ذكرت بالدير بن أرقنى ٭ صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

(قال أبو الحسن أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى الابيات الرائية المتقدمة بتمامها على ما أذكره لك عن أبي عبد الله بن الاعرابي وهي لاحد ابني حبناء أحسبه صخرا وهما من بني تميم وكانا من الازارقة قال

انى هزئت من ام الغمر اذ هزئت ٭ بشيب رأسي وما بالشيب من عار
ما شقوة المرء بالاقتار يقتره ٭ ولا سعادته يوما باكثار

يقتره الهاء تعود على الاقتار

ان الشقي الذي في النار منزله ٭ والفوز فوز الذي ينجو من النار
أعوذ بالله من أمر يزين لي ٭ لوم العشيرة أو يدني من العار
وخير دنيا ينسي شر آخرة ٭ وسوف ينبئني الجبار أخباري

ثم يتفقان بعد في الرواية وكان ربما أنشدنا ٭ انى هزأت من ام الغمر) ٭ قال أبو العباس وقال اعرابي من بني الحرث بن كعب

رئمت لسلمى بوضيم واننى ٭ قديما لآبي الضيم وابن أباة
فقد وقفتنى بين شك وشبهة ٭ وما كنت وقافا على الشبهات
فيا بعل سلمى كم وكم باذاتها ٭ عدمتك من بعل تطيل أذاتي
بنفسي حبيب حال بابك دونه ٭ تقطع نفسي دونه حسرات
ووالله لولا أن يساء لرعتها ٭ بما ليس بالمأمون من فتكاتي

قوله رئمت لسلمى بوضيم فانما هذا مثل وأصله أن الناقة اذا ألقت سقبها الخيف انقطاع لبنها أخذوا جلد حوار فحشوه تبنا والحشوه بشئ من سلاها ثم حشوا أنفها بخرقة فتجد لذلك كربا ويقال للخرقة التي تجعل في أنفها الغمامة ثم تسل تلك الخرقة من أنفها فتجد روحا وترى ذلك البو تحتها وهو جلد الحوار المحشو فترأمه فان درت عليه قيل ناقة درور وترأمه تشمه ويقال في هذا المعنى ناقة ظؤور فيتفع بلبنها ويقال ناقة رائم ورؤوم اذا كانت ترأم ولدها أو بوها فان رئمت ولم تدر عليه فتلك العلوق لا خير عندها وأنشدونا عن أبي عمرو وكان يقرأ ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى على فعلى (الشعر لا فنون التغلبي)

هذا وليس لك مساعد ولا معك شاهد واحد ولا رأيت أحدا اتفق في الحكم عليك أو ينتظر تحقيق دعواك ولا رأيت منكرا يخليك من التأنيب ولا مؤنبا يخليك من الوعيد ولا موعدا يخليك من الايقاع ولا موقعا يرثي لك ولا شافعا يشفع فيك باعم لم تحملنا على الصدق ولم تجرعنا مرارة الحق ولم تعرضنا الاداء الواجب ولم تستكثر من الشهود عليك ولم تحمل الاخوان على خلاف محبتهم فيك اجعل بدل ما تجني على نفسك ان تجني على عدوك وبدل ما يضطر الناس ان يصدقوا فيك ان تضطرهم الى ان يمسكوا عنك ولابد رحمك الله تعالى لمن فاته الطول من ان يلقى بيده انما يقول خلاف ما يجده في نفسه فوالله انك لجيد الهامة وفي ذلك خلاف لحسن القامة وانك لحسن الخط وذلك عوض من حسن اللفظ وانا لنجد مقالا وانك لتعد

أنى يجزوا مام أساءوا بفعلهم • أم كيف يجزونني السوأى من الحسن

أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به • رئمان أنف اذا ما ضن باللبن

فقوله رئمت أسلي بوضيم أي أقت لها على الضيم ويقال فلان رؤوم للضيم اذا كان ذليلا راضيا بالخسف وقال اعرابي أحسبه تميما

وداهية داهى بها القوم مفلق • شديد بعوران الكلام أزومها

أصخت لها حتى اذا ما وعيتها • رميت بأخرى يستدر أميمها

ترى القوم منها مطرقين كأنما • تساقوا عقارا لا يبل سليمها

فلم تلقني فهّا ولم تلق حجتي • ملجلجة أبغي لها من يقيمها

قوله وداهية يعني حجة داهى بها القوم مفلق يريد عجيبة والفلق اسم من أسماء الدواهي ويقال فلق في هذا المعنى ويقال داهية فليق وجاء القوم بالفليق وهذا مشهور كثير في الكلام ومنه قول خلف الاحمر • موت الامام فلقة من الفلق • وأنشدني منشد

(اذا عرضت داوية مدلهمة) • وغرد حاديها فرين بنا فلقا

بفتح الفاء وقوله شديد بعوران الكلام العوراء هي القبيحة قال حاتم بن عبد الله الطائي

وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضر • وذي أود قومته فتقوما

وأزومها الممسكها يقال أزم به اذا عض به فأمسكه بين ثنيتيه وفي الحديث ان أبا بكر رضي الله عنه قال في يوم احد فنظرت الى حلقة من درع قد نشبت في جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكببت لانزعها فاقسم علي أبو عبيدة فأزم بها أبو عبيدة بثنيتيه فجذبها جذبا رفيقا فانتزعها وسقطت ثنيته ثم نظرت الى أخرى فأردتها فاقسم علي أبو عبيدة ففعل فيها ما فعل في الاولى وكان مشفقا من تحريكها لئلا يؤذي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو عبيدة أهتم وقوله فأزم بها يقال أزم يأزم وأزم يأزم وقوله أصخت لها يقول استمعت لها قال العبدي (وهو الممزق)

يصيخ للنبأة أسماعه • اصاخة الناشد للمنشد

والاصاخة الاستماع والناشد الطالب والمنشد المعرف يقال نشدت الضالة أنشدها نشدانا اذا طلبتها وأنشدتها اذا عرفتها والنبأة الصوت قال ذو الرمة

خص الافقل معر وفافانا من اعوانك واقتصدفانا من انصارك وهات فانك لو أسرفت لقلنا قد اقتصدت ولو حرت لقلنا قد اهتديت ولكنك تجئ بشئ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا لو غششناك لساعدناك ولو نافقناك لاغريناك (فصل) وقد كنت أطال الله بقاءك في الطول زاهدا وعن القصر راغبا وكنت أمدح المربوع وأحمد الاعتدال ولا والله ان ايقوم خير الاعتدال بشر قصر العمر ولا بجمال المربوع بما يفوت من منفعة العلم فاما اليوم فيا ليتني كنت أقصر منك واضوى وأقل منك واقمى وليس دعائي لك بطول البقاء للزيادة لكن على جهة التعبد والاستكانة فاذا سمعتني أقول أطال الله بقاءك فهذا المعنى أريد واذا رأيتني أقول لا أخلى الله مكانك فالى هذا المعنى اذهب وقد زعموا جعلت

وقد توجس ركزا مقفر ندس • بنبأة الصوت ما فى سمعه كذب

وقوله حتى اذا ماوعيتها يقول جمعتها فى سمعى يقال وعيت العلم وأوعيت المتاع فى الوعاء قال الله عز وجل وجمع فأوعى وقال الشاعر (عبيد بن الابرص)

الخير يبقى وان طال الزمان به • والشر أخبث ما أوعيت من زاد

وقوله رميت بأخرى يستدير أميمها يريد يستدير من الدوار ويقال فى هذا المعنى يستديم ومنه سميت الدوامة وفى الحديث كره البول فى الماء الدائم لانه كالمستدير فى موضعه قال جرير

عوى الشعراء بعضهم لبعض • على فقد أصابهم انتقام

اذا أرسلت صاعقة عليهم • رأوا أخرى تحرق واستداموا

وقوله أميمها يريد المأموم بها يقال أميم ومأموم كقولك قتيل ومقتول وجريح ومجروح ويقال للشجة التى قد وصلت الى أم الدماغ وأم الدماغ جليدة رقيقة تحيط بالدماغ فاذا وصل الى ذلك فالشجة آمة ومأمومة قال الشاعر

يحج مأمومة فى قعرها لجف • فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

المغاريد صغار من الكمأة وقوله فى قعرها لجف أى تقلع يقال تلجفت البئر اذا انقلع طيها من أسفلها ولجف القوم مكيالهم اذا وسعوه من أسفله وقوله تساقوا عقارا يريد كانهم سكارى لما نالهم من تلك الجنة والعقار اسم من أسماء الخمر وانما سميت عقارا لمعاقرتها الدن وقوله ما يبل يقال بل وابل من مرضه وكذلك استبل والسليم الملسوع وقيل له سليم على جهة التفول كما يقال للمهلكة مفازة وللغراب الاعور على الطيرة منه لصحة بصره وقوله فلم تلقنى فها يقول ضعيفا يقال فه فلان عن حجته اذا ضعف عنها ويقال رجل مفهه اذا كان عاجزا وقوله ملجاجة وهوان ردد هالى فيه وقد مضى تفسيره وقال رجل يكنى أبا مخزوم من بنى نهشل بن دارم (هو بشامة بن حزن النهشلى عن ابى رياش)

انا بنى نهشل لاندعى لأب • عنه ولا هو بالابناء يشرينا

ان تبتدر غاية يوما لمكرمة • تلق السوابق منا والمصلينا

وليس يهلك منا سيد أبدا • الا افتلينا غلاما سيدا فينا

فداءك ان كلما طال عمره من الحيوان زائد فى شدة الاركان وفى طول العمر وصحة الابدان كالورشان والضباب وحمر الوحش وكلحم النسر لمن أكله ولحم الحية لمن استعمله فان كان هذا حقا وكان نافعا وكنت له مستعملا وفيه منتقدا ما وتراه رأيا أخذنا منه بنصيب وتعلقنا منه بسبب وفيك أمران غريبان وشاهدان بديعان جواز الكون والفساد عليك وتعاور النقصان والزيادة اياك وجوهرك فلكى وتركيبك أرضى فمنك طول البقاء ومعك دليل الفناء وأنت علة المتضاد وسبب المتنافى وما طننك بخلق لا تضره الاحالة ولا يفسده التناقض

(فصل) جعلت فداءك قد شاهدت الأنس منذ خلقوا ورأيت الجن قبل ان يحتجبوا ووجدت الاشياء بنفسك خالصة وممزوجة واغفالا وموسومة وسالمة ومدخولة فأنت فى

انى لمن معشر افنى أوائلهم • قيل الكماة الا أين المحامونا
لوكان فى الالف منا واحد فدعوا • من فارس خالهم اياه يعنونا
ولا تراهم وان جلت رزيتهم • مع البكاة على من مات يبكونا
انا لنرخص يوم الروع أنفسنا • ولو نسام بها فى الامن أغلينا
اذا الكماة تنحوا ان ينالهم • حد الظبات وصلناها بأيدينا
فرض على مكثرينا قيل بذلهم • والجود والبذل فى طبع المقلينا
انى ومن كابى يحيى وعترته • لا نفر الا لنا أمن يوازينا

قوله انا بنى نهشل يعنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ومن قال انا بنو نهشل فقد خبرك وجعل بنو خبر ان ومن قال بنى فانما جعل الخبر ان تبتدر غاية يوما لمكرمة تلق السوابق منا والمصلينا ونصب بنى على فعل مضمر للاختصاص وهذا أمدح ومثله

• نحن بنى ضبة أصحاب الجمل • أراد نحن أصحاب الجمل ثم أبان من يختص بهذا فقال أعنى بنى ضبة وقرأ عيسى بن عمر وامرأته حمالة الحطب أراد وامرأته فى جيدها حبل من مسد ثم عرفها بحمالة الحطب وقوله عز وجل والمقيمين الصلاة بعد قوله لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون انما هو على هذا وهو أبلغ فى التعريف وسنشرحه على حقيقة الشرح فى موضعه ان شاء الله وأكثر العرب ينشد (هو لعمرو بن الاهتم المنقرى)

انا بنى منقر قوم ذوو حسب • فينا سراة بنى سعد وناديها

وقرأ بعض القراء فتبارك الله أحسن الخالقين وقوله يشرى ونابر يديه معناه يقال شراه يشريه اذا باعه فهذه المعروفة قال الله عز وجل وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وقال ابن مفرغ الحميرى

شريت بردا ولولا ما تكنفنى • من الحوادث ما فارقته أبدا
(يا بردما مسنا دهر أضر بنا • من قبل هذا ولا بعنا له ولدا)

ويكون شريت فى معنى اشتريت وهو من الاضداد وأنشدنى التوزى

اشرو الهاخاتنا وابغوا لختنتها • مواسيا أربعا فيهن تذكير

(كان ابن جابر يروى لختنتها ويقول الختن العقل) وقوله تلق السوابق منا والمصلينا فالمصلى

عليك الحجة من الشبهة ولا السقم من الصحة ولا الممكن من الممتنع ولا المستغلق من المستبهم ولا النادر من البديع ولا شبه الدليل من الدليل وعرفت علامة الثقة من علامة الريبة حتى صارت الاقسام عندك محصورة والحدود محفوظة والطبقات معلومة والدنيا بحذافيرها مصورة ووجدت السبب كما وجدت المسبب وعرفت الاعتلال كما عرفت الاحتجاج وشاهدت المثل وهى تولد والاسباب وهى تصنع فعرفت المصنوع من المخلوق والحقيقة من التمويه

(فصل) انا جعلت فداك كما انك لم تكن فكنت فكذا لا تكون بعد أن كنت وكما زدت فى الدهر الطويل فكذا تنقص فى الدهر الطويل وكل طويل فهو قصير وكل متناه فهو قليل فاياك ان تظن انك قديم فتكفر واياك ان تنكر انك

الذى فى اثر السابق وانما سمى مصليا لانه مع صلوى السابق وهما عرقان فى الردف قال الشاعر

تركت الرمح يعمل فى صلاه • كأن سنانه خرطوم نسر

وقوله الا فتلينا غلاما سيدا فينا مأخوذ من قولهم فلوت الفلو وافتليته اذا أخذته عن أمه قال الأعشى

ملمع لاعة الفؤاد الى جحش فلاه عنها فبئس الفالى

وأخذ هذا المعنى من قول أبى الطمحان القينى • اذا مات منهم سيد قام صاحبه • وقوله

لو كان فى الألف منا واحد فدعوا • من فارس خالهم اياه يعنونا

مأخوذ من قول طرفة بن العبد

اذا القوم قالوا من فتى خلت اننى • عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

ومن قول متمم بن نويرة اذا القوم قالوا من فتى لعظيمة • فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

وقوله حد الظبات فالظبة الحد بعينه يقال أصابته ظبة السيف وظبة النصل وجمعه ظبات وأراد بالظبة ههنا موضع المضرب من السيف وأخذ هذا المعنى من قول كعب بن مالك بن أبى كعب الانصارى نصل السيوف اذا قصرن بخطونا • قدما ونلحقها اذا لم تلحق

وقوله انا لنرخص يوم الروع أنفسنا أخذه من قول الهمدانى وهو الأجدع أبو مسروق ابن الاجدع الفقيه

لقد علمت نسوان همدان اننى • لهن غداة الروع غير خذول

وأبذل فى الهيجاء وجهى وانى • له فى سوى الهيجاء غير بذول

ومن القتال الكلابى حيث يقول

أنا ابن الأكرمين بنى قشير • وأخوالى الكرام بنو كلاب

نعرض للطعان اذا التقينا • وجوها لا تعرض للسباب

﴿باب﴾

قال أبو العباس قال عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ثلاث من كن فيه فقد كمل من لم يخرجه غضبه عن طاعة الله ولم يستنزله رضاه الى معصية الله واذا قدر عفا وكف وقال الحسن نعم الله أكثر من أن تشكر الا ما أعان عليه وذنوب ابن آدم أكثر من أن يسلم منها الا ما عفا الله عنه

محدث فنشرك فان الشيطان فى مثلك اطماعا لا يصيبها فى سواك ويجد فيك غليلا لا يجدها فى غيرك

(فصل) وقد علمت ان الخبر اذا صح أصله وكان للناس علة فى نشره كان فى الدلالة على الحق كالعيان وفى الشفاه كالسماع على ان الخبر لا يعرف به تكييف الامور ولكن نعرف به جمل الاشياء الا خبرك فانك لا تحتاج الى اشارة ولا الى علة ولا الى نفس حتى يقوم خبرك فى الشفاه وفى كيفية الشئ مقام العيان وقد كنت أتعجب من عبد الملك وأقول ما يقولون فى رجل لم يقل قط بعد انقضاء خصومته وذهاب خصمه لو قلت كذا كان أفضل أو كنت لم أقل كذا كان أمثل فما بال عفوه أكثر من جهدكم وبديهته أبعد من أقصى فكرتكم فلما رأيتك علمت انك عذاب صبه الله تعالى على كل رفيع ورحمة أنشأها الله

وقال

وقال عمر بن ذر ودخل على ابنه وهو يجود بنفسه فقال يا بني انه ما علينا من موتك غضاضة ولا بنا الى أحد سوى الله حاجة فلما قضى وصلى عليه وواراه وقف على قبره فقال يا ذر انه قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك لانا لا ندري ما قلت وما قيل لك اللهم انى قد وهبت له ما قصر فيه مما افترضت عليه من حقى فهب له ما قصر فيه من حقك واجعل ثوابي عليه له وزدني من فضلك انى اليك من الراغبين وسئل ما بلغ من برّه بك فقال ما مشى معي بنهار قط الا قدمني ولا بليل الا تقدمني ولا رقى سطحا وأنا تحته وماتت بنت عم للمنصور فحضر جنازتها وجلس لدفنها وأقبل أبو دلامة الشاعر فقال له المنصور ويحك ما اعددت لهذا اليوم فقال يا أمير المؤمنين ابنة عمك هذه التي واريتها أقبيل قال فضحك المنصور حتى استغرب ودخل لبطة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس في سجن مالك بن المنذر بن الجارود ومالك عامل على البصرة لخالد بن عبد الله القسري فقال يا أبت هذا عمر بن يزيد الأسيدي ضرب آنفا ألف سوط فمات فشد على حمار فقال الفرزدق كانك والله يا بني بمثل هذا الحديث قد تحدث به عن أبيك والحسن اذ ذاك عند محبوس له فقال يا أبا فراس ما عندك ان كان ذلك فقال والله يا أبا سعيد لله أحب الى من سمعي وبصري ومن مالي وولدي ومن أهلي وعشيرتي أفتراه يخذلني فقال الحسن لا وكان عمر بن يزيد الأسيدي شريفا حدثني التوزي عن أبي عبيدة قال كان رجل أهل البصرة عمر بن يزيد الأسيدي ورجل أهل الشام عمر بن هبيرة الفزاري ورجل أهل الكوفة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري فقيل ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال أجل لولا خب في بلال فقال بلال لما بلغه ذلك رمتني بدائها وانسلت وقتله مالك بن المنذر تعصبا فيما تذكره المضرية فلما دخل مالك على هشام أقبل على أصحابه فقال أما رأيتم عمر بن يزيد أما اني ما تمنيت ان تكون أمي ولدت رجلا من العرب غيره ثم قال لمالك قتلت والله خيرا منك حسبا ونسبا ودينا وعقبا فقال وكيف يا أمير المؤمنين ألست ابن المنذر بن الجارود وابن مالك بن مسمع وكان جده أبا أمه وجعل عمر والسياط تأخذه ينادي يا هشاماه ففي ذلك يقول الفرزدق

ألم يك مقتل العبدي ظلما * أبا حفص من الكبر العظام

قتيل جماعة في غير حق * يقطع وهو يدعو يا هشام

والتقى الحسن والفرزدق في جنازة فقال الفرزدق للحسن أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد قال

لكل وضيع لخبرني ما جرى بينك وبين هرمس في طبيعة الفلك وعن سماعك من افلاطون وما دار بينك وبين ارسطاطاليس وأي نوع اعتقدت وأي شيء اخترت فقد أبت نفسي غيرك وأبت ان تشفى الا بخبرك ولولا اني كلف برواية الأقاويل ومغرم بمعرفة الاختلاف واني أستجيز مسألتك عن كل شيء وابتذالك في كل امر لما جمعت من أحد سوالك وما انقطعت الى أحد غيرك اعلم جعلت فداك اني لم أرد مزاحك الا ان أضحك سنك ولا كانت غايتي فيه الا لأنفق عندك وقد كنت خفت ان لا أكون وقعت على حده وأشفقت من المجاوزة لقدره والمزاح باب ليس المخوف فيه التقصير ولا يكون الخطأ فيه من جهة النقصان وهو باب متى فتحه فاتح طرق له مطرق ولم يملك من سده الذي

ومايقولون قال يقولون اجتمع في هذه الجنازة خيرُ الناس وشرُّ الناس فقال الحسن كلا لستُ
بخيرهم ولستَ بشرهم ولكن ما أعددتَ لهذا اليوم فقال شهادةَ أن لا اله الا الله منذ ستين سنة
وخمسَ نجائبَ لا يدركن يعني الصلوات الخمس فيزعم بعض التميمية انه رُئي في النوم فقيل له
ما صنع بك ربك فقال غفر لي فقيل له بأي شيء فقال بالكلمة التي نازعني فيها الحسنُ وحدثني
العباس بن الفرج الرياشي في اسناد له ذكره قال كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بني تميم
والمصاحف في حجورهم فيسر بذلك ويجذل به ويقول ايه فدًا لكم أبي وأمي كذا والله كان آباؤكم (قال
أبو الحسن انما هو فداءٌ لكم فمن فتح قصر لا غير ومن كسر مدّ لكنه قصر الممدود على هذه الرواية)
قال أبو العباس ونظر اليه أبو هريرة الدوسي فقال له مهما فعلت فقنطك الناس فلا تقنط من
رحمة الله ثم نظر الى قدميه فقال اني أرى لك قدمين لطيفتين فابتغ لهما موقفا صالحا يوم القيامة
يقال قنَط يقنِط وقنِط يقنَط وكلاهما فصيح فاقرأ بأيهما شئت وكذلك نقَم ينقِم ونقِم ينقَم
والفرزدق يقول في آخر عمره حين تعلق بأستار الكعبة وعاهد الله أن لا يكذب ولا يشتم مسلما

ألم ترني عاهدتُ ربي وانني * لبين رتاجٍ قائما ومقام
على حلفةٍ لا أشتم الدهرَ مسلما * ولا خارجا من فيّ زورُ كلام

وفي هذا الشعر

أطعتك يا ابليسُ تسعين حجة * فلما انقضى عمري وتم تمامي
رجعتُ الى ربي وأيقنتُ أنني * ملاقٍ لأيام المنون حمامي

قوله لبين رتاج فالرتاج غلقُ الباب ويقال باب مرتجٌ أي مغلق ويقال أُرتج على فلان أي أُغلق
عليه الكلام وقول العامة أُرتج عليه ليس بشيء الا ان التوزي حدثني عن أبي عبيدة قال يقال
ارتُجّ عليه ومعناه وقع في رجة أي في اختلاط وهذا معنى بعيد جدا وقوله ولا خارجا انما وضع
اسم الفاعل في موضع المصدر أراد لا أشتم الدهر مسلما ولا يخرج خروجا من فيّ زورُ كلام لانه على
ذا أقسم والمصدر يقع في موضع اسم الفاعل يقال ماء غورٌ أي غائر كما قال الله عز وجل ان أصبح
ماؤكم غورا ويقال رجل عدلٌ أي عادل ويوم غمٌّ أي غام وهذا كثير جدا فعلى هذا جاء المصدر
على فاعل كما جاء اسم الفاعل على المصدر يقال قُم قائما فيوضع في موضع قولك قُم قياما وجاء من
المصدر على لفظ فاعل حروفٌ منها فلج فالجا وعوفي عافية وأحرفٌ سوى ذلك يسيرة وجاء على

علك من فقهه ولم يخرج
بقدر ما كان قدم من نفسه
لانه باب أصل بنائه على
الخطأ ولا يخالطه من
الاخلاق الا ما سخف
ومن شأنه التزيد وان
يكون صاحبه قليل
الحفظ ولم نر شيأ أبعد من
شر ولا أبعد له صحبة ولا
أشد خلافا ولا أكثر له
خلطة من الجد والمزاح
والمناظرة فان كنت لم
أقصر عن الغاية ولم أتجاوز
حد النهاية فيما أعرف من
عن مكالمتك وبركة مكاتبتك
ومن حسن تقويتك
وجودة تثقيفك وان كنت
أخطأت الطريق وجاوزت
المقدار فما كان ذلك عن
جهل بفضلك ولا انكارا
لحقك ولكن حدود
الاشياء اذا خفيت
ومقاديرها اذا أشكلت ولم
يكن مع الناظر فيها امثل
تمامك ولا مع المتكلف بها
مثل كمالك دخل عليه من
الخلل بقدر عجزه وسلم منه
بقدر نفاذه نعم ولو كان من

مفعول

مفعول نحو رجل ليس له معقول وخذ ميسوره ودع معسوره لدخول المفعول على المصدر يقال
رجل رضا أى مرضى وهذا درهم ضرب الامير أى مضروب وهذه دراهم وزن سبعة أى موزونة
وكان عيسى بن عمر يقول انما قوله لا أشتم حال فاراد عاهدت ربى فى هذه الحال وانا غير شاتم ولا
خارج من فى زور كلام ولم يذكر الذى عاهد عليه وقال الفرزدق فى أيام نسكه

أخاف وراء القبر ان لم يعافنى • أشد من القبر التهابا وأضيقا
اذا قادنى يوم القيامة قائد • عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى • الى النار مغلول القلادة مزرقا
اذا شربوا فيها الحميم رأيتهم • يذوبون من حر الحميم تمزقا

وحدثنى بعض أصحابنا عن الاصمعى عن المعتمر بن سليمان عن أبى مخزوم عن أبى شفقل راوية
الفرزدق قال قال لى الفرزدق يوما امض بنا الى حلقة الحسن فانى أريد أن أطلق النوار فقلت انى
أخاف عليك أن تتبعها نفسك ويشهد عليك الحسن وأصحابه فقال امض بنا فجئنا حتى وقفنا على
الحسن فقال كيف أصبحت يا أبا سعيد فقال بخير كيف أصبحت يا أبا فراس قال تعلمن أن النوار منى
طالق ثلاثا فقال الحسن وأصحابه قد سمعنا قال فانطلقنا قال فقال لى الفرزدق يا هذا ان فى قلبى من
النوار شيأ فقلت قد حذرتك فقال

ندمت ندامة الكسعى لما • غدت منى مطلقة نوار
(وكنت كفاقئ عينيه عمدا • فأصبح لا يضىء له النهار
وما فارقتها شبعا ولكن • رأيت الدهر يأخذ ما أعار
وكانت جنتى فخرجت منها • كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أنى ملكت يدى ونفسى • لكان على للقدر الخيار

قال الاصمعى ما روى المعتمر هذا الشعر الا من أجل هذا البيت

(باب)

قال لقيط بن زرارة
شربت الخمر حتى خلت أنى • أبو قابوس أو عبد المدان

العلماء الموصوفين ومن
الادباء المذكورين والمزاح
جعلت فداك باب نكد
وجنس خدع يتكل المرء
فى اساءته الى جليسه
واستماعه لصديقه على
ان يقول مزحت وعلى
ان يقول عند المحاكمة
عبثت وعلى ان يقول
من يغضب من المزاح
الا كز الخلق ومن يرغب
عن المفاكهة الا ضيق
العطن وبعد فمتى أعدت
النفس عذرا كانت الى
القبيح أسرع ومتى لم تجده
كانت عنه أبطأ ومن
أسباب الغلط فيه ومن
دواعى الخطأ اليه ان
كثيرا ممن تمازحه يحقد
وان كنت قد أغضبته
ولا يقطع مزاحك وان
كنت قد أوجعته فان
حقد ففى الحقد الداء وان
عجل فذلك البلاء فان
قلت فما أدخلك فى شئ
هذه سبيله وهكذا
جوهره وطريقته قلت
لانى حين أمنت عقاب

أمشي في بني عدس بن زيد • رخي البال منطلق اللسان

وحدثني أبو عثمان المازني قال أسر رجل يوم الحسين بن علي رضي الله عنه فأتي به يزيد بن معاوية فقال له أليس أبوك القائل

أرجل جمتي وأجر ذيلي • وتحمل شكتي أفق كميت
أمشي في سراة بني غطيف • اذا ما سامني ضيم أبيت

قال بلى فأمر به فقتل قال أبو العباس وغني الى أن معاوية ولى كثير بن شهاب المذحجي خراسان فاختان مالا كثيرا ثم هرب فاستتر عند هاني بن عروة المرادي فبلغ ذلك معاوية فنذر دم هاني فخرج هاني فكان في جوار معاوية ثم حضر مجلسه ومعاوية لا يعرفه فلما نهض الناس ثبت مكانه فسأله معاوية عن أمره فقال أنا هاني بن عروة فقال ان هذا اليوم ليس بيوم يقول فيه أبوك أرجل جمتي الشعر فقال له هاني أنا اليوم أعز مني ذلك اليوم فقال له بم ذاك فقال بالاسلام يا أمير المؤمنين فقال له أين كثير بن شهاب قال عندي في عسكرك يا أمير المؤمنين فقال له معاوية انظر الى ما اختانه فخذ منه بعضا وسوغه بعضا وقال أعرابي

ولقد شربت الراح حتى خلتني • لما خرجت أبا قبوس المنذر
قابوس أو عمرو بن هند مائلا • يجبى له ما دون دارة قيصر

وقال آخر

شربنا من الداذي حتى كأننا • ملوك لهم بر العراقين والبحر
فلما انجلت شمس النهار رأيتنا • تولى الغنى عنا وعاودنا الفقر

وقال آخر وهو عبد الرحمن بن الحكم

وكأس ترى بين الاناء وبينها • قذى العين قد نازعت أم أبان
ترى شاربيها حين يعتورانها • يميلان أحيانا ويعتدلان
فما ظن ذا الواشي بأروع ماجد • وبيضاء خود حين يلتقيان

وقال آخر

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن • أخاها ولم أرضع لها بلبان
دعتني أخاها بعد ما كان بيننا • من الأمر ما لا يفعل الأخوان

وقال آخر (أنشده أبو علي لأم ضيغم البلوية)

فبتنا فويق الحي لا نحن منهم • ولا نحن بالأعداء مختلطان

الاساءة ووثقت بثواب الاحسان وعلمت انك لا تقتص الاعلى العهد ولا تقرب الاعلى القصد ترى الأمن سائقا والأمل قائدا وأي عمل أرد وأي متجر أربح مما جمع السلامة والغنيمة والامن والمثوبة ولو كان هذا ذنبا كنت شريكي فيه ولو كان تقصيرا لكنت سببي اليه لان دوام التغافل شبيه بالاهمال وترك التعريف يورث الاغفال والعفو الشائع والبشر الدائم يؤمنان من المكافأة ويذهبان بالحفظ ولذلك قال عيينة بن حصن لعثمان ابن عفان عمر كان خيرا لي منك رهبني فاتقاني وأعطاني فاغناني فان كنت اجترأت عليك فلم أجترئ عليك الا به وان كنت أخطأت فلم أخطأ عليك الا لثلا ان حسن الظن بك والثقة بعفوك سبب في قلة الحفظ وداعية الى ترك التحوز

وبات يقينا ساقط الطل والندى • من الليل برداعنة عطران

نعدى بذكر الله فى ذات بيننا • اذا كان قلبا نابنا بردان

(قال أبو الحسن وزادنى فيه غير أبى العباس

ونصدر عن زى العفاف وربما • نقعنا غليل النفس بالرشفان)

قال أبو العباس نعدى أى نصرف الشر بذكر الله يقال فعد عما ترى أى فانصرف عنه الى غيره ويقال لا يعدونك هذا الحديث أى لا يتجاوزنك الى غيرك قال أبو العباس وقال رجل من قريش

من تقرع الكأس اللئيمة سنه • فلابد يوما ان يسئ ويجهلا

ولم أر مطلوبا أخس غنيمة • وأوضع للأشراف منها وأخملا

وأجدر أن تلقى كريما يذمها • ويشربها حتى يخر مجدلا

فوالله ما أدرى أخبل أصابهم • أم العيش فيهم لم يلاقوه أشكلا

وقال آخر اذا صدمتنى الكأس أبدت محاسنى • ولم يخش ندمانى أذاتى ولا بخلى

ولست بفحاش عليه وان أسا • وما شكل من آذى نداماه من شكلى

وقال آخر كل هنيأ وما شربت مريأ • ثم قم صاغرا فغير كريم

لا أحب النديم يومض بالعين اذا ما انتشى لعرس النديم

الايماض تفتح البرق ولمحه يقال أومضت المرأة اذا ابتسمت وانما ذلك تشبيه للمع ثناياها بتبسم البرق فاراد انه فتح عينه ثم غمضها بغمز وقال حسان بن ثابت

كأن سبيئة من بيت رأس • يكون مزاجها عسل وماء

اذا ما الأشربات ذكرن يوما • فهن لطيب الراح الفداء

نوليها الملامة ان ألمنا • اذا ما كان مغث أو لحاء

ونشربها فتتركنا ملوكا • وأسدا ما ينهنهنا اللقاء

المغث المماغثة باليد واللحاء الملاحاة باللسان يقول يعتذر المسئ بأن يقول كنت سكران فيعذر وقوله كأن سبيئة يقال سبأتها اذا اشتريتها سباء يعنى الخمر والسابئ الخمار وقوله من بيت رأس يعنى موضعا كما يقال حارث الجولان

وبعد فمن وهب الكبير فكيف يعف عند الصغير ومن لم يزل يعفو عن العمد كيف يعاقب على السهو ولو كان عظم قدرى هو الذى عظم ذنبى لكان عظم قدرى هو الذى شفع لى ولو استحققت عقابك باقدامى عليك مع خوفى لك لاستوجبت عفوك عن اقدامى عليك بحسن ظنى بك على انى متى أوجبت لك العفو أوجبت لك الفضل ومتى أضفت اليك العقاب فقد وصفتك بالانصاف ولا أعلم حال الفضل الا أشرف من حال العدل والحال التى توجب لك الشكر الا ارفع من الحال التى توجب لك الصبر وان كنت لا تحب عقابى لحرمتى فهبه لأياديك عندى فان النعمة تشفع فى النعمة فان لم تفعل ذلك للحرمة فافعله لحب الاحدوثة وعد الى حسن

﴿باب﴾

قال أبو العباس قال الاحنف بن قيس ألا أدلكم على المحمدة بلا مرزئة الخلق السجيح والكف عن القبيح ألا أخبركم بأدوإ الداء الخلق الدنيء واللسان البذيء. وقال الاحنف ثلاث فيّ ما أقولهن الا ليعتبر معتبر ما دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما ولا أتيت باب أحد من هؤلاء ما لم أدع اليه يعني السلطان ولا حللت حبوتي الى ما يقوم اليه الناس تكسر الحاء وتضمها اذا أردت الاسم وتفتحها اذا أردت المصدر أنشدني عمارة بن عقيل لجرير

قُتل الزبير وأنت عاقد حبوة • قبحا لحبوتك التي لم تحلل

ويقال في جمع حبوة حبا وحبا مقصوران وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ما أحسن الحسنات في آثار السيئات وأقبح السيئات في آثار الحسنات وأقبح من ذا وأحسن من ذلك السيئات في آثار السيئات والحسنات في آثار الحسنات والعرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد الى كل خبره وقال الله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقال رجل لسلم بن نوفل ما أرخص السودد فيكم فقال سلم أما نحن فلا نسود الا من بذل لنا ماله وأوطأنا عرضه وامتهن في حاجتنا نفسه فقال الرجل ان السودد فيكم لغال ولسلم يقول القائل

يسود أقوام وليسوا بسادة • بل السيد المعروف سلم بن نوفل

قال معاوية لعرابة بن أوس بن قيظي الانصاري بم سدت قومك فقال لست بسيدهم ولكني رجل منهم فعزم عليه فقال أعطيت في نائبتهم وحلمت عن سفيههم وشددت على يدي حليمهم فمن فعل منهم مثل فعلي فهو مثلي ومن قصر عنه فأنا أفضل منه ومن تجاوزه فهو أفضل مني وكان سبب ارتفاع عرابة أنه قدم من سفر فجمعه الطريق والشماخ بن ضرار المري فتحادثا فقال له عرابة ما الذي أقدمك المدينة قال قدمت لأمتار منها فملأ له عرابة رواحله برا وتمرا وأتحفه بغير ذلك فقال الشماخ

رأيت عرابة الاوسي يسمو • الى الخيرات منقطع القرين

اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين

اذا بلغتني وحملت رحلي • عرابة فاشرقي بدم الوتين

ومثل سراة قومك لم يجاروا • الى ربع الرهان ولا الثمين

العادة وان لم تفعل ذلك لحسن العادة فأنت ما أنت أهله واعلم اني واياك متى تحاكمنا الى كرمك قضي لي عليك ومتى ارتفعنا الى عدلك حسن العفو عني عندك وفصل ما بيننا وبينك وفرق ما بين اقدارنا وقدرك انا نسيء وتغفر ونذنب وتستر ونعوج وتقوم ونجهل وتعلم وان عليك الانعام وعلينا الشكر ومن صفاتك ان تفعل ومن صفاتنا ان نصف واذا فعلت ما تقدر عليه من العقاب كنت كمن فعل ما يقدر عليه من التعرض وصرت ترغب عن الشكر كما رغبنا عن السلم وصار التعرض لعفوك بالامن باطلا والتعرض لعقابك بالخوف حقا ورغبت عن النبل والبهاء عن السودد والسنا وصرت كمن يشفي غيظا أو يداري حقدا ويظهر القدرة أو يحب ان يذكر بالصولة ولم

قوله تلقاها عرابة باليمين قال أصحاب المعانى معناه بالقوة وقالوا مثل ذلك فى قول الله عز وجل والسموات مطويات بيمينه وقد أحسن كل الاحسان فى قوله

اذا بلغتنى وحملت رحلى • عرابة فاشرقى بدم الوتين

يقول لست احتاج الى أن أرحل الى غيره وقد عاب بعض الرواة قوله فاشرقى بدم الوتين وقال كان ينبغى أن ينظر لها مع استغنائه عنها فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصارية المأسورة بمكة وقد نجت على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله انى نذرت ان نجوت عليها ان أنحرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبئس ما جزيتها وقال لا نذر فى معصية ولا نذر للانسان فى غير ملكه ومما يعب فى هذا المعنى قول عبد الله بن رواحة الانصارى لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زيد وجعفر على جيش مؤتة

اذا بلغتنى وحملت رحلى • مسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك فانعمى وخلاك ذم • ولا أرجع الى أهلى ورائى

الحساء جمع حسى وهو موضع رمل تحته صلابة فاذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة أن يغيض ومنع الرمل السمائم أن تنشفه فاذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء يقال حسى وأحساء وحساء ممدودة وقوله ولا أرجع الى أهلى ورائى مجزوم لانه دعاء وقوله لا هى الجازمة له ومعناه اللهم لا أرجع كما تقول زيد لا يغفر الله له فهذا الدعاء يجزم بما يجزم به الامر والنهى كما تقول زيد ليقم وزيد لا يبرح وقد اتبع ذو الرمة الشماخ فى قوله

اذا ابن أبى موسى بلالا بلغته • فقام بفأس بين وصليك جازر

الوصل المفصل بما عليه من اللحم يقال قطع الله أوصاله ويقال وصل وكسر وجدل فى معنى واحد

(باب)

قال أبو العباس أنشدنى التوزى لرجل من رجاز بنى تميم فى وقعة الجفرة

نحن ضربنا الازد بالعراق • والحى من ربيعة المراق

وابن سهيل قائد النفاق • بلا معونات ولا أرزاق

نحمدهم أبقاك الله يحمدون القدرة الا عند استعمالها فى الخير ويذمون العجز الا لما يفوت به من اتيان الجميل وانى لك بالعقاب وأنت خير كلك ومن أين اعترالك المنع وأنت انهجت الجود لاهله وهل عندك الامانى طبعك وكيف لك بخلاف عادتك فلم تستكره نفسك على المكافأة وطباعها الصفح ولم تكدها بالمنافسة ومذهبها السماحة سبحان من جعل أخلاقك وفق اعراقك وفعلك وفق عملك ومن جعل ظنك أكثر من يقيننا وفراستك أقوى من عياننا وعفوك أرجح من جهدنا وبداهتك أجود من تفكرنا وفعلك ارفع من وصفنا وغيبتك أهيب من حضور الشاكة وعيبك أشد من عقاب الظلمة وسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد وتتجافى عن عذاب المصر وتتغافل

الّا بقايا كَرَمِ الأعراق ٭ لِشدّة الخشية والإشفاق

٭ من المخازي والحديث الباقي ٭

الأعراقُ جمع عِرْقٍ يقال فلان كريم العِرْقِ ولئيم العِرْقِ أي الأصلِ وقال آخر يصفُ ابنه

أعرفُ منه قِلّةَ النُعاسِ ٭ وخفّةً في رأسه من راسي ٭ كيف ترين عنده مراسي

يخاطب أُمَّ ابنه فقوله أعرف منه قلة النعاس أي الذكاء والحركة وكان عبد الملِك بن مروان يقول لمؤدب ولده علّمهم العوم وهذّبهم بقلة النوم وكذا قال أبو كبير الهُذَلي

فأتت به حُوشَ الجنانِ مبطّنا ٭ سُهُدًا اذا ما نام لَيلُ الهَوجَلِ

وقال الآخر فجاءت به حُوشَ الفؤاد مسهّدا ٭ وأفضلُ أولاد الرِّجالِ المسهَّدُ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّ عينيّ تنامان ولا ينام قلبي وقال عروة بن الوردِ العبسي وهو عُروةُ الصَّعاليك

لحا الله صعلوكا اذا جنّ ليله ٭ مُصافي المُشاشِ آلفا كلَّ مجزرِ

(يعدّ الغنى من نفسه كلَّ ليلة ٭ أصاب قِراها من صديق ميسّرِ)

ينام ثقيلا ثم يصبح قاعدا ٭ يحتُّ الحصى عن جنبه المتعفّرِ

يُعينُ نساءَ الحيّ ما يستعنَّه ٭ فيُضحي طليحا كالبعير المحسَّرِ

ولكنّ صعلوكا صفيحةُ وجهه ٭ كضوء سراجِ القابس المتنوّرِ

مُطِلّا على أعدائه يزجرونه ٭ بساحتهم زجرَ المنيح المشهَّرِ

وان بعدوا لا يأمنون اقترابه ٭ تشوّفَ أهلِ الغائب المتنظَّرِ

فذلك ان يلقَ المنيّة يلقها ٭ حميدا وان يستغنِ يوما فاجدرِ

(أيُهْجَعُ عليّ الليلَ أضيافُ ماجدٍ ٭ كريم ومالي سارحا مالُ مُقترِ)

قال أبو الحسن كذا أنشده فذلك لانه لم يروِ أوّلَ الشعر والصواب كسر الكاف لانه يخاطب امرأةً الا تراه قال أقِلّي عليّ اللومَ يا ابنةَ مالكٍ ٭ ونامي وان لم تشتهي ذاك فاسهري)

قوله ٭ يحتّ الحصى عن جنبه المتعفر ٭ يريد المُتترّب والعَفَرُ والعَفْرُ اسمان للتراب من ذلك قولهم عفّر الله خدّه ويقال للظبية عفراءُ اذا كانت يضرب بياضُها الى حُمرة وكذلك الكثيبُ

عن المنادي وتصفح عن المتهاون حتى اذا صرت الى من ذنبه شبات وتوبته اخلاص وهفوته بكر وشفعته الحرمة ومن لا يعرف الشكر الالك ولا الانعام الا منك ولا العلم الا من تأديبك ولا الاخلاق الا من تقويمك ولا يقصر في بعض طاعتك الالما رأى من احتمالك ولا نسي بعض ما يجب لك الالما دخله من تعظيمك صرت تتعود بالصد وهو دليل كل بلية وتستعمل الاعراض وهو قائد كل هلكة وقد علمت ان عتابك أشد من الصريمة وان تأنيبك أغلظ من العقوبة وان منعك اذا منعت في وزن اعطائك اذا اعطيت وان عقابك على حسب نوابك وان جزعي من حرمانك في وزن سروري بفوائدك وان شين غضبك كذم رضاك وان موت ذكري بانقطاع سببي منك كحياة ذكري

الأعفر وقوله كالبعير الحسير هو المُعْيِي يقال جَمَلٌ حَسِيرٌ وناقة حسير قال الله عز وجل ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وقوله • وان بعدوا الا يأمنون اقترابه • على التقديم والتأخير أراد لا يأمنون اقترابه وان بعدوا وهذا حسن فى الاعراب اذا كان الفعل الاول فى المجازاة ماضيا كما قال زهير

وان أتاه خليل يوم مسئلة • يقول لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ

فان كان الفعل الاول مجزوما لم يجز رفع الثانى الا ضرورة فسيبويه يذهب الى انه على التقديم والتأخير وهو عندى على ارادة الفاء لعلة تلزمه فى مذهبه نذكرها فى باب المجازاة اذا جرى فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله

يا أقرع بن حابس يا أقرعُ • انك ان يُصرع أخوك تُصرعُ

أراد سيبويه انك تُصرعُ ان يُصرعْ أخوك وهو عندى على قوله ان يُصرعْ أخوك فأنت تُصرعُ بافتى ونستقصى هذا فى بابه ان شاء الله تعالى وقوله • كيف ترين عنده مرامى • يقول للمرأة عززتك على شبهه ويقال أنجب الاولاد ولد الفارك وذلك لانها تُبغض زوجها فيسبقها ماؤه فيخرج الشبه اليه فيخرج الولد مذكّرا وكان بعض الحكماء يقول اذا أردت ان تطلب ولد المرأة فأغضبها ثم قع عليها فانك تسبقها بالماء وكذلك ولد الفزعة كما قال أبو كبير الهذلى

ممن حملن به وهن عواقد • حبك النطاق فشب غير مهبّل

(المهبل الكثير اللحم ومهبل غير مدعوٍّ عليه بالهَبَل)

حملت به فى ليلة مزؤودة • كرها وعقد نطاقها لم يحلل

مزؤودة ذات زُؤد وهو الفزع فمن نصب مزؤودة فانما أراد المرأة ومن خفض فانه أراد الليلة وجعل الليلة ذات فزع لانه يفزع فيها قال الله عز وجل بل مكر الليل والنهار والمعنى بل مكركم فى الليل والنهار وقال جرير لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى • ونمت وما ليل المطى بنائم وقال آخر • فنام ليلى وتجلى همى • وهذا الرجز خلاف ما قال الآخر فى ولده فانه أقر بان امرأته غلبته على شبهه وذلك قوله

والله ما أشبهنى عصامُ • لا خُلُقٌ منه ولا قوامُ • نمتُ وعرقُ الخال لا ينامُ

يقول عزتنى أمه على الشبه فذهبت به الى أخواله وقال آخر

مع اتصال سببى بك ومالى اليوم عمل انا اليه اسكن ولا شفيع أنا به أوثق من شدة جزعى من عتبك وافراط هلعى من خوفك ولست ممن اذا جاد بالصفح ومن بالعفو لم يكن لصاحبه منه الا السلامة والنجاة من الهلكة بل تشفع ذلك بالمراتب الرفيعة والعطايا الجزيلة والعز فى العشيرة والهيبة فى الخاصة والعامة مع طيب الذكر وشرف العقب ومحبة الناس واما ذكرى القد والخرط والطول والعرض وما بيننا وبينك فى ذلك من التنازع والتشاجر والتنافر فان الكلام قد يكون فى لفظ الجد وهو مزاح ولو استعمل الناس الدمانة فى كل حال والجد فى كل مقال وتركوا التسمح والتسهيل وعقدوا فى كل دقيق وجليل لكان الشر صراحا خيرا لهم والباطل

لقد بعثت صاحبا من العجم • بين ذوى الأحلام والبيض القمم • كان أبوه غائبا حتى فطم

بقول لم يسق غيلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هممت أن أنهى أمتى عن الغيلة حتى علمت

ان فارس والروم تفعل ذلك باولادها فلا تضيرأولادها والغيلة ان ترضع المرأة وهى حامل أو ترضع

وهى تغشى ويزعم أهل الطب من العرب والعجم ان ذلك اللبن داء وقالت أم تأبط شرا والله

ماحملته تضعا ولا وضعا ولا أرضعته غيلا ولا أبته مئقا وقال الاصمعى ولا أبته

على مأقة وقولها ماحملته تضعا يقال اذا حملت المرأة عند مقبل الحيض حملته وضعا وتضعا واذا

خرجت رجلا المولود من قبل رأسه قيل وضعته يتنا قال الشاعر

فجاءت به يتنا يجر مشيمة • تسابق رجلاه هناك الاناملا

ويقال للرجل اذا قلب الشئ عن جهته جاء به يتنا قال عيسى بن عمر سألت ذا الرمة عن مسئلة

فقال لى أتعرف اليتن قلت نعم قال فسئلتك هذه يتن قال وكنت قد قلبت الكلام والعيل مافسرناه

واما قولها ولا أبته مئقا تقول لم أبته مغيظا وذلك ان الخرقاء تبيت ولدها جائعا مغموما لحاجته

الى الرضاع ثم تحركه فى مهده حتى يغلبه الدوار فينومه والكيسة تشبعه وتغنيه فى مهده فيسرى

ذلك الفرح فى بدنه من الشبع كما يسرى ذلك الغم والجوع فى بدن الآخر ومن أمثال العرب أنا تئق

وصاحبى مئق فكيف نتفق التئق الممتلئ غيظا او غضبا والمئق القليل الاحتمال فلا يقع الاتفاق

﴿باب﴾

قال أبو العباس قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يزهدنك فى المعروف كفر من كفره فانه يشكرك

عليه من لم تصطنعه اليه وأنشد عبد الله بن جعفر قول الشاعر

ان الصنيعة لا تكون صنيعة • حتى تصيب بها طريق المصنع

فقال هذا رجل يريد أن يبخل الناس أمطر المعروف مطرا فان صادف موضعا فهو الذى قصدت

له والا كنت أحق به (قال أبو الحسن الاخفش حدثنا المبرد فى غير الكامل قال قال الحسن والحسين

رضوان الله عليهما لعبد الله بن جعفر انك قد أسرفت فى بذل المال قال بأبى أنتما وأمى ان الله

عودنى أن يفضل على وعودته أن أفضل على عباده فأخاف أن أقطع المادة فيقطع عنى) ومن

محضا أرد عليهم ولكن لكل شئ قدر ولكل حال شكل فالضحك فى موضعه كالبكا فى موضعه والتبسم فى موضعه كالقطوب فى موضعه وكذلك المنع والبذل والعقاب والعفو وجميع القبض والبسط فان ذممنا المزاح ففيه لعمرى مايذم وان حمدناه ففيه مايحمد وفصل مابينه وبين الجد أن الخطأ الى المزاح أسرع وحاله بحال السخف أشبه فاما أن يذم حتى يكون كالظلم ويبقى حتى يصير كالغدر فلا لان المزاح مما يكون مرة حسنا ومرة قبيحا فاذا صرنا الى الجد رغبنا الى الهزل وتركنا المزاح وجلسنا للحكم فقد أغناك الله تعالى عن الجنة كما سلمك من الشبهة ولم نكلفك الاحتجاج كما نرغب بك عن الاعتلال فاصبحت لا محتجا ولا محجوجا ولا عقلا ولا

يزيد بن المهلب باعرابية فى خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة فقرته عنزا فقبلها وقال لابنه معاوية ما معك من النفقة فقال ثمانى مائة دينار قال فادفعها اليها قال له ابنه انك تريد الرجال ولا يكون الرجال الا بالمال وهذه يرضيها اليسير وهى بعد لا تعرفك فقال له ان كانت ترضى باليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فانا أعرف نفسى ادفعها اليها وزعم الاصمعى ان حربا كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الامر فيها ثم مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا فى المسجد الجامع قال فبعثت وأنا غلام الى ضرار بن القعقاع من بنى دارم فاستأذنت عليه فاذن لى فدخلت فاذا به فى شملة يخلط بزرا لعنزله حلوب فخبرته بمجتمع القوم فامهل حتى أكلت العنز ثم غسل الصحفة وصاح يا جارية غدينا قال فاتته بزيت وتمر قال فدعانى فقذرته أن آكل معه حتى اذا قضى من أكله حاجة وثب الى طين ملقى فى الدار فغسل به يده ثم صاح يا جارية اسقينى ماء فاتته بماء فشربه ومسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى نؤدى شكر هذه النعم ثم قال يا جارية على بردائى فاتته برداء عدنى فارتدى به على تلك الشملة قال الاصمعى فتجافيت عنه استقباحا لزيه فلما دخل المسجد صلى ركعتين ثم مشى الى القوم فلم تبق حبوة الا حلت اعظاما له ثم جلس فتحمل جميع ما كان بين الاحياء فى ماله وانصرف وحدثنى أبو عثمان بكر بن محمد المازنى عن أبى عبيدة قال لما أتى زياد بن عمرو المربد فى عقب قتل مسعود بن عمرو العتكى جعل فى الميمنة بكر بن وائل وفى الميسرة عبد القيس وهم لكيز بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة وكان زياد بن عمرو العتكى فى القلب فبلغ ذلك الاحنف فقال هذا غلام حدث شأنه الشهرة وليس يبالى أين قذف بنفسه فندب أصحابه فجاء حارثة بن بدر الغدانى وقد اجتمعت بنو تميم فلما اطلع قال قوموا الى سيدكم ثم أجلسه فناظره فجعلوا سعدا والرباب فى القلب ورئيسهم عبس بن طلق الطعان المعروف باخى كهمس وهو أحد بنى صريم بن يربوع فجعل فى القلب بحذاء الازد وجعل حارثة بن بدر فى بنى حنظلة بحذاء بكر بن وائل وجعلت عمرو بن تميم بحذاء القيس فذلك حيث يقول حارثة بن بدر للاحنف

سيكفيك عبس أخو كهمس • مقارعة الازد بالمربد

وتكفيك عمرو على رسلها • لكيز بن أفصى وما عددوا

موسوما ولا ملوما ولا معذورا ولا فيك اختلاف ولا بك حاجة الى الائتلاف وليس مع العيان وحشة ولا مع الضرورة وجهة ولا دون اليقين وقفة وهل فيك ريب حتى تعالج بالحجة وهل يردفضلك جاحد حتى تثبت بالصبغة وهل لك خصم فى العلم أو يد فى الفهم أو مجاز فى الحلم أو ضد فى العزم وهل يبلغك الحسد أو تضرك العين أو تسمو اليك المنى أو يطمع فيك طاغ أو يتعاطى شأوك باغ وهل غاية الجميل الا وصفك وهل زين البليغ الا مدحك وهل يامل الشريف الا اصطناعك وهل يفيد الملهوف الا غياثك وهل للطلاب غاية سواك وهل للغوانى مثل غيرك وهل للمادح رجز الا فيك وهل يحدو الحادى الا بك ولولا أن يأخذ الواصف لك بنصيبه منك وحصته

ونكفيك بكرا اذا أقبلت • بضرب يشيب له الأمرد

فلما توافقوا بعث اليهم الأحنف يا معشر الأزد وربيعة من أهل البصرة أنتم والله أحب الينا من تميم الكوفة وأنتم جيراننا في الدار ويدنا على العدو وأنتم بدأتمونا بالأمس ووطئتم حريمنا وحرقتم علينا فدفعنا عن أنفسنا ولا حاجة لنا في الشر ما أصبنا في الخير مسلكا فتيمموا بنا طريقة قاصدة فوجه اليه زياد بن عمرو تخير خلة من ثلاث ان شئت فانزل أنت وقومك على حكمنا وان شئت فخل لنا عن البصرة وارحل أنت وقومك الى حيث شئتم والا فدوا قتلانا واهدروا دماءكم وليود مسعود دية المشعرة قال أبو العباس وتأويل قوله دية المشعرة يريد أمر الملوك في الجاهلية وكان الرجل اذا قتل وهو من أهل بيت المملكة ودي عشر ديات فبعث اليه الأحنف سنختار فانصرفوا في يومكم فهز القوم راياتهم وانصرفوا فلما كان الغد بعث اليهم انكم خيرتمونا خلالا ليس فيها خيار أما النزول على حكمكم فكيف يكون والكلم يقطر دما وأما ترك ديارنا فهو أخو القتل قال الله عز وجل ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل ولكن الثالثة انما هي حمل على المال فنحن نبطل دماءنا وندي قتلاكم وانما مسعود رجل من المسلمين وقد أذهب الله أمر الجاهلية فاجتمع القوم على أن يقفوا أمر مسعود ويغمدوا السيف ويودى سائر القتلى من الأزد وربيعة فتضمن ذلك الأحنف ودفع اياس بن قتادة المجاشعي رهينة حتى يؤدي هذا المال فرضي به القوم ففخر بذلك الفرزدق فقال

ومنا الذي أعطى يديه رهينة • لغاري معد يوم ضرب الجماجم
عشية سال المربدان كلاهما • عجاجة موت بالسيوف الصوارم
هنالك لو تبغي كليبا وجدتها • أذل من القردان تحت المناسم

(قال أبو الحسن وكان أبو العباس ربما رواه لغازي معد) ويقال ان تميما في ذلك الوقت مع باديتها وحلفائها من الأساورة والزط والسيابجة وغيرهم كانوا زهاء سبعين ألفا ففي ذلك يقول جرير

سائل ذوي يمن ورهط محرق • والأزد اذ ندبوا لنا مسعودا
فأتاهم سبعون ألف مدجج • متسربلين يلامقا وحديدا

قال الأحنف بن قيس فكثرت علي الديات فلم أجدها في حاضرة تميم فخرجت نحو يبرين فسألت عن

المقصود

من الصدق وشيمته من الشكر لكان الاطناب عندهم في وصفك لغوا ولكان تكلفه فضلا ومن هذا الذي نصفه ان يكون دونك أو يجي بالتسليم أو نعد اقراره احسانا وخضوعه انصافا وهل تقع الابصار الا عليك وهل تصرف الاشارة الا اليك وأي أمرك ليس بغاية وأي شيء منك ليس في النهاية وهل فيك شيء يفوق شيأ أو يفوقه شيء أو يقال لو لم يكن كذا لكان أو لو كان كذا لكان أتم وأين الحسن الخالص والجمال الفائق والملح المحض والحلاوة التي لا تستحيل والتمام الذي لا يحل الا فيك أو عندك أولك أو معك لا بل أين الحسن المصمت والجمال المفرد والقد العجيب والملح المنثور والفضل المشهور الا لك وفيك وهل على ظهرها جميل حسيب

المقصود هناك فارشدت الى قبة فاذا شيخ جالس بفنائها مؤتزر بشملة محتب بحبل فسلمت عليه وانتسبت له فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت توفي صلوات الله عليه قال فما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها فقلت له مات رحمه الله تعالى قال فاي خير في حاضرتكم بعدهما قال فذكرت له الديات التي لزمتنا للازد وربيعة قال فقال لي اقم فاذا راع قد أراح ألف بعير فقال خذها ثم أراح عليه آخر مثلها فقال خذها فقلت لا أحتاج اليها قال فانصرفت بالالف عنه ووالله ما أدري من هو الى الساعة قوله المناسم واحدها منسم وهو ظفر البعير في مقدم الخف وهو من البعير كالسنبك من الفرس وقوله عشية سال المربدان كلاهما يريد المربد وما يليه مما يجري مجراه والعرب تفعل هذا في الشيئين اذا جريا في باب مجرى واحد قال الفرزدق

أخذنا بآفاق السماء عليكم * لنا قمراها والنجوم الطوالع

يريد الشمس والقمر لانهما قد اجتمعا في قولك النيران وغلب الاسم المذكر وانما يؤثر في مثل هذا الخفة وقالوا العمران لابي بكر وعمر فان قال قائل انما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز فلم يصب لان أهل الجمل نادوا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أعطنا سنة العمرين فان قال قائل فلم لم يقولوا أبوي بكر وأبو بكر أفضلهما فلان عمر اسم مفرد وانما طلبوا الخفة وأنشدني التوزي عن أبي عبيدة لجرير

وما لتغلب ان عدوا مساعيهم * نجم يضيء ولا شمس ولا قمر
ما كان يرضى رسول الله فعلهم * والعمران أبو بكر ولا عمر

هكذا أنشدنيه (انما قال هكذا أنشدنيه لان غير التوزي يرويه والطيبان أبو بكر ولا عمر) وقال آخر (هو حميد الارقط) * قدني من نصر الخبيبين قدي * يريد عبد الله ومصعبا ابني الزبير وانما أبو خبيب عبد الله وقرأ بعض القراء سلام على الياسين فجمعهم على لفظ الياس ومن ذا قول العرب المسامعة والمهالبة والمناذرة فجمعهم على اسم الاب والمشعرة اسم لقتلى الملوك خاصة كانوا يكبرون أن يقولوا قتل فلان فيقولون أشعر فلان من اشعار البدن ويروى أن رجلا قال حضرت الموقف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصاح به صائح يا خليفة رسول الله ثم قال يا أمير المؤمنين فقال رجل من خلفي دعاه باسم ميت مات والله أمير المؤمنين فالتفت فاذا رجل من بني لهب وهم من بني نصر بن الازد وهم أزجر قوم قال كثير

وعالم أديب الا وظلك أكبر من شخصه وظنك أكثر من علمه واسمك أفضل من معناه وحلمك أثبت من نجواه ولربما رأيت الرجل حسنا جميلا وحلوا مليحا وعتيقا رشيقا وفخيما نبيلا ثم لا يكون موزون الاعضاء ولا معتدل الاجزاء وقد تكون أيضا الاقدار متساوية غير متقاربة ويكون قصدا ومقدارا عدلا وان كانت هناك دقائق خفية لا يراها الغبي ولطائف غامضة لا يعرفها الا الذكي فاما الوزن المحقق والتعديل الصحيح والتركيب الذي لا يفضحه التفرس ولا يحصره التعيب ولا يتعلل جاذبه ولا تطمعه في التمويه غايته فهو الذي خصصت به دون الانام ودام لك على الايام وكذا الحسن اذا كان حوامر سلا وعتيقا مطلقا لا يحكم عليه

سألتُ أخا لهْبٍ ليزجرَ زجرةً • وقد صار زجرُ العالمين الى لهْبِ

قال فلما وقفنا نرمي الجمار اذا حصاةٌ قد صكّت صلعة عمر فادمته فقال قائل أشعر والله أمير المؤمنين لا يقف هذا الموقف أبداً فالتفتُّ فاذا بذلك اللهبي بعينه فقُتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الحَوْلِ

﴿باب﴾

قال أبو العباس أنشدني رجل من أصحابنا من بني سعد قال أنشدني اعرابي في قصيدة ذي الرُّمة

ألا يا اسلمي يا دارَ ميَّ على البِلَى • ولا زالَ منهلّاً بجرعائكِ القَطْرُ

بيتين لم تأت بهما الرُّواة وهما

رأيتُ غراباً ساقطاً فوقَ قَضْبَةٍ • من القَضْبِ لم ينبُتْ لها وَرَقٌ نضرُ

فقلتُ غرابٌ لاغترابٍ وقَضْبةٌ • لقضْبِ النّوى هذي العيافةُ والزَّجْرُ

وقال آخر (قال أبو الحسن هو جَحْدَرٌ العُكْليُّ وكان لصّاً)

وقدماً هاجني فازددتُ شوقاً • بكاءُ حمامتَيْنِ تجاوبانِ

(وقدما عن أبي الحسن) تجاوبتا بلحنٍ أعجميٍّ • على عُودَيْنِ من غَرَبٍ وبانِ

فكانَ البانُ أن بانَتْ سُليمى • وفي الغَرَبِ اغترابٌ غيرُ دانِ

وأنشدني أبو مُحلِّم لرجل من ولد طلبة بن قيس بن عاصم

وكنتُ اذا خاصمتُ خصماً كببتُهُ • على الوجهِ حتى خاصمتني الدَّراهمُ

فلمّا تنازعنا الخصومةَ غُلِبْتُ • عليَّ وقالوا قُمْ فانّكَ ظالمُ

وقرأت على أبي الفضل العباس بن الفرج الرياشيّ عن أبي زيد الانصاري

ولقد بغيتُ المالَ من مَبْغاتِهِ • والمالُ وجهٌ للفتى معروضُ

طلبَ الغنى عن صاحبٍ ليُجتَفَى • انَّ الفقيرَ الى الغنيِّ بغيضُ

وقال آخر أنشدنيه التَّوَّزيُّ عن أبي زيد

وصاحبٍ نبّهتُهُ لينهضا • اذا الكرى في عينِهِ تمضمضا

فقامَ عجلانَ وما تأرّضا • يمسحُ بالكفّينِ وجهاً أبيضا

الذهن ولا يدبله الزمان ولا يحتاج الى تعليق التمائم ولا الى الصون والكن ولا الى المنقاش والكحل ولو لم يكن لحسن وجهك الا انه قد سهل في العيون تسهيلا وحبب الى القلوب تحبيبا وقرب الى النفوس تقريبا حتى امتزج بالارواح وخالط الدماء وجرى في العروق وتمشى في العظم بحيث لا يبلغه السمر ولا الوهم ولا السرور الشديد ولا الشراب الرقيق لكان له في ذلك المزية الظاهرة والفضيلة البينة ولو لم يكن لك الا اننا لا نستطيع ان نقول في الجملة وعند الوصف والمدحة هو احسن من القمر واضوأ من الشمس وأبهى من الغيث وأحسن من يوم الحلبة وانا لا نستطيع ان نقول في التفاريق كان عنقه ابريق فضة وكان قدمه لسان حية وكان وجهه ماوية

قوله وماتأرضا أى لم يلزم الارض وأنشدنى التوزىّ عن أبى زيد الانصارى (قال أبو الحسن هو شبيب ابن البرصاء)

لقد علمت أمُّ الصبيين أنّنى • الى الضيف قوّام السنات خروجُ

اذا المرغث العوجاء بات يعزّها • على ضرعها ذو تومتين لهوجُ

وانى لأغلى اللحم نيّا وانّنى • لممن يهين اللحم وهو نضيجُ

قوله قوّام السنات يريد سريع الانتباه والسِّنة شدة النعاس وليس بالنوم بعينه قال الله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم وقال ابن الرقاع العاملى

لولا الحياء وانّ رأسى قد عسا • فيه المشيب لزرت أمّ القاسم

وكأنها بين النساء أعارها • عينيه أحور من جآذر عاسم

وسنان أقصده النعاس فرنّقت • فى عينه سنة وليس بنائم

معنى رنّقت تهيأت يقال رنّق النسر اذا مدّ جناحيه ليطير قال ذو الرمة

(اذا ضربته الريح رنّق فوقنا) • على حدّ قوسينا كما رنّق النسر

وقوله المرغث يعنى التى ترضع ترغث ولدها ويقال لها رغوث قال طرفة

ليت لنا مكان الملك عمرو • رغوثا حول قبتنا تخور

وقوله يعزّها أى يغلبها وقال الله عز وجل وعزّنى فى الخطاب يقول غلبنى فى المخاطبة وأصله من قوله كان أعزّ منّى فيها ومن أمثال العرب من عزّ بزّ وتأويله من غلب استلب وقال زهير

وعزّته يداه وكاهله • يقول كان ذلك أعزّ ما فيه ويقال لهج الفصيل فهو لهوج اذا لزم الضرع ويقال رجل ملهج اذا لهجت فصاله فيتخذ خلالا فيشدّه على الضرع أو على أنف الفصيل فاذا جاء ليرضع أوجعها بالخلال فضربته عنها برجلها قال الشماخ يصف الحمار

رعى بارض الوسمى حتى كأنما • يرى بسفا البهمى أخلّة ملهج

البارض أوّل ما يبدو من النبت والبهمى يشبه السنبل يقول فهو لما اعتاد هذا المرعى الّذى استخشن البهمى وسفاها شوكها فيقول كأنه مخلول عن البهمى أى يراها كالأخلة وقوله ذو تومتين فالتومة فى الأصل الحبة ولكنها فى هذا الموضع التى تعلّق فى الاذن (وقوله الحبة انما معناه من حبّات النظم) وكالبيت الاخير قوله

وكان بطنه قبطية وكان ساقه بردية وكان لسانه ورقه وكان أنفه حد سيف وكان حاجبه خط قلم وكان لونه الذهب وكان عوارضه البرد وكان فاه خاتم وكان جبينه هلال وهو أطهر من الماء وأرق طباعا من الهواء وهو أمضى من السيل وأهدى من النجم لكان فى ذلك البرهان النير والدليل البين وكيف لا تكون كذلك وأنت الغاية فى كل فضل والمثل فى كل شكل واما قول الشاعر

يزيدك وجهه حسنا
اذا ما زدته نظرا

وقول الدمشقيين ما تأملنا قط تأليف مسجدنا وتركيب محرابنا وقبة مصلانا الا أثار لنا التأمل واستخرج لنا التفرس بين غرائب حسن لم نعرفها وعجائب صنعة لم نقف عليها وما ندرى أجواهر مقطعاته أكرم فى الجواهر أم تنضيد

وانى لأغلى لحمها وهى حيّة • ويرخص عندى لحمها حين تذبح

بذا فانذبينى وامدحينى فاننى • فتى تعتريه هزة حين يمدح

﴿باب﴾

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أىّ الجهاد أفضل فقال جهادك هواك وقال رجل من الحكماء اعص النساء وهواك واصنع ماشئت وقال محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم مالك من عيشك الا لذة تزدلف بك الى حمامك وتقربك من يومك فأية أكلة ليس معها غصص أو شربة ليس معها شرق فتأمل أمرك فكأنك قد صرت الحبيب المفقود والخيال المخترم أهل الدنيا أهل سفر لا يحلون عقد رحالهم الا فى غيرها قوله تزدلف بك الى حمامك يقول تقربك ولذلك سميت المزدلفة وقوله عز وجل وزلفا من الليل انما هى ساعات يقرب بعضها من بعض قال العجاج

ناج طواه الأين مما وجفا • طىّ الليالى زلفا فزلفا • سماوة الهلال حتى احقوقفا

ناج سريع والأين الاعياء والوجيف ضرب من السير ونصب طىّ الليالى لانه مصدر من قوله طواه الأين وليس بهذا الفعل ولكن تقديره طواه الأين طيّا مثل طىّ الليالى كما تقول زيد يشرب شرب الابل انما التقدير يشرب شربا مثل شرب الابل فمثل نعت ولكن اذا حذفت المضاف استغنى بان الظاهر يبينه وقام ما أضيف اليه مقامه فى الاعراب من ذلك قول الله تبارك وتعالى واسئل القرية نصب لانه كان واسئل أهل القرية وتقول بنو فلان يطؤهم الطريق تريد أهل الطريق فحذفت أهل فرفعت الطريق لانه فى موضع مرفوع فعلى هذا فقس ان شاء الله وقوله سماوة الهلال انما هو أعلاه ونصب سماوة بطى يريد طواه الأين كما طوت الليالى سماوة الهلال والشاهد على انه يريد أعلاه قول طفيل

سماوته اسمال برد محبر • وسائره من أتحمى مشرعب

ويروى معصب وانما سماوته من قولك سماء فاعلم فاذا وقع الاعراب على الهاء أظهرت ما تبنيه على التأنيث على أصله فان كان من الياء أظهرت الياء وان كان من الواو أظهرت فيه الواو وتقول

أجزائه فى تنضيد الأجزاء فان ذلك معنى مسروق منى فى وصفك ومأخوذ من كتبى فى مدحك والجملة التى تنفى الجدال وتقطع القيل والقال انى لم أرك قط الا ذكرت الجنة ولا رأيت أجمل الناس فى عقب رؤيتك الا ذكرت النار ولا تعجب أيها السامع واعلم انى مقصر واذا رأيته علمت انى فيما يجب له مفرط هو رجل طينته حرة وعرقه كريم ومغرسه طيب ومنشؤه محمود غذى فى النعمة وعاش فى الغبطة وأرهفه التأديب ولطفه طول التفكير وخامره الأدب وجرى فيه ماء الحياء فأفعاله كأخلاقه وأخلاقه كأعراقه وعادته كطبيعته وآخره كأوله فعلى اختياره التوفيق ومذاهبه التسديد لا يعرف التكلف ويرغب عن التجرد ويتبذل عن

شقاوة لانها من الشقوة وتقول هذه امرأة سقّاية اذا أردت البناء على غير تذكير فان بنيته على التذكير قلبت الياء والواو همزتين لان الاعراب عليهما يقع فقلت سقّاء وغزّاء يافتى فان أنثت قلت سقّاءة وغزّاءة والاجود فيما كان له تذكير الهمز وفيما لم يكن له تذكير الاظهار وانما السماء من الواو لان الاصل سماء يسمو اذا ارتفع وسماء كل شيء سقفه وقوله حتى احقوقف ابداعوج وانما هو افعوعل من الحقف والحقف النقا من الرمل يعوج ويدق قال الله عز وجل اذ أنذر قومه بالأحقاف أي بموضع هو هكذا وقال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في خطبة يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا فقال ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صحّ فيها أمن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن وقال الربيع بن زياد الحارثي كنت عاملا لأبي موسى الأشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وأن يستخلفوا جميعا قال فلما قدمنا أتيت يرفأ فقلت يا يرفأ مسترشد وابن سبيل أي الهيآت أحب الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأومأ الى بالخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت عمامتي على رأسي فدخلنا على عمر فصفّنا بين يديه فصعّد فينا وصوّب فلم تأخذ عينه أحدا غيري فدعاني فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثي قال وما تتولّى من أعمالنا قلت البحرين قال كم ترزق قلت ألفا قال كثير فما تصنع به قلت أتقوّت منه شيئا وأعود به على أقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا بأس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصف فصعّد فينا وصوّب فلم تقع عينه الا علىّ فدعاني فقال كم سنّك قلت خمس وأربعون سنة قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابي حديث عهدهم بلين العيش وقد تجوّعت له فأتي بخبز وأكسار بعير فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد فجعلت أنظر اليه يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنّيت اني سخت في الأرض فقلت يا أمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى ألين من هذا فزجرني ثم قال كيف قلت فقلت أقول يا أمير المؤمنين أن تنظر الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل ارادتك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز لينا واللحم غريضا فسكن من غربه وقال أههنا غرت قلت نعم فقال يا ربيع انا لو نشاء ملأنا هذه الرحاب من صلائق

الانصاف لا تمتنع عليه معرفة المبهم ولا ينجع باستبانته المشكل ولا يعرف الشك الا في غيره ولا الى الاسماع فمن يطمع في عينك بل من يطمع في قدرك وكيف وقد أصبحت وما على ظهرها جواد الا تعثر باسمك ولا قينة الا وهي تبغي تمدحك ولا فتاة الا تشكو تباريح حبك ولا محجوبة الا وهي تثقب الخروق لمرك ولا عجوز الا وهي تدعو لك ولا غيور الا وقد شقي بك فكم من كبد حرى منضجة ومصدوعة ومعذبة وكم حشا خافق وقلب هائم وكم عين ساهرة وأخرى جامدة وأخرى باكية وكم عبرى مولهة وفتاة معذبة قد أقرح قلبها الحزن وأجمد عينها الكمد واستبدلت بالحلى العطلة وبالانس الوحشة وبالتكحيل المرة فاصبحت

وسبائك وصناب ولكني رأيت الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ثم أمر أبا موسى باقراري وان يستبدل بأصحابي قوله فلمتها على رأسي يقول أدرت بعضها على بعض على غير استواء يقال رجل ألوث اذا كان شديدا وذلك من اللوث ورجل ألوث اذا كان أهوج وهو مأخوذ من اللوثة وحدثني عبد الصمد بن المعذل قال سئل الاصمعي عن المجنون المسمى قيس بن معاذ فثبته وقال لم يكن مجنونا ولكن كانت به لوثة كلوثة أبي حية الشاعر وقيل للاشعث بن قيس بن معديكرب الكندي بم كنتم تعرفون السودد في الصبي منكم قال اذا كان ملوث الازرة طويل الغرلة سائل الغرة كأن به لوثة فلسنا نشك في سودده وقوله تؤتى بالحم غريضا يقول طريا يقال لحم غريض وشواء غريض يراد به الطراء قال الغساني (هو السموءل) اذا ما فاتني لحم غريض ٭ ضربت ذراع بكري فاشتويت

وقوله صلائق فمعناه ما عمل بالنار طبخا وشيا يقال صلقت الجنب اذا شويته وصلقت اللحم اذا طبخته على وجهه وقوله سبائك يريد ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الحوارى وكانت العرب تسمي الرقاق السبائك وأصله ما ذكرنا والصناب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب ومن ذلك قيل للفرس صنابي اذا كان في ذلك اللون وكان جرير اشترى جارية من رجل يقال له زيد من أهل اليمامة ففركت جريرا وجعلت تحن الى زيد فقال جرير

تكلفني معيشة آل زيد ٭ ومن لي بالمرقق والصناب

وقالت لا تضم كضم زيد ٭ وما ضمي وليس معي شبابي

فقال الفرزدق يجيبه فان تفركك علجة آل زيد ٭ ويعوزك المرقق والصناب

فقدما كان عيش أبيك مرا ٭ يعيش بما تعيش به الكلاب

وأما قوله أكسار بعير فان الكسر والجدل والوصل العظم ينفصل بما عليه من اللحم وأما قوله نعى على قوم فمعناه انه عابهم بها ووبخهم قال أبو عبيدة اجتمع العكاظيون على ان فرسان العرب ثلاثة ففارس تميم عتيبة بن الحرث بن شهاب أحد بني ثعلبة بن يربوع بن حنظلة صياد الفوارس وسم الفرسان وفارس قيس عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وفارس ربيعة بسطام ابن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد أحد بني شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن

والهمة مبثوثة وهائمة مجهودة بعد طرف ناصح وسن ضاحك وبعد أن كانت نارا تتوقد وشعلة تتوهج ولبس حسنك أبقاك الله الحسن الذى تبقى معه نوبة أو تصح معه عقيدة أو يدوم معه عهد أو يثبت معه عزم أو يمهل صاحبه للتثبت أو يتسع للصبر أو ينهيه زجرا أو يفيده خوف هو أبقاك الله شئ ينقص العادة ويفسخ المنة ويجعل عن الروية ويطوح بالعرا وتنسى معه العواقب ولو أدركك عمر ابن الخطاب لصنع بك أحسن مما صنع بنصر بن حجاج ولركب بك باعظم مما ركب بجعدة السلمي بل لدعاه الشغل بك الى ترك التشاغل بهما والغيظ عليك الى الرحمة لهما فمن كان عيب حسنه الافراط عليه من جهة الزيادة كيف يرومه عاقل

والتابع قال ثم اختلفوا فيهم حتى نعوا عليهم سقطاتهم وأما قوله أههنا غرت يقول ذهبت يقال غار الرجل اذا أتى الغور وناحيته مما انخفض من الارض وأنجد اذا أتى نجدا وناحيته مما ارتفع في الارض ولا يقال أغار انما يقال غار وأنجد وبيت الاعشى ينشد على هذا

نبى يرى مالا ترون وذكره • لعمرى غار فى البلاد وأنجدا

وقوله سكن من غربه يقول من حده وكذلك يقول فى كل شئ فى السيف والسهم والرجل وغير ذلك وقوله حقين مطارقين تأويله مطبقين يقال طارقت نعلى اذا أطبقتها ومن قال طرقت أو أطرقت فقد أخطأ ويقال لكل ما ضوعف قد طورق قال ذو الرمة (يصف سقرا)

طراق الخوافى واقع فوق ريعة • ندى ليله فى ريشه يترقرق

قوله ريعة موضع ارتفاع قال الله عز وجل أتبنون بكل ريع آية تعبثون وهو جمع ريعة وقال الشماخ تعن له بمذنب كل واد • اذا ما الغيث أخضل كل ريع

قال أبو العباس وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن الأصمعى قال قال عدى بن الفضيل خرجت الى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز استحفره بئرا بالعذبة فقال لى وأين العذبة فقلت على ليلتين من البصرة فتأسف ألا يكون بمثل هذا الموضع ماء فأحفرنى واشترط على أن أول شارب ابن السبيل قال فحضرته فى جمعة وهو يخطب فسمعته وهو يقول يا أيها الناس انكم ميتون ثم انكم مبعوثون ثم انكم محاسبون فلعمرى لئن كنتم صادقين لقد قصرتم ولئن كنتم كاذبين لقد هلكتم أيها الناس انه من يقدر له رزق برأس جبل أو بحضيض أرض يأته فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب قال فأقمت عنده شهرا ما بى الا استماع كلامه قوله بحضيض يعنى المستقر من الارض اذا انحدر عن الجبل ولا يقال حضيض الا بحضرة جبل يقال حضيض الجبل ويطرح الجبل فيستغنى عنه لان هذا لا يكون الا له ومن ذلك قول امرئ القيس • نظرت اليه قائما بالحضيض • وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يا ابن آدم لا تحمل هم يومك الذى لم يأت على يومك الذى أنت فيه فانه ان يعلم من أجلك يأت فيه رزقك واعلم انك لا تكسب من المال شيأ فوق قوتك الا كنت خازنا لغيرك فيه ويروى للنابغة (هذا من شعر أوس بن حجر مثبت فيه فى كلمة لم يعرفها الأصمعى)

ولست بخابئ أبدا طعاما • حذار غد لكل غد طعام

أو ينتقصه عالم وما ندرى فى أى الحالين أنت أجمل وفى أى المنزلتين أنت اكمل اذا فرقناك واذا جمعناك واذا ذكرناك كلك ام اذا تأملنا بعضك فاما كفك فهى التى لم تخلق الا للتقبيل والتوقيع وهى التى يحسن بحسنها كلما اتصل بها ويختال بها كل ما صار فيها كما أصبحنا وما ندرى الكاس الذى فى يدك اجمل ام القلم ام الرمح الذى تحمله ام المخصرة ام العنان الذى تمسكه ام السوط الذى تعلقه وكما أصبحنا وما ندرى اى الأمور المتصلة برأسك احسن ام ايها اجمل واشكل اللمة ام محط اللحية ام الاكليل ام العصابة ام العمامة ام القناع ام القلنسوة واما قدمك فهى التى يعلم الجاهل كما يعلم العالم ويعلم البعيد الاقصى كما يعلم القريب الادنى انها لم تخلق الا لمنبر

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها (كذا وقعت الرواية بفتح السين عن أبي العباس والصواب كسرها وانما السَّرْبُ بفتح السين المال الراعي) قوله صلى الله عليه وسلم في سربه يقول في مسلكه يقال فلان واسع السرب وخلي السرب يريد المسالك والمذاهب وانما هو مثل مضروب للصدر والقلب يقال خل سربه أي طريقه حتى يذهب حيث شاء ويقال ذلك للابل لانها تنسرب في الطرقات ويقال سرب على الابل أي أرسلها شيأ بعد شئ فاذا قلت سِرْبٌ بكسر السين فانما هو قطيع من ظباء أو بقر أو شاء أو نساء أو قطا قال امرؤ القيس

فعنَّ لنا سربٌ كأنَّ نعاجه • عذارى دوار في الملاء المذيل

دوار نسك ينسكون عنده في الجاهلية ودوار أيضا استدار من الرمل ودوار سجن اليمامة قال بعض اللصوص (واسمه جحدر) كانت منازلنا التي كنا بها • شتى فألف بيننا دوار

وقال عمر بن أبي ربيعة فلم ترعيني مثل سرب رأيته • خرجن علينا من زقاق ابن واقف

وكان الحسن يقول ليس العجب ممن عطب كيف عطب انما العجب ممن نجا كيف نجا وكان الحجاج ابن يوسف يقول على المنبر أيها الناس اقدعوا هذه الانفس فانها أسأل شئ اذا أعطيت وامنع شئ اذا سئلت فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاما وزماما فقادها بخطامها الى طاعة الله وعطفها بزمامها عن معصية الله فاني رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه قوله اقدعوا يقول امنعوا يقال قدعته عن كذا أي منعته عنه ومنه قول الشماخ

اذا ما استافهن ضربن منه • مكان الرمح من أنف القدوع

قوله استافهن يعني حمارا يستاف أتنا يقول يمتحنه اذا اشتمهن والسوف الشم وقوله مكان الرمح من أنف القدوع يريد بالقدوع المقدوع وهذا من الاضداد يقال طريق ركوب اذا كان يركب ورجل ركوب للدواب اذا كان يركبها ويقال ناقة رغوث اذا كانت ترضع وحوار رغوث اذا كان يرضع ومثل هذا كثير يقال شاة حلوب اذا كانت تحلب ورجل حلوب اذا كان يحلب الشاة والقدوع ههنا البعير الذي يقدع وهو أن يريد الناقة الكريمة ولا يكون كريما فيضرب أنفه بالرمح حتى يرجع يقال قدعته وقدعت أنفه ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما

عظيم اوركاب طرف كريم واما قولك فهو الذي لا ندري اي الذي تتفوه به احسن واي الذي تبدأ به اجمل الحديث ام الشعر ام الاحتجاج ام الأمر والنهي ام التعليم والوصف وعلى اننا لا ندري اي السنتك ابلغ واي بيانك اشفى اقلمك ابلغ ام لفظك ام اشارتك ام عقدك وانت في ذلك فوقهم والحمد لله وواحدهم واعيذك بالله تعالى وقد علمنا ان القمر وهو الذي تضرب به الامثال ويشبه به اهل الجمال يبدو مع ذلك ضئيلا ويظهر معوجا شعبا وانت أبدا قمر بدر ونجم زمر ثم مع ذلك يحترق في السرار ويشام به في المحاق ويكون نحسا كما يكون سعدا ويكون ضرا كما يكون نفعا ويقرض الكتان ويشحب الالوان ويحتر فيه اللحم وانت دائم اليمن ظاهر السعادة

خَطَبَ خَدِيجَةَ بنتَ خُوَيْلِدِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَيٍّ ذُكِرَ ذلكَ لِوَرَقَةَ بنِ نَوْفَلٍ فقال محمدُ بنُ عبدِ الله يخطبُ خديجةَ بنتَ خُوَيْلِدٍ الفَحْلُ لا يُقْدَعُ أنفُه وكان الحجاجُ يقولُ إنَّ امرأً أتَتْ عليه ساعةٌ من عُمْرِه لم يَذْكُرْ فيها ربَّه أو يستغفرْ من ذنبِه أو يُفَكِّرْ في معادِه لجديرٌ أن تطولَ حسرتُه يومَ القيامة

(باب)

قال أبو العباس أنشدني عُمارةُ بنُ عَقيلٍ لنفسه يَحُضُّ بني كَعْبٍ وبني كِلابٍ ابنَيْ رَبيعةَ بنِ عامرِ بنِ صَعْصَعةَ بنِ معاويةَ بنِ بَكْرِ بنِ هَوازِنَ على بني نُمَيْرِ بنِ عامرِ بنِ صعصعةَ وبينهم مُطالَباتٌ وتِراتٌ وكانت بنو نُمَيْرٍ أعداءَ عُمارةَ فكان يَحُضُّ عليهم السلطانَ ويُغْرِي بهم إخوتَهم ويحاربهم في عشيرته فقال

رَأَيْناكُما يا ابْنَيْ رَبيعةَ خُرَّمًا • لِعَضِّ الحُروبِ والعَديدُ كَثيرُ
وصَدَّقْتُما قَولَ الفَرَزْدَقِ فيكُما • وكَذَّبْتُما ما كانَ قالَ جَريرُ
أصابَتْ نُمَيْرٌ منكُمُ فوقَ قَدْرِها • فكُلُّ نُمَيْرِيٍّ بذاكَ أميرُ
فإنْ تَفْخَروا بما مَضَى من قَديمِكُم • فقد هُدِّمَتْ مدائنٌ وقُصورُ
رَمَتْها مَجانيقُ العَدُوِّ فقُوِّضَتْ • مدائنُ منها كالجِبالِ وسُورُ
وشَيَّدَها الأملاكُ كِسْرَى وهُرْمُزٌ • وآلُ هِرَقْلٍ حِقْبَةً ونَصِيرُ
فإنْ تَعْمُروا المَجْدَ القَديمَ فلم يَزَلْ • لكم في مُضِرَّاتِ الحُروبِ ضَريرُ
خَبَطْتُمْ لُيوثَ الشامِ حتى تَنازَرَتْ • حِماكُمْ وحتى لا يُجِرُّ عَقورُ
فكيفَ بأكنافِ الشُّرَيْفِ تُصيبُكُمْ • ثَعالِبُ يَنْهَشْنَ الحَصَى وأُبورُ

قوله فقد هُدِّمَتْ مدائنٌ وقُصورٌ مَثَلٌ يريد أنَّ مَجْدَكُمُ الذي بناه آباؤكم متى لم تَعْمُروه بأفعالكم خَرِبَ وذَهَبَ وهذا كما قال عبدُ الله بنُ معاويةَ بنِ عبدِ الله بنِ جعفرِ بنِ أبي طالب

لَسْنا وإنْ كَرُمَتْ أوائلُنا • يومًا على الأحسابِ نَتَّكِلُ
نَبْني كما كانَتْ أوائلُنا • تَبْني ونَفْعَلُ مثلَ ما فَعَلوا

وكما قال الآخر

أَلْهَى بني جُشَمٍ عن كُلِّ مَكْرُمةٍ • قَصيدةٌ قالها عَمْرُو بنُ كُلْثومِ
يُفاخِرونَ بها مُذْ كانَ أوَّلُهُمْ • يا لَلرِّجالِ لِفَخْرٍ غيرِ مَسْؤومِ

ثابت الكمال شائع النفع تكسو من أعراه وتكن من شعبه وعلى انه محق حسنه المحاق وشانه الكلف وليس بذي توقد واشتعال ولا خالص ولا متلالئ ويعلوه برد ويكسفه ظل ثم لا يعتبر ذلك الا عند كماله وليلة فخره واحتفاله وكثيرا ما يعتريه الصغار من بخار البحار وأنت ظاهر التمام دائم الكمال سليم الجوهر كريم العنصر نارى التوقد هوائى الدهر برى اللون روحانى البدن وان احتجوا عليك بالجزر والمد احتججت عليهم بالحلم والعلم وبان طاعتك اختيار وطاعته طبع واضطرار وبان له سيرة قد قصر عليها ومنازل لا يجاوزها ولا يمكنه البدار وليس فى قوله فضل للتعرف على ان ضياءه مستعار من الشمس وضياؤك عارية عند جميع الخلق وكم بين

انّ القـديم اذا ماضاع آخرُهُ • كساعـد فَلّهُ الايامُ مخطوم

وكما قال عامر بن الطُّفَيل العامرىّ

انى وان كنتُ ابنَ فارس عامرٍ • وفى السِّرِّ منها والصَّريحِ المُهذَّبِ

فما سوّدتنى عامرٌ عن وراثةٍ • أبى اللهُ أن أسمو بأمٍّ ولا أبِ

ولكنّنى أحمى حماها وأتّقى • أذاها وأرمى مَن رماها بمِقْنَبِ

(قال أبو الحسن أنشدنى هذه الابيات محمد بن الحسن المعروف بابن الحَرُون ويكنى أبا عبد الله لعامر بن الطفيل العامرىّ قال أبو الحسن قال الاصمعى وكان عامر بن الطفيل يُلقَّب مُحَبِّر لحُسن شعره وأولها

تقولُ ابنةُ العَمْرىّ مالكَ بعدما • أراكَ صحيحاً كالسَّليمِ المُعذَّبِ

فقلتُ لها همّى الذى تعلمينه • من الثأر فى حيّى زُبيدٍ وأرحبِ

ان اغزُ زُبيداً أغزُ قوماً أعزّةً • مركّبهم فى الحىّ خيرُ مركّبِ

وان أغزُ حيّى خثعمٍ فدماؤهم • شفاءٌ وخيرُ الثأر للمتأوِّبِ

فما أدرك الأوتارَ مثلُ محقّقٍ • بأجردَ طاوٍ كالعسيبِ المشذَّبِ

وأسمرَ خطّىٍّ وأبيضَ باترٍ • وزغفٍ دلاصٍ كالغديرِ المثوَّبِ

سلاحُ امرئٍ قد يعلمُ الناسُ أنّه • طَلوبٌ لثاراتِ الرجالِ مُطلَّبِ

ثم نأتى بانشاد أبى العباس على وجهه الا انه روى مَن رماها بمَنْكِبِ السليم الملدوغ وقيل له سليم تفؤّلا له بالسلامة وزُبيد وأرحب حيّان من اليمن والثأر ما يكون لك عند من أصاب حميمك من الترة ومن قال ثار فقد أخطأ والمتأوب الذى يأتيك لطلب ثأره عندك يقال آب يؤوب اذا رجع والتأويب فى غير هذا السير فى النهار بلا توقف والاوتار الاحقاد واحدها وِتر وحقد والاجرد الفرس المختصر الشعر والاجرد الضامر أيضا والعسيب السعفة والمشذّب الطويل الذى قد أُخذ ما عليه من العُقد والسُلّاء والخوص ومنه قيل للطويل المعرّق مُشذَّب وخطّى رمح منسوب الى الخط وهى جزيرة بالبحرين يقال انها تُنبت عصى الرماح وقال الأصمعى ليست بها رماح ولكن سفينة كانت وقعت اليها فيها رماح وأُرفئت بها فى بعض السنين المتقدمة فقيل لتلك الرماح الخطّية ثم عمّ كلَّ رمح هذا النسبُ الى اليوم والزغف الدرع الرقيقة النسج والمثوّب الذى تصفقه

الرياح

المعير والمستعير والمتبين والمتحير وبين العالم وما لا خير فيه يعيره نسيم الهوى طيبا وتراب الارض عبقا ان هبت فللرشاقة والملح وان تمكنت فالرهبانية والاخلاص وان ترزنت فتهلان ذو الهضبات ما يتخلخل وطباعك جعلت فداك طباع الخمر الا انك حلال كالك وجوهرك جوهر الذهب الا انك روح كما أنت وقد حويت خصال الياقوت الا ما زادك الله وأخذت خصال المشترى الا ما فضلك الله به وجمعت خلال الدر الا ما خصصت به دونه فلك من كل شئ صفوته وشرفه ولبابه وبهاؤه وهل يغير الفهد نباح الكلب وهل يزعزع النخلة سقوط البعوضة فاما القول فى المزاح فقد بقى أكثره ومضى أقله وقد ذهب الناس فى المزاح فى مذاهب متضادة وسلكوا

الرياح فيذهب ويجيء. وهو من ثاب يثوب اذا رجع وانما سمي الغدير غديراً لان السيل غادره
اي تركه) قال أبو العباس وقوله لكم في مُضَرّات الحروب ضرير يقال رجل ذو ضرير اذا كان ذا
مشقة على العدو وقال مهلهل بن ربيعة التغلبي

قتيلٌ ما قتيلُ المرءِ عمرٍو • وهمّامُ بنُ مرّةَ ذو ضريرِ

(ما زائدة وفيها معنى التعظيم) وقوله خبطتم ليوث الشام يريد ما كان من نصر بن شبث العقيلي
وهو عُقيل بن كعب بن ربيعة وقوله وأبور جمع وبر واذا انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز
وقد ذكرنا ذلك قبل وقال عمارة أيضا لهم أنشدنيه

ألا لله درُّ الحيّ كعبٍ • ذوي العددِ المضاعفِ والحمولِ
أما فيهم كريمٌ مثلُ نصرٍ • يورّعُ عنهمُ سَنَنَ الفحولِ
تنوّخهم غيرَ كلّ يومٍ • كفعلِ أخي الغرارةِ بالذليلِ
وأبسوا مثلَ عشرهمُ ولكن • يضيعُ القومُ من قِبَلِ العقولِ
فأين فوارسُ السلماتِ عنهم • وجعدةُ والحريشُ ذوو الفضولِ
وأين عبادةُ الخشناءُ عنهم • اذا ما ضاقَ مُطّلَعُ السبيلِ

قوله ألا لله در الحي كعب يريد كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وقوله أما فيهم كريم مثل نصر يعني نصر ابن شبث أحد بني عقيل بن كعب بن ربيعة وقوله يورع عنهم سنن الفحول هو مثل ضربه يجعلهم لامساكهم عن الحرب بمنزلة النوق التي يقرعها الفحل ويورع يكف ويمنع ويدفع والورع في الدين انما هو الكف عن أخذ الحرام وجاء في الحديث لا تنظروا الى صومه ولا الى صلاته ولكن انظروا الى ورعه اذا أشفى ومعناه اذا أشرف على الدينار والدرهم والسنن القصد ثم أبان ذلك بقوله تنوخهم غير كل يوم يقال سانّ الفحل الناقة فتنوخها وذلك اذا ركبها من غير أن توطأ له ولكن يعترضها اعتراضا وتقول العرب ان ذلك أكرم النتاج وذلك لان الولد يخرج صليبا مذكرا ويقال لذلك الحمل الذي يقع من التنوخ والاعتراض يعارة وعراض يقال حملته عراضا وحملته يعارة يا فتى قال الراعي

قلائصَ لا يُلقحنَ الا يعارةً • عراضاً ولا يُشرينَ الا غواليا

فيه في طرق مختلفة فزعم بعضهم ان جميع المزاح خير من جميع الجد وزعم آخرون ان الخير والشر عليهما مقسوم وان الحمد والذم بينهما انصفان وسنأتي على جمل هذه الاقاويل ثم نذكر جملة ما نقول ان شاء تعالى فاما المحامي عن الهزل والمفضل للمزح فانه قال أول ما أذكر من خصال الهزل ومن فضائل المزح انه دليل على حسن الحال وفراغ البال وان الجد لا يكون الا من فضل الحاجة والمزح لا يكون الا من فضل الغنى وان النصب جد والمزاح جام والجد مبغضة والمزح محبة وصاحب الجد في بلاء ما كان فيه وصاحب المزح في رخاء الى أن يخرج منه والجد مؤلم وربما عرض لأشد منه والمزح ملذ وربما عرض للأذى منه وقد شاركه في

وقال الطرماح سوف تدنيك من لميس سبندا • ة أمارت بالبول ماء الكراض

نخجته عشرين يوما ونيلت • حين نيلت يعارة في عراض

قوله سبنداة فهي الجريئة الصدر يقال للجريء الصدر سبنتاة وسبنداة وأصل ذلك في النمر وزعم الاصمعي ان الكراض حلق الرحم قال ولم أسمعه الا في هذا الشعر وقوله نخجته عشرين يوما انما هو ان تزيد بعد الحول من حيث حملت أياما نحو الذي عدّ فلا يخرج الولد الا محكما قال الحطيئة

لأدماء منها كالسفينة نخجت • به الحول حتى زاد شهرا عديدها

والعزازة العز والمصادر تقع على فعالة للمبالغة يقال عزّ عزا وعزازة كما يقال الشراسة والصرامة قال الله تعالى قال يا قوم ليس بي سفاهة وفي موضع آخر ليس بي ضلالة وقوله فأين فوارس السلمات يريد بني سلمة الخير وبني سلمة الشر ابني قشير بن كعب وجمع لانه يريد الحي أجمع كما تقول المهالبة والمسامعة فتجمعهم على اسم الأب على المهلب ومسمع وكذلك المناذرة وقد مرت الحجة في هذا وجعدة بن كعب والحريش بن كعب وبنو عبادة من بني عقيل بن كعب وقال الخشناء يريد القبيلة وذكرها بالخشونة على الأعداء ويروى ان معاوية بن أبي سفيان رحمه الله تعالى قال لدغفل بن حنظلة النسابة ما تقول في بني عامر بن صعصعة فقال أعناق ظباء وأعجاز نساء قال فما تقول في بني تميم قال حجر أخشن ان صادمته آذاك وان تركته تركك قال فما تقول في اليمن قال سيد وأنوك قال أبو العباس وأنشدني عمارة لنفسه وسبب هذا الشعر الذي نذكره ان رجلا من بني تميم يكنى أبا سعد كان منقطعا الى أبي نصر بن حميد الطائي ثم أحد بني نبهان وكان أبو نصر والياً على العرب وكتب أبو سعد الى عمارة يأمره أن يضع يده في يد أبي نصر فقال عمارة

دعاني أبو سعد وأهدى نصيحة • الي ومما أن تغر النصائح

لأجزر لحمي كلب نبهان كالذي • دعا القاسطي حتفه وهو نازح (مما يعني زبنا)

أو البرجمي حين أهدى حينه • اناره عليها موقدان وذابح

ورأي أبي سعد وان كان حازما • بصيرا وان ضاقت عليه المسارح

أطار به مأمون نبهان سيفه • على قومه والقول عاف وجارح

ونصر الفتى في الحرب أعداء قومه • على قومه للمرء ذي الطعم فاضح

التعريض للخير والشر وباينه بتعجيل الخير دون الشر وانما تشاغل الناس ليفزعوا وجدوا ليهزلوا كما تذللوا ليعزوا وكدوا ليستريحوا وان كان المزاح انما صار معيبا والهزل مذموما لأن صاحبه لا يكون الا معرضا لمجاوزة الحد ومخاطرا بمودة الصديق فالجد داعية الى الافراط كما ان المزاح داعية الى مجاوزة القدر والتجاوز للجد قالع بين الفريقين في جميع النوعين فقد ساواه المزح فيما هو له وباينه فيما ليس له وان كان المزح انما صار قبيحا لان الذي يكون بعده جد ولم يصر الجد قبيحا الا ان الذي يكون بعده مزح فكان الجد في هذا الوزن أقبح وكان الوزن على هذا التقدير أحسن لان ما جعل الشيء قبيحا أقبح من الشيء كما ان ما جعل الشيء حسنا أحسن

قوله لا يجزر لحمي كلب نبهان أي لا كون جزرة له والجزرة البدنة تنحر يقال أجزرت فلانا تركت فلانا جزرا قال عنترة العبسي ان تشتما عرضي فإن أبا كما • جزر السباع وكل نسر قشعم

وقوله كالذي دعا القاسطي حتفه وهو نازح فهذا رجل من النمر بن قاسط خرج يبتغي قرظا من بعد فنهشته حية فمات فهو أحد القارظين والقارظ الأول من عنزة كان خرج مع ابن عم له في طلب القرظ فقتله ابن عمه لأنه كان يريد ابنته فمنعه منها قال أبو خراش الهذلي (الصحيح أن الشعر لأبي ذؤيب)

وحتى يؤوب القارظان كلاهما • وينشر في القتلى كليب لوائل

وقوله كالذي دعا القاسطي حتفه الهاء في حتفه ترجع على الذي وتقديره كالسبب الذي دعا القاسطي حتفه وقوله أو البرجمي فهذا رجل من البراجم وهم بنو مالك بن حنظلة كان عمرو بن هند لما قتل بني دارم بأوارة وكان سبب ذلك ان أخاه أسعد بن المنذر وكان مسترضعا في بني دارم في حجر حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم انصرف ذات يوم من صيده وبه نبيذ فعبث كما تعبث الملوك فرماه رجل من بني دارم بسهم فقتله (رمى ناقة بسهم فقتلها والرجل الذي قتله سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم) ففي ذلك يقول القائل وهو عمرو بن ملقط الطائي لعمرو بن هند

فاقتل زرارة لا أرى • في القوم أوفى من زرارة

فغزاهم عمرو بن هند فقتلهم يوم القصيبة ويوم أوارة ففي ذلك يقول الأعشى

وتكون في الشرف الموا • زي منقرا وبني زرارة

أبناء قوم قتلوا • يوم القصيبة والأواره

ثم أقسم عمرو بن هند ليحرقن منهم مائة فبذلك سمي محرقا فأخذ تسعة وتسعين رجلا فقذفهم في النار ثم أراد أن يبر قسمه بعجوز منهم لتكمل بها العدة فلما أمر بها قالت العجوز (على ما ذكر أصحاب الأخبار اسمها الحمراء بنت ضمرة) ألا فتى يفدي هذه العجوز بنفسه ثم قالت هيهات صارت الفتيان حمما ومر وافد البراجم وهو الذي ذكرنا فاشتم رائحة اللحم فظن أن الملك يتخذ طعاما فعرج اليه فأتي به اليه فقال له من أنت فقال أبيت اللعن أنا وافد البراجم فقال عمرو ان الشقي وافد البراجم ثم أمر به فقذف في النار ففي ذلك يقول جرير يعير الفرزدق

أين الذين بنار عمرو حرقوا • أم أين أسعد فيكم المسترضع

من الشيء فأما الذي عدل بينهما فانه زعم ان المزاح في موضعه كالجد في موضعه كما ان المنع في حقه كالبذل في حقه قال واكل شيء موضع وليس شيء يصلح في كل موضع وقد قسم الله تعالى الخيرة على المعدلة وأجرى جميع الأمور الى غاية المصلحة وقسط جزاء المثوبة على العزيمة وعلى الرخصة وعلى الاعلان والتقية وأمر بالمداراة كما أمر بالمباداة وجوز المعاريض كما أمر بالافصاح وسوغ المباح كما شدد أمر المفروض وجعل الجمام جماما للقلوب وراحة للابدان وعونا على معاودة الأعمال فصار الاطلاق كالحظر والصبر كالشكر فليس للانسان من الخيرة في الذكر شيء الا وله في النسيان مثله ولا في الفطنة شيء الا وله في الغفلة مثله

وقال أيضا
وأخزاكم عمرو كما قد خزيتم • وأدرك عمارا شقى البراجم

وقال الطرماح
ودارم قد قذفنا منهم مائة • فى جاحم النار اذ ينزون بالجدد
ينزون بالمشتوى منها ويوقدها • عمرو ولولا شحوم القوم لم تقد

ولذلك عيّرت بنو تميم بحب الطعام يعنى لطمع البرجمى فى الاكل قال يزيد بن عمرو بن الصعق أحد بنى عمرو بن كلاب
ألا أبلغ لديك بنى تميم • بآية ما يحبون الطعاما

وقال آخر (ذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لأبى مهوش الفقعسى وذكر غيره أنه لأبى الهوس الأسدى)
اذا ما مات ميت من تميم • فسرك أن يعيش فجئ بزاد
بخبز أو بتمر أو بلحم • أو الشئ الملفف فى البجاد
تراه ينقب البطحاء حولا • ليأكل رأس لقمان بن عاد

وقوله للمرء ذى الطعم يعنى المراجع الى عقل يقال فلان ليس بذى طعم وفلان ليس بذى نزل أى ليس بذى عقل ولا معرفة وانما يقال هذا طعام ليس له نزل اذا لم يكن ذا ريع ومن قال نزل فى هذا المعنى فقد أخطأ وقال اعرابى يهجو قوما من طيئ
ولما أن رأيت بنى جوين • جلوسا ليس بينهم جليس
يئست من التى أقبلت أبغى • لديهم انى رجل يؤوس
اذا ما قلت أيهم لأى • تشابهت المناكب والرؤوس

قوله جلوسا ليس بينهم جليس يقول هؤلاء قوم لا ينتجع الناس معروفهم فليس فيهم غيرهم وهذا من أقبح الهجاء ومن أمثال العرب سمنهم فى أديمهم ومعناه فى مأدومهم وقيل أديم ومأدوم مثل قتيل ومقتول وتقول الحكماء من كثر خيره كثر زائره وقال المهلب بن أبى صفرة لبنيه يا بنى اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا وقال الآخر
أروح لتسليم عليك وأغتدى • وحسبك بالتسليم منى تقاضيا
كفى بطلاب المرء ما لا يناله • عناء وباليأس المصرح ناهيا

(وربما قال أبو العباس هو مصرح بكسر الراء قال أبو الحسن والكسر أجود) ومن أحسن المدح قول زهير
قد جعل الطالبون الخير فى هرم • والسائلون الى أبوابه طرقا

وقال

ولا فى السراء شئ الا وله فى الضراء مثله ولو لم يرزق الله تعالى العباد الا بالصواب محضا وبالصدق بحتا وبمر الحق صفحا لهلكت العوام ولم ينقض أمر الخاص ولو ذكر الانسان كلما أتيته لشقى ولوجد فى كل شئ مما لا تنكث وقد يكون الذكر الى الهلكة سلما كما يكون النسيان للسلامة سببا وسبيل المزاح والجد كسبيل المنع والبذل وعلى ذلك يجرى جميع القبض والبسط فهذا وما قبله جل أقاويل القوم ونحن نعوذ بالله تعالى ان نجعل المزاح فى الجملة كالجد فى الجملة بل نزعم ان بعض المزح خير من بعض الجد وعامة الجد خير من عامة الهزل والحق ان ينصح عن بعض المزح ويجمع جمهور الجد وكيف يتم لنا

وقال رُؤْبَةَ (ليس لرؤبة وهو لابن أبي نُخَيلة) • انَّ النَّدى حيثُ ترى الضغاطا • وقال آخر

يزدحم الناسُ على بابِهِ • والمشربُ العذبُ كثيرُ الزحام

وقال أشجعُ في محمد بن منصور على باب ابن منصورٍ • علاماتٌ من البذل

جماعاتٌ وحسبُ البا • بِ نُبلاً كثرةُ الأهل

وقوله تشابهت المناكب والرؤس اغاضر به مثلاً للأخلاق والافعال أي ليس فيهم مفضَّل ويقال ان الأضبط بن قُرَيع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم آذته عشيرته من بني سعد فخرج عنهم فجعل لا يجاورقوما الا آذوه فقال أينما أذهب ألقَ سعداً أي أفرّ من الأذى الى مثله

((باب))

قال أبو العباس قال أبو ادريس الخولاني المساجد مجالسُ الكرام وقيل للأحنف بن قيس أحد بني مُرَّة بن عبيد بن الحرث بن كعب بن سعد أيّ المجالس أطيب فقال ما سافر فيه البصر واتَّدع فيه البدن اتَّدع افتعل من التوديع والاصل اوتدع فتقلب الواو ياء لانكسار ما قبلها وهذا القول مذهب أهل الحجاز يقولون ايتزر يأتزر وهو رجل موتزر والأجود أن تقلب ما كان أصله الواو والياء في باب افتعل تاء وتدغمها في التاء من افتعل فتقول اتدع يتدع وهو متدع ومتزر ومتعد من الوعد ومتئس من اليأس تكون الياء كالواو لانها ان أظهرت انقلبت على حركة ما قبلها فصارت كالواو وتكونان واوين عند الضمة نحو موعد وموتعد وموئس وموتئس وياءين للكسرة والواو قد تقلب الى التاء ولا تاء بعدها نحو تراث من ورثت وتجاه من الوجه وتكأة وانما ذلك كراهية الضمة في الواو وأقرب حروف الزوائد والبدل منها التاء فقلبت اليها وقد تقلب للبدل في غير ضم نحو هذا أتقى من هذا وضربته حتى أتكأته فلما كانت بعدها تاء افتعل كان الوجه القلب ليقع الادغام وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء في الكتاب المقتضب وقيل للمهلب بن أبي صُفرة ما خير المجالس فقال ما بعد فيه مدى الطرف وكثرت فيه فائدة الجليس ويروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه يابني اذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الاسلام ثم اجلس فان أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم وان أفاضوا في غيره فخلهم وانهض قوله فارمهم بسهم الاسلام يعني

جميع المزح مع ما نحن ذاكرون وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله ولا يقال كان فيه مزاح ولا يقال مزح وكذلك الائمة ومن تبذل في بعض الحالات من أهل الحلم والوقار وقال عمر رضوان الله تعالى عليه انا اذا خلونا كنا كاحدكم وقد كان عمر عبوسا قطوبا وكان معه زيادة كالوحة وقطوبة يمازح أهله في الخلا كما يحدفي الملا وكان الحجاج مع عتوه وطغيانه وتمرده وشدة سلطانه يمازح أزواجه ويرقص صبيانه وقال له قائد أيمازح الأمير أهله قال والله ان تروني الا شيطانا والله لربما رأيتني واني لاقبل رجل احداهن فقد ذكرنا خير العالمين وجعلة من خيار المسلمين وجبارا عنيدا وكافرا

السلام وقوله فأجل سهمك مع سهامهم يعني أدخل معهم في أمرهم فضرب به مثلاً من دخول الرجل
في قداح الميسر وقال وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه

وإذا أتيت جماعة في مجلس * فاختر مجالسهم ولما تقعد
ودع الغواة الجاهلين وجهلهم * وإلى الذين يذكرونك فاعمد

وقال ابن عباس رحمه الله لجليسي علي ثلاث أن أرميه بطرفي إذا أقبل وأوسع له إذا جلس وأصغي
إليه إذا حدث وكان القعقاع بن شور أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن
علي بن بكر بن وائل إذا جالسه جليس فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيباً في ماله وأعانه على عدوه
وشفع له في حاجته وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً له حتى شهر بذلك وفيه يقول القائل

وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن إن أمروا بخير * وعند السوء مطراق عبوس

وحدثني التوزي أن رجلاً جالس قوماً من بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن
فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فأساؤوا عشرته وسعوا به إلى معاوية فقال

شقيت بكم وكنت لكم جليساً * فلست جليس قعقاع بن شور
ومن جهل أبو جهل أخوكم * غزا بدراً بمجمرة وتور

نسبه إلى التوضيع كقول عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف لحكيم بن حزام لما بلغه قول
أبي جهل بن هشام انتفخ والله سحره ونحره سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره اليوم قال رجل من
بني مخزوم للأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري ليؤذيه أتعرف
الذي يقول   ذهبت قريش بالمكارم كلها * واللؤم تحت عمائم الأنصار
فقال الأحوص لا أدري ولكني أعرف الذي يقول

الناس كنوه أبا حكم * والله كناه أبا جهل
أبقت رياسته لأسرته * لؤم الفروع ودقة الأصل

وهذا الشعر لحسان بن ثابت والبيت الذي أنشده المخزومي للأخطل وكان يزيد بن معاوية عتب
على قوم من الأنصار فأمر كعب بن جعيل التغلبي بهجائهم فقال له كعب أأهجو الأنصار أرادي

لعبنا وبعد فمن حرم المزاح
وهو شعبة من شعب
السهولة وفرع من فروع
الطلاقة وقد أتانا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
بالحنيفية السمحة ولم
يأتنا بالانقباض والقسوة
وأمرنا بإفشاء السلام
والبشر عند الملاقاة
وأمرنا بالتوادد والتصافح
والتهادي

(فصل) قد اعتدنا في
معصيتك والخلاف على
محبتك مرة بالمزاح ومرة
بالنسيان ومرة بالاتكال
على عفوك وعلى ما هو
أولى بك والجملة أنا لو تعمدنا
ثم أصررنا ثم أنكرنا لكان
في فضلك ما يتغمده وفي
كرمك ما يوجب التغافل
عنه فكيف وإنما سهونا
ثم تذكرنا واعتذرنا ثم
أطنبنا فإن تقبل فحظك
أصبت ولنفسك نظرت
وإن لم تقبل فاجهد جهدك

أنت الى الكفر بعد الاسلام ولكنى أدلك على غلام من الحى نصرانى كان لسانه لسان ثور يعنى الاخطل قال فلما قال هذا البيت دخل النعمان بن بشير بن سعد الانصارى على معاوية فحسر عمامته عن رأسه ثم قال يا معاوية أترى لؤما فقال ما أرى الا كرما فقال النعمان

معاوى ان لا تعطنا الحق تعترف • لحى الازد مسدولا عليها العمائم

أيشتمنا عبد الاراقم ضلة • فماذا الذى تجدى عليك الاراقم

فمالى ثأر دون قطع لسانه • فدونك من ترضيه عنه الدراهم

وكان الاحنف بن قيس يقول لا تزال العرب عربا ما لبست العمائم وتقلدت السيوف ولم تعدد الحلم ذلا ولا التواهب فيما بينها ضعة وقالوا فى تأويل قوله ما لبست العمائم يقول ما حافظت على زيها وقوله وتقلدت السيوف يريد الامتناع من الضيم وقوله ولم تعدد الحلم ذلا يقول ما عرفت موضع الحلم وتأويل ذلك أن الرجل اذا أغضى للسلطان أو أغضى عن الجواب وهو مأسور لم يقل حلم وانما يقال حلم اذا ترك أن يقول الشئ لصاحبه منتصرا ولا يخاف عاقبة يكرهها فهذا الحلم المحض فاذا لم يفعل ذلك ورأى أن تركه الحلم ذل فهو خطأ وسفه وقوله ولم تر التواهب بينها ضعة نحو من هذا وهو أن يهب الرجل من حقه ما لا يستنكره عليه وكان يقال أحيوا المعروف باماتته وتأويل ذلك أن الرجل اذا امتن بمعروفه كدره وقيل المنة تهدم الصنيعة وكان يقال كتمان المعروف من المنعم عليه كفر وذكره من المنعم تكدير له وقال قيس بن عاصم يا بنى تميم اصحبوا من يذكر احسانكم اليه وينسى أياديه اليكم

(باب)

قال أبو العباس قال عبد الملك بن مروان لأسيلم بن الاحنف الاسدى ما أحسن ما مدحت به فاستعفاه فأبى أن يعفيه وهو معه على سريره فلما أبى الا أن يخبره قال قول القائل

ألا أيها الركب المخبون هل لكم • بسيد أهل الشام تحبوا وترجعوا

من النفر البيض الذين اذا اعتزوا • وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا

اذا النفر السود اليمانون نمنموا • له حوك برديه أجادوا وأوسعوا

ولا أبقى الله عليك ان أبقيت ولا عفى عنك ان عفوت وأقول كما قال أخو بنى منقر

فما بقيا على تركتمانى ولكن خفتما صدر النبال

والله لئن رميتنى بحبيلة لأرمينك بكنانة ولئن نهضت بصالح بن على لأنهض باسماعيل بن على ولئن صلت على بسليمان بن وهب لأدمغنك بالحسن بن وهب ولئن نمت على بنادمة جعفر الخياط لاجهتن عليك بحسبة وهب الدلال وانما أرى لك ان تقبل العافية وترغب الى الله تعالى فى السلامة واحذر البغى فان مصرعه وخيم واتق الظلم فان مرعاه وبيل واياك ان تتعرض لجرير اذا هجا وللفرزدق اذا فخر ولهرغة اذا دبر ولقيس بن زهير اذا مكر وللاغلب اذا كر

حلا المسكُ والحمّامُ والبيضُ كالدُّمى • وفرقُ المداري رأسهُ فهو أنزعُ

فقال له عبد الملك ما قال أخو الأوس أحسن مما قيل لك (قال أبو الحسن هو أبو قيس بن الأسلت)

قد حصّت البيضةُ رأسي فما • أطعمُ نوماً غيرَ تهجاعِ

وحُدِّثتُ ان كُثيّراً كان يقول لوددتُ أني كنتُ سبقتُ الأسودَ أو العبدَ الاسود الى هذين البيتين يعني نُصيباً في قوله • من النفر البيض الذين اذا انتجوا • أقرّت لنجواهم لؤيّ بن غالب

يُحيّون بسّامين طوراً وتارةً • يُحيّون عبّاسين شوسَ الحواجبِ

والمختار من الشعر الاول قوله

من النفر البيض الذين اذا اعتزوا • وهاب الرجالُ حلقةَ الباب قعقعوا

يخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم وثقتهم بان مثلهم لا يُرَدّ وقد قال جرير للتيم خلاف هذا وهو قوله

قومٌ اذا احتضرَ الملوكَ وفودُهم • نُتفت شواربُهم على الأبوابِ

وحُدِّثتُ أن جريرا كان يقول وددتُ ان هذا البيت من شعر هذا العبد كان لي بكذا وكذا بيتاً من شعري يعني قوله نُصيب

بزينبَ ألمِم قبل ان يرحلَ الركبُ • وقُل ان تملّينا فما ملّكِ القلبُ

وأما قول نُصيب • أهيمُ بدعدٍ ما حييتُ وان أمُت • أوكّل بدعدٍ من يهيمُ بها بعدي

فلم تجد الرواةُ ولا مَن يفهم جواهر الكلام له مذهباً حسناً وقد ذكر عبد الملك ذلك لجلسائه فكلٌّ عابه فقال عبد الملك فلو كان اليكم كيف كنتم قائلين فقال رجل منهم كنتُ أقول

أهيمُ بدعدٍ ما حييتُ وان أمت • فواحزنا مَن ذا يهيمُ بها بعدي

فقال عبد الملك ما قلتَ والله أسوأ مما قاله فقيل له فكيف كنتَ قائلا في ذلك يا أمير المؤمنين فقال كنتُ أقول • أهيمُ بدعدٍ ما حييتُ فان أمت • فلا صلحت دعدٌ لذي خلّةٍ بعدي

فقالوا أنت والله أشعرُ الثلاثة يا أمير المؤمنين وقد فضّل نُصيبٌ على الفرزدق في موقفه عند سليمان بن عبد الملك وذلك أنهما حضرا فقال سليمان للفرزدق أنشدني وانما أراد أن يُنشده مدحاً له فانشده

وركبٍ كأنّ الريحَ تطلبُ عندهم • لها ترةً من جذبها بالعصائبِ

سروا يخبطون الريحَ وهي تلفّهم • الى شُعَب الأكوار ذاتِ الحقائبِ

ولطاهر اذا صال ومن عرف قدره عرف قدر خصمه ومن جهل نفسه لم يعرف قدر غيره وعليك بالجادة ودع البنيات فان ذلك أمثل لك وأنت والله يا أخي تعلم علم الاضطرار وعلم الاختيار وعلم الأخبار أني أظهر منك حرباً وألطف كيداً وأكثر علماً وأوزن حلماً وأخف روحاً وأكرم عيناً وأقل غشاً وأحسن قداً وأبعد غوراً وأجل وجهاً وأنصع طرفاً وأكثر ملحاً وأنطق لساناً وأحسن بياناً وأجهر جهارة وأحسن اشارة وأنت رجل تشذ من العلم وتنتف من الأخبار وتموه نفسك وتعتز من قدرك وتتهيأ بالثياب وتتنبل بالمراكب وتعجب لحسن القلانس عندك الاذلك فلم تزاحم البحر بالجداول والاجسام بالاعراض

اذا آنسوا نارًا يقولون ليتها • وقد خصرت أيديهم نارُ غالب

فاعرض سليمان كالمُغضَب فقال نصيب يا أمير المؤمنين ألا أُنشدك فى رويّها ما لعله لا يتّضع عنها فقال هات فانشده أقول لركب صادرين لقيتهم • قفا ذات أوشال ومولاك قاربُ

قفوا اخبرونى عن سليمان اننى • لمعروفه من أهل ودّان طالبُ

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله • ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ

وهذا فى باب المدح حسن ومتجاوز ومبتدع لم يُسبق اليه على ان الشاعر وهو أخو همدان قد قال فى عصره فى غير المدح

يمرّون بالدهنا خفافًا عيابهم • ويخرجن من دارين بُجْر الحقائب

على حين ألهى الناسَ جُلّ أمورهم • فندلًا زريق المالَ ندل الثعالب

وليس شعر نصيب هذا الذى ذكرناه فى المدح بأجود من قول الفرزدق فى الفخر وانما يُفاضَل بين الشيئين اذا تناسبا وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب كيف تراه قال هو أشعر أهل جلدته فقام الفرزدق وهو يقول وخير الشعر أشرفه رجالًا • وشرّ الشعر ما قال العبيدُ

ثم نرجع الى تفسير الشعر قوله يمرون بالدهنا خفافا عيابهم يعنى قوما تجارا وقد قالوا انما ذكر لصوصا والاول أثبت وذلك أن دارين سوق من أسواق العرب وقوله بجر الحقائب يقول عظام ويقال للرجل اذا اندلقت سرّته فنتأت متقدمة رجل أبجر ويقال لها البجرة والبجرة وفعلة وفعلة تقعان فى الشئ يقال قلفة وقلفة وصلعة وصلعة ومثل هذا كثير وقوله على حين ألهى الناس ان شئت خفضت حين وان شئت نصبته أما الخفض فلانه مخفوض وهو اسم منصرف وأما الفتح فلاضافتك اياه الى شئ غير معرب فبنيته على الفتح لان المضاف والمضاف اليه اسم واحد فبنيته من أجل ذلك ولو كان الذى أضفته اليه معربا لم يكن الا مخفوضا وما كان سوى ذلك فهو لحن تقول جئتك على حين زيد وجئتك فى حين امرة عبد الملك وكذا قول النابغة

على حين عاتبت المشيب على الصبا • وقلت ألمّا أصحُ والشيب وازعُ

ان شئت فتحت حين وان شئت خفضت لانه مضاف الى فعل غير متمكن وكذلك قولهم يومئذ تقول عجبت من يوم عبد الله لا يكون غيره فاذا أضفته الى اذ فان شئت فتحت على ما ذكرت لك

وما لا يتناهى بالجزء الذى لا يتجزأ فاملك البادى والعامة فمن يعدل بين القناة والكرة ومن يمثل بين النخلة والدكان وبين رحى الطحان وبين سيف عمان وانما يكون التمثيل بين أتم الخيرين وأنقص الشرين وبين المتقارب بين دون المتفاوتين فاما الحنظل والعسل والحصاة والجبل والسم والغذاء والفقر والغنى فهذا مما لا يخطئ فيه الذهن ولا يكذب فيه الحس والخطأ ثلاث خطأ الحس وخطأ الوهم وخطأ الرأى كل ذلك سبيله التنبيه والتذكير والتقويم والتأنيب والعهد نوع واحد وسبيله القمع والحظر والضرب والقتل وأول ذلك ان يهجره صاحب الحكمة ولا يطمعه فى وعظ ولا مجالسة وقد رأيت من

فى حين وان شئت خفضت لمَا كان يستحقه اليومُ من التمكّن قبل الاضافة تقرأ ان شئت من عذاب يومَئذٍ وان شئت من عذابِ يومِئذٍ على ما وصفتُ لك ومن خفض بالاضافة قال سيرَ بزيدٍ يومِئذٍ فاعربته فى موضع الرفع كما فعلتَ به فى الخفض ومن قال من خزيِ يومَئذٍ فبناه قال سيرَ بزيدٍ يومَئذٍ يكون على حالة واحدة لانه مبنىّ كما تقول دُفع الى زيد خمسةَ عشرَ درهمًا وكما قال الله عز وجل عليها تسعةَ عشرَ وأما قوله فنَدلًا زُرَيقُ المالَ نَدْلَ الثعالب فزُرَيقٌ قبيلة وقوله نَدلًا مصدر يقول اندلى نَدلًا يا زريقُ المالَ والنَّدلُ أن تجذبه جذبًا يقال نَدَلَ الرجلُ الدلوَ نَدلًا اذا كان يجذبها مملوءة من البئر فنصب نَدلًا بفعل مضمر وهو اندُل وهذا فى الامر تقول ضربًا زيدًا وشتمًا عبدَ الله لان الامر لا يكون الا بفعل فكان الفعلُ فيه أقوى فلذلك أضمرته ودل المصدر على الفعل المضمر ولو كان خبرًا لم يجز فيه الاضمار لان الخبر يكون بالفعل وغيره والامر لا يكون الا بالفعل قال الله عز وجل فاذا لَقيتُمُ الَّذينَ كَفَروا فَضَرْبَ الرِّقابِ فكان فى موضع اضربوا حتى كأن القائل قال فاضربوا ألا تَرَى أنه ذكر بعده الفعل مخصّصًا فى قوله حتى اذا أثخنتموهُم فشُدّوا الوَثاقَ ولو نوّن منوّنٌ فى غير القرآن لنَصَبَ الرقابَ وكذلك كل موضع هو بالفعل أولى وقوله ندل الثعالب يريد سرعةَ الثعالب يقال فى المَثَل أكسَبُ من ثَعلَبٍ وأما قول نُصَيب ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب فانما يريد انهم يرجعون مملوءة حقائبهم من رِفده فقد أثنت عليه الحقائب قبل أن يقولوا فاما قول الاعشى

وانّ عِتاقَ العِيسِ سوفَ يزورُكُم ٭ ثناءٌ على أعجازهنّ معلّقُ

فانما أراد [illegible] الذى يحتدين به والحادى من ورائها كما أن الهادى أمامها وأما قول أبى وجزة

راحت بستّين وسقًا فى حقيبتها ٭ ما حمّلت حملها الادنى ولا السددا

فانما أراد ما يوجب ستين وسقًا لا أن الناقة حملت ستين وسقًا وكان من حديث ذلك أن أبا وجزة السُّلَمىّ المعروف بالسَّعدىّ لنزوله فيهم ومحالفته اياهم كان شخص الى المدينة يريد آل الزبير وشخص أبو زيد الاسلمىّ يريد ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو والى المدينة فاصطحبا فقال أبو وجزة هلُمّ فلنشترك فيما نُصيبه فقال أبو زيد الاسلمىّ كلّا أنا

أمدحُ الملوكَ وأنت تمدح السُّوَق فلما دخلا المدينة صار أبو زيد الى ابراهيم بن هشام فأنشده ٭

يا ابنَ هشامٍ يا أخا الكرام ٭ فقال ابراهيم وانما أنا أخوهم وكأنى لستُ منهم ثم أمر به فضُرب

يعاند الحق اذا كانت المعرفة عيانا وأنت لا ترضى بحجة العيان حتى تدعو اليه ولا ترضى بالدعاء اليه حتى تعادى فيه ولا ترضى بالعداوة حتى يكون لك الرسالة ولا ترضى بالرياسة السابقة ولا بالطارف دون التالد ولا بالتالد دون الاعراق التى تسرى والمواليد التى تنمى ولا ترضى بان تكون أولا حتى تكون آخرا ولا بالمداراة دون المباداة ولا بالجدال دون القتال وحتى ترى ان التقية حرام وان التقصير كفر وحتى لو كنت امام الرافضة وكنت فى طرف لهلكت الأمة لانك رجل لا عقب لك والامامة لا تصلح فى الاخوة وكانت تصلح فى ابن العم ثم دنت من الارحام شيأ فصارت لا تصلح الا فى الولد وفى هذا

بالسياط وامتدح أبو وجزة آل الزُّبَير فكتبوا اليه بستين وَسْقا من تمر وقالوا هي لك عندنا في كل سنة فانصرفا فقال أبو زيد

مَدَحْتُ عُرُوقًا للنَّدَى مَصَّتِ الثَّرَى • حَديثًا فلم تَهْمُمْ بان تَتَرَعْرَعا

نَقائذَ بُؤْسٍ ذاقَتِ الفَقْرَ والغِنَى • وحَلَّبَتِ الايامَ والدَّهْرَ أَضْرُعا

سَقاها ذَوُو الأَرْحامِ سَجْلًا على الظَّماءِ • وقد كَرَبَتْ أَعْناقُها أَنْ تَقَطَّعا

بِفَضْلِ سِجالٍ لو سَقَوْا من مَشَى بها • على الأَرضِ أَرْواهُمْ جميعًا وأَشْبَعا

فَضَمَّتْ بأَيْديها على فَضْلِ مائِها • من الرِّيِّ لَمَّا أَوْشَكَتْ أَنْ تَضَلَّعا

وزَهَّدَها أَنْ تَفْعَلَ الخيرَ في الغِنَى • مُقاساتُها من قَبْلِهِ الفَقْرَ جُوَّعا

وقال أبو وجزة

راحَتْ رَواحًا قَلُوصِي وهي حامدةٌ • آلَ الزُّبَيْرِ ولم تَعْدِلْ بهم أَحَدا

راحَتْ بِسِتِّينَ وَسْقًا في حَقِيبَتِها • ما حُمِّلَتْ حِمْلَها الأَدْنَى ولا السَّدَدا

ما إِنْ رَأَيْتُ قَلُوصًا قَبْلَها حَمَلَتْ • سِتِّينَ وَسْقًا ولا جابَتْ به بَلَدا

ذاكَ القِرَى لا قِرَى قَوْمٍ رَأَيْتُهُمُ • يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ المَلْوِيَّةَ الجُدُدا

أما قول أبي زيد لابراهيم مدحتُ عروقا للندى مصت الثرى حديثا فانما عَنَى أن ابراهيم وأخاه محمدا انما تطعَّما بالعيش ودخلا في النعمة وخرجا من حد السُّوقِ الى حد الملوك حديثا وذلك بهشام بن عبد الملك لانهما كانا خالَيْه فانما أولاهما عن خمول وقوله فلم تهمم بان تترعرعا فانما هذا مَثَلٌ يقال فلان يهتزُّ للندى ويرتاح لفعل الخير كما قال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَةَ

تَراهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ للنَّدَى • اذا لم تَجِدْ عند امْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعا

وتأويل ذلك أنه يتحرك تَحَرُّكَ سرور لفعل الخير قال أبو العباس وأنشدني التَّوَّزِيُّ لأبي رباط يقول لابنه

رأيتُ رِباطًا حين تَمَّ شَبابُهُ • ووَلَّى شَبابي ليس في بِرِّهِ عَتْبُ

اذا كان أولادُ الرِّجالِ مَرارَةً • فأنتَ الحَلالُ الحُلْوُ والباردُ العَذْبُ

لنا جانِبٌ منه أَنِيقٌ وجانبٌ • شديدٌ على الأَعداءِ مَرْكَبُهُ صَعْبُ

وتأخذه عند المكارمِ هِزَّةٌ • كما اهتزَّ تحت البارحِ الغُصْنُ الرَّطْبُ

قال وحدثني علي بن عبد الله قال حدثني العُتْبِيُّ قال أشرف عمر بن هُبَيْرَةَ الفَزاريُّ من قصره يوما

القياس انها بعد أعوام
لا تصلح الا ببقاء الامام
نفسه الى آخر الأبد وهذا
هو علة أصحاب التناسخ
وانت رافضي ولم يكن هذا
عندك فاهد الآن من
ابن التوتيا كما أهديت
اليك باب التناسخ وأنت
ترى القتل في حق المعاندة
شهادة وترى ان مباينة
المنصفين في تعظيم العمود
سعادة وان الرياسة في
دفع الحقائق مرتبة وان
الاقرار بما يظهر للعيون
ضعة وان الشهوة بالمغالبة
رفعة أظهر القوم عندك
حجة أرفعهم صوتا للتوبة
أصلبهم وجها وأحسنهم
بغية أقلهم خرجا وأحسنهم
انصافا أشدهم شغبا
تعشق المتهور وتكلف
بالجموح وتصافي الوقاح
والأديب عندك من
عاب أحاديث الجلساء
واعترض على نوادر

فاذا هو باعرابى يرقص جمله الآل فقال لحاجبه ان ارادنى هذا فأوصله الىّ فلما دنا الاعرابى سأله فقال قصدت الامير فأدخله اليه فلما مثل بين يديه قال له عمر ما خطبك فقال الاعرابى

أصلحك الله قلّ ما بيدى ● فما أطيق العيال اذ كثروا

ألحّ دهر أنحى بكلكله ● فأرسلونى اليك وانتظروا

(رجوك للدهر أن تكون لهم غيث سحاب ان خانهم مطر)

قال فأخذت عمر الاريحية فجعل يهتز فى مجلسه ثم قال أرسلوك الىّ وانتظروا اذا والله لا تجلس حتى ترجع اليهم غانما فأمر له بألف دينار ورده على بعيره قال أبو العباس وحدثنى أبو اسحق اسمعيل بن اسحق القاضى أن الخبر لمعن بن زائدة وصح ذلك عندى وقوله نقائذ بؤس واحدتها نقيذة وتأويله أنهم أنقذوا من بؤس يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد تقول هذا نقيذة بؤس تقع الهاء للمبالغة لان أصله كالمصدر كقولك زيد مكرمة لأهله وزيد كريمة قومه أى يحلّ محلّ العقدة الكريمة والخصلة الكريمة وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم جرير بن عبد الله البجلى لما ورد عليه فبسط له رداءه وعممه بيده وقال اذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه هكذا روى فصحاء أصحاب الحديث وقد قال صلى الله عليه وسلم قبل وروده عليه يطلع عليكم من هذا الفج خير ذى يمن عليه مسحة ملك وقال صخر بن عمرو بن الشريد يعنى معاوية أخاه وكان قتله هاشم ودريد ابنا حرملة المريان من غطفان فقيل له اهجهم فقال ما بينى وبينهم أقذع من الهجاء ولو لم أمسك عن هجائهم الا صونا لنفسى عن الخنى لفعلت ثم قال

وعاذلة هبت بليل تلومنى ● ألا لا تلومينى كفى اللوم ماليا

تقول ألا تهجو فوارس هاشم ● ومالى اذ أهجوهم ثم ماليا

أبى الشتم أنى قد أصابوا كريمتى ● وأن ليس اهداء الخنى من شماليا

(اذا ذكر الاخوان رقرقت عبرة ● وحييت رمسا عند لية ثاويا

اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية ● فحياك رب العرش عنى معاويا

وهون وجدى أننى لم أقل له ● كذبت ولم أبخل عليه بماليا

قال الاخفش وأنشدنى الاحول ● ومالى ان أهجوهم ثم ماليا ●) وتقول العرب للرجل

الاخوان وغمز فى قفا النديم ونصب للعالم وأبغض العاقل واستثقل الظريف وحسد على كل نعمة وأنكر كل حقيقة جعلت فداك انما أخرجك موسى الى شئ وأورد عليك الباب بعد الباب لان من شأن الناس ملالة الكثير واستثقال الطويل وان كثرت محاسنه وجمت فوائده وانما أردت أن يكون استطرافك للآتى قبل ان ينقضى استطرافك للماضى ولانك متى كنت للشئ متوقعا وله منتظرا كان احظى لما يرد عليك وأشهى لما يهدى اليك وكل منتظر معظم وكل مأمول مكرم وذلك رغبة فى الفائدة وصبابة بالعلم وكلفا بالاقتباس وشحا على نصيبى منك وضنا بما أؤمله عندك ومداراة لطباعك واستزادة من

راوية ونسّابة فتنز بدالهاء للمبالغة وكذلك علّامة وقد تلزم الهاء في الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد نحو ربعة ويفعة وضرورة وهذا كثير لا تنزع الهاء منه فاما راوية وعلامة ونسّابة فحذف الهاء جائز فيه ولا يبلغ في المبالغة ما تبلغه الهاء وقوله

• وحلبت الايام والدهر أضرعا • فانه مثل يقال للرجل المجرّب للامور فلان قد حلب الدهر أشطره أي قد قاسى الشدّة والرخاء وتصرّف في الفقر والغنى كما قال القائل

• قد عشت في الناس أطوارا على طرق • شتّى وقاسيت فيها اللين والفظعا

كلا بلوت فلا النعماء تبطرني • ولا تخشّعت من لأوائها جزعا

لا يملأ الهول صدري قبل موقعه • ولا أضيق به ذرعا اذا وقعا •

ومعنى قوله أشطره فانما يريد خلوفه يقال حلبتها شطرا بعد شطر وأصل هذا من التنصّف لان كل خلف عديل لصاحبه وللشطر وجهان في كلام العرب فاحدهما النصف كما ذكرنا من ذلك قولهم شاطرتك مالي والوجه الآخر القصد يقال خذ شطر زيد أي قصده قال الله عز وجل فول وجهك شطر المسجد الحرام أي قصده وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره قال أبو العباس وأنشدني التوّزي عن أبي عبيدة قول الشاعر

ان العسير بها داء مخامرها • فشطرها نظر العينين محسور

يريد ناحيتها وقصدها والعسير التي تعسر بذنبها اذا حملت أي تشيله وترفعه ومنه سمي الذئب عوسرا أي تضرب بذنبها ومعنى ذلك انه ظهر من جهدها وسوء حالها ما أطيل معه النظر اليها حتى تحسر العينان والحسير المعيي وفي القرآن ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وقوله

• سقاها ذوو الارحام سجلا على الظما • فالسجل في الأصل الدلو وانما ضربه مثلا لما فاض عليها من ندى أقاربها فقال للدلو وهي مؤنثة سجل وذنوب وهما مذكّران والغرب مذكر وهو الدلو العظيمة ويقال فلان يساجل فلانا أي يخرج من الشرف مثل ما يخرج الآخر وأصل المساجلة أن يستقي ساقيان فيخرج كل واحد منهما في سجله مثل ما يخرج الآخر فأيهما نكل فقد غلب فضربته العرب مثلا للمفاخرة والمساماة وبيّن ذلك الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب في قوله • من يساجلني يساجل ماجدا • يملأ الدلو الى عقد الكرب

نشاطك ولانك على كل حال بشر ولانك متناهي القوة مدبر

(فصل) والعقل حفظك الله أطول رقدة من العين وأحوج الى الشحذ من السيف وأفقر الى التعاهد وأسرع الى التغير وأدواؤه أقتل وأطباؤه أقل فمن تداركه قبل التفاقم أدرك أكثر حاجته ومن رامه بعد التفاقم لم يدرك شيأ من حاجته ومن أكبر أسباب العلم كثرة الخواطر ثم معرفة وجوه المطالب في الخواطر وللمطالب طرق ولدرك الحقائق أبواب فمن أخطاها ونظر كان أسوأ حالا ممن لم يخطئها ولم ينظر وعلى قدر صحة العقل يصح الخاطر وعلى قدر التفرغ يكون التنبه هذا جماع هذا الكتاب وجهرته وأقسامه وجملته

و يقال ان الفرزدق مرّ بالفضل وهو يستقي و ينشد هذا الشعر فسرا الفرزدق ثيابه عنده ثم قال أنا أساجلك ثقة منه بنسبه فقيل له هذا الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب فرد الفرزدق ثيابه عليه ثم قال ما يساجلك الا من عضّ بأير أبيه يقال سرا ثوبه ونضا ثوبه في معنى واحد اذا نزعه و يقال سرى عليه الهمّ اذا أتى ليلا وأنشد

سَرَى هَمّي وهمُّ المرءِ يسري • (وغار النجمُ الا قيدَ فِتْرِ

البيت لعروة بن أذينة الليثي شيخ مالك بن أنس) وسرى همّه اذا ذهب عنه والمواضعة مثل المساجلة قال العجاج • تواضخ التقريب قلوا مِخْلَجا • أي تخرج من العدو مثل ما يخرج قال الله عز وجل على مخرج كلام العرب وأمثالهم فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم وأصل الذنوب الدلو كما ذكرت لك وقال علقمة بن عبدة للحرث بن أبي شمر الغساني (قال أبو الحسن غير أبي العباس يقول شِمْر وبعضهم يقول شَمِر) وكان أخوه أسيرا عنده وهو شأس بن عبدة أسره في وقعة عين أباغ (قال أبو الحسن غيره يقول اباغ) في الوقعة التي كانت بينه و بين المنذر بن ماء السماء في كلمة له مدحه فيها

وفي كل حي قد خبطت بنعمة • فحق لشأس من نداك ذنوب

فقال الملك نعم وأذنبة وقوله وقد كربت أعناقها أن تقطعا يقول سقيت هذا السجل وقد دنت أعناقها من أن تقطع عطشا وكرب في معنى المقاربة يقال كاد يفعل ذلك وجعل يفعل ذلك وكرب يفعل ذلك أي دنا من ذلك و يقال جاء زيد والخيل كاربته أي قد دنت منه وقربت فاما أخذ يفعل وجعل يفعل ...اهما انه قد صار يفعل ولا تقع بعد واحدة منهما أن فاما كاد وكرب فأن لا تستعمل بعد واحدة منهما الا ان يضطر شاعر قال الله عز وجل اذا أخرج يده لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها وايضاحه لم يرها ولم يكد وكذلك يكاد سنا برقه يذهب بالابصار وكذلك كاد تزيغ قلوب فريق منهم بغير أن ومن أمثال العرب كاد النعام يطير وكاد العروس يكون أميرا وكاد المنتعل يكون راكبا وقد اضطر الشاعر فادخل أن بعد كاد كما أدخلها هذا بعد كرب فقال

• وقد كربت أعناقها ان تقطعا • وقال رؤبة • قد كاد من طول البلى ان يمصحا •

فكاد بمنزلة كرب في الاعمال والمعنى قال الشاعر

أغثني غياثا يا سليمان انني • سبقت اليك الموت والموت كاربي

ثم من أنفع أسبابه الحفظ لما قد حصل والتقييد لما ورد والانتظار لما لم يرد وان لا تخلي نفسك من الفكرة الا بقدر جمام الطبيعة وان تعلم ان مكان الدرس من الحفظ كمكان الحفظ من العلم وان تعرف فضل ما بين طلب العلم للمناسبة والشهوة وبين طلبه للرغبة والرهبة وتعلم ان العلم لا يجود بمكنونه ولا يسمح بسره ومخزونه الا لمن رغب فيه لكرم عنصره وفضله لحقيقة جوهره ورفعه عن التكسب وصانه عن التبذل وانه لا يعطيك خالص الحكمة حتى تعطيه خالص المحبة كان يقال من شاب شيب له وخصلة ينبغي ان تعرفها وتقف عندها وهو أن تبدا من العلم بالمهم وتختار من صنوفه ما أنت أبسط له والطبيعة به أعنى فان

خشيةَ جورٍ من أميرٍ مُسَلَّطٍ * ورهطي وما عاداكَ مثلُ الأقاربِ

وقوله لمّا أوشكت أن تضلّعا يقول لمّا قاربت ذلك والوشيكُ القريب من الشيء والسريع اليه يقال يوشك فلانٌ أن يفعل كذا وكذا والماضي منه أوشكَ ووقعت بأن وهو أجود وبغير أن كما كان ذلك في لعلّ تقول لعلّ زيدًا يقوم فهذه الجيّدة قال الله عز وجل لعلّ الساعةَ تكون قريبًا ولعلّه يتذكّر أو يخشى ولعلّ الله يحدث بعد ذلك أمرًا وقال متمم بن نويرة

لعلّك يومًا أن تُلِمَّ مُلِمّةٌ * عليك من اللائي يدعنك أجدعا

وعسى الاجود فيها أن تُستعمل بأن كقولك عسى زيد أن يقوم كما قال الله عز وجل فعسى الله أن يأتي بالفتح وقال جلّ ثناؤه عسى الله أن يتوب عليهم ويجوز طرح أن وليس بالوجه الجيد قال هدبة

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه * يكونُ وراءَه فرجٌ قريبُ

وقال آخر عسى الله يغني عن بلاد ابن قادرٍ * بمنهمرٍ جونِ الرَّبابِ سكوبِ

وحروف المقاربة لها باب فقد ذكرناها فيه على مقاييسها في الكتاب المقتضب بغاية الاستقصاء وقوله أن تضلّعا معناه أن تمتلئ وأصله أن الطعام والشراب يبلغان الاضلاع فيكظّانها كذلك قال الاصمعي في قولهم أكل حتى تضلّع وأما قول أبي وجزة راحت بستين وسقًا فالوسق خمسة أقفزة بلُجم البصرة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة فما كان أقل من خمسة وعشرين قفيزًا بالقفيز الذي وصفنا وهو نصف القفيز البغدادي في أرض الصدقة فلا صدقة فيه وانما أراد أنه أخذ الكتاب بهذه الاوسق فلذلك قال

ما ان رأيت قلوصًا قبلها حملت * ستين وسقًا ولا جابت به بلدا

واما قوله يفرون ضيفهم الملويّة الجُدُد فانما اراد السياط وجمع جديد جُدُد وكذلك باب فعيل الذي هو اسم أو مضارع للاسم نحو قضيب وقُضُب ورغيف ورُغُف وكذلك سرير وسُرُر وجديد وجُدُد لانه يجري مجرى الاسماء وجرير وجُرُر فما كان من المضاعف جاز فيه خاصة أن تبدل من ضمته فتحة لان التضعيف مستثقل والفتحة أخف من الضمة فيجوز أن يمال اليها استخفافا فيقال جُدَد وسُرَر ولا يجوز هذا في مثل قضيب لانه ليس بمضاعف وقد قرأ بعض القرّاء على سُرَرٍ موضونة ويقال للسوط الأصبحي ينسب الى ذي أصبح الحميري وكان أول من اتخذ هذه السياط التي يعاقب

القول على قدر النشاط والبلوغ فيه على قدر العناية ثم من أفضل أسبابه تلخيص أخلاقه وتمييز أجناسه والمعرفة باقداره حتى يعطى كل معنى حقه من التقرب والرفعة وقسطه من الابعاد والضعة حتى لا يشاغل الا بالسمين الثمين وبالخطير النفيس ولا يلقى الا الغث الخسيس والحقير السخيف فانك متى كنت كذلك لم تعتبر فضل ما بين النظرين ولا فرق ما بين النعتين الكيس كل الكيس والحذق كل الحذق ان لا تعجل ولا تبطئ وان تعلم ان السرعة غير العجلة وان الاناة خلاف الابطاء وان تكون على يقين من درك الحق اذا وفيته شرطه وعلى ثقة من ثواب النظر اذا اعطيته حقه هذا جملة ما للعذر في

بها السلطان ويقال له العِرفاص والقَطيع وقال الشمّاخ • تكاد تطير من رأي القطيع •

وقال الصلتان العبدي   أرى أمة شهرت سيفها • وقد زيد في سوطها الأصبحي

وقال الراعي   أخذوا العريف فقطعوا حيزومه • بالأصبحية قائمًا مغلولا

وقال الراجز • حتى تردّى طرفُ العرفاص • وقوله ولا جابت به بلدا يقول ولا قطعت به يقال جبت البلاد قال الله عز وجل وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ويقال رجل جوّاب جوّال وأنشدني علي بن عبد الله قال أنشدني القحذمي

ما من أتت من دون مولده • خمسون بالمعذور بالجهل

فاذا مضت خمسون عن رجل • ترك الصبا ومشى على رسل

وأمر مصعب بن الزبير رجلا من بني أسد بن خزيمة بقتل مرة بن محكان السعدي فقال مرة في ذلك

بني أسد ان تقتلوني تحاربوا • تميما اذا الحرب العوان اشمعلت

ولست وان كانت الي حبيبة • بباك على الدنيا اذا ما تولت

قوله اذا الحرب العوان فهي التي تكون بعد حرب قد كانت قبلها وكذلك أصل العوان في المرأة انما هي التي قد تزوجت ثم عاودت فخرجت عن حد البكر وقول الله عز وجل في كتابه العزيز لا فارض ولا بكر هو تمام الكلام ثم استأنف فقال عوان بين ذلك والفارض ههنا المسنة والبكر الصغيرة ويقال لهاة فارض أي واسعة وفرض القوس موضع معقد الوتر وكل حز فرض والفرضة متطرق الى النهر قال الراجز • لها زجاج ولهاة فارض • وقوله اشمعلت انما هو ثارت فاسرعت قال الشماخ

رب ابن عم لسليمى مشمعل • أروع في السفر وفي الحي غزل

• طباخ ساعات الكرى زاد الكسل •

وقوله ولست وان كانت الي حبيبة بباك على الدنيا انما هو على التقديم والتأخير اراد ولست بباك على الدنيا وان كانت الي حبيبة ولولا هذا التقدير لم يجز أن يضمر قبل الذكر ومثله

ان تلق يوما على علاته هرما • تلق السماحة منه والندى خلقا

وكذلك قول حسان بن ثابت

قد ثكلت أمه من كنت واحده • أو كان منتشبا في برثن الاسد

هذه المسألة وجملة الحجة فيما قدمنا من الافتنان والاطالة فان كنا أصبنا فالصواب أردنا وان كنا أخطأنا فذلك عن فساد من الضمير ولا قلة احتفال بالتقصير ولعل طبيعة خانت أو لعل عادة جذبت أو لعل سهوا اعترض أو لعل شغلا منع خفض عليك أيها السامع فان الخطأ كبير عام وغالب مستول والصواب قليل خاص ومقموع مستخف فوجه اللائمة الى أهلها وألزمها من هو أحق بها فانهم كثير وما كان مشهور أعجب من الصواب لا تعجب من الخطأ أعجب من ان العجب قد ذهب أعجب ممن تعجب وفيه العجب أعجب وكيف التعجب والأمور كلها عجب كيف أتعجب من كل فعل خرج من العادة

يقول من كنت واحده فقد ثكلت أمه وكذلك قوله

شر يوميها وأخزاه لها • ركبت هند بحدج جملا

يقول ركبت هند بحدج جملا في شر يوميها وقال رجل من مزينة

خليلي بالبوباة عوجا فلا أرى • بها منزلا الا جديب المقيد

نذق برد نجد بعد ما لعبت بنا • تهامة في حمامها المتوقد

قوله بالبوباة فهي المتسع من الارض وبعضهم يقول هي الموماة بعينها قلبت الميم باء لانهما من الشفة ومثل ذلك كثير يقولون ما اسمك وبا اسمك ويقولون ضربة لازم ولازب ويقولون هذا طامي وطابي يعنون السلف (قال أبو الحسن الجيد سلف وما قال ابس بممتنع) ويقولون زكمة سوء وزكنة سوء أى ولد سوء ويقولون عجم الذنب وعجب الذنب ويقولون رجل أخرم وأخرب وهذا كثير وقال عمر بن أبي ربيعة

عوجا نحي الطلل المحولا • والربع من أسماء والمنزلا

بجانب البوباة لم يعده • تقادم العهد بأن يؤهلا

وقوله الا جديب المقيد يقال بلد جدب وجديب وخصب وخصيب والاصل في النعت خصيب ومخصب وجديب ومجدب والخصب والجدب انما هما ما حل فيه وقيل خصيب وأنت تريد مخصب وجديب وأنت تريد مجدب كقولك عذاب أليم وأنت تريد مؤلم قال ذو الرمة

ونرفع من صدور شمردلات • يصك وجوهها وهج أليم

ويقال رجل سميع أى مسمع قال عمرو بن معديكرب

أمن ريحانة الداعي السميع • يؤرقني وأصحابي هجوع

وأما قوله المقيد فهو موضع التقييد وكل مصدر زيدت الميم في أوله اذا جاوزت الفعل من ذوات الثلاثة فهو على وزن المفعول وكذلك اذا أردت اسم الزمان واسم المكان تقول أدخلت زيدا مدخلا كريما وسرحته مسرحا حسنا واستخرجت الشيء مستخرجا قال جرير

ألم تعلم مسرحي القوافي • فلا عيا بهن ولا اجتلابا

أى تسريحي وقال عز وجل وقل رب أنزلني منزلا مباركا ويقال قمت مقاما وأقمت مقاما وقال عز

كما خرجت الافعال باسرها من العادة وصارت باسرها عجبا فبعد دخول كلها في باب العجب خرجت باجمعها من باب العجب وقد ذكرنا الله تعالى ذكره التعجب في كتابه جل جلاله وقد تعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله في زمانه وفي الناس يومئذ الناقص والوافر والمشوب والخالص والمستقيم والمعوج وقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وان تعجب فعجب قولهم وقال له بل عجبت ويسخرون واعلم انه لم يبق من المتعجب القائل الا نصيب اللسان ولا من المستمع القائل الا حصة المسمع فاما القلوب فخاوية قاسية وراكدة خامدة لا تسمع داعيا ولا تجيب سائلا قد أغفلها سوء العادة واستولى عليها

وجل انها ساءت مستقرا ومقاما أى موضع اقامة وقال الشاعر (حميد بن ثور الهلالى

تطول القصار والطوال يطلنها • فمن رهالا ينسها ما تكلما)

وما هى الا فى ازار وعلقة • مغار ابن همام على حى خثعما

يريد زمن اغارة ابن همام وأما قوله تدنى برد نجد فذلك لان نجدا مرتفعة وتهامة غور منخفض فنجد باردة ويروى عن الاصمعى أنه قال هجم على شهر رمضان وأنا بمكة فخرجت الى الطائف لأصوم بها هربا من حرها فلقينى اعرابى فقلت له أين تريد فقال أريد هذا البلد المبارك لأصوم هذا الشهر المبارك فيه فقلت له أما تخاف الحر فقال من الحر أفر وهذا الكلام نظير كلام الربيع بن خثيم فان رجلا قال له وقد صلى ليلة حتى أصبح أتعبت نفسك فقال راحتها أطلب ان أفره العبيد أكيسهم ونظير هذا الكلام قول روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ونظر اليه رجل واقفا بباب المنصور فى الشمس فقال قد طال وقوفك فى الشمس فقال روح ليطول وقوفى فى الظل ومثله من الشعر قوله (قال أبو الحسن هو عروة بن الورد العبسى)

تقول سليمى لو أقمت بأرضنا • ولم تدر أنى للمقام أطوف)

(لعل الذى خوفتنا من ورائنا • سيدركه من بعدنا المتخلف)

ويروى أمامنا وقال آخر • سأطلب بعد الدار منكم لتقربوا • وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

وهذا معنى كثير حسن جميل وقال حبيب بن أوس الطائى

أآلفة النحيب كم افتراق • أجد فكان داعية اجتماع

وليست فرحة الأوبات الا • لموقوف على ترح الوداع

وقال رجل واعتل فى غربة فتذكر أهله

لو أن سلمى أبصرت تخددى • ودقة فى عظم ساقى ويدى

وبعد أهلى وجفاء عودى • عضت من الوجد بأطراف اليد

قوله أبصرت تخددى يريد ما حدث فى جسمه من النحول وأصل الخد ما شققته فى الارض قال الشماخ فقلت لهم خدوا له برماحكم • بطامسة الأعلام خفاقة الآل

ويقال للشيخ قد تخدد يراد قد تشنج جلده وقال الله عز وجل قتل أصحاب الأخدود وقيل

سلطان السكر فدع عنك ما لست مثله وعليك شغلا شاغلا وهما داخلا اعلم ان الله تعالى قد مسخ الدنيا بحذافيرها وسلخها من جميع معانيها ولو مسخها كما مسخ بعض المشركين قردة أو كما مسخ بعض الأمم خنازير لكان قد بقى بعض امورها وحبس عليها بعض اعراضها كبقية ما مع القرد فى ظاهره من شبه الآدمى وبقية ما مع الخنزير فى باطنه من شبه البشر لكنه جل ذكره مسخ الدنيا مسخا متتبعا ومستقصى مستفرغا فبين حاليها جميع التضاد وبين معنييها غاية الخلاف فالصواب اليوم غريب وصاحبه مجهول والعجب ممن يصيب وهو مغمور ويقول وهو ممنوع فان صرت عليه عونا مع

في التفسير هؤلاء قوم خدّوا أخاديد في الارض وأشعلوا فيها نيرانا تأخر فوا بها المؤمنين وقوله عضّت من الوجد بأطراف اليدفان الحزين والمغيظ والنادم والمتأسف يعض أطراف أصابعه تحرقا قال الله عز وجل عضّوا عليكم الانامل من الغيظ وفي مثل ماذكرنا من تخدّد لحم الشيخ يقول القائل

(ذهب الشباب فلا شباب جمانا ● وكأنّ ماقد كان لم يك كانا

وطويت كفي ياجمان على العصا ● وكفى جمان بطيها حدثانا)

يامن لشيخ قد تخدّد لحمه ● أفنى ثلاث عمائم ألوانا

(ألوانا صفة لثلاث على المعنى كأنه قال مختلفات)

سوداء حالكة وسحق مفوّف ● وأجدّ لونا بعد ذاك هجانا

(صحب الزمان على اختلاف فنونه ● فأراه منه كراهة وهوانا)

قصر الليالي خطوه فتدانى ● وحنون قائم صلبه فتحانا

والموت يأتي بعد ذلك كله ● وكأنما يعنى بذاك سوانا

قوله أفنى ثلاث عمائم ألوانا يعني ان شعره كان أسود ثم حدث فيه شيب مع السواد فذلك قوله مفوّف والتفويف التنقيش وانما أخذ من الفوف وهي النكتة البيضاء التي تحدث في أظفار الاحداث وسميت بذلك لشبهها بشجرة يقال لها الفوفة وجمعها فوف والسحق الخلق يقال عنده سحق ثوب وجرد ثوب وسمل ثوب وقوله أجدّ أي استجدّ لونا والهجان الابيض وهي العمامة الثالثة يعني خمت شملة الشيب

(باب)

قال أبو العباس من أمثال العرب لم يذهب من مالك ما وعظك يقول اذا ذهب من مالك شئ فحذرك أن يحل بك مثله فتأديبه اياك عوض من ذهابه ومن أمثالهم رب عجلة تهب ريثا وتأويله ان الرجل يعمل العمل فلا يحكمه للاستعجال به فيحتاج الى أن يعود فينقضه ثم يستأنف والريث الابطاء ورات عليه أمره اذا تأخر ومن أمثال العرب عش ولا تغترّ وأصل ذلك ان عمرو صاحب الابل بالارض المكلئة فيقول ادع أن أعشى ابلي منها حتى أرد على أخرى ولا يدرى ما الذي يرد

الزمان قتلته وان أمسكت عنه فقد دوفرته ولسنا نريد منك النصرة ولا المعونة ولا التأنيس ولا التعزية وكيف اطلب منك ماقد انقطع سببه واجتث أصله وقد كان يقال من طلب عيبا وجده هذا في الدهر الصالح دون الفاسد فان انصفت فقد أغربت وان جرت فلم تعد ماعليه الزمان وهب الله لنا ولك الانصاف وأعاذنا واياك من الظلم والحمد لله كما هو أهله ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة وسلم

(فصل من صدر رسالته الى الحسن بن وهب في مدح النبيذ وصفة أصحابه)

أنا أبقاك الله الطالب المشغول والقائل المعذور فان رأيت خطأ فلا تنكر

عليه وقريب منه قولهم أن تَرِدَ الماءَ بماءٍ أكيس وتأويله أن يغرّر الرجل بالماء فلا يحمل منه اتّكالاً على ماء آخر يصير اليه فيقال له أن تحمل معك ماءً أحزم لك فان اصبت ماء آخر لم يضرك فان لم تحمل خفقت من الماء عطبت ومن أمثالهم قد أحزم لو أعزم يقول أعرف وجه الحزم فان عزمت فامضيت الرأي فانا حازم وان تركت الصواب وأنا أراه وضيّعت العزم لم ينفعني حزمي ومثله قول النابغة الجعدي

أبى لى البلاء وانى امرؤ * اذا ما تبينت لم ارتب

وقال اعرابى يمدح سوّار بن عبد الله .

وأوقف عند الامر ما لم يضح له * وأمضى اذا ما شكّ من كان ماضيا

فالذى يحمد امضاء ما تبين رشده فاما الاقدام على الغرر وركوب الامر على الخطر فليس بمحمود عند ذوى الالباب وقد يتحسن مثله الفتّاك كما قال (هو سعد بن ناشب المازنى عن الرياشى وغيره)

عليكم بدارى فاهدموها فانها * تراث كريم لا يخاف العواقبا

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه * وأعرض عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر فى رأيه غير نفسه * ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

فهذا شأن الفتّاك وقال الآخر

غلام اذا ما همّ بالفتك لم يبل * الامت قليلا أم كثيرا عواذله

وقال آخر وما العجز الا أن تشاور عاجزا * وما الحزم الا أن تهمّ فتفعلا

فاما قول على بن أبى طالب رضى الله عنه من أكثر الفكرة فى العواقب لم يشجع فتأويله انه من فكّر فى ظفر قرنه به وعلوه عليه لم يقدم وانما كان الحزم عند على رضى الله عنه أن يخطر أمر الدين ثم لا يفكّر فى الموت وقد قيل له أتقتل أهل الشام بالغداة وتظهر بالعشى فى ازار ورداء فقال أبالموت أخوف والله ما أبالى أسقطت على الموت أم سقط الموت علىّ وقال للحسن ابنه لا تبدأنّ بدعاء الى مبارزة فان دعيت اليها فاجب فانّ طالبها باغ والباغى مصروع وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يلتف فى كسائه وينام ناحية المسجد فلما ورد الهرمزان عليه (كذا وقعت الرواية المرزبان والصواب الهرمزان وكان صاحب تستر) جعلوا يسألون عنه فيقال مرّ ههنا آنفا فيصغر فى قلب المرزبان اذ رآه كبعض السوق حتى انتهى اليه وهو نائم فى ناحية المسجد فقال

فانى بصدده وبعرض منه بل فى الحال التى توجبه والسبب الذى يؤدى اليه وان سمعت تسديدا فهو الغريب الذى لا تجده اللهم الا ان يكون من بركة مكاتبتك وعن مطالبتك ولان ذكرك يشحذ الذهن ويصورك فى الوهم ويجلو العقل وتأميلك ينفى الشغل ولا يجيئى ما رأيت من قلة اطنابى فى هذا النبيذ وقلة تلهيك بهذا الشراب وأنت تجد من فضل القول وحسن الوصف ما لا يصاب عند خطيب ولا يوجد عند بليغ وأنت ولو مشيت الخيلاء وحقرت العظماء وارغبت الشعراء وأعطيت الخطباء ليكون القول منهم موصولا غير مقطوع ومبسوطا غير مقصور لكنت بعد مقصرا فى

المرزبان هذا والله الملك الهنى يقول لا يحتاج الى أحراس ولا عدد فلما جلس عمر امتلأ قلب العلج
منه هيبة لما رأى عنده من الجد والاجتهاد وألبس من هيبة التقوى وقال الكلبي قال لي خالد بن
عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز القسري ما تعدون السودد فقلت أما في الجاهلية فالرياسة وأما في
الاسلام فالولاية وخير من ذا وذاك التقوى فقال لي صدقت كان أبي يقول لم يدرك الأول الشرف
الا بالفعل ولا يدركه الآخر الا بما أدرك به الأول قال فقلت صدق أبوك ساد الأحنف بحلمه
وساد مالك بن مسمع بمحبة العشيرة له وساد قتيبة بدهائه وساد المهلب بجميع هذه الخلال
فقال لي صدقت كان أبي يقول خير الناس للناس خيرهم لنفسه وذلك أنه اذا كان كذلك اتقى
على نفسه من السرق لئلا يقطع ومن القتل لئلا يقاد ومن الزنا لئلا يحد فسلم الناس منه باتقائه
على نفسه قال أبو العباس وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال قال له عبد الملك
يوما ما مالك فقال شيآن لا عيلة علي معهما الرضا عن الله والغنى عن الناس فلما نهض من بين
يديه قيل له هلا أخبرته بمقدار مالك فقال لم يعد أن يكون قليلا فيحقرني أو كثيرا فيحسدني وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أعز الناس فليتق الله ومن سره أن يكون أغنى
الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من سره الغنى بلا مال والعز بلا سلطان والكثرة بلا عشيرة
فليخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته فانه واجد ذلك كله وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى
معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم فان العبد بين مخافتين أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل
فيه وأجل باق لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن
الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب
ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ربي بتسع
الاخلاص في السر والعلانية والعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى وأن أعفو عمن
ظلمني وأصل من قطعني وأعطي من حرمني وأن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة
وحدثت أنه التقى حكيمان فقال أحدهما للآخر اني لأحبك في الله فقال له الآخر لو علمت

أمره مفرطا في واجب
حقه فلا تأديب الله قبلت
ولا قول الناصح سمعت
سمعت قول الله تبارك
وتعالى وأما بنعمة ربك
فحدث وقال الأول استدم
النعمة باظهارها واستزد
المواهب بادامة شكرها
بل كيف أنست بالجلساء
وأرسلت الى الاطباء ولم
يكن في قربك ما يغنيك
وفي النظر اليه ما يشفيك
ولم ملكت نفسك دون أن
تهدى ولم رأيت الوقار
مروءة قبل أن تستخف
ولم كان الهذيان به هو
الهذيان والسخف هو
المروءة والتناقض هو الصحة
والا بأي شيء خصصت
وبأي معنى أتيت ولم
تخلع فيه العذار ولم
تخرج فيه عن كل مقدار
وأي شيء أجرب جلدك
وأمات حالك وأضعف
مسرتك وأوحش منك

مني ما أعلمه من نفسي لأبغضتني في الله فقال له صاحبه لو علمت منك ما تعلمه من نفسك لكان لي فيما أعلمه من نفسي شغل وكان مالك بن دينار يقول جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم وكان يقول ما أشد فطام الكبير وقيل لعمر بن عبد العزيز أي الجهاد أفضل فقال جهادك هواك وكان الحسن يقول حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور واقدعوا هذه الأنفس فإنها طلعة وإنكم إلا تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية قوله حادثوا تمثيل ومعناه اجلوا واشحذوا تقول العرب حادث فلان سيفه إذا جلاه وشحذه وقال زيد الخيل

وقد علمت سلامة أن سيفي * كريه كلما دعيت نزال

أحادثه بصقل كل يوم * وأعجمه بهامات الرجال

قوله أعجمه بهامات الرجال أي أعضه يقال عجمه إذا عضه والدثور الدروس يقال دثر الربع إذا عفا ومعناه تعهدوها بالفكر والذكر وقوله فإنها طلعة يقول كثيرة التشوف والتنزي إلى ما ليس لها وأنشد الأصمعي

ولا غليت من مال ولا عمر * إلا بما سأ نفس الحاسد الطلعه

(الرواية الصحيحة بكسر التاء لا غير لأنه يخاطب امرأة تقدم ذكرها في الشعر يدعو عليها) قال ويقال للجارية إذا كانت تبرز وجهها لترى حسنها ثم تخفيه لتوهم الحياء خبأة طلعة وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول أيها الناس إنما خلقتم للأبد ولكنكم تنقلون من دار إلى دار ويروى عن المسيح صلوات الله عليه وسلامه أنه كان يقول إن احتجتم إلى الناس فكلوا قصدا وامشوا جانبا ولما احتضر قيس بن عاصم قال لبنيه يا بني احفظوا عني ثلاثا فلا أحد أنصح لكم مني إذا أنا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم بحفظ المال فإنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل (آخر بقصر الهمزة لا غير ومن رواه بالمد أخطأ ومعنى آخر أدنى وأرذل)

(باب)

قال أبو العباس أنشدت لرجل من الأعراب يرثي رجلا منهم

فلو كان شيخا قد لبسنا شبابه * ولكنه لم يعد أن طر شاربه

رفيقك الا العقوبة المحضة والا الغضب والعقاب وحرمك الثواب الا التهاون في أمره وقلة الرعاية لحقه وكيف صارت أمراضي أمراض الاغنياء وأمراضك أمراض الفقراء الا لمعرفتي بفضله واستخفافك بقدره ألا ترى اني منقرس مفلوج وانت اجرب مستور فان تبت فما أقرب الفرج وأسرع الاجابة وسنفرغ لك ان شاء الله قريبا او تفلج سريعا وان أصررت وتتابعت وتماديت أتاك والله من سفلة الادواء وزوى عنك من عليه الامراض ما يضعك موضعا لا ارتفاع معه ويلزق بعقبك عارا لا زوال له ثم تتبع أشياخك السبعة وتتبعهم المذمة علم الله انه استظرفك واستملحك واستحسن

وقال

وقالَ الرَّدَى مَن ودَّ أنَّ ابن عَمِّهِ • يُرَى مُقتِراً أو أنَّه ذَلَّ جانبُهْ

وقال الآخر (حسّانُ بن ثابت) لامرأته

فاماهلكتُ فلا تَنكحي • ظَلومَ العشيرةِ حسّادَها

يَرى مجدَه ثَلبَ اعراضها • لدَيه ويُبغِضُ مَن سادَها

وقال آخر (قال أبو الحسن هو ابن يزيد بن حبناء أو المغيرة بن حبناء يقوله لأخيه)

لحَى اللهُ أكبانا زناداً وشرَّنا • وأيسرَنا عن عِرض والده ذَبّا

رأيتُك لمّا نلتَ مالاً ومسَّنا • زمانٌ تُرى في حدِّ أنيابه شغبا

جعلتَ لنا ذنباً لتمنعَ نائلا • فأمسِك ولا تجعل غناك لنا ذنبا

قوله أكبانا زنادا الزناد التي تُقدَح بها النار ويقال أورى القادح اذا اخرجت له النار وأكبى اذا أخفق منها هذا أصله يُضرب للرجل الذي ينبعث الخير على يديه ويُضرب الاكباء للذي يمتنع الخير على يديه قال الأعشى وزندُك خيرُ زنادِ الملو • كِ صادفَ منهنَّ مرخٌ عفارا

ولو بتَّ تَقدَحُ في ظُلمةٍ • صَفاةً بِنَبعٍ لأوريتَ نارا

والمَرخُ والعَفار شجر تُسرع فيه النار ومن أمثالهم في كلِّ شجرٍ نارٌ واستمجدَ المرخُ والعَفارُ واستمجدا استكثرا يقال أمجدتُه سبّاً وأمجدتُه ذمّاً اذا أكثرتَ من ذلك ومن أمثالهم ارخ يديك واسترخ انَّ الزنادَ من مرخٍ ويقال رجل ذو شغب اذا كان يَشغَبُ على خصمه ضربه مثلاً للزمان الذي يهرُّ على أربابه أي يُعسّهم بالفقر والجدب وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

رأيتُ فُضَيلاً كان شيئاً مُلفَّفا • فكشَّفه التمحيصُ حتّى بدا ليا

أأنتَ أخي ما لم تكن لي حاجةٌ • فان عرضتْ أيقنتُ أن لا أخا ليا

فلا زاد ما بيني وبينك بعدما • بلوتُك في الحاجات إلّا تَماديا

فلستُ براءٍ عيبَ ذي الودِّ كلَّه • ولا بعضَ ما فيه اذا كنتُ راضيا

فعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ • ولكنَّ عينَ السُخط تُبدي المَساويا

كلانا غنيٌّ عن أخيه حياتَه • ونحن اذا متنا أشدُّ تغانيا

قدك واسترجع عقلك وأحسن بك ظنا ورآك لنفسه أهلا ولاتخاذه موضعا وللانس به مكانا وأنت لاه عنه زار عليه متهاون به قد أقبلت على ديوانك تشغل بملازمته وتدع ما يجب عليك من صفاته والدعاء الى تعظيمه بل هل كنت من شيعته والذابين عن دولته والمعروفين بالانقطاع اليه والانبتات في حبله الا ان يكون عندك التقصير لحقه والتهاون بامره اللازم ونهى الناس عنه ولو خرجت الى هذا لخرجت من جميع الاخلاق المحمودة والافعال المرضية واحسب انك لا تعظمه ولا ترق له ولو لم تتعصب الاجماله وحسنه ولو لم تحافظ على نقائه وعتقه لكان ذلك واجبا وأمر معروفا فكيف

قوله كان شيأ ملففا يقول كان أمراً مغطّى والتمحيص الاختبار يقال أدخلتُ الذهبَ في النار فمحّصتُه أي خرج عنه ما لم يكن منه وخلص الذهب قال الله عز وجل وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ويقال محّص فلانٌ من ذنوبه وقوله أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة تقرير وليس باستفهام ولكنّ معناه اني قد بلوتك تُظهر الاخاء فاذا بدت الحاجة لم أر من اخائك شيأ قال الله عز وجل أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله انما هو توبيخ وليس باستفهام وهو جل وعز العالم بانّ عيسى لم يقله وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام في موضعه من الكتاب المقتضب مستقصى ونذكر منه جملة في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثلاثة لا يُعرفون الا في ثلاث لا يُعرف الشجاع الا في الحرب ولا الحليم الا عند الغضب ولا الصديق الا عند الحاجة وقال عبد الله بن معاوية أيضاً (ذكر دعبل في أخبار الشعراء له أن هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدي)

أنّى يكون أخاً أو ذا محافظة • من كنت في غيبه مستشعراً وجلا

اذا تغيّب لم تبرح تظنّ به • سوءاً وتسأل عمّا قال أو فعلا

وقال آخر

سأشكر عمراً ما تراخت منيّتي • أيادي لم تمنن وان هي جلّت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه • ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلّت

رأى خلّتي من حيث يخفى مكانها • فكانت قذى عينيه حتى تجلّت

وتمثّل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في طلحة بن عُبيد الله رضي الله عنه

فتى كان يُدنيه الغنى من صديقه • اذا ما هو استغنى ويُبعده الفقر

فتى لا يعدّ المال ربّاً ولا ترى • به جفوةً ان نال مالا ولا كِبر

فتى كان يعطي السيف في الروع حقّه • اذا ثوّب الداعي وتشقى به الجزر

وهوّن وجدي أنني سوف أغتدي • على اثره يوماً وان نفّس العمر

(قال أبو الحسن بعضهم يقول هو للأبيرد الرياحي وبعد البيت الثالث

فلا يُبعدنك الله اما تركتنا • حميداً وأودى بعدك المجد والفخر)

قال أبو العباس حدثني التوزي قال حدثني محمد بن عبّاد بن حبيب بن المهلب أحسبه عن أبيه

مع المناسبة التي بينكما والشكل الذي يجمعكما فان كان بعضك لا يصون بعضا وأنت لا تعظم شقيقا فأنت والله من حفظ العشيرة أبعد ولمعرفة الصديق أنكر ولقد نعيت الى ابنك وأنكلتني حفائظك وأفسدت عندي كل صحيح وقد كان يقال لا يزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب قال الشاعر

وهلك الفتى ان لا يراح الى الندى • وان لا يرى شيأ عجيبا فيعجبا

قال بكر بن عبد الله المزني كنا نتعجب من دهر لا يتعجب أهله من العجب فقد صرنا في دهر لا يستحسن أهله الحسن ومن لم يستحسن الحسن لم يستقبح القبيح وقال بعضهم العجب ترك التعجب

قال لما انقضى يوم الجمل خرج على بن أبي طالب رضى الله عنه فى ليلة ذلك اليوم ومعه قنبر وفى يده مشعلة من نار يتصفح القتلى حتى وقف على رجل قال التوزى فقلت أهو طلحة قال نعم فلما وقف عليه قال اعزز على أبا محمد أن أراك معفرا تحت نجوم السماء وفى بطون الأودية شفيت نفسى وقتلت معشرى الى الله أشكو عجرى وبجرى قوله معفرا أى ملصق الوجه بالتراب ويقال للتراب العفر والعفر يقال ما مشى على عفر التراب مثل فلان وقوله الى الله أشكو عجرى وبجرى يقول ما أسر من أمرى قال الأصمعى وهو قول سائر فى أمثال العرب أتى فلان فلانا فأبثه عجره وبجره وقال النمر بن تولب (كل نمر فى العرب كالنمر بن قاسط وغيره مكسور النون مجزوم الميم الا النمر بن تولب عن ابن دريد قال أبو حاتم يقال النمر بفتح النون وتسكين الميم ولا يقال النمر)

تدارك ما قبل الشباب وبعده • حوادث أيام تمر وأغفل

يسر الفتى طول السلامة والبقا • فكيف يرى طول السلامة يفعل

يرد الفتى بعد اعتدال وصحة • ينوء اذا رام القيام ويحمل

قصر البقاء ضرورة وللشاعر اذا اضطر أن يقصر الممدود وليس له أن يمد المقصور وذلك ان الممدود قبل آخره ألف زائدة فاذا احتاج حذفها لانها ألف زائدة فاذا حذفها رد الشئ الى أصله فلو مد المقصور لكان زائدا فى الشئ ما ليس منه قال الشاعر وهو يزيد بن عمرو بن الصعق

فرغتم لتمرين السياط وأنتم • يثن عليكم بالفنا كل مربع

فقصر الفناء وهو ممدود وقال الطرماح

وأخرج أمه لسواس سلمى • لمعفور الضرا ضرم الجنين

قوله وأخرج يعنى رمادا والأخرج الذى فى لونه سواد وبياض يقال نعامة خرجاء وقوله لسواس سلمى فان أجأ وسلمى جبلا طيئ وسواس سلمى الموضع الذى بحضرة سلمى يقال هذا من سوس فلان ومن توس فلان أى من طبعه وأمه يعنى الشجرة التى هى أصله وقوله لمعفور الضرا فالضراء ما واراك من شجر خاصة والخمر ما واراك من شئ والمعفور ما سقط من النار من الزند وقوله ضرم الجنين يقول مشتعل والجنين ما لم يظهر بعد يقال للقبر جنن والجنين الذى فى بطن أمه والمجن الترس لانه يسترك والمجنون المغطى العقل ويسمى الجن جنا لاختفائهم وتسمى الدروع الجنن لانها تستر

من العجب ولم أقل ذلك الالان تكون به ضنينا وبما يجب له عارفا ولكنك لم توفر حقه ولم تعرف نصيبه فان قلت ومن يقضى واجب حقه وينهض بجميع شكره قلنا فهل أعذرت فى الاجتهاد حتى لا يذم الا تجيبك وهل استغرقت الاعتذار حتى لا تعاب الا بما زاد على قوتك ولولا انك عين الجود لم نطلبه منك ولولا ظننا لم نحمدك عليه ولولا معرفتك بفضله لم نعجب من تقصيرك فى حقه ولولا أن الخطأ فيك أقبح والقبيح منك أسمج وهو فيك أبين والناس فيه أكلف والعيون اليه أسرع لكان كتابنا كتاب مطالبة ولم يكن كتاب معاتبة واشغلنا الحلم لك عن الحلم عليك والقول لك

من كان فيها وقصرا الضراء وهو ممدود ومثل هذا كثير في الشعر جدا وقوله ينوء اذا رام القيام يقول ينهض في تثاقل قال الله عز وجل ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتيح ولشرح هذا موضع آخر وقال آخر (لعمرو بن قميئة)

على الراحتين مرة وعلى العصا) • أنوء ثلاثا بعدهن قيامي

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالسلامة داء وقال حميد بن ثور الهلالي

أرى بصري قد رابني بعد صحة • وحسبك داء ان تصح وتسلما

ولا يلبث العصران يوم وليلة • اذا طلبا أن يدركا ما تيمما

وقال أبو حية النميري

ألا حي من أجل الحبيب المغانيا • لبسن البلى مما لبسن اللياليا

اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة • تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

وقال بعض شعراء الجاهلية

كانت قناتي لا تلين لغامز • فألانها الإصباح والإمساء

ودعوت ربي في السلامة جاهدا • ليصحني فاذا السلامة داء

وقال عنترة بن شداد

فما أوهى مراس الحرب ركني • ولكن ما تقادم من زماني

ومن أمثال العرب اذا طال عمر الرجل أن يقولوا لقد أكل عليه الدهر وشرب انما يريدون انه أكل هو وشرب دهرا طويلا قال الجعدي

(كم رأينا من أناس هلكوا) • أكل الدهر عليهم وشرب

والعرب تقول نهارك صائم وليلك قائم أي أنت قائم في هذا وصائم في ذاك كما قال الله عز وجل بل مكر الليل والنهار والمعنى والله أعلم بل مكركم في الليل والنهار وقال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى • ونمت وما ليل المطي بنائم

وقال الفرزدق

تبكي على المنتوف بكر بن وائل • وتنهى عن ابني مسمع من بكاهما

غلامان شبا في الحروب وأدركا • كرام المساعي قبل وصل لحاهما

وابنا مسمع كان قتلهما معاوية بن يزيد بن المهلب مع عدي بن أرطاة لما أتاه خبر قتل أبيه وكان ابنا مسمع ممن خالف على يزيد بن المهلب والمنتوف كان مولى لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة وابنا

عن القول فيك وقد كنت أهابك بفضل هيبتي لك واجترئ عليك بفضل بسطك لي فنعني حرص الممنوع وخوف المشفق وأمن الواثق وقناعة الراضي وبعد فمن طلب ما لا يجاد به وسأل ما لا يوهب مثله ممن يجود بكل ثمين ويهب بكل خطير فواجب ان يكون من الرد مشفقا وبالنجح موقنا وان كان أبقاه الله أهلا لان يمنع وكنت حفظك الله أهلا ان تبذل وجب ان يكون باذلا مانعا وما كنا مطمئنا الان يكون الحرب سجالا والحالات دولا وهذه الخصال ما وقع الطلب وشاع الطمع فان منعت فعذرك مبسوط عند من عرف قدرك وان بذلت فلم تعد الذي أنت أهله عند من عرف قدرك

مسمع من بني قيس بن ثعلبة وكان المنتوف كالخليفة ليزيد بن المهلب وفي ذلك يقول جرير

والأزد قد جعلوا المنتوف قائدهم • فقتلتهم جنود الله وانتتفوا

وتمام شعر الفرزدق ولو قتلا من جذم بكر بن وائل • لكان على الناعي شديدا بكاهما

ولو كان حيا مالك وابن مالك • اذا أوقدا نارين يعلو سناهما

السنا ضوء النار وهو مقصور قال الله عز وجل يكاد سنا برقه يذهب بالابصار والسناء من الشرف ممدود قال حسان بن ثابت وانك خير عثمان بن عمرو • وأسناها اذا ذكر السناء

والبكاء يمد ويقصر فمن مد فانما جعله كسائر الاصوات ولا يكون المصدر في معنى الصوت مضموم الاول الا ممدودا لانه يكون على فعال وقلما يكون المصدر على فعل وقد جاء في حروف نحو الهدى والسرى وما أشبهه وهو يسير فاما الممدود فنحو العواء والدعاء والرغاء والثغاء فكذلك البكاء ونظيره من الصحيح الصراخ والنباح ومن قصر فانما جعل البكاء كالحزن وقد قال حسان فقصر ومد

بكت عيني وحق لها بكاها • وما يغني البكاء ولا العويل

وقال جرير قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم • كيف العزاء وقد فارقت أشبالي

هذا سوادة يجلو مقلتي لحم • باز يصرصر فوق المرقب العالي

فارقته حين غض الدهر من بصري • وحين صرت كعظم الرمة البالي

(نصيبك بالنصب لا غير لانه مفعول باضمار فعل تقديره احفظ نصيبك او احرز نصيبك) قوله يجلو مقلتي لحم شبه مقلتيه بمقلتي البازي ويقال طائر لحم من هذا وقوله يصرصر يعني يصوت يقال صرصر البازي والصقر وما كان من سباع الطير ويقال صرصر العصفور وأحسبه مستعارا لان الاصل فيه ان يستعمل في الجوارح من الطير قال جرير

• باز يصرصر بالسهبي قطاجونا • وقال آخر • كما صرصر العصفور في الرطب الثعد •

وأنشدني عمارة باز يصعصع وهو أصح (قال أبو الحسن يصعصع وهو الصواب ولكن هكذا وقع في كتابه ويصرصر لا يتعدى) وقوله كعظم الرمة فهي البالية الذاهبة والرميم مشتق من الرمة وانما هو فعيل وفعلة وليس يجمع له واحد ومما كفرت به الفقهاء الحجاج بن يوسف قوله والناس يطوفون بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره وان شئت قلت يطيفون قال أبو زيد تقول

الا انه لا يجود بمثله الا غني عند جميع الناس أو عاقل فوق جميع الناس وكيف لا أطلب طلب الجريء المتهور وامسك امساك الهائب الموقر وليس في الأرض خلق يغتفر في وصفه المحال غيره ولا يستحسن الهذيان سواه على ان من الهذيان ما يكون مفهوما ومن المحال ما يكون مسموعا فمن جهل ذلك ولم يعرفه وقصر ولم يبلغه فليسمع كلام اللهفان والثكلان والغضبان والغيران ومرقصة الصبيان والمتعظ اذا دنا منه والحاقي حتى اذا استوهبك لم تهب له منه حتى تقف وقفة وتطرقه ساعة ثم تستحسن وتستشير ثم

العرب طفت وأطفت به وذرت وأذرت به ويقال حدق وأحدق قال الأخطل

المنعمون بنو حرب وقد حدقت * بي المنية واستبطأت أنصاري

انما يطوفون باعواد ورمة ومن أمثال العرب لولا أن تضيع الفتيان الذمة لخبرتهما بما تجد الابل في الرمة يقول لولا أن تدع الأحداث التمسك بالوفاء والرعاية للحرمة لأعلمتها أن الابل تتناول العظم البالي وهو أذل الاشياء فتجد له لذة ومثل بيت جرير الاخير قول أبي الشغب يرثي ابنه شغبا

قد كان شغب لو ان الله عمره * عزا تزاد به في عزها مضر

ليت الجبال تداعت قبل مصرعه * دكا فلم يبق من أحجارها حجر

فارقت شغبا وقد قوست من كبر * بئس الخليفان طول الحزن والكبر

قوله قوست يقول انحنيت كالقوس قال امرؤ القيس

أراهن لا يحببن من قل ماله * ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

وقال سليمان بن قتة يرثي الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما

مررت على أبيات آل محمد * فلم أرها كعهدها يوم حلت

فلا يبعد الله الديار وأهلها * وان أصبحت من أهلها قد تخلت

وان قتيل الطف من آل هاشم * أذل رقاب المسلمين فذلت

وكانوا رجاء ثم صاروا رزية * فقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وعند غني قطرة من دمائنا * سنجزيهم يوما بها حيث حلت

اذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها * وتقتلنا قيس اذا النعل زلت

وسليمان بن قتة رجل من بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي وكان منقطعا الى بني هاشم وقال الفرزدق يرثي ابنيه

بفي الشامتين الترب ان كان مسني * رزية شبلي مخدر في الضراغم

وما أحد كان المنايا وراءه * ولو عاش أياما طوالا بسالم

أرى كل حي ما تزال طليعة * عليه المنايا من ثنايا المخارم

يذكرني ابني السماكان موهنا * اذا ارتفعا فوق النجوم العواتم

تشفع على مستوهبه وتعجب من شاربه ثم تطيل الكتاب بالامتنان وتسطر فيه بتعظيم الانعام مع ذكر مناقبه ونشر محاسنه بقدر الطاقة وان لم تبلغ الغاية فاعرف وزنه واشهد بطيبه وارح ساعته واشهد في الناس يومه وما ظنك بشيء لا تقدر ان تسرد في ذكره وتفرط في مدحه وتقصيرك واضح في كونه مكتوبا في طعمه موجودا في رائحته اذ كان كل ممدوح يقصر عن مدحه وقدره ويصغر في جنبه ولو لم يستدل على سعادة جدك واقبال أمرك وان لك زي صدق في المعلوم وحظا في الرزق المقسوم وانك ممن تبقى

وقد رُزِئَ الأقوامُ قبلي بَنِيهمُ • وإخوانهم فاقْنَيْ حياءَ الكرائمِ
ومات أبي والمنذران كلاهما • وعمرو بن كلثوم شهابُ الأراقمِ
وقد كان مات الأقرعان وحاجبٌ • وعمرو وأبو عمرو وقيس بن عاصم
وقد مات بِسطامُ بن قيس بن خالد • ومات أبو غسّان شيخُ اللهازمِ
وقد مات خيراهم فلم يُهلكاهمُ • عشيّةَ بانا رهطُ كعبٍ وحاتمِ
فما أبناك الأمن بني الناس فاصبري • فلن يرجعَ الموتى حنينُ المآتمِ

وأنشدني التوزيّ عن أبي زيد خنينُ المآتم بالخاء معجمة (الخنين بالخاء صوت من الخيشوم) قوله ما تزال طليعة يريد طالعة والثنايا جمع ثنيّة وهي الطريق في الجبل من ذلك (الشعر لسحيم بن وثيل الرياحي)

أنا ابن جلا وطلّاعُ الثنايا • متى أضع العمامة تعرفوني

والمخارم جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل وقوله فوق النجوم العواتم يعني المتأخرة يقال فلان يأتينا ولا يعتم أي لا يتأخر وعتمة اسم للوقت فلذلك سميت الصلاة بذلك الوقت وكل صلاة مضافة الى وقتها تقول صلاة الغداة وصلاة الظهر وصلاة العصر وأما قولك الصلاة الأولى فالأولى نعت لها اذ كانت أول ما صلّي وقيل أول ما أظهر وقوله فاقني حياء الكرائم يقول فالزمي وأصل القنية المال اللازم تقول اقتنى فلان مالا اذا اتخذ أصل مال وقيل في قول الله عز وجل وأنه هو أغنى وأقنى أي جعل لهم أصل مال وأنشد أبو عبيدة (الشعر لأبي المثلّم الهذلي يرثي صخرا)

لو كان للدهر عزٌّ يطمئنّ به • لكان للدهر صخرٌ مالَ قُنيان

والكرائم جمع كريمة والاسم من فعيلة والنعت يجمعان على فعائل فالاسم نحو صحيفة وصحائف وسفينة وسفائن والنعت نحو عقيلة وعقائل وكريمة وكرائم وقوله ومات أبي يريد التأسي بالاشراف وأبوه غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع وكان أبوه شريفا وأجداده الى حيث انتهوا ولكل واحد منهم قصة يطول الكتاب بذكرها والمنذران المنذر بن المنذر بن ماء السماء اللخمي يريد الابن والاب وعمرو بن كلثوم التغلبي قاتل عمرو بن هند وكان أحد أشراف العرب وفتّاكهم وشعرائهم والأراقم قبيلة من بني تغلب بن وائل من بني جشم بن بكر وزعم أهل العلم انهم انما سُمّوا الأراقم لان عيونهم شبّهت بعيون الحيّات والاراقم واحدها

نعمه ويدوم شكره ويفهم النعمة وربيها ويدرأ عنها ويستدعيها الا انه ان وقع في قسمك وكان في نصيبك لكان ذلك أعظم البرهان وأوضح الدلالة بل لا نقول انه وقع اتفاقا وغرسا نادرا حتى يكون التوفيق هو الذي قصد به والصنع هو الذي دل عليه ولو لم تملك غيره لكنت غنيا ولو ملكت كل شئ سواه لكنت فقيرا وكيف لا يكون كذلك وهو مستراح قلبك ومجال عقلك ومربع عينك وموضع أنسك ومستنبط لذتك وينبوع سرورك ومصباحك في الظلام وشعارك من جميع الاقسام وكيف وقد جمع أبهة الجلال

أرقم فكانوا معروفين بهذا قال الفرزدق يرد على جرير في هجائه له وللأخطل

إن الأراقم لن ينال قديمها ٭ كلب عوى متهتم الأسنان

وجعله شهابا ألهم لنوره وبهائه وضيائه تقول العرب انما فلان نجم أهله وكذلك قالت الخنساء

٭ كأنه علم في رأسه نار ٭ والأقرعان الأقرع بن حابس وابنه الأقرع من بني مجاشع بن دارم وكان الأقرع في صدر الاسلام سيد خندف وكان محله فيها محل عيينة بن حصن في قيس وحاجب ابن زرارة بن عدس سيد بني تميم في الجاهلية غير مدافع وعمرو أبو عمرو ويزيد عمرو بن عدس وكان شريفا وكان ابنه عمرو شريفا قتل يوم جبلة قتلته بنو عامر بن صعصعة وقتلوا لقيط بن زرارة وكان الذي ولي قتله عمارة الوهاب العبسي وينسب الى بني عامر لان بني عبس كانوا فيهم مع قيس بن زهير وعمارة هذا هو الذي كان يقال له دالق وقتله شرحاف الضبي ولذلك يقول الفرزدق

وهن بشرحاف تداركن دالقا ٭ عمارة عبس بعدما جنح العصر

وزعم أبو عبيدة أن فاطمة بنت الخرشب الأنمارية أريت في منامها قائلا يقول أعشرة هدرة أحب اليك أم ثلاثة كعشرة (هدرة بالدال غير معجمة قال أبو الحسن هم السقاط من الناس) فلم تقل شيأ فعاد لها الليلة الثانية فلم تقل شيأ ثم قصت ذلك على زوجها فقال ان عاد لك الثالثة فقولي ثلاثة كعشرة وزوجها زياد بن عبد الله بن ناشب العبسي فلما عاد لها قالت ثلاثة كعشرة فولدتهم كلهم غاية ولدت ربيع الحفاظ وعمارة الوهاب وأنس الفوارس وهي احدى المنجبات من العرب وأسروا حاجبا فذلك حيث يقول جرير يعير الفرزدق ويعلمه فخر قيس عليه

تحضض يا ابن القين قيسا ليجعلوا ٭ لقومك يوما مثل يوم الأراقم

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا ٭ وعمرو بن عمرو اذ دعوا يال دارم

ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا ٭ وشدات قيس يوم دير الجماجم

الجونان معاوية وحسان ابنا الجون الكنديان أسرا في ذلك اليوم فقتل حسان وفودي معاوية بسبب يطول ذكره والشعب شعب جبلة وقوله وشدات قيس يوم دير الجماجم هذا في الاسلام يعني وقعة الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي بعبد الرحمن بن محمد الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندي بدير الجماجم وقوله وقدمات بسطام بن قيس بن خالد يعني الشيباني وهو

ورشاقة الحلال ووقار البها وشرف الخير وعز المجاهدة ولذة الاختلاس وحلاوة الزبيب وسأصف لك شرف النبيذ في نفسه وفضيلته على غيره ثم أصف فضل شرابك على سائر الأشربة كما أصف فضل النبيذ على سائر الأنبذة لأن النبيذ اذا تمشى في عظامك والتبس بأجزائك ودب في جنانك منحك صدق الحس وفراغ النفس وجعلك رخي البال خلي الذرع قليل الشواغل قرير العين واسع الصدر فسيح الهم حسن الظن ثم سد عليك أبواب التهم وحسن دونك الظن وخواطر النهم وكفاك مؤونة الحراسة وألم

فارس بكر بن وائل وابن سيدها وقتل بالحسن وهو جبل (كذا وقعت الرواية بالجسن وهو جبل بالجيم والصحيح حبل بالحاء. قال ابن سراج رحمه الله تعالى الحسن والحسين حبلا رمل) قتله عاصم بن خليفة الضبي وكان عاصم أسلم فى أيام عثمان رحمه الله فكان يقف ببابه فيستأذن عليه فيقول عاصم بن خليفة الضبي قاتل بسطام بن قيس بالباب (قال أبو الحسن الوجه عندى فى بسطام أن لا ينصرف لانه أعجمى) وكان سبب قتله اياه أن بسطاما أغار على بنى ضبة وكان معه حاز (قال أبو الحسن حاز بالزاى زاجر) يحزو له فقال له بسطام انى سمعت قائلا يقول

• الدلو تأتى الغرب المزله • فقال الحازى فهلا قلت • ثم تعود بادنا مبتله • قال ما قلت

فاكتسح ابلهم فتنادوا واتبعوه فنظرت أم عاصم اليه وهو يقع حديدة له أى يحددها والميقعة المطرقة فقالت له ما تصنع بهذه وكان عاصم منقوصا فقال لها أقتل بها بسطام بن قيس فنهرته وقالت استك أضيق من ذلك فنظر الى فرس لعمه موثقة الى شجرة فاعروراها أى ركبها عريا ثم أقبل بها الريح فنظر بسطام الى الخيل قد لحقته فجعل يطعن الابل فى اعجازها فصاحت به بنو ضبة يا بسطام ما هذا السفه دعها اما لنا واما لك وانحط عليه عاصم فطعنه فرمى به على الألاءة وهى شجرة ليست بعظيمة وكان بسطام نصرانيا وكان مقتله بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فأراد أخوه الرجوع الى القوم فصاح به بسطام أنا حنيف ان رجعت ففى ذلك يقول ابن عنمة الضبى

وكان فى بنى شيبان   لخر على الألاءة لم يوسد • كأن جبينه سيف صقيل

ولما قتل بسطام لم يبق فى بكر بن وائل بيت الا هجم أى هدم وقوله ومات أبو غسان شيخ اللهازم يعنى مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب أحد بنى قيس بن ثعلبة واليه تنسب المسامعة وكان سيد بكر بن وائل فى الاسلام وهو الذى قال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة وكان حين حدث أمر مسعود بن عمرو والمعنى من الازد فلم يعلمه به فقال له عبيد الله وهو أحد فتاك العرب وهو قاتل مصعب بن الزبير أيكون مثل هذا الحدث ولا تعلمنى به هممت أن أضرم أرك عليك نارا فقال له مالك اسكت أبا مطر فوالله ان فى كنانتى سهم أنا أوثق به منى بك فقال له عبيد الله أو أنا فى كنانتك فوالله لو قعدت فيها لطلتها ولو قمت فيها لخرقتها فقال له مالك عجبه ما سمع منه أكثر الله فى العشيرة مثلك قال لقد سألت ربك شططا وفى مالك بن مسمع ...

الشفقة وخوف الحدثان وذل الطمع وكد الطلب وكلما اعترض على السرور وأفسد اللذة وقاسم الشهوة وأخل بالنعمة وهو الذى يرد الشيوخ فى طبائع الشبان ويرد الشبان فى نشاط الصبيان وليس يخاف شاربه الا مجاوزة السرور الى الاشر ومجاوزة الاشر الى البطر ولو لم يكن من اياديه ومننه ومن جميل آلائه ونعمه الا انك مادمت تمزجه بروحك وتزاوج بينه وبين دمك فقد أدفاك من الجدونصبه وحبب اليك المزح والفكاهة وبغض اليك الاستقصاء بمحاولة وازال عنك نعقدا الحشمة وكد المروءة وصار يومه جمالا لايام

اذا ما خشينا من أمير ظلامة * دعونا أبا غسان يوما فعسكرا

قوله وقد مات خيراهم تثنية كقولك مات أحمراهم ولم يخرج مخرج النعت ألا ترى أنك تقول هذا أحمر القوم اذا أردت هذا الأحمر الذى للقوم فاذا أردت الذى يفضلهم فى باب الحمرة قلت هذا أشدهم حمرة ولم تقل هذا أحمرهم وكذلك خيراهم وانما أردت هذا خيرهم ثم ثنيت أى هذا الخير الذى هو فيهم وقوله عشية بانا مردود على قوله خيراهم وقوله رهط كعب وحاتم انما خفضت رهطا لانه بدل من هم التى أضفت اليها الخيرين والتقدير وقد مات خيرا رهط كعب وحاتم فلم يملكاهم عشية بانا فأما كعب فهو كعب بن مامة الايادى وكان أحد أجواد العرب الذى آثر على نفسه وكان مسافرا ورفيقه رجل من النمر بن قاسط فقل عليهما الماء فتصافناه والتصافن أن يطرح فى الاناء حجر (هذا الحجر الذى يقسم به الماء يقال له المقلة بفتح الميم) ثم يصب فيه من الماء ما يغمره لئلا يتغابنوا وكذلك كل شئ وقف على كيله أو وزنه والأصل ما ذكرنا فجعل النمرى يشرب نصيبه فاذا أخذ كعب نصيبه قال اسق أخاك النمرى فيؤثره حتى جهد كعب ورفعت له أعلام الماء فقيل له رد كعب ولا ورود به فمات عطشا ففى ذلك يقول أبو دواد الايادى

أوفى على الماء كعب ثم قيل له * رد كعب انك وراد فما وردا

فضرب به المثل فقال جرير فى كلمته التى مدح فيها عمر بن عبد العزيز

يعود الفضل منك على قريش * وتفرج عنهم الكرب الشدادا

وقد أمنت وحشهم برفق * ويعيى الناس وحشك أن تصادا

وتبنى المجد يا عمر بن ليلى * وتكفى الممحل السنة الجمادا

وتدعو الله مجتهدا ليرضى * وتذكر فى رعيتك المعادا

وما كعب بن مامة وابن سعدى * بأجود منك يا عمر الجوادا

تعود صالح الأخلاق انى * رأيت المرء يلزم ما استعادا

هذا كعب بن مامة الذى ذكرناه وأما ابن سعدى فهو أوس بن حارثة بن لأم الطائى وكان سيدا مقدما فوفد هو وحاتم بن عبد الله الطائى على عمرو بن هند وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء فدعا أوسا فقال له أنت أفضل أم حاتم فقال أبيت اللعن لو ملكنى حاتم وولدى ولحمتى لوهبنا فى

الفكرة وتسهيلا لمعاودة الروية لكان فى ذلك ما يوجب الشكر ويطنب الذكر مع ان جميع ما وصفناه واخبرنا به عنه يقوم بايسر الجرم وأقل الثمن ثم يعطيك فى السفر ما يعطيك فى الحضر وسواء عليك البساتين والجنان ويصلح بالليل كما يصلح بالنهار ويطيب فى الصحو كما يطيب فى الدجن ويلذ فى الصيف كما يلذ فى الشتاء ويجرى مع كل حال وكل شئ سواه فانما يصلح فى بعض الاحوال ويدفع مضرة الهم كما يجلب منفعة السرور ولو كنت جذلا كان بارا بك وان كنت ذا هم نفاه عنك وما الغيث فى الحرث بانفع منه

غداً واحدة ثم دعا عاقبا فقال له أنت أفضل أم أوس فقال أبيت اللعن اغاذ كرت بأوس ولأحد ولده أفضل منى وكان النعمان بن المنذر دعا بحلة وعنده وفود العرب من كل حى فقال احضروا فى غد فانى ملبس هذه الحلة أكرمكم فحضر القوم جميعا الا أوسا فقيل له لم تخلفت فقال ان كان المراد غيرى فأجمل الاشياء أن لا أكون حاضراً وان كنت أنا المراد فسأطلب ويعرف مكانى فلما جلس النعمان لم ير أوسا فقال اذهبوا الى أوس فقولوا له احضر آمنا مما خفت فحضر فألبس الحلة فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة اهجه ولك ثلثمائة ناقة فقال الحطيئة كيف أهجو رجلا لا أرى فى بيتى أثاثا ولا مالا الا من عنده ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة ٭ من آل لأم بظهر الغيب تأتينى

فقال لهم بشر بن أبى خازم أحد بنى أسد بن خزيمة أنا أهجوه لكم فأخذ الابل وفعل فأغار أوس على الابل فاكتسحها فجعل لا يستجير حيا الا قال قد أجرتك الا من أوس وكان فى هجائه اياه قد ذكر أمه فأتى به فدخل أوس على أمه فقال قد أتينا ببشر الهاجى لك ولى فما ترين فيه فقالت له أو تطيعنى فيه قال نعم قالت أرى أن ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه وأفعل مثل ذلك فانه لا يغسل هجاءه الا مدحه فخرج اليه فقال ان أمى سعدى التى كنت تهجوها قد أمرت فيك بكذا وكذا فقال لا جرم والله لا مدحت أحدا حتى أموت غيرك ففيه يقول

الى أوس بن حارثة بن لأم ٭ ليقضى حاجتى فيمن قضاها

وما وطئ الثرى مثل ابن سعدى ٭ ولا لبس النعال ولا احتذاها

وأما حاتم الذى ذكره الفرزدق فهو حاتم بن عبد الله الطائى جواد العرب وقد كان الفرزدق صاحب رجلا من بنى العنبر بن عمرو بن تميم اداوة فى وقت فرامه العنبرى وسامه ان يؤثره وكان الفرزدق جوادا فلم تطب نفسه عن نفسه فقال الفرزدق

فلما تصافنا الاداوة أجهشت ٭ الى غضون العنبرى الجراضم

فجاء بجلمود له مثل رأسه ٭ ليشرب ماء القوم بين الصرائم

على ساعة لو أن فى القوم حاتما ٭ على جوده ضنت به نفس حاتم

قوله أجهشت فهو التسرع ونماراه فى غراه من مقاربة الشئ يقال أجهش بالبكاء والغضون

فى البدن وما الريش السهام بأدفأ منه للقرور ويستمر أبه الغداء ويدفع به ثقل الماء ويعالج به الأدواء ويحمر به الوجنتان ويعدل به قضاء الدين ان انفردت به الهال وان نادمت به سوال ثم هو أصنع للسرور من زلزل وأشد اطرابا من مخارق وقدر احتياجهما اليه كقدر استغنائه عنهما لانه أصل اللذات وهى فرعه وأول السرور ونتاجه ولله در أول من عمله وصنعه وسقيا لمن استنبطه وأظهره ماذا دبر وعلى أى شئ دل وبأى معنى أنعم وأى دفين اثار وأى كنز استخرج ومن استغناء النبيذ بنفسه وقلة احتياجه الى غيره

التكسر في الجلد والجراضم الاحمر الممتلئ وقوله ليشرب ماء القوم بين الصرائم فهي جمع صريمة
وهي الرملة التي تنقطع من معظم الرمل وقوله صريمة يريد مصرومة والصرم القطع وانشد
الاصمعي   فبات يقول أصبح ليل حتى • تجلى عن صريمته الظلام
يعني نورا وصريمته رملته التي هو فيها وقال المفسرون في قول الله عز وجل فأصبحت كالصريم
قوله قال قوم كالليل المظلم وقال قوم كالنهار المضيء أي بيضاء لا شيء فيها فهو من الاضداد
ويقال لك سواد الارض وبياضها أي عامرها وغامرها فهذا ما يحتج به لاصحاب القول الاخير
ويحتج لاصحاب القول الأول في السواد بقول الله عز وجل فجعله غثاء أحوى وانما سمي السواد
سوادا العمارة وكل خضرة عند العرب سواد ويروى

على ساعة لو أن في القوم حاتما • على جوده ما جاد بالماء حاتم

جعل حاتم تبيينا للهاء في جوده وهو الذي يسميه البصريون البدل أراد على جود حاتم

(باب)

قال أبو العباس كان يقال اذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم وكان يقال أنعم الناس عيشا من عاش غيره في عيشه وقيل في المثل السائر من كان في وطن فليوطن غيره وطنه ليرتع في وطن غيره في غربته قال وانتبه معاوية من رقدة له فأنبه عمرو بن العاصي فقال له عمرو ما بقي من لذتك يا أمير المؤمنين قال عين خرارة في أرض خوارة وعين ساهرة لعين نائمة فما بقي من لذتك يا أبا عبد الله قال أن أبيت معرسا بعقيلة من عقائل العرب ثم نبها وردان فقال له معاوية ما بقي من لذتك فقال الافضال على الاخوان فقال له معاوية اسكت فأنا أحق بها منك فقال له قد أمكنك فافعل ويروى ان عمرا لما سئل قال أن أستتم بناء مدينتي بمصر وأن وردان لما سئل قال أن ألقى كريما قادرا في عقب احسان كان مني اليه وأن معاوية سئل عن الباقي من لذته فقال محادثة الرجال ويروى عن عبد الملك أنه قال وقد سئل عن الباقي من لذته فقال محادثة الاخوان في الليالي القمر على الكثبان العفر وقال سليمان بن عبد الملك قد أكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره وامتطينا العذراء فلم يبق من لذتي الا صديق أطرح بيني وبينه مؤونة التحفظ وقال رجل لرجل من قريش اني والله

ان جميع ما سواه من الشراب يصلحه الثلج ولا يطيب الا به وأول ما تثني عليه به وتذكر منه انه كريم الجوهر شريف النفس رفيع القدر بعيد الهم وكذلك طبيعته المعروفة وسجيته الموصوفة وانه يسر النفوس ويحبب اليها الجود ويزين لها الاحسان ويرغبها في التوسع ويورثها الغنى وينفي عنها الفقر وعلاها عزا ويعدها خيرا ويحسن المسارة ويصير به النبت خصبا والجناب مريعا ومأهولا معشبا وليس شيء من المأكول والمشروب أجمع للظرفاء ولا أشد تألفا للادباء ولا أجلب للمؤنسين ولا أدعى الى خلاف المتمنعين ولا

ما أملّ الحديث قال اغاعلّ العتيق وقال المهلب بن أبي صفرة العيش كله في الجليس الممتع وقال معاوية الدنيا بحذافيرها الخفض والدعة وقال يزيد بن المهلب ما يسرني اني كفيت أمر الدنيا كله قيل له ولم أيها الامير قال أكره عادة العجز وروى عن بعض الصالحين أنه قال لو أنزل الله كتابا انه معذب رجلا واحدا لخفت أن أكونه أو انه راحم رجلا واحدا لرجوت أن أكونه ولو علمت أنه معذبي لامحالة ما ازددت الا اجتهادا لئلا أرجع على نفسي بلائمة وروى أن عمر بن العزيز كان يدخل اليه سالم مولى بني مخزوم وقالوا ابل زياد وكان عمر أراد شراءه وعتقه فأعتقه مواليه وكان عمر يسميه أخي في الله وكان اذا دخل وعمر في صدر مجلسه تنحى عن الصدر فيقال له في ذلك فيقول اذا دخل عليك من لا ترى لك عليه فضلا فلا تأخذ عليه شرف المجلس وهم السراج ليلة بأن يخمد فوثب اليه رجاء بن حيوة ليصلحه فأقسم عليه عمر فجلس ثم قام عمر فأصلحه فقال له رجاء أتقوم يا أمير المؤمنين قال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا ترفعوني فوق قدري فتقولوا في ما قالت النصارى في المسيح فان الله اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مرضته التي مات فيها فقال ألا توصي يا أمير المؤمنين قال فيم أوصي فوالله ان لي من مال فقال هذه مائة ألف فمر فيها بما أحببت فقال أو تقبل قال نعم قال ترد على من أخذت منه ظلما فبكى مسلمة ثم قال يرحمك الله لقد ألنت منا قلوبا قاسية وأبقيت لنا في الصالحين ذكرا وقيل لعلي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم انك من أبر الناس بأمك ولسنا نراك تأكل مع أمك في صحفة فقال أخاف أن تسبق يدي الى ما قد سبقت عينها اليه فأكون قد عققتها وقيل لعمر بن ذر حين نظر الى تعزيه عن ابنه كيف كان بره بك فقال ما مشيت بنهار معه قط الا مشى خلفي ولا بليل الا مشى أمامي ولا رقي سطحا وأنا تحته وقال أبو المخش كانت لي ابنة تجلس معي على المائدة فتبرز كفا كأنها طلعة في ذراع كأنها جمارة فلا تقع عينها على أكلة نفيسة الا خصتني بها فزوجتها وصار يجلس معي على المائدة ابن لي فيبرز كفا كأنها كرناقة في ذراع كأنها كربة فوالله ان تسبق عيني الى لقمة طيبة الا سبقت يده اليها وقال الاصمعي قيل لابي المخش أما كان لك ابن فقال المخش وما كان المخش كان والله أشدق خرطمانيا اذا تكلم سال لعابه كأنما ينظر من قلتين

أجدر أن يستدام به حديثهم ويخرج مكنونهم ويطول به مجلسهم منه وان كل شراب وان كان حلا ورق وصفا ودق وطاب وعذب وبرد ونقع فان استطابتك لأول جرعة منها كثير ويكون من طبائعك أوقع ثم لا يزال في نقصان الى ان يعود مكروها وبلية الا النبيذ فان القدح الثاني اسهل من الأول والثالث أيسر والرابع ألذ والخامس أسلس والسادس اطرب الى ان يسلسك الى النوم الذي هو حياتك او أحد أقواتك ولا خير فيه اذا كان اسكاره تغلبا وأخذه بالرأس تعسفا حتى يميت الحس بحدته ويصرع الشارب بسورته

وكان تمر قوته بوان أو خالفة وكأن مشاش منكبيه كركرة جمل فقأ الله عينى هاتين ان كنت رأيت بهما أحسن منه قبله ولا بعده قوله بوان أو خالفة فهما عمودان من عمد البيت البوان فى مقدمه والخالفة فى مؤخره والكرنافة طرف الكربة العريض الذى يتصل بالنخلة كأنه كتف حدثنى بهذا الحديث العباس بن الفرج الرياشى عن الاصمعى وحدثنى عمن حدثه قال مر بنا أعرابى ينشد ابناله فقلنا صفه فقال دنينير قلنا لم نره فلم نلبث ان جاء بجعل على عنقه فقلنا لو سألت عن هذا لأرشدناك مازال منذ اليوم بين أيدينا وأنشدنى منشد وأنشدنى الرياشى أحد البيتين

نعم ضجيع الفتى اذا برد الـليل سحيرا وقرقف الصرد
زينها الله فى الفؤاد كما * زين فى عين والد ولد

وقالت أم ثواب الهزانية من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار تعنى ابنها

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه * أم الطعام ترى فى ريشه زغبا
حتى اذا آض كالفحال شذبه * أباره ونفى عن متنه الكربا
أنشا يخرق أثوابى ويضربنى * أبعد شيبى عندى تبتغى الأدبا
انى لأبصر فى ترجيل لمته * وخط لحيته فى وجهه عجبا
قالت له عرسه يوما لتسمعنى * رفقا فان لنا فى أمنا أربا
ولو رأتنى فى نار مسعرة * من الجحيم لزادت فوقها حطبا

قوله أباره فهو الذى يصلحه يقال أبرت النخل وأبرته خفيفة اذا لقحته وروى أن مالك بن العجلان أو غيره من الأنصار كان يضعف أبا جبيلة الملك حيث نزل بهم بتمر من نخلة لهم شريفة فغاب يوما فقال أبو جبيلة ان مالكا كان يقوت علينا جنى هذه النخلة فجدوها فجاء مالك وقد جدت فقال من سعى على عذق الملك فجده فأعلموه أن الملك أمر بذلك فجاء حتى وقف عليه فقال

جدت جنى نخلتى ظالما * وكان الثمار لمن قد أبر

فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم المدينة أطرفوه بهذا الحديث فقال صلى الله عليه وسلم الثمر لمن أبر الا أن يشترطه المشترى والفحال فحل النخل ولا يقال لشئ من الفحول فحال غيره وأنشدنى المازنى

يطفن بفحال كأن ضبابه * بطون الموالى يوم عيد تغدت

ويورث البهر بكظته ولا يسرى فى العروق لغلظته ولا يجرى فى البدن لركوده ولا يدخل فى العمق ولا يدخل الصميم ولا والله حتى يغازل العقل ويعارضه ويدعه ويخادعه فيسره ثم يحزه فاذا امتلأ سرورا وعاد ملكا محبورا خاتله السكر وراوغه وداراه وماكره وهازله وفانجه وليس كما يغتصب السكر ويعتسف الداذى ويفترس الزبيب ولكن بالتقتير والغمز والحيلة والحيل وتحبيب النوم وتزيين الصمت وهذه صفة شرابك الامالا نحيط به ونعوته وبتبدل الاما يقع منها الجهل به وخير الاشربة ما جمع المحمود من خصالها

وضبابه طلعه وآض عاد ورجع وقولها اشذبه تقول قطع عنه الكرب والعشا كيل وكل مشذب مقطوع ويقال للرجل الطويل النحيف مشذب يشبه بالجذع المحذوف عنه الكرب وأصل التشذيب القطع وقال الفرزدق

عضت سيوف تميم حين أغضبها • رأس ابن عجلى فأضحى رأسه شذبا

أراد عضت سيوف تميم رأس ابن عجلى حين أغضبها وابن عجلى عبد الله بن خازم السلمي وأمه عجلى وكانت سوداء وهو أحد غربان العرب في الاسلام وسئل المهلب من أشجع الناس فقال عباد بن حصين وعمرو بن عبيد الله بن معمر والمغيرة بن المهلب فقيل له فأين ابن الزبير وابن خازم وعمير بن الحباب فقال انما سئلت عن الانس ولم أسئل عن الجن

((باب))

روى شعبة عن واقد بن محمد عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد قال قالت عائشة رضي الله عنها من أرضى الله باسخاط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن أرضى الناس باسخاط الله وكله الله الى الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ✱ يروى أن الحسن بن زيد لما ولي المدينة قال لابن هرمة اني لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك أو خوف ذمك قد أفادني الله بولادة نبيه الممادح وجنبني المقابح وان من حقه علي ألا أغضي على تقصير في حقه وأنا أقسم بالله لئن أتيت بك سكران لأضربنك حدين حدا للخمر وحدا للسكر ولأزيدن لموضع حرمتك بي فليكن تركك لها لله تعن عليه ولا تدعها للناس فتوكل اليهم فنهض ابن هرمة وهو يقول

نهاني ابن الرسول عن المدام • وأدبني بآداب الكرام

وقال لي اصطبر عنها ودعها • لخوف الله لا خوف الأنام

وكيف تصبري عنها وحبي • لها حب تمكن في عظامي

أرى طيب الحلال علي خبثا • وطيب النفس في خبث الحرام

وقال الحسن لمطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي يا مطرف عظ أصحابك فقال مطرف اني أخاف أن أقول ما لا أفعل فقال الحسن يرحمك الله وأينا يفعل ما يقول لود الشيطان انه ظفر بهذه منكم

وخصال غيرها وشرابك هذا قد أخذ من الخمر زينتها في المفاصل وتمشيها في العظام ولونها الغريب وأخذ برد الماء ورقة الهواء وحركة النار وحمرة خدك اذا خجلت وصفرة لونك اذا فزعت وبياض عارضك اذا ضحكت وحسبي بصفاتك عوضا من كل حسن وخلفا من كل صالح ولا تعجب ان كانت نهاية الهمة وغاية المنية فان حسن الوجوه اذا وافق حسن القوام وشدة العقل وجودة الرأي وكثرة الفعل وسعة الخلق والمغرس الطيب والنصاب الكريم والطرف الناصع واللسان المفعم والمخرج السهل والحديث المونق

فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر وقال مطرف بن عبد الله لابنه يا عبد الله العلم أفضل من العمل والحسنة بين السيئتين وشر السير الحقحقة قوله الحسنة بين السيئتين يقول الحق بين فعل المقصر والغالي ومن كلامهم خير الامور أوساطها وقوله وشر السير الحقحقة وهو ان يستفرغ المسافر جهد ظهره فيقطعه فيهلك ظهره ولا يبلغ حاجته يقال حقحق السير اذا فعل ذلك وقال الراجز • وانبت فعل السائر المحقحق • (فعل بالنصب الرواية الصحيحة لانه مصدر معنى) وحدثت أن الحسن لقى سابق الحاج وقد أسرع فجعل يومئ اليه باصبعه فعل الغازلة وهو يقول خرقا وجدت صوفا وهذا مثل من أمثال العرب يضربونه للرجل الاحمق الذي يجد مالا كثيرا فيعيث فيه وشبيه بهذا المثل قوله عبد وخلا في يديه ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة ربك فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى قوله متين المتين الشديد قال الله عز وجل وأملي لهم ان كيدي متين وقوله فأوغل فيه برفق يقول ادخل فيه هذا أصل الوغول ويقال مشتقا من هذا الرجل الذي يأتي شراب القوم من غير أن يدعى اليه واغل ومعناه انه وغل في القوم وليس منهم قال امرؤ القيس

حلت لي الخمر وكنت امرأ • عن شربها في شغل شاغل

فاليوم أسقى غير مستحقب • اثما من الله ولا واغل

والمنبت مثل المحقحق واشتقاقه من الانقطاع يقال انبت فلان من فلان اى انقطع منه وبت الله ما بينهم اى قطع قال محمد بن نمير

تواعد للبين الخليط لينبتوا • وقالوا الراعي الذود موعدك السبت

وفي النفس حاجات اليهم كثيرة • وموعدها في السبت لو قد دنا الوقت

(روى الاخفش البيت الاخير ويروى • الاقرب الحي الجمال لينبتوا •) وحدثت ان ابن السماك كان يقول اذا فعلت الحسنة فافرح بها واستقلها فانك اذا استقللتها ازددت عليها واذا فرحت بها عدت اليها ويروى عن أويس القرني انه قال ان حقوق الله لم تترك عند مسلم درهما ودخل يزيد بن عمر بن هبيرة على امير المؤمنين المنصور فقال يا امير المؤمنين توسع توسعا قرشيا ولا تضق ضيقا حجازيا ويروى انه دخل عليه يوما فقال له المنصور حدثنا فقال يا امير المؤمنين ان

مع الاشارة الحسنة والنبل في الجلسة والحركة الرشيقة واللهجة الفصيحة والتمهل في المجاوزة والهز عند المناقلة والبديه البديع والفكر الصحيح والمعنى الشريف واللفظ المحذوف والايجاز يوم الايجاز والاطناب يوم الاطناب يفل الحز ويصيب المفصل ويبلغ العفو ما يقصر عنه الجهد كان أكثر لتضاعف الحسن واحق بالكمال وان التاج بهي وهو في رأس الملوك أبهى والياقوت الكريم حسن وهو في جيد المرأة الحسناء احسن والشعر الفاخر حسن وهو من الاعرابي احسن فان كان من قول المنشد وقريضه ومن

سلطانكم حديث وامارتكم جديدة فأذيقوا الناس حلاوة عدلها وجنبوهم مرارة جورها فوالله يا أمير المؤمنين لقد محضت لك النصيحة ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس فأتاره المنصور بصره ثم قال لا يعز ملك يكون فيه مثل هذا قوله محضت لك النصيحة يقول اخلصت لك واصل هذا من اللبن والمحض منه الخالص الذي لا يشوبه شئ وأنشد الاصمعي

امتحضا وسقياني ضيحا ٭ وقد كفيت صاحبي الميحا ٭

(الميح طلب الشئ ههنا وههنا) ويقال حسب محض وقوله أتاره بصره يقول أتبعه بصره وحدد اليه النظر وأنشد الاصمعي (وهو للكميت بن زيد)

مازلت أرمقهم والآل يرفعهم ٭ حتى اسمدر بطرف العين اتآري

ويروى عن أسماء بن خارجة أنه قال لا أشاتم رجلا ولا أرد سائلا فانما هو كريم أسد خلته أو لئيم أشتري عرضي منه ويروى عن الأحنف بن قيس أنه قال ما شاتمت رجلا مذ كنت رجلا ولا زحمت ركبتاي ركبتيه واذا لم أصل مجتدي حتى ينتح جبينه عرقا كما ينتح الحميت فوالله ما وصلته قوله مجتدي يريد الذي يأتيه يطلب فضله يقال اجتداه يجتديه واعتفاه يعتفيه واعتراه يعتريه واعتره يعتره وعراه يعروه اذا قصده يتعرض لنائله وأصل ذلك مأخوذ من الجدى مقصور وهو المطر العام النافع يقال أصابتنا مطرة كانت جدى على الارض فهذا الاسم فاذا أدرت المصدر قلت فلان كثير الجداء ممدود كما تقول كثير الغناء عنك ممدود هذا المصدر فاذا أردت الاسم الذي هو خلاف الفقر قلت الغنى بكسر أوله وقصرت قال خفاف بن ندبة يمدح أبا بكر الصديق رضي الله عنه

ليس لشئ غير تقوى جداء ٭ وكل شئ عمره للفناء

ان أبا بكر هو الغيث اذلم ٭ تشمل الارض سحاب بماء

تالله لا يدرك أيامه ٭ ذو طرة حاف ولا ذو حذاء

من يسع كي يدرك أيامه ٭ يجتهد الشد بأرض فضاء

وهذا من طريف الشعر لانه ممدود فهو بالمد الذي فيه من عروض السريع الاولى وبيته في العروض

أزمان سلمى لا يرى مثلها الـ ٭ ـراؤن في شام ولا في عراق

ثم نرجع الى تأويل قول الأحنف قوله حتى ينتح جبينه عرقا فهو مثل الرشح وحدثني أبو عثمان

نحته وتحبيره فقد بلغ الغاية واقام النهاية وهذا الشراب حسن وهو عندك احسن والهدية منه شريفة وهي منك اشرف وان كنت قدرت اني انما طلبته منك لأشربه او لأسقيه اولأهبه او لأتحساه في الخلا أو اديره في الملا أو لأنافس فيه الاكفاء واختبر زيادة الخطأ او لأبتذله لعيون الندماء او أعرضه لنوائب الأصدقاء فقد أسأت بي الظن وذهبت من الاساءة بي في كل فن وقصرت به فهو أشد عليك ووضعت منه فهو أضر بك وان ظننت أني انما اريده لأطرف به معشوقة اولأستميل به هوى ملك

المازنى فى اسناده له ذكره قال قال رؤبة بن العجاج خرجت مع أبى زيد سليمان بن عبد الملك فلما صرنا فى الطريق أهدى لنا جنب من لحم عليه كوافئ الشحم وخريطة من كمأة ووطب من لبن فطفقنا هذا بهذا فما زالت ذفرياى تنضحان منه الى أن رجعت وقوله الحميت فالحميت والزق اسمان له واذا زفت أو كان مربوبا فهو الوطب واذا لم يكن مربوبا ولا مزفتا فهو سقاء ونحى والوطب يكون للبن والسمن والسقاء يكون للبن والماء قالت هند بنت عتبة لأبى سفيان بن حرب لما رجع مسلما من عند النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة فى ليلة الفتح فصاح يا معشر قريش ألا انى قد أسلمت فأسلموا فان محمدا قد أتاكم بما لا قبل لكم به فأخذت هند رأسه وقالت بئس طليعة القوم أنت والله ما خدشت خدشا يا أهل مكة عليكم الحميت الدسم فاقتلوه وأما قول رؤبة كرافئ الشحم يريد طبقات الشحم وأصل ذلك فى السحاب اذا ركب بعضه بعضا يقال له كرفئ والجميع كرافئ (قال أبو الحسن الاخفش واحد الكرافئ كرفئة وهاء التأنيث اذا جمعت جمع التكسير حذفت لانها زائدة بمنزلة اسم ضم الى اسم وأحسب ان أبا العباس لم يسمع الواحد من هذا فقاسه والعرب تجترئ على حذف هاء التأنيث اذا احتاجت الى ذلك وليس هذا موضع حاجة اذا كانت قد استعملت الواحدة بالهاء ونظير هذا قولهم ما فى السماء كرفئة وما فى السماء قذعملة وقذعميلة وما فى السماء طخربة وطخربة وما فى السماء قرطعبة وما فى السماء كنهورة وهى القطعة من السحاب العظيمة كالجبل وما أشبهه)

•(باب)•

قال أبو العباس قال حسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمى من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى رهط أبى بكر الصديق رضى الله عنه

لو كنت من هاشم أو من بنى أسد • أو عبد شمس أو اصحاب اللوا الصيد
أو من بنى نوفل أو رهط مطلب • لله درك لم تهمم بتهديدى
أو فى الذؤابة من قوم ذوى حسب • لم تصبح اليوم نكسا ثانى الجيد
أو من بنى زهرة الأخيار قد علموا • أو من بنى جمح البيض المناجيد

او لا غسل به وضر الأفئدة او أودى به خطايا الأشربة او لأجلو به الأبصار العليلة او اصلح به الأبدان الفاسدة او لا تطوع به على شاعر مفلق أو خطيب مصقع او اديب مدقع ليفيق لهم المعانى وليخرج المذاهب ولما فى جانبهم من الأجر وفى اعناقهم من الشكر ولينقضوا ما قالت الشعراء فى الجد وابر تجنفوا عما شاع لهم من الذكر فانى اريد ان اضع من قدرها وان أكسر من بالها فقد تاهت وتيه بها او لأن اتفاءل برؤيته واتبرك بمكانه وآنس بقربه او لأشفى به الظمآن أو اجعله اكسير اصحاب الكيمياء او لأن اذكرك كلما رأيته

او

أوفى السرارة من تيم رضيت بهم • أومن بنى خلف الخضر الجلاعيد

يا آل تيم ألا تنهوا سفيهكم • قبل القذاف بقول كالجلاميد

لولا الرسول فانى لست عاصيه • حتى يغيبنى فى الرمس ملحودى

وصاحب الغار انى سوف أحفظه • وطلحة بن عبيد الله ذى الجود

لقد رميت بها شنعاء فاضحة • يظل منها صحيح القوم كالمودى

قوله لو كنت من هاشم يريد هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة والنضر أبو قريش ومن كان من بنى كنانة لم يلده النضر فليس بقرشى وبنو أسد بن عبد العزى بن قصى وعبد شمس بن عبد مناف بن قصى وأصحاب اللواء بنو عبد الدار بن قصى واللواء ممدود اذا أردت به لواء الامير ولكنه احتاج اليه فقصره وقد بينا جواز ذلك فاما اللوى من الرمل فمقصور قال امرؤ القيس

• بسقط اللوى بين الدخول فحومل • كذا رواه الأصمعى وهذه أصح الروايات وقوله أومن بنى نوفل فهو نوفل بن عبد مناف بن قصى والمطلب الذى ذكره هو ابن عبد مناف بن قصى وقوله لم تصبح اليوم نكسا فالنكس الدنىء المقصر ويقول بعضهم ان أصل ذلك فى السهام وذلك ان السهم اذا ارتدع أو نالته آفة نكس فى الكنانة ليعرف من غيره قال الحطيئة

قد ناضلوك فابدوا من كنانتهم • مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس

قوله مجدا تليدا قالوا نواصى الفرسان الذين كان من عليهم وقوله ثانى الجيد فدمر تفسيره فى قول الله عز وجل ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله وقوله أومن بنى زهرة فهو زهرة بن كلاب ابن مرة ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلقت من خير حيين من هاشم وزهرة وبنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وقوله المناجيد مفاعيل من النجدة والواحد منجاد وانما يقال ذلك فى تكثير الفعل كما تقول رجل مطعان بالرمح ومطعام للطعام وقوله أوفى السرارة من تيم رضيت بهم يقول فى الصميم منهم والموضع المرضى وأصل ذلك فى التربة تقول العرب اذا غرست فاغرس فى سرارة الوادى ويقال فلان فى سر قومه والسرة مثل ذلك قال القرشى

هلا سألت عن الذين تبطحوا • كرم البطاح وخير سرة واد

واذا عبت كلما قابلته او لأجتلب به اليسر وانفى العسر أولانه والفقر لايجتمعان فى دار ولا يقيمان فى ربع ولا تعرف به حسن اختيارك وأتذكر به جودة احتبائك او لان استدل به على خالص حبك وعلى معرفتك بفضلى وقيامك بواجب حقى فقد احسنت بى الظن وذكرت من الاحسان فى كل فن بل هو الذى اصونه صيانة الاعراض واغار عليه غيرة الازواج واعلم انك ان اكثرت لى منه خرجت الى الفساد وان اقللت اقمت على الاقتصاد وانا رجل من بنى كنانة وللخلافة قرابة ولى فيها شفعة وهم بعد جنس وعصبة فاقل ما صنع ان

وعن الذين أبوا فلم يستكرهوا * أن ينزلوا الوجات من أجياد

يخبرك أهل العلم أن بيوتنا * منها بخير مضارب الأوتاد

وقوله أو من بني خلف الخضر فانه حذف التنوين لالتقاء الساكنين وليس بالوجه وانما يحذف من الحرف لالتقاء الساكنين حروف المد واللين وهي الالف المفتوح ما قبلها والياء المكسور ما قبلها والواو المضموم ما قبلها نحو قولك هذا قفا الرجل وقاضي الرجل ويغزو القوم فاما التنوين فجاز هذا فيه لانه نون في اللفظ والنون تدغم في الياء والواو وتزاد كما تزاد حروف المد واللين ويبدل بعضها من بعض فتقول رأيت زيدا فتبدل الالف من التنوين وتقول في النسب الى صنعاء وبهراء صنعاني وبهراني فتبدل النون من ألف التأنيث وهذه جملة وتفسيرها كثير فلذلك حذف ومثل هذا من الشعر

عمرو الذي هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

(صوابه عمرو العلى) وقال آخر حميد الذي أمج داره * أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع

وقرأ بعض القراء قل هو الله أحد الله الصمد وسمعت عمارة بن عقيل يقرأ ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون فقلت ما تريد فقال سابق النهار وقوله أو أصحاب اللوا خفف الهمزة وتخفف اذا كان قبلها ساكن فتطرح حركتها على الساكن وتحذف كقولك من ابوك وقوله عز وجل الذي يخرج الخب في السموات والارض وخلف الذي ذكره من بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي وقوله الخضر الجلاعيد يقال فيه قولان أحدهما أنه يريد سواد جلودهم كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب

وأنا الأخضر من يعرفني * أخضر الجلدة في بيت العرب

فهذا هو القول الاول وقال آخرون شبههم في جودهم بالبحور وقوله الجلاعيد يريد الشداد الصلاب واحدهم جلعد وزاد الياء للحاجة وهذا جمع يجيء كثيرا وذلك أنه موضع تلزمه الكسرة فتشبع فتصير ياء يقال في خاتم خواتيم وفي دانق دوانيق وفي طابق طوابيق قال الفرزدق

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة * نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

وقوله قبل القذاف يريد المقاذفة وهذه تكون من اثنين فما فوقهما نحو المقاتلة والمشاتمة

أكثرت لي منه ان اطلب الملك واقل ما يصنعون بي ان انفي من الأرض فان اقللت فانك الولد الناصح وان اكثرت فانك الغاش الكاشح والسلام

(فصل من صدر كتابه في طبقات المغنين)

ثم انا وجدنا الفلاسفة المتقدمين في الحكمة المحيطين بالامور معرفة ذكروا ان اصول الاداب التي منها يتفرع العلم لذوي الالباب اربعة فمنها النجوم وبروجها وحسابها الذي يعرف به الاوقات والازمنة وعليها امزاج الطبائع وايام السنة ومنها الهندسة وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقدير وما اشبه ذلك

ثم باب فاعَلْتُ اغا هو للاثنين فصاعداً نحو قاتَلْتُ وضارَبْتُ وقد تكون الألف زائدة فى فاعَلْتُ فتبنى للواحد كما زيدت الهمزة أولاً فى أفعَلْتُ فتكون للواحد نحو عاقَبْتُ اللصَّ وعافاه الله وطارَقْتُ نَعْلى وقوله وصاحب الغار يعنى أبا بكر رضى الله عنه لمصاحبته النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى الغار وهذا مشهور لا يحتاج الى تفسير وطلحة بن عبيد الله ذو الجود نسبه الى الجود لانه كان من أجود قُرَيش وحدَّثنى التوَّزىّ قال كان يقال لطلحة بن عبيد الله طَلْحَة الطَّلَحات وطَلْحَةُ الخَير وطَلْحَةُ الجود وذكر التوَّزىّ عن الاصمعى أنه باع ضَيْعَةً له بخمسة عشر ألف درهم فقسمها فى الأطباق وفى بعض الحديث انه منعه أن يخرج الى المسجد أن لفّق له بين ثوبين وحدثنى العتبى فى اسناد ذكره قال دعا طَلْحَةُ بن عبيد الله أبا بكر وعمر وعثمان رحمة الله عليهم فابطأ عنه الغلام بشئ أراده فقال طلحة يا غلامُ فقال الغلام لَبَّيْكَ فقال طلحة لا لَبَّيْكَ فقال أبو بكر ما يسرُّنى أنى قلتها وأنّ لى الدنيا وما فيها وقال عمر ما يسرُّنى أنى قلتها وأنّ لى نصفَ الدنيا وقال عثمان ما يسرُّنى أنى قلتها وأنّ لى حُمْرَ النَّعَم قال وصمت عليها أبو محمد فلما خرجوا من عنده باع ضَيْعَةً بخمسة عشر ألف درهم فتصدق بثمنها وقوله يظلّ منها صحيحُ القوم كالمودى فالمودى فى هذا الموضع الهالك والمودى موضع آخر يكون فيه القوىَّ الجادّ حدّثنى بذلك التوَّزىّ فى كتاب الاضداد وأنشدنى

مُودونَ يحمونَ السَّبيلَ السابلا ... (المُؤدى بالهمز التامُّ الأداة والسلاح وبغير الهمز الهالكُ) وقال رجل من العرب

خليلَىَّ عُوجا بارك الله فيكما ... على قبرِ أُهبانَ سقتهُ الرَّواعدُ
فذاك الفتى كلُّ الفتى كان بينهُ ... وبين المُزَجَّى نفنفٌ متباعِدُ
اذا نازعَ القومُ الأحاديثَ لم يكنْ ... عَييًّا ولا عَبْئًا على مَن يقاعِدُ

قوله على قبر أُهبانَ فهذا اسم علم كزيد وعمرو واشتقاقه من وَهَبَ يَهَبُ وهمز الواو لانضمامها كقوله تعالى واذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ فهو فُعِّلَتْ من الوقت وقد مضى تفسير همز الواو اذا انضمت وهو لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة وكل شئ لا ينصرف فَصَرْفُهُ فى الشعر جائز لان أصله كان الصرف فلما احتيج اليه رُدَّ الى أصله فهذا قول البصريين وزعم قوم ان كل شئ لا ينصرف فَصَرْفُهُ فى الشعر جائز الا أفعَلَ الذى معه منكَ نحو أفضلَ منكَ وأكرمَ منكَ وزعم

ومنها الكيمياء والطب اللذان بهما صلاح المعاش وقوام الأبدان وعلاج الأسقام وما يتشعب من ذلك ومنها اللحون ومعرفة أجزائها وقسمها ومقاطعها ومخارجها وأوزانها حتى يستوى على الايقاع ويدخل فى الوتر وغير ذلك مما اقتصرنا من ذكره على أسمائه وجمله اجتنابا للتطويل وتوخيا للاختصار وقصدنا للامر الذى اليه انتهينا واياه أردنا والله الموفق وهو المستعان ولم يزل أهل كل علم فيما خلا من الأزمنة يركبون منهاجه ويسلكون طريقه ويعرفون غامضه ويسهلون سبيل المعرفة بدلائله خلا الغناء فانهم

الخليل وعليه أصحابه أن هذا اذا كانت معه منك بمنزلة آخر لانه انما كمل أن يكون نعتا بمنك وآخر لا يحتاج اليها فهو مع منك بمنزلة آخر وحده قال والدليل على أن منك ليست بمانعته من الصرف أنه اذا زال عن بناء أفعل انصرف نحو قولك مررت بخير منك وشر منك فلو كانت منك هى المانعة لمنعت ههنا فهذا قول بين جدا وقوله المزجى فهو الضعيف يقال زجى فلان حاجتى أى خف عليه تعجيلها والمزجاة من البضائع اليسيرة الخفيفة المحمل والنفنف وجمعه النفانف كل ما كان بين شيئين عال ومنخفض قال ذو الرمة

(ترى قرطها فى واضح الليت مشرفا ● على هلك) فى نفنف يتطوح

وقوله ولا عبئا على من يقاعد فالعبء الثقل يقال حمل عبئا ثقيلا ووكده بقوله ثقيلا ولو لم يقله لم يحتج اليه وقال آخر يذكر ابنه

ألا يا سمية شبى الوقودا ● لعل الليالى تؤدى يزيدا

فنفسى فداؤك من غائب ● اذا ما المسارح كانت جليدا

كفانى الذى كنت أسعى له ● فصار أبالى وصرت الوليدا

قوله شبى يقال شببت النار والحرب اذا أوقدتهما يقال شب يشب شبا قال الأعشى

تشب لمقرورين يصطليانها ● وبات على النار الندى والمحلق

وقوله اذا ما المسارح كانت جليدا فالمسارح الطرق التى يسرحون فيها واحدها مسرح والجليد يقع من السماء وهو ندى فيه جمود فتبيض له الأرض وهو دون الثلج يقال له الجليد والضريب والسقيط والصقيع وقال الوافى قوله ● رجلا لأعقاب يوم دجن تضرب ● أى يصيبها الضريب وقوله وكنت الوليدا فالوليد الصغير وجمعه ولدان وهو فى القرآن (قوله عز وجل يطوف عليهم ولدان مخلدون) ونظير وليد وولدان ظليم وظلمان وقضيب وقضبان وباب فعال فعلان نحو عقبان وذئبان وغربان وقولهم أمر لا ينادى وليده يقال فيه قولان متقاربان فأحدهما انه لا يدعى له الصغار والوجه الآخر لأصحاب المعانى يقولون ليس فيه وليد فيدعى ونظير ذلك قول النابغة الجعدى سبقت صياح فراريجها ● وصوت نواقيس لم تضرب

أى ليست ثم ولكن هذا من أوقاتها وقالت أخت طرفة بن العبد

لم يكونوا عرفوا علله وأسبابه ووزنه وتصاريفه وكان علمهم به على الهاجس وعلى ما يسمعون من الفارسية والهندية الى أن نظر الخليل البصرى فى الشعر ووزنه ومخارج ألفاظه وميز ما قالت العرب منه وجمعه وألفه ووضع فيه الكتاب الذى سماه العروض وذلك انه عرض جميع ما روى من الشعر وما كان به عالما على الأصول التى رسمها والعلل التى بينها فلم يجد أحدا من العرب خرج منها ولا قصر دونها فلما أحكم وبلغ منه ما بلغ أخذ فى تفسير النغم واللحون فاستدرك منه شيأ ورسم له رسما احتذى عليه من خلفه واستعد من عنى به

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وعشرين حِجَّة • فلما تَوَفَّاها استوى سَيِّدًا ضخما

فُجِعْنَا به لما رجونا إيابه • على خير حالٍ لا وليدًا ولا قحما

الوليد ما ذكرنا والقحم الرجل المتناهي سنًّا ويقال ذلك في البعير قحم وقحر ومقلهم ويقال للبعير خاصة قحار بة بوزن قراسية وأنشد الأصمعي

رأين قحمًا شاب واقلهمّا • طال عليه الدهر فاسلهمّا

المسلهمّ الضامر وقال آخر لابنه يرثيه

ومن عجب أن بتّ مستشعر الثرى • وبتّ بما زودتني متمتعا

ولو أنني أنصفتك الود لم أبت • خلافك حتى ننطوي في الثرى معا

وقال ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن يرثي أخاه محمدًا

أبا المنازل يا عُبْر الفوارس من • يفجع بمثلك في الدنيا فقد فُجعا

الله يعلم أني لو خشيتهم • أو آنس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوك ولم أسلم أخي لهم • حتى نعيش جميعًا أو نموت معا

قوله يا عبر الفوارس يصفه بالقوة منهم وعليهم كما يقال ناقة عبر الهواجر وعبر السُّرى وقوله أو آنس القلب من خوف لهم فزعا يقول أحس وأصل الايناس في العين يقال آنست شخصًا أي أبصرته من بُعد وفي كتاب الله عز وجل آنس من جانب الطور نارا وقال مُتمّم بن نُوَيرة (يرثي أخاه)

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته • لميت ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت لهم ان الأسى يبعث البكى • ذروني فهذا كله قبر مالك

الأسى الحزن وقد مر تفسيره وقال علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رحمه الله

أبي العباس قرم بني قصي • وأخوالي الملوك بنو وليعه

هم منعوا ذماري يوم جاءت • كتائب مسرف وبنو اللكيعه

أرادوني التي لا عز فيها • فحالت دونه أيد منيعه

قوله بنو وليعة فهم أخواله من كندة وأمه زرعة بنت مشرح الكندية ثم أحد بني وليعة وقوله كتائب مسرف يعني مسلم بن عقبة المري صاحب الحرة وأهل الحجاز يسمونه مسرفا وكان

وكان اسحق بن ابراهيم الموصلي أول من حذا حذوه وامتثل هديه واجتمعت له في ذلك آلات لم تجتمع للخليل بن أحمد قبله منها معرفته بالغناء وكثرة استماعه اياه وعلمه بحسنه من قبيحه وصحيحه من سقيمه ومنها حذقه بالضرب والايقاع وعلمه بوزنها وألف في ذلك كتبا عجيبة وسهل له فيها ما كان مستصعبا على غيره فصنع الغناء بعلم فاضل وحذق راجح ووزن صحيح وعلى أصل مستحكم له دلائل واضحة وشواهد عادلة ولم نر أحدا وجد سبيلا الى الطعن عليه والعيب له وصنع كثير من أهل زمانه أغاني كثيرة بما جس

أراد أهل المدينة جميعاً على أن يبايعوا يزيد بن معاوية على أن كل واحد منهم عبد قنّ له الا على بن الحسين فقال حصين بن نمير السكونى من كندة ولا يبايع ابن أختنا على بن عبد الله الا على ما بويع عليه على بن الحسين على أنه ابن عم أمير المؤمنين والا فالحرب بيننا فأعفى على بن عبد الله وقبل منه ما أراد فقال هذا الشعر لذلك وقوله بنو اللكيعة فهى اللئيمة ويقال فى النداء للئيم يا لكع وللأنثى يا لكاع لانه موضع معرفة كما يقال يا فسق ويا خبث فان لم ترد أن تعدله عن جهته قلت للرجل يا ألكع وللأنثى يا لكعاء وهذا موضع لا تقع فيه النكرة وقد جاء فى الحديث والاصل ما ذكرت لك لا تقوم الساعة حتى يلى أمور الناس لكع بن لكع فهذا كناية عن اللئيم بن اللئيم وهذا بمنزلة عمر ينصرف فى النكرة ولا ينصرف فى المعرفة ولكاع يبنى على الكسر وسنشرح باب فعال للمؤنث على وجوهه الخمسة عند أول ما يجرى من ذكره ان شاء الله وقد اضطر الحطيئة فذكر لكاع فى غير النداء فقال يهجو امرأته

أطوف ما أطوف ثم آوى * الى بيت قعيدته لكاع

قعيدة البيت ربة البيت وانما قيل قعيدة لقعودها وملازمتها ويقال للفرس قعدة من هذا وهو الذى يرتبطه صاحبه فلا يفارقه قال الجعفى

لكن قعيدة بيتنا مجفوة * باد جناجن صدرها ولها غنا

الجناجن ما يظهر عند الهزال من أطراف ضلوع الصدر واحدها جنجن وقال هشام أخو ذى الرمة

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده * عزاء وجفن العين بالماء مترع
ولم تنسنى أوفى المصيبات بعده * ولكن نكء القرح بالقرح أوجع

غيلان هو ذو الرمة وكان هشام من عقلاء الرجال حدثنى العباس بن الفرج فى اسناد ذكره يعزوه الى رجل أراد سفراً فقال قال لى هشام بن عقبة ان لكل رفقة كلباً يشركهم فى فضلة الزاد ويهر دونهم فان قدرت ألا تكون كلب الرفقة فافعل واياك وتأخير الصلاة عن وقتها فانك مصليها لا محالة فصلها وهى تقبل منك وقال حسان بن ثابت الأنصارى

تقول شعثاء لو صحوت عن الـ * ـكأس لأصبحت مثرى العدد

هى امرأته وهو اسمها)

طبعهم والاتباع لمن سبقهم فبعض أصاب وجه صوابه وبعض أخطأ وبعض قصر فى بعض وأحسن فى بعض ووجدنا الكل دهر دولة للمغنين يحملون الغناء عنهم ويطارحون به فتيان زمانهم وجوارى عصرهم وكان يوجد فى كل وقت من الأوقات قوم يتنادمون ويستحسنون الغناء ويميزون رديئه من جيده وصوابه من خطئه ويجمعون الى ذلك محاسن كثيرة فى آدابهم وأخلاقهم ورواتهم وهيآتهم فلم نجد هذه الطبقة ذكروا ووجدنا ذكر الغناء وأهله باقيا وخصصنا فى أيامنا وزماننا بفتية أشراف وخلان نظاف انتظم لهم من آلات الفتوة وأسباب

أهوى حديث الندمان في فلق الصبح وصوت المسامر الغرد

لا آخذ الخدش بالجليس ولا * يخشى نديمي اذا انتشيت يدي

يأبى لي السيف واللسان وقو * م لم يضاموا كلبدة الاسد

لبدة الاسد ما يتطارق من شعره بين كتفيه ويقال أسد ذو لبدة وذو لبد وحدثني عمارة قال مرض جرير مرضة شديدة فعادته قيس فقال

نفسي الفداء لقوم زينوا حسبي * وان مرضت فهم أهلي وعوادي

لو خفت ليثا أبا شبلين ذا لبد * ما أسلموني لليث الغابة العادي

ان تجر طير بأمر فيه عافية * أو بالرحيل فقد أحسنتم زادي

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام وهو يهاجي عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس

فأما قولك الخلفاء منا * فهم منعوا وريدك من وداج

ولولاهم لكنت كحوت بحر * هوى في مظلم الغمرات داجي

وكنت أذل من وتد بقاع * يشجج رأسه بالفهر واجي

فكتب معاوية الى مروان أن يؤدبهما وكانا قد تقاذفا فضرب عبد الرحمن بن حسان ثمانين وضرب أخاه عشرين فقيل لعبد الرحمن بن حسان قد أمكنك في مروان ما تريد فأشد بذكره وارفعه الى معاوية فقال اذا والله لا أفعل وقد حدني كما تحد الرجال الاحرار وجعل أخاه كنصف عبد فأوجعه بهذا القول وروى أن عبد الرحمن بن حسان لسعه زنبور فجاء أباه يبكي فقال له مالك فقال لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة قال قلت والله الشعر وروى أن معلمه عاقب الصبيان على ذنب وأراده بالعقوبة فقال

الله يعلم أني كنت منتبذا * في دار حسان أصطاد اليعاسيبا

وأعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان فانهم يعدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام وبعد هؤلاء في الوقت آل أبي حفصة فانهم أهل بيت كلهم شاعر يتوارثونه كابرا عن كابر وروى أن ابنة لابن الرقاع وقفت بباب أبيها قوم يسألون عنه

المروءة ما كان محجوبا عن غيرهم معدوما من سواهم فحملني التكلف بهم والمودة لهم والسرور بتخليد فخرهم وتشييد ذكرهم والحرص على تقويم أود ذي الأود منهم حتى يلحق بأهل الكمال في صناعته والفضل في معرفته وعلى تمييز طبقة طبقة منهم وتسمية أهل كل طبقة بأوصافهم وآلاتهم وأدواتهم والمذاهب التي نسبوا اليها أنفسهم واحتملهم اخوانهم عليها وخلطنا جدا بهزل ومزجنا تعريضا بتعريض ولم نزد بأحد ممن سميناه سوءا ولا تعمدنا نقدا ولا تجاوزنا حدا ولو استعملنا غير الصدق لفضلنا قوما وحابينا

فقالت ماتريدون اليه فقالوا جئنا لنهاجيه فقالت وهى صبية

تجمعتم من كل أوب ووجهة • على واحد لازلتم قرن واحد

فهذه بلغت بطبعها على صغرها مبلغ الاعشى فى قلب هذا المعنى حيث يقول لهوذة بن على

يرى جمع مادون الثلاثين قصرة • ويعدو على جمع الثلاثين واحدا

《 باب 》

قال أبو العباس قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه علموا أولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا ورووهم ما يجمل من الشعر وفى حديث آخر وخير الخلق للمرأة المغزل وروى عن الشعبى أنه قال قال عبد الله بن العباس قال لى أبى يا بنى انى أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والانصار فاحفظ عنى ثلاثا لا يجربن عليك كذبا ولا تغتب عنده مسلما ولا تفشين له سرا قال فقلت له يا أبه كل واحدة منها خير من ألف فقال كل واحدة منها خير من عشرة آلاف وحدثنى العباس بن الفرج فى اسناد ذكره قال نظر الى عمرو بن العاصى على بغلة قد شمط وجهها هرما فقيل له أتركب هذه وأنت على أكرم ناخرة بمصر فقال لا ملل عندى لدابتى ما حملت رجلى ولا لامرأتى ما أحسنت عشرتى ولا لصديقى ما حفظ سرى ان الملل من كواذب الاخلاق قوله على أكرم ناخرة يريد الخيل يقال للواحد ناخر وقيل ناخرة يراد جماعة كما تقول رجل بغال وحمار والجماعة البغالة والحمارة وكذلك تقول أتتنى عصبة نبيلة وقبيلة شريفة والواحد نبيل وشريف وشاور معاوية عمرا فى أمر عبد الله بن هاشم بن عتبة بن مالك بن أبى وقاص وكان هاشم بن عتبة أحد فرسان على رضى الله عنه (وهو المرقال) فأتى بابنه معاوية فشاور عمرا فيه فقال أرى أن تقتله فقال له معاوية انى لم أر فى العفو الا خيرا فمضى عمرو مغضبا وكتب اليه

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى • وكان من التوفيق قتل ابن هاشم

أليس أبوه يا معاوية الذى • أعان علينا يوم حز الغلاصم

فقتلنا حتى جرى من دمائنا • بصفين أمثال البحور الخضارم

وهذا ابنه والمرء يشبه عيصه • ويوشك أن تلقى به حد نادم

آخر بن ولم نفعل ذلك تحببا للحيف بل قصدا للانصاف وقد نعلم ان كثيرا منهم سيبالغ فى الذم ويحتمل فى الشتم ويذهب فى ذلك غير مذهبنا وما أيسر ذلك فيما يجب من حقوق الفتيان وتفكيهم والله حسيب من ظلم عليه نتوكل وبه نستعين وهو رب العرش العظيم ولم نقصد فى وصف من وصفنا من الطبقات التى صنفنا منهم الا من أدركنا من أهل زماننا ممن حصل بمدينة السلام اذ من خرج عنها ونزع الى الفتوة بعد التوبة والى أخلاق الحداثة بعد الحنكة وذلك فى سنة خمس عشرة ومائتين فرحم الله امرأ حسن فى

فبعث معاوية بأبياته الى عبد الله بن هاشم فكتب اليه عبد الله بن هاشم

معاوىَ انّ المرء عمرًا أبت له • ضغينة خبٍّ غشّها غير نائم
يرى لك قتلى يا ابن هند وانما • ترى ما يرى عمرو ملوك الأعاجم
على أنهم لا يقتلون أسيرهم • اذا كان منه بيعة للمسالم
فان تعف عنّى تعف عن ذى قرابة • وان ترقتلنى تستحلّ محارمى

فصفح عنه وقال عمرو لعائشة رحمها الله لوددت أنك كنت قتلت يوم الجمل فقالت ولم لا أبالك فقال كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك أكبر التشنيع على علىّ وحدثنى العباس بن الفرج الرياشىّ فى اسناد ذكره آخره ابن عباس قال دخلت على عمرو بن العاصى وقد احتضر فدخل عليه عبد الله بن عمرو فقال له يا عبد الله خذ ذلك الصندوق فقال لا حاجة لى فيه قال انه مملوء مالا قال لا حاجة لى به فقال عمرو ليته مملوء بعرًا قال فقلت يا أبا عبد الله انك كنت تقول أشتهى أن أرى عاقلا يموت حتى أسأله كيف يجد فكيف تجدك قال أجد السماء كأنها مطبقة على الارض وأنا بينهما وأرانى كأنما أتنفس من خرت ابرة ثم قال اللهم خذ منى حتى ترضى ثم رفع يديه فقال اللهم أمرت فعصينا ونهيت فركبنا فلا برىء فأعتذر ولا قوىّ فأنتصر ولكن لا اله الا الله ثلاثا ثم فاظ وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرياشىّ بأتم من هذا ولكن اقتصرنا على هذا الثقة اسناده قوله من خرت ابرة يعنى من ثقب ابرة يقال للدليل خرّيت وزعم الأصمعى أنه أريد به أنه يهتدى لمثل خرت الابرة وقوله فاظ أى مات يقال فاظ وفاد وفطس وفاز وفوّز كل ذلك فى معنى الموت ولا يقال فاض بالضاد الا للاناء قال رؤبة • لا يدفنون منهم من فاظا • وقال ابن جريج • أما رأيت الميت حين فوظه • ومن قال ذلك للنفس قال فاضت نفسه شبهها بالاناء وحدثنى أبو عثمان المازنىّ أحسبه عن أبى زيد قال كلّ العرب يقولون فاضت نفسه الا بنى ضبّة فانهم يقولون فاظت نفسه وانما الكلام الصحيح فاظ بالظاء اذا مات وفى الحديث ان امرأة سلّام بن أبى الحقيق قالت فاظ واله يهود وحدثنى مسعود بن بشر قال قال زياد الامرة تذهب الحفيظة وقد كانت من قوم الى هنات جعلتها تحت قدمى ودبر أذنى فلو بلغنى أن أحدكم قد أخذه السلّ من بغضى ما هتكت له سترا ولا كشفت له قناعا حتى يبدى لى عن صفحته فاذا فعل لم أناظره وسمع زياد رجلا

ذلك أمرنا وحذا فيه حذونا ولم يجعل الى ذمنا ودعا بالمغفرة والرحمة لنا وقد تركنا فى كل باب من الأبواب التى صنفناها فى كتابنا فرجا لزيادة ان زادت أو لاحقة ان لحقت أو نابتة ان نبتت ومن عسى أن ينتقل به الحذق من مرتبته الى ما هو أعلى منه أو يعجز به القصور عما هو عليه منها الى ما هو دونها الى مكانه الذى اليه نقله ارتفاع درجة أو انحطاطها ومن لعلنا نصير الى ذكره ممن عزب عنا ذكره وأنسينا اسمه ولم يحط علمنا به فنصيره فى موضعه ونلحقه بأصحابه وليس لأحد أن يثبت شيأ من هذه الأصناف الا بعلتها ولا يستبد بأمر

بسبّ الزمان فقال لو كان يدري ما الزمان لضربت عنقه ان الزمان هو السلطان وفي عهد أزدشير وقد قال الاولون مثا عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان وقال المهلّب بن أبي صفرة لبنيه اذا وليتم فلينوا للمحسن واشتدوا على المريب فان الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن قوله يزع أي يكف يقال وزع يزع اذا كف وكان أصله يزع مثل يعد فذهبت الواو لوقوعها بين يا وكسرة واتبعت حروف المضارعة الياء لئلا يختلف الباب وهي الهمزة والنون والتاء والياء نحو أعد ونعد وتعد ويعد ولكن انفتحت في يزع من أجل العين لان حروف الحلق اذا كن في موضع عين الفعل أو لامه فتحن في الفعل الذي ماضيه فعل وان وقعت الواو مما هي فيه فاء في يفعل المفتوحة العين في الأصل صح الفعل نحو وحل يوحل ووجل يوجل ويجوز في هذه المفتوحة ياحل وياجل وييحل وييجل وكل هذا كراهية للواو بعد الياء تقول وزعته كففته وأوزعته حملته على ركوب الشئ وهيأته وهو من الله عز وجل توفيق ويقال أوزعك الله شكره أي وفقك الله لذلك وقال الحسن مرة ما حاجة هؤلاء السلاطين الى الشرط فلما ولي القضاء كثر عليه الناس فقال لا بد للناس من وزعة وخطب الحجاج بن يوسف ذات يوم يوم جمعة فلما توسط كلامه سمع تكبيرا عاليا من ناحية السوق فقطع خطبته التي كان فيها ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الشقاق ويا أهل النفاق وسيئي الأخلاق يا بني اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الاماء اني لا أسمع تكبيرا ما يراد الله به انما يراد به الشيطان وان مثلي ومثلكم قول ابن براقة الهمداني

وكنت اذا قوم رموني رميتهم ❊ فهل أنا في ذا يال همدان ظالم

متى تجمع القلب الذكي وصارما ❊ وأنفا حميا تجتنبك المظالم

ثم نزل فصلى بهم قوله يا أهل الشقاق فالمشاقة المعاداة وأصله أن يركب ما يشق عليه ويركب منه مثل ذلك والنفاق أن يسر خلاف ما يبدي هذا أصله وانما أخذ من النافقاء وهو أحد أبواب جحرة اليربوع وذلك انه أخفاها فانما يظهر من غيره ويجحره أربعة أبواب النافقاء والراهطاء والدامّاء والسابياء وكلها ممدودة ويقال للسابياء القاصعاء وانما قيل له السابياء لانه لا ينفذه فيبقى بينه وبين انفاذه هنة من الارض رقيقة وأخذ من سابياء الولد وهي الجلدة الرقيقة التي يخرج فيها

فيه دوننا ويورد ذلك علينا فيمتحنه ويعرفه بما عنده ويصير الى ترتيبه في المرتبة التي يستحقها والطبقة التي يحتملها فلما استتب لنا الفراغ مما أردنا من ذلك خطر ببالنا كثرة العيابين من الجهال برب العالمين فلم نأمن أن يسرعوا بسفه رأيهم وخفة أحلامهم الى نقض كتابنا وتبديله وتحريفه عن مواضعه وازالته عن أماكنه التي عليها رسمنا وان يقول كل امرئ منهم في ذلك على حاله ولقدر هواه ورأيه وموافقته ومخالفته والميل في ذلك الى بعض والذم لطبقة والحمد لأخرى فيهجنوا كتابنا

الولد من بطن أمه قال الأخطل يضرب ذلك مثلا ليربوع بن حنظلة لأنه سمي باليربوع

تسد القاصعاء عليك حتى • تنفق أو تموت بها هزالا

والعرب تزعم انه ليس من ضب الا وفي جحره عقرب فهو لا يأكل ولد العقرب وهي لا تضربه فهي مسالمة له وهو مسالم لها وأنشد

وأخدع من ضب اذا خاف حارشا • أعد له عند الذنابة عقربا

(كلها بالمد ويقال بالقصر ويقال أيضا فيها على وزن فعلة نفقة ورهطة ودمة وقصعة وحكى ابن القوطية في المقصور والممدود له الرهطاء كالراهطاء والنفقاء كالنافقاء والقصعاء كالقاصعاء وحكى أيضا زيادة فقال العانقاء جحر الأرنب واليربوع والغابياء أيضا من جحرة اليربوع وأما قول أبي العباس في السابياء فهو مما قد رد عليه فيه وقد تبعه ابن ولاد وكلاهما غير مصيب وانما السابياء وعاء فيه ماء صاف يخرج مع الولد وهو الفقء وليس يخرج الولد فيه وقال الكميت

وفقأ فيها الغيث من سابيائه • دوالح وافقن النجوم البواجسا

فشبه ماء الغيث بماء السابياء وانما الجلدة التي يكون فيها الولد الغرس وقد تبع ابن القوطية أبا العباس في السابياء في أنه من أسماء جحرة اليربوع وذلك غلط) وقوله بنو اللكيعة يريد اللئيمة وقد مر تفسير هذا في موضعه قال ابن قيس الرقيات يذكر قتل مصعب بن الزبير

ان الرزية يوم مسكن والمصيبة والفجيعه • بابن الحواري الذي لم يعده أهل الوقيعه
غدرت به مضر العراق وأمكنت منه ربيعه • فأصبت وترك يا ربيع وكنت سامعة مطيعه
يالهف لو كانت له • بالطف يوم الطف شيعه • أولم يخونوا عهده • أهل العراق بنو اللكيعه
لوجدتموه حين يغـ • ـضب لا يعرج بالمضيعه

وقوله عبيد العصا يريد انهم لا ينقادون الا بالاذلال كما قال ابن مفرغ الحميري

العبد يقرع بالعصا • والحر تكفيه الملامه

وقال جرير يهجو التيم

ألا انما تيم لعمرو ومالك • عبيد العصا لم يرج عتقا قطينها

وخطب الناس عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالمربد عند ظهور أمر الحجاج عليه فقال أيها الناس انه لم يبق من عدوكم الا كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب به يمينا وشمالا فلا تلبث أن تموت

ويلحقوا بنا ما ليس من شأننا وأحببنا أن نأخذ في ذلك بالحزم وأن نحتاط فيه لأنفسنا ومن ضمه كتابنا وتبادر الى تفريق نسخة منها وتصييرها في أيدي الثقات والمستبصرين الذين كانوا في هذا الشأن ثم ختموا ذلك بالعزلة والتوبة منه كصالح بن أبي صالح وكأحمد بن سلام وصالح مولى رشيده ففعلنا ذلك وصيرناه أمانة في أعناقهم ونسخة باقية في أيديهم ووثقنا بهم أمناء ومستودعين وحفظة غير مضيعين ولا متهمين وعلمنا انهم لا يدعون صيانة ما استودعوا وحفظ ما عليه ائتمنوا اذا شيب بشوب يخالفه وأضيف

فسمعه رجل من بنى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فقال قبح الله هذا يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويعدهم الغرور وروت الرواة أن الحجاج لما أخذ رأس ابن الاشعث وجه به الى عبد الملك بن مروان مع عرار بن عمرو بن شأس الاسدى وكان أسود دميما فلما ورد به عليه جعل عبد الملك لا يسأل عن شئ من أمر الوقيعة الا أنبأه به عرار فى أصح لفظ وأشبع قول وأجزأ اختصار فشفاه من الخبر وملأ أذنه صوابا وعبد الملك لا يعرفه وقد اقتحمته عينه حيث رآه فقال عبد الملك متمثلا

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد • لعمرى عرارا بالهوان فقد ظلم

وان عرارا ان يكن غير واضح • فانى أحب الجون ذا المنكب العمم

فقال له عرار أتعرفنى يا أمير المؤمنين قال لا قال فانا والله عرار فزاده فى سروره وأضعف له الجائزة وكتب صاحب اليمن الى عبد الملك بن مروان فى وقت محاربته ابن الاشعث انى قد وجهت الى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ولم ير مثلها قط فلما دخل بها عليه رأى وجها جميلا وخلقا نبيلا فالقى اليها قضيبا كان فى يده فنكست لتأخذه فرأى منها جسما بهره فلما هم بها أعلمه الآذن أن رسول الحجاج بالباب فأذن له ونحى الجارية فاعطاه كتابا من عبد الرحمن فيه سطور أربعة يقول فيها

سائل مجاور جرم هل جنيت لها • حربا تزيل بين الجيرة الخلط

وهل سموت بجرار له لجب • جم الصواهل بين الجم والفرط

وهل تركت نساء الحى ضاحية • فى ساحة الدار يستوقدن بالغبط

وتحتها (بيت آخر على غير الروى من الابيات الاول وهو)

قتل الملوك وصار تحت لوائه • شجر العرى وعراعر الاقوام

قال فكتب اليه عبد الملك كتابا وجعل فى طيه جوابا لابن الاشعث

ما بال من أسعى لاجبر عظمه • حفاظا وينوى من سفاهته كسرى

أظن خطوب الدهر بينى وبينهم • ستحملهم منى على مركب وعر

وانى واياهم كمن نبه القطا • ولو لم تنبه باتت الطير لا تسرى

أناة وحلما وانتظارا بهم غدا • فما أنا بالوانى ولا الضرع الغمر

اليه مالا يلائمه وجعلنا هذه النسخة المنصوبة والأصول الخالدة عند ذوى الأمانة والثقة واقتصرنا عليها واستعلينا بها على المبطلين ورفعنا بها ادغال المدغلين وتحريف المحرفين وتزيد المتزيدين ان شاء الله ولا قوة الا بالله العظيم

(فصل من صدر كتابه فى النساء)

انا لما ذكرنا فى كتابنا هذا الحب الذى هو أصل الهوى والهوى الذى يتفرع منه العشق والعشق الذى يهيم له الانسان على وجهه أو يموت كمدا على فراشه وأول ذلك ادخال الضيم على مروته واستشعار الذلة لمن أطاف بعشيقته

ويُنشد بالغانى ثم بات يقلّب كفّ الجارية ويقول ما أفدتُ فائدة أحبّ الىّ منك فتقول فما بالك

يا أمير المؤمنين وما يمنعك فقال يمنعنى ما قاله الأخطل لانى ان خرجت منه كنت ألأم العرب

قومٌ اذا حاربوا شدّوا مآزرهم • دون النساء ولو باتت بأطهار

فما اليك سبيل أو يحكم الله بينى وبين عدوّ الرحمن بن الاشعث فلم يقربها حتى قُتل عبد الرحمن قوله

فرأى منها جسما بهره يقال بهر الليلُ اذا اسودّ الأفق بظلمته وبهر القمر اذا ملأ الارض ببهائه

ومن ثمّ قيل القمر الباهر أنشدنى المازنى لرجل من بنى الحارث بن كعب

والقمر الباهر السماء لقد • زرناها لاتجحفل لجب

تسمع زجر الكماة بينهم • قدم وأخّر وأزجى وهبى

من كل هدّادة كعالية الـرمح أمون وشيظم سلهب

وقال طفيل الغنوى يصف كيف تزجر الخيل فجمعه فى بيت واحد

وقيل اقدمى واقدم واخّ واخرى • وهاوهلاواضبر وقادعها هبى

(قال أبو الحسن وأخّ) ومن زجر الخيل أيضا هقب وهقط وأنشدنى أبو عثمان المازنى

لمّا سمعت زجرهم هقط • علمت أن فارسا منحط

(قال الفراء هقط بالكسر والفتح ويروى مختط بدل منحط) وقوله بين الجم والفرط هما موضعان

باعيانهما وقوله فى ساحة الدار يستوقدن بالغبط يقال فيه قولان متقاربان أحدهما انهنّ قد

يئسن من الرحيل فجعلن مراكبهن حطبا هذا قول الأصمعى وقال غيره بل قد منعهنّ الخوف

من الاحتطاب والغبيط من مراكب النساء وكذلك الحدج قال امرؤ القيس

تقول وقد مال الغبيط بنا معا • عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

فأعلمك أن الغبيط لها والمحامل انما أول من اتخذها الحجاج فى ذلك يقول الراجز

أول عبد عمل المحاملا • أخزاه ربى عاجلا وآجلا

وقوله شجر العرا فالعرا نبت بعينه ان ضمّ العين والعراء ممدود وجه الأرض قال الله عز وجل

لنبذ بالعراء وهو مذموم وقال الهذلى

رفعت رجلا ما أخاف عثارها • ونبذت بالبلد العراء ثيابى

ولم نطنب مع ذلك فى ذكر ما يتشعب من أصل الحب من الرحمة والرقة وحب الأموال النفيسة والمراتب الرفيعة وحب الرعية للائمة وحب المصطنع لاصحاب الصنيعة مع اختلاف مواقع ذلك من النفوس ومع تفاوت طبقاته فى العواقب احتجنا الى الاعتذار من ذكر العشق المعروف بالصبابة والمخالفة على قوة العزيمة لنجعل ذلك القدر جنة دون من حاول الطعن على هذا الكتاب وضعف الرأى الذى دعا الى تأليفه والاشادة بذكره اذ كانت الدنيا لا تنفك من حاسد باغ ومن قائل متكلف ومن سامع طاعن ومن منافس

وهذا التفسير والانشاد عن أبي عبيدة وقوله دون النساء ولو باتت باطهار معناه انه يجتنبها في طهرها وهو الوقت الذي يستقيم له غشيانها فيه وأهل الحجاز يرون الاقراء الطهر وأهل العراق يرونها الحيض وأهل المدينة يجعلون عدد النساء الاطهار ويحتجون بقول الأعشى

وفي كل عام أنت جاشم غزوة • تشد لأقصاها عزيم عزائكا

مورثة مالا وفي الحي رفعة • لما ضاع فيها من قروء نسائكا

وقوله ولو باتت باطهار فلو أصلها في الكلام أن تدل على وقوع الشيء لوقوع غيره تقول لو جئتني لأعطيتك ولو كان زيد هناك لضربته ثم تتسع فتصير في معنى ان الواقعة للجزاء تقول أنت لا تكرمني ولو أكرمتك تريد وان أكرمتك قال الله عز وجل وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين فأما قوله عز وجل فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به فان تأويله عند أهل اللغة لا يقبل به أن يتبرأ وهو مقيم على الكفر ولا يقبل ان افتدى به فلو في معنى ان وانما منع لو أن تكون من حروف المجازاة فتجزم كما تجزم ان أن حروف المجازاة انما تقع لما لم يقع ويصير الماضي معها في معنى المستقبل تقول ان جئتني أعطيتك وان قعدت عني زرتك فهذا لم يقع وان كان لفظه لفظ الماضي لما أحدثته فيه ان وكذلك متى أتيتني أتيتك ولو تقع في معنى الماضي تقول لو جئتني أمس لصادفتني ولو ركبت الي أمس لالفيتني فلذلك خرجت من حروف الجزاء فاذا أدخلت معها لا صار معناها أن الفعل يمتنع لوجود غيره فهذا خلاف ذلك المعنى ولا تقع الا على الاسماء ويقع الخبر محذوفا لانه لا يقع فيها الاسم الا وخبره مدلول عليه فاستغني عن ذكره لذلك تقول لولا عبد الله لضربتك والمعنى في هذا المكان من قرابتك أو صداقتك أو نحو ذلك فهذا معناها في هذا الموضع ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى وهي لولا التي تقع في معنى هلا التي للتحضيض ومن ذلك قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا أي هلا وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم فهذه لا يليها الا الفعل لانها للامر والتحضيض مظهرا أو مضمرا كما قال (نسب لجرير وقيل للأشهب بن رميلة)

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم • بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

أي هلا تعدون الكمي المقنعا ولولا الأولى لا يليها الا الاسم على ما ذكرت لك ولا بد في جوابها من

مقصر كما أنها لا تنفك من ذي سلامة متسلم ومن عالم متعلم ومن عظيم الخطر حسن المحضر شديد المحاماة على حقوق الادباء قليل التسرع الى اعراض العلماء وانما العشق اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه حب وليس كل حب يسمى عشقا وانما العشق اسم للفاضل عن ذلك المقدار كما ان السرف اسم لما زاد على المقدار الذي يسمى جودا والبخل اسم لما ينقص عن المقدار الذي يسمى اقتصادا والجبن اسم لما قصر عن المقدار الذي يسمى شجاعة وهذا القول ظاهر على ألسنة الادباء مستعمل في بيان الحكماء وقد قال عروة بن الزبير والله اني لأعشق

اللام أو معنى اللام تقول لولا زيدٌ فعلت والمعنى افعلتُ وزعم سيبويه أن زيدا من حديث لولا
واللام والفعل حديثٌ معلّق بحديث لولا وتأويله أنه للشرط الذى وجب من أجلها وامتنع
لحال الاسم بعدها ولو بغير لا لا يليها الا الفعل مضمرا أو مظهرا لانها تشارك حروف الجزاء فى
ابتداء الفعل وجوابه تقول لو جئتنى لأعطيتك فهذا ظهور الفعل واضماره قوله عز وجل قل
لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى والمعنى والله أعلم لو تملكون أنتم فهذا الذى رفع أنتم ولما أضمر
ظهر بعده ما يفسره ومثل ذلك لو ذاتُ سوار لطمتنى أراد لو لطمتنى ذاتُ سوار ومثله (قول
المتلمس) ولو غيرُ أخوالى أرادوا نقيصتى ٭ جعلتُ لهم فوق العرانين ميسما
وكذلك قول جرير لو غيركم علق الزبير بحبله ٭ أدّى الجوار الى بنى العوام
فنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده لانه للفعل وهو فى التمثيل لو علق الزبير غيركم وكذلك كل شئ
للفعل نحو الاستفهام والأمر والنهى وحروف الفعل نحو اذ وسوف (كذا وقع هنا اذ وسوف ولم
يذكر سيبويه مع سوف الا قد وهو الصحيح) وهذا مشروح فى الكتاب المقتضب على حقيقة
الشرح وأما قوله وعراعر الأقوام فمعناه رؤس الأقوام الواحد عرعرة وعرعرة كل شئ أعلاه
ومن ذلك كتاب يزيد بن المهلب الى الحجاج بن يوسف وان العدو نزل بعرعرة الجبل ونزلنا
بالحضيض فقال الحجاج ليس هذا من كلام يزيد فمن هناك قيل يحيى بن يعمر فكتب الى يزيد أن
يشخصه اليه وزعم التوزى قال قال الحجاج ليحيى بن يعمر يوما أتسمعنى ألحن قال الامير أفصح من
ذلك قال فاعاد عليه القول وأقسم عليه فقال يحيى نعم تجعل أنّ مكان انّ فقال له ارحل عنى ولا
تجاورنى قال أبو العباس هذا على أن يزيد لم تؤخذ عليه زلة فى لفظ الا واحدة فانه قال على المنبر وذكر
عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فقال هذه الضبعة العرجاء فاعتدّت عليه لحنا لان
الانثى انما يقال لها الضبع ويقال للذكر الضبعان فاذا جمع قيل ضبعان وانما جمع على التأنيث
دون التذكير والباب على خلاف ذلك لان التأنيث لا زيادة فيه وفى التذكير زيادة الالف
والنون فبنى على الأصل وأصل التأنيث أن يكون زائدا على بناء التذكير لانه منه يخرج مثل
قائم وقائمة وكريم وكريمة فمن حيث غلّبت المذكر والانثى فى التثنية كريمان على حذف الزيادة قلت
ضبعان وتقول له ابنان اذا أردت له ابنٌ وابنةٌ ولا تقول فى الدار رجلان اذا أردت رجلا وامرأة

الشرف كما تعشق المرأة الحسناء وذكر بعض الناس رجلا كان مدقعا محروما ومحوس الحظ ممنوعا فقال ما رأيت أحدا عشق الرزق عشقه ولا أبغضه الرزق بغضه فذكر الأول عشق الشرف وليس الشرف بامرأة وذكر الآخر عشق الرزق والرزق اسم جامع لجميع الحاجات وقد يستعمل الناس الكتابة وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة يريدون ان يظهروا المعنى بألين اللفظ امانتوها وأما تفصلا كما سموا المعزول عن ولايته مصروفا والمهزوم عن عدوه منحازا ثم حتى سمى بعضهم البخيل مقتصدا ومصلحا وسمى عاملا

الاعلى قول من قال للانثى رجلة فقد جاء ذلك وقال الشاعر

كل جار ظل مغتبطا . غير جيرانى بنى جبله
خرقوا جيب فتاتهم . لم يبالوا حرمة الرجله

ولا يقال للناقة والجمل جملان ولا يقال للبقرة والثور ثوران لاختلاف الاسمين انما يكون ذلك فيما ذكرنا الا فى قول من قال للانثى ثورة قال الشاعر

جزى الله فيها الاعورين ملامة . وعبدة ثفر الثورة المتضاجم

(قال أبو الحسن المتضاجم المتسع)

(باب)

قال أبو العباس قال الراعى

ومرسل ورسول غير متهم . وحاجة غير مزجاة من الحاج
طاوعته بعدما طال النجى بنا . وظن أنى عليه غير منعاج
ما زال يفتح أبوابا ويغلقها . دونى وأفتح بابا بعد ارتاج
حتى أضاء سراج دونه بقر . حمر الانامل عين طرفها ساجى
يا نعمها ليلة حتى تخونها . داع دعا فى فروع الصبح شحاج
لما دعا الدعوة الاولى فأسمعنى . أخذت بردى واستمررت أدراجى

قوله وحاجة غير مزجاة من الحاج المزجاة اليسيرة الخفيفة المحمل قال الله عز وجل وجئنا ببضاعة مزجاة والحاج جمع حاجة وتقديره فعلة وفعل كما تقول هامة وهام وساعة وساع قال القطامى

وكنا كالحريق أصاب غابا . فيخبو ساعة ويشب ساعا

فاذا أردت أدنى العدد قلت ساعات فاما قولهم فى جمع حاجة حوائج فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المولدين ولا قياس له ويقال فى قلبى منك حوجاء أى حاجة ولو جمع على هذا لكان الجمع حواج يافتى وأصله حواجى يافتى ولكن مثل هذا يخفف كما تقول فى صحراء صحار يافتى وأصله صحارى وقوله طاوعته بعدما طال النجى بنا يريد المناجاة فأخرجه على فعيل ونظيره من المصادر الصهيل والنهيق والشحيج ويقال شب الفرس شبيبا ولذلك كان النجى يقع على

الخراج المتعدى بحق السلطان مستعصيا ولما رأينا الحب من أكبر أسباب جماع الخير ورأينا البغض من أكبر أسباب الشر اجتنبنا ان نذكر أبواب السبب الجالب للخير ليفرق بينه وبين أبواب السبب الجالب للشر حتى نذكر أصولهما وعللهما الداعية اليهما والموجبة لكونهما فتأملنا شأن الدنيا فوجدنا أكبر نعيمها وأكمل لذاتها ظفر المحب بحبيبه والعاشق بطلبه ووجدنا شقوة الطالب المكدى وغمه فى وزن سعادة الطالب المنجح وسروره ووجدنا العشق كلما كان أرسخ وصاحبه به أكلف فان

الواحد والجماعة نعتاً كما تقول امرأة عدلٌ ورجل عدلٌ وقوم عدلٌ لانه مصدر قال الله عز وجل وقربناه نجيّا اى مناجيا وقال للجماعة فلما استيأسوا منه خلصوا نجيّا اى متناجين وقوله منعاج اى منعطف تقول عُجتُ عليه اى عرّجتُ عليه وعجتُ اليه أعيج اى عوّلتُ عليه وقوله بعد ارتاج اى بعد اغلاق يقال أرتجتُ الباب ارتاجا اى أغلقته اغلاقا ويقال اغلق الباب الرتاج ويقال للرجل اذا امتنع عليه الكلام أرتج عليه وقوله أضاء سراجٌ دونه بقرٌ يعنى نساءً والعرب تكنى عن المرأة بالبقرة والنعجة قال الله عز وجل انّ هذا أخى له تسعٌ وتسعون نعجة وقال الاعشى

فرميت غفلة عينه عن شاته • فأصبت حبة قلبها وطحالها

وقوله عينٌ انما هو جمع عيناء وهى الواسعة العين وتقديره فُعْلٌ ولكن كسرت العين لتصحّ الياء ونحو ذلك بيضاء وبيضٌ وتقديره حمراء وحُمرٌ ولو كان من ذوات الواو لكان مضموما على أصل الباب لانه لا اخلال فيه تقول سوداء وسودٌ وعوراء وعورٌ وقوله طرفها ساج ولم يقل أطرافها لان تقديرها تقدير المصدر من طرفتُ طرفاً قال الله عز وجل ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم لان السمع فى الاصل مصدر وقال جرير

انّ العيون التى فى طرفها مرضٌ • قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وقوله ساج اى ساكن قال الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى وقال جرير

ولقد رمينك يوم رحن بأعينٍ • ينظرن من خلل الستور سواجى

وقال الراجز

يا حبذا القمراء والليل الساج • وطرقٌ مثل ملاء النساج

وقوله حتى تخوّنها اى تنقّصها يقال تخوّننى السفر اى تنقّصنى والداعى المؤذّن وقوله شحّاج انما هو استعارة فى شدة الصوت وأصله للبغل والعرب تستعير من بعض لبعض قال العجاج ينعت حمارا

كأن فى فيه اذا ما شحجا • عوداً دُوين اللهوات مولجا

وقال جرير

ان الغراب بما كرهت لمولعٌ • بنوى الاحبة دائم التشحاج

وقوله واستمرّت أدراجى اى فرجعت من حيث جئتُ تقول العرب رجع فلان أدراجه ورجع فى حافرته ورجع عوده على بدئه وان شئت رفعت فقلت رجع عودُه على بدئه اما الرفع فعلى قولك رجع وعودُه على بدئه اى وهذه حاله والنصب على وجهين احدهما أن يكون مفعولا

موقع لذة الظفر منه أرتج وسروره بذلك أبهج فان زعم زاعم ان موقع لذة الظفر بالعدو المرصد أحسن من موقع لذة الظفر من العاشق الهائم بعشيقته قلنا انا قد رأينا الكرام والحلماء وأهل السودد والعظماء ربما جادوا بفضلهم من لذة شفاء الغيظ ويعدون ذلك زيادة فى نبل النفس وبعد الهمة والقدر ويجودون بالنفيس من الصامت والناطق وبالثمين من العروض وربما خرج من جميع ماله وآثر طيب الذكر على الغنى واليسر ولم نر نفس العاشق تسخو بمعشوقه ويجود بشقيقه

كقولك رددعوده على بدئه والوجه الآخر أن يكون حالا في قول سيبويه لان معناه رجع ناقضا مجيئه ووضع هذا في موضعه كما تقول كلمته فاه الى في أي مشافهة وبايعته يدا بيد أي نقدا وقد يجوز أن تقول فوه الى في أي وهذه حاله ومن نصب فمعناه في هذه الحال فاما بايعته يدا بيد فلا يكون فيه الا النصب لانك انت تريد بايعته ويد بيد كما كنت تريد في الاول وانما تريد النقد ولا تبالي أقريبا كان أم بعيدا وقال اعرابي

شكوت فقالت كل هذا تبرما • بحبي أراح الله قلبك من حبي

فلما كتمت الحب قالت لشدما • صبرت وما هذا بفعل شجي القلب

وأدنو فتقصيني فأبعد طالبا • رضاها فتعتد التباعد من ذنبي

فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها • وتجزع من بعدي وتنفر من قربي

فياقوم هل من حيلة تعرفونها • أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي

قوله كل هذا تبرما مردود على كلامه كانما تقول له أشكوتني كل هذا تبرما ولو رفع كل لكان جيدا يكون كل هذا مبتدأ وتبرم خبره وشجي مخفف الياء ومن شددها فقد أخطأ والمثل ويل للشجي من الخلي الياء في الشجي مخففة وفي الخلي مثقلة وقياسه انك اذا قلت فعل يفعل فعلا فالاسم منه على فعل نحو فرق يفرق فرقا فهو فرق وحذر يحذر حذرا فهو حذر وبطر يبطر بطرا فهو بطر فعلى هذا شجي يشجى شجى فهو شج يا فتى كما تقول هوي يهوى هوى فهو هو يا فتى وقوله فياقوم هل من حيلة تعرفونها موضع تعرفونها خفض لانه نعت للحيلة وليس بجواب ولو كان ههنا شرط يوجب جوابا لانجزم تقول ائتني بدابة أركبها أي بدابة مركوبة فاذا أردت معنى فانك ان أتيتني بدابة ركبتها قلت أركبها لانه جواب الامر كما أن الاول بجواب الاستفهام وفي القرآن خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها أي مطهرة لهم وكذلك أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا أي كائنة لنا عيدا وفي الجواب فذرهم يخوضوا ويلعبوا أي ان تركوا خاضوا ولعبوا وأما قوله عز وجل فذرهم في خوضهم يلعبون فانما هو فذرهم في هذه الحال لانهم كانوا يلعبون وكذلك ولا تمنن تستكثر انما هو ولا تمنن مستكثرا فمعنى ذا هل من حيلة معروفة عندكم وقال اعرابي أنشدنيه أبو العالية

نفسه لوالد ولا لولد بار ولا لذي نعمة سابغة يخاف سلبها وصرف احسانه عنه بسببها ولم تزل الرجال يهبون للرجال الا ما لا بال به في جنب ما يهبون النساء حتى كان العطر والصبغ والخضاب والكحل والنتف والقص والتحذيف والحلق وتجويد الثياب وتنظيفها والقيام عليها وتعهدها مما لم يتكلفوه الا لهن ولم يتقدموا فيه الا من أجلهن وحتى كان الحيطان الرفيعة والأبواب الوثيقة والستور الكثيفة والخصيان والظؤورة والحشوة والحواضن لم يتخذن الا لصون لهن والاحتفاظ بما يجب من

أَلَا تَسْأَلُ المَكِّيَّ ذَا العِلْمِ مَا الذى • يَحِلُّ مِنَ التَّقْبِيلِ فى رَمَضَانِ

فَقَالَ لِىَ المَكِّيُّ أَمَّا لِزَوْجَةٍ • فَسَبْعٌ وَأَمَّا خُلَّةً فَثَمَانِى

قوله خُلَّة يريد ذات خلة ويكون سمّاها بالمصدر كما قالت الخنساء • فانما هى اقبالٌ وادبارُ • ويجوز أن يكون نعتها بالمصدر لكثرته منها ويجوز أن تكون أرادت ذاتَ اقبالٍ وادبارٍ فحذفت المضاف وأقامت المضاف اليه مقامه كما قال عز وجل ولكنّ البرَّ مَن آمَنَ بالله فجائز أن يكون برّ مَن آمَنَ بالله وجائز أن يكون لكنّ ذا البرّ مَن آمَنَ بالله والمعنى يؤول الى شئ واحد وفى هذا الشعر عيب وهو الذى يسميه النحويون العطف على عاملين وذلك أنه عطف خُلّة على اللام الخافضة لزوجة وعطف ثمانيا على سبع ويلزم مَن قال هذا أن يقول مرّ عبدُ الله بزيد وعمرٌو وخالد ففيه هذا القبح وقد قرأ بعض القرّاء وليس بجائز عندنا واختلافِ اللّيلِ والنهارِ وما أنزلَ اللهُ من السماء من رزقٍ فأحيا به الأرضَ بعد موتها وبثّ فيها من كل دابة وتصريفِ الرياح آياتٍ فجعل آياتٍ فى موضع نصب وخفضها التاء الجميع فحملها على انّ وعطفها بالواو وعطف اختلافا على فى ولا أرى ذا فى القرآن جائزا لانه ليس بموضع ضرورة وانشد سيبويه لعدىّ بن زيد العبادىّ (الصحيح انه لابى دُواد الايادىّ)

أَكُلَّ امْرِئٍ تَحْسَبِينَ امْرَأً • وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارَا

فعطف على امرئ وعلى المنصوب الاول (قال أبو الحسن وفيه عيب آخر أن أمّا ليست من العطف فى شئ وقد أجرى خلّة بعدها مجراها بعد حروف العطف حملا على المعنى فكأنه قال لزوجة كذا ولخلّة كذا) وقوله أمّا لزوجة فهذه مفتوحة وهى التى تحتاج الى جزاء ومعناها اذا قلت أمّا زيدٌ فمنطلق مهما يكن من شئ فزيد منطلق وكذلك فأمّا اليتيم فلا تقهر انما هى مهما يكن من شئ فلا تقهر اليتيم وتكسر اذا كانت فى معنى أو ويلزمها التكرير تقول ضربتُ امّا زيدا واما عمرا فمعناه ضربت زيدا أو عمرا وكذلك امّا شاكرا وامّا كفورا وكذلك امّا العذابَ وامّا الساعة وامّا أن تعذّب وامّا أن تتخذ فيهم حسنا وانما كرّرتها لانك اذا قلت ضربت زيدا أو عمرا أو قلت اضرب زيدا أو عمرا فقد ابتدأت بذكر الاول وليس عند السامع انك تريد غير الاول ثم جئت بالشك أو بالتخيير واذا قلت ضربتُ امّا زيدا واما عمرا واضربْ امّا زيدا واما عمرا فقد وضعت كلامك بالابتداء على التخيير أو على الشك واذا قلت ضربتُ امّا زيدا وامّا عمرا فالاولى وقعت

حفظ النعمة فيهن (فصل منه) وباب آخر وهو أنا لم نجد أحدا من الناس عشق والديه ولا ولده ولا من عشق مراكبه ومنزله كما رأيناهم يموتون من عشق النساء الحرام قال الله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فقد ذكر تبارك وتعالى جملة أصناف ما خولهم من كرامته ومن عليهم من نعمته ولم تر الناس وجدوا بشئ من هذه الأصناف وجدهم بالنساء ولقد قدم ذكرهن فى هذه

لبنية الكلام عليها والثانية للعطف لانك تعدل بين الاول والثانى فانما تكسر فى هذا الموضع وزعم سيبويه انها ان ضممت اليها ما فان اضطر شاعر فحذف ما جازله ذلك لانه الاصل وأنشد فى مصداق ذلك (هو دريد بن الصمة الجشمى)

لقد كذبتك نفسك فاكذبنها • فان جزعا وان اجمال صبر

ويجوز فى غير هذا الموضع أن تقع اما مكسورة ولكن ما لا تكون لازمة ولكن تكون زائدة فى ان التى هى للجزاء كما تزاد فى سائر الكلام نحو اين تكن أكن وأينما تكن أكن وكذلك متى تأتنى آتك ومتى ما تأتنى آتك فتقول ان تأتنى آتك واما تأتنى آتك تدغم النون فى الميم لاجتماعهما فى الغنة وسنذكر الادغام فى موضع نفرده به ان شاء الله كما قال امرؤ القيس

فاما ترينى لا أغمض ساعة • من الليل الا أن أكب فأنعسا

فيارب مكروب كررت وراءه • وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا

وفى القرآن فاما ترين من البشر أحدا وقال واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فأنت فى زيادة ما بالخيار فى جميع حروف الجزاء الا فى حرفين فان ما لا بد منها والعلة نذكرها اذا أفردنا بابا للجزاء ان شاء الله والحرفان حيثما تكن أكن كما قال الشاعر

حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحا فى غابر الازمان

والحرف الثانى اذما كما قال العباس بن مرداس

اذما أتيت على الرسول فقل له • حقا عليك اذا اطمأن المجلس

لا يكون الجزاء فى حيث واذ الا بما وأنشدنى أبو العالية

سل المفتى المكى هل فى تزاور • ونظرة مشتاق الفؤاد جناح

فقال معاذ الله أن يذهب التقى • تلاصق أكباد بهن جراح

(وأنشد لبعض العرب المحدثين

تلاصقنا وليس بنا فسوق • ولم يرد الحرام بنا اللصوق

ولكن التباعد طال حتى • توقد فى الضلوع له حريق

فلما ان أتيح لنا التلاقى • تعانقنا كما اعتنق الصديق

الآية على قدر تقدمهن فى قلوبهم فان قال قائل فقد نجد الرجل الحليم والشيخ الركين يسمع الصوت المطرب من المغنى المصيب فينقله ذلك الى طبع الصبيان والى أفعال المجانين فيشق جيبه وينقض حبوته ويفدى غيره ويرقص كما يرقص الحدث الغرير والشاب السفيه ولم نجد أحدا فعل ذلك عند رؤية معشوقه قلنا اما واحدة فانه لم يكن ليدع التشاغل بشمها ورشفها واحتضانها وتقبيل قدميها والمواضع التى وطئت عليه ويتشاغل بالرقص المباين لها والصراخ الشاغل

وهل حرجاً تراه أو حراماً • مشوق ضمه كلف مشوق

وأنشدني غيره

وما هجرتك النفس يا مي أنها • قلتك ولا أن قل منك نصيبها

ولكنهم يا أملح الناس أولعوا • بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

أنها في موضع نصب وكان التقدير لانها فلما حذفت اللام وصل الفعل فعمل تقول جئتك أنك تحب الخير فمعناه لانك وكذلك أتيتك ان تأمر لي بشيء أي لان وتقديره في النصب أن أن الخفيفة والفعل مصدر نحو أريد أن تقوم بافتي أي قيامك وأن الثقيلة واسمها وخبرها مصدر تقول بلغني أنك منطلق أي انطلاقك فاذا قلت جئتك أنك تريد الخير فمعناه ارادتك الخير أي مجيئي لانك تريد الخير ارادة يافتي كما قال الشاعر (هو حاتم الطائي)

وأغفر عوراء الكريم ادخاره • وأعرض عن ذم اللئيم تكرما

قوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره أي أدخره ادخاراً وأضافه اليه كما تقول ادخاراً له وكذلك قوله تكرما انما أراد لتكرم فأخرجه مخرج أتكرم تكرما وأنشدني أبو العالية (قيل ان الشعر لعروة بن أذينة)

مازلت أبغي الحي أتبع ظلهم • حتى دفعت الى ربيبة هودج

قالت وعيش أبي وأكبر اخوتي • لأنبهن الحي ان لم تخرج

فخرجت خيفة قولها فتبسمت • فعلمت أن يمينها لم تحرج

فلثمت فاها آخذاً بقرونها • شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وزاد فيها الجاحظ عمرو بن بحر

وتناولت رأسي لتعرف مسه • بمخضب الأطراف غير مشنج

تقول العرب هودج وبنو سعد بن زيد مناة ومن وليهم يقولون فودج وقوله فعلمت أن يمينها لم تحرج يقول لم تضق عليها يقال حرج يحرج اذا دخل في مضيق والحرجة الشجر الملتف المتضايق ما بينه قال الله عز وجل فلا يكن في صدرك حرج منه وقال تعالى يجعل صدره ضيقاً حرجاً وقرئ حرجاً فمن قال حرجاً أراد التوكيد للضيق كأنه قال ضيق شديد الضيق ومن قال حرجاً جعله مصدراً مثل قولك ضيق ضيقاً وقوله ببرد ماء الحشرج فهو الماء الجاري على الحجارة وقال قيس بن معاذ أحد بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو المجنون وحدثني عبد الصمد بن المعذل قال سمعت

عنها فاما حل الحبوة والصراخ عند رؤية الحبيبة فان هذا مما لا يحتاج الى ذكره لوجوده وكثرة استعمالهم له فكيف وهو ان خلا بمعشوقة لا يظن ان لذة الغناء تشغله بمقدار العشر من لذته بل ربما لم يخطر له ذلك الغناء على بال على أن ذلك الطرب مجتاز غير لابث وظاعن غير مقيم ولذة المتعاشقين راكدة أبداً مقيمة غير ظاعنة وعلى ان الغناء الحسن من الوجه الحسن والبدن الحسن أحسن والغناء الشهي من الوجه الشهي والبدن الشهي أشهى وكذلك الصوت الناعم

الاصمعي يثبته ويقول لم يكن مجنونا انما كانت به لوثة كلوثة ابي حية (النميري وهو من اشعر الناس

ومن شعره) ولم أر ليلى بعد موقف ساعة • ببطن منى ترمي جمار المحصب

ويبدي الحصى منها اذا قذفت به • من البرد اطراف البنان المخضب

فاصبحت من ليلى الغداة كناظر • مع الصبح في اعقاب نجم مغرب

ألا انما غادرت يا ام مالك • صدى اينما تذهب به الريح يذهب

هذا البيت من اعجب ما قيل في النحافة ومما يستطرف في هذا الباب قول عمر بن ابي ربيعة

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت • فيضحى واما بالعشي فيخصر

اخا سفر جواب ارض تقاذفت • به فلوات فهو اشعث اغبر

قليلا على ظهر المطية ظله • سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

ومن هذا الباب قول القائل (هو قيس بن معاذ مجنون بني عامر الذي تقدم ذكره لابن الابرش)

فاصبحت في اقصى البيوت يعدنني • بقية ما ابقين نصلا يمانيا

(بقية بدل من الياء في يعدنني بدل الاشتمال

تجمعن من شتى ثلاث واربع • وواحدة حتى كملن ثمانيا)

يعدن مريضا هن هيجن ما به • الا انما بعض العوائد دائيا

وفي هذا الباب اشياء كثيرة تاتي في موضعها ان شاء الله تعالى ومن الافراط فيه قوله

فلو ان ما ابقيت مني معلق • بعود ثمام ما تأود عودها

(الثمام نبت ضعيف واحدته ثمامة) وهذا متجاوز كقول القائل

• ويمنعها من ان تطير زمامها • واحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه واحسن منه

ما اصاب به الحقيقة ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره وساقه برصف قوي واختصار قريب

قال قيس بن معاذ واخرج من بين الجلوس لعلني • احدث عنك النفس في السر خاليا

واني لاستغشي وما بي نعسة • لعل خيالا منك يلقى خياليا

وفي هذا الشعر أشوقا ولما تمض لي غير ليلة • رويد الهوى حتى يغب لياليا

هذا من اجود الكلام واوضحه معنى ويستحسن لذي الرمة قوله في مثل هذا المعنى

الرخيم من الجارية الناعمة الرخيمة وكم بين ان يفدى اذا شاع فيك الطرب مملوكا وبين ان يفدى امتك وكم بين ان يسمع الغناء من فم تشتهي ان تقبله وبين فم تشتهي ان تصرف وجهك عنه وعلى ان الرجال دخلاء على النساء في الغناء كما رأينا رجالا ينوحون فصاروا دخلاء على النوائح وبعد فاعما احسن واملح واشهى واغنج ان يغنيك غزل ملتف اللحية كث العارضين او شيخ متداعي الاسنان متغضن الوجه ثم يغنيك اذا هو تغنى بشعر ورقاء بن زهير
رأيت زهيرا تحت كلكل خالد

أُحِبُّ المكانَ القفرَ من أجلِ أنّني • به أتغنّى باسمها غيرَ مُعجِمِ

وأنشدني ابن عائشة لبعض القرشيين .

وقفوا ثلاثَ منًى بمنزلِ غِبطةٍ • وهُمُ على غَرَضٍ هُنالكَ ماهُمُ

مُتجاورينَ بغيرِ دارِ إقامةٍ • لو قد أجدَّ تفرُّقٌ لم يندموا

(يعني طواف الوداع وقوله ثلاث منى أراد أيام النفر وأخرجه على الليالي وقوله لم يندموا لانهم يرجعون الى أوطانهم)

ولهنّ بالبيتِ العتيقِ لُبانةٌ • والركنُ يعرفهنّ لو يتكلّمُ

لو كانَ حيّا قبلهنّ ظعائنا • حيّا الحطيمُ وُجوهَهنّ وزمزمُ

وكأنّهنّ وقد صدرنَ لواغبًا • بيضٌ بأفنيةِ المقامِ مُركّمُ

اللاغبُ المُعيِي قال الله عز وجل وما مسّنا من لغوب والمُركّمُ الذي بعضه على بعض والمرأة تُشبّه ببيضة النعامة كما تُشبّه بالدرة قال الله عز وجل كأنهنّ بيضٌ مكنونٌ والمكنون المصون والمكنّ المستور يقال أكننتُ السرَّ قال الله عز وجل أو أكننتم في أنفسكم وقال أبو دهبل وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حسّان (بن ثابت الانصاري) .

وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوّاصِ ميزتْ من جوهرٍ مكنونِ

وقال ابن الرقيات واضحٌ لونُها كبيضةِ أُدحيٍّ لها في النساءِ خلقٌ عميمُ

العميم التام والأُدحيُّ موضع بيض النعامة خاصة وشعر عبد الرحمن هذا شعر مأثور مشهور عنه وروى بعض الرواة أن أبا دهبل الجمحي كان تقيًّا وكان جميلًا فقفل من الغزوات مرةً فمرّ بدمشق فدعته امرأة الى أن يقرأ لها كتابًا وقالت ان صاحبته في هذا القصر وهي تحب أن تسمع ما فيه فلما دخلت به برزت له امرأة جميلة وقالت له انما احتلتُ لك بالكتاب حتى أدخلتك فقال لها أما الحرام فلا سبيل اليه قالت فلستَ تُراد حرامًا فتزوّجته وأقام عندها دهرًا حتى نُعي بالمدينة ففي ذلك يقول وقد استأذنها في الإلمام بأهله ثم يعود اليها وقد اقتُسم ميراثه فلما همّ بالعود اليها نُعيت له فهذا ما رُوي من هذا الوجه والذي كأنه اجماع الناس انه لعبد الرحمن بن حسان وهو في بنت معاوية (بن أبي سفيان).

فاقبلت أسعى كالعجول أبادر
أم تغنيك جارية كأنها طاقة نرجس أو كأنها ياسمينة أو كأنها خرطت من ياقوتة أو من فضة مجلوة بشعر عكاشة بن محصن
من كف جارية كأن بنانها من فضة قد طوقت عنابا
وكأن عناها اذا نطقت به ألقت على يدها الشمال حسابا
(فصل منه) فاما الغناء المطرب في الشعر الغزل فانما ذلك من حقوق النساء وانما ينبغي ان تغنى باشعار الغزل والتشبيب والعشق

صاح حيّا الاله أهلا ودارا ● عند أصل القناة من جيرون

عن يساري اذا دخلت من البا ● ب وان كنت خارجا فيميني

فبتلك اغتربت بالشأم حتى ● ظن أهلي مرجّمات الظنون

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوّاص ميزت من جوهر مكنون

واذا ما نسبتها لم تجدها ● في سناء من المكارم دون

ثم خاصرتها الى القبة الخضراء تمشي في مرمر مسنون

تجعل المسك واليلنجوج والند صلاء لها على الكانون

قبة من مراجل ضربتها ● عند برد الشتاء في قيطون

المسنون المصبوب على استواء والمراجل ثياب من ثياب اليمن قال العجاج

● بشية كشية الممرجل ● والقيطون البيت في جوف بيت وقال آخر

وأبصرت سعدى بين ثوبي مراجل ● وأثواب عصب من مهلهلة اليمن

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية أما سمعت قول عبد الرحمن بن حسان في ابنتك قال وما الذي

قال قال قال وهي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون

قال معاوية صدق فقال يزيد وقال واذا ما نسبتها لم تجدها ● في سناء من المكارم دون

قال معاوية صدق فقال يزيد انه قال

ثم خاصرتها الى القبة الخضراء تمشي في مرمر مسنون

قال معاوية كذب

والصبابة بالنساء اللواتي فيهن نطقت تلك الاشعار وبين شبب الرجال ومن أجلهن تكلفوا القول في التشبيب وبعد فكل شئ وطبقته وشكله وافقه حتى تخرج الأمور موزونة معدلة ومتساوية ومخلصة ولو أن رجلا من أدمث الناس وأشدهم تلخيصا لكلامه ومحاسنه لنفسه ثم جالس مع امرأة لا تزن عنطق ولا تعرف بحسن حديث ثم كان يعشقها ما كان الناتج بينهما من الاحاديث والمتلاقح بينهما من المعاني والالفاظ الا ما كان يجري بين غفل بن حنظلة وبين بشار بن الحرة واغاهذا على قدر تمكن

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس حدثني مسعود بن بشر قال حدثني محمد بن حرب قال أتى عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساه حلة وأقعده الى جانبه ثم قال انه ابن أمي وكان أبوه برّا بي (الزبير أخو عبد الله بن عبد المطلب شقيقه) وأنشدني مسعود قال أنشدني طاهر بن علي بن سليمان قال أنشدني منصور بن المهدي لرجل من بني ضبة بن أد يقول لبني تميم بن مر بن أد

أبني تميم انني أنا عمكم • لا تحرمن نصيحة الاعمام

اني أرى سبب الفناء واعلموا • سبب الفناء قطيعة الارحام

فتداركوا بأبي وأمي أنتم • ارحامكم برواجح الأحلام

(كذا أنشد أرحامكم ويروى أحسابكم) ويروى أنه لما أتى عبد الله بن الزبير خبر قتل مصعب بن الزبير خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انه أتانا خبر قتل المصعب فسررنا به واكتأبنا له فاما السرور فلما قدر له من الشهادة وخير له من الثواب وأما الكآبة فلوعة يجدها الحميم عند فراق حميمه وانا والله ما نموت حبجا كميتة آل أبي العاصي اغا نموت والله قتلا بالرماح وقعصا تحت ظلال السيوف فان يهلك المصعب فان في آل الزبير منه خلفا قوله حبجا يقال حبج بطنه اذا انتفخ وكذلك حبط بطنه والمقعص المقتول واللوعة الحرقة يقال لاع يلاع لوعة يا فتى فهو لائع ويقال لاع يا فتى على القلب وأنشد أبو زيد

ولا فرح بخير ان أتاه • ولا جزع من الحدثان لاع

قال وحدثني مسعود بن بشر في اسناد ذكره قال قال زياد لحاجبه يا عجلان اني وليتك هذا الباب وعزلتك عن أربعة عزلتك عن هذا المنادي اذا دعا للصلاة فلا سبيل لك عليه وعن طارق الليل فشر ما جاء به ولو جاء بخير ما كنت من حاجته وعن رسول صاحب الثغر فان ابطاء ساعة يفسد تدبير سنة وعن هذا الطباخ اذا فرغ من طعامه قال وحدثني مسعود قال قال زياد يعجبني من الرجل اذا سيم خطة الضيم أن يقول لا بملء فيه واذا أتى نادي قوم علم أين ينبغي لمثله أن يجلس فجلس واذا ركب دابة حملها على ما تحب ولم يبعثها الى ما تكره وكتب الى جعفر بن يحيى ان صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الاموال فوقع جعفر هذا رجل منقطع عن السلطان وبين ذؤبان العرب بحيث العدد والعدة والقلوب القاسية والانوف الحمية فليمدد من المال بما يستصلح به من معه ليدفع به عدوه فان نفقات الحروب يستظهر لها ولا يستظهر عليها وأكثر الناس شكية عامل فوقع اليه في قصتهم يا هذا قد كثر شاكوك وقل حامدوك فاما عدلت واما اعتزلت وزعم الجاحظ قال قال ثمامة بن أشرس النميري ما رأيت رجلا أبلغ من جعفر بن يحيى والمأمون وقال موسى بن عمران ما رأيت رجلا أبلغ من يحيى بن خالد وأيوب بن جعفر وقال

الغزل في الرجل (فصل منه) والمرأة أيضا أرفع حالا من الرجل في أمور منها انها التي تخطب ويراد وتعشق وتطلب وهي التي تفدى وتحمى قال عنبسة بن سعيد للحجاج بن يوسف أيفدى الأمير أهله قال والله ان تعدونني الا شيطانا والله لربما رأيتني أقبل رجل احداهن

(فصل منه) وانما يملك المولى من عبده بدنه فاما قلبه فليس له عليه سلطان والسلطان نفسه وان ملك رقاب الأمة فالناس يختلفون في جهة الطاعة فمنهم من يطيع بالرغبة ومنهم من يطيع بالرهبة

جعفر بن يحيى لكتابه ان قدرتم أن تكونوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ما تدافنتم يقول لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييعه ودفنه وقال عليه الصلاة والسلام اجتنبوا القعود على الطرقات الا ان تضمنوا أربعا ردّ السلام وغض الأبصار وارشاد الضال وعون الضعيف وقالت هند بنت عتبة انما النساء أغلال فليختر الرجل غلا ليده وذكرت هند بنت المهلب بن أبى صفرة النساء فقالت ما زين بشئ كادب بارع تحته لب ظاهر وقالت هند بنت المهلب بن أبى صفرة أيضا اذا رأيتم النعم مستدرة فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افصلوا بين حديثكم بالاستغفار وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله قيدوا النعم بالشكر وقيدوا العلم بالكتاب وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه العجب لمن يهلك والنجاة معه فقيل ما هى يا أمير المؤمنين قال الاستغفار وقال الخليل بن أحمد كن على مدارسة ما فى قلبك أحرص منك على حفظ ما فى كتبك وقال ابن أحمد يعنى الخليل اجعل ما فى كتبك رأس مال وما فى صدرك للنفقة وقيل لنصر بن سيار ان فلانا لا يكتب فقال تلك الزمانة الخفية وقال نصر بن سيار لولا أن عمر بن هبيرة كان بدويا ما ضبط أعمال العراق وهو لا يكتب وفادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى فداء من أسرى بدر فمن لم يكن له فداء أمره أن يعلم عشرة من المسلمين الكتابة ففشت الكتابة بالمدينة ومن أمثال العرب خير العلم ما حوضر به يقول ما حفظ فكان للمذاكرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتى صالحا أمرها ما لم ترالفئ مغنما والصدقة مغرما وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يأتى على الناس زمان لا يقرب فيه الا الماحل ولا يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف فيه الا المنصف يتخذون الفئ مغنما والصدقة مغرما وصلة الرحم منا والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك يكون سلطان النساء ومشاورة الاماء وامارة الصبيان (الماحل الواشى يقال محل فلان بفلان اذا وشى به ومكر) وروى عن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمدانى قال دفع الى الحجاج أزاذمرد بن الهربذ وأمرنى ان أستخرج منه وأغلظ عليه فلما انطلقت به قال لى يا محمد ان لك شرفا ودينا وانى لا أعطى على القسر شيأ فاستأدنى وارفق بى قال ففعلت فأدى الى فى أسبوع خمسمائة ألف قال فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه وانتزعه من يدى ودفعه الى رجل كان يتولى له العذاب فدق

ومنهم من يطيع بالمحبة ومنهم من يطيع بالديانة وهذه الأصناف وان كان أفضلها طاعة الديانة فان تلك المحبة مالم يمازجها هوى لم يقو على صاحبها قوة العشق وفى الأثر المستفيض والمثل السائر ان الهوى يعمى ويصم فالعشق يقتل

(فصل منه) ومما يستدل به على تعظيم شأن النساء ان الرجل يستحلف بالله الذى لا شئ أعظم منه وبالمشى الى بيت الله وبصدقة ماله وعتق رقيقه فيسهل ذلك عليه ولا يأنف منه فان استحلف بطلاق امرأته تربد وجهه وطار الغضب فى دماغه

يديه ورجليه ولم يعطهم شيأ قال محمد بن المنتشر فانى لأمر يوما فى السوق اذا صائح بى يا محمد فالتفت
فاذا به معرضا على حمار مدقوق اليدين والرجلين فخفت الحجاج ان أتيته وتذممت منه فملت اليه
فقال لى انك وليت منى ما ولى هؤلاء فأحسنت وانهم صنعوا بى ما ترى ولم أعطهم شيأ وههنا
خمسمائة ألف عند فلان فخذها فهى لك قال فقلت له ما كنت لآخذ منك على معروف أجرا ولا
لآرزأك على هذه الحال شيأ قال فأما اذا أبيت فاسمع أحدثك حدثنى بعض أهل دينك عن نبيك
صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا رضى الله عن قوم أمطرهم المطر فى وقته وجعل المال فى سمحائهم
واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل المال عند بخلائهم
وأمطرهم المطر فى غير حينه قال فانصرفت فما وضعت ثوبى حتى أتانى رسول الحجاج فأمرنى
بالمسير اليه فألفيته جالسا على فرشه والسيف منتضى فى يده فقال لى ادن فدنوت شيأ ثم قال ادن
فدنوت شيأ ثم صاح الثالثة ادن لا أبا لك فقلت ما بى الى الدنو من حاجة وفى يد الامير ما أرى فأضحك
الله سنه وأغمد سيفه عنى فقال لى اجلس ما كان من حديث الخبيث فقلت له أيها الامير والله
ما غششتك منذ استنصحتنى ولا كذبتك منذ استخبرتنى ولا خنتك منذ ائتمنتنى ثم حدثته الحديث
فلما صرت الى ذكر الرجل الذى المال عنده أعرض عنى بوجهه وأومأ الى بيده وقال لا تسمه ثم
قال ان للخبيث نفسا وقد سمع الأحاديث ويقال كان الحجاج اذا استغرب ضحكا والى بين الاستغفار
وكان اذا صعد المنبر تلفع بمطرفه ثم تكلم رويدا فلا يكاد يسمع ثم يتزيد فى الكلام حتى يخرج يده
من مطرفه ويزجر الزجرة فيفزع بها أقصى من فى المسجد وكان يطعم فى كل يوم على ألف مائدة على
كل مائدة ثريد وجنب من شواء وسمكة طرية ويطاف به فى محفة على تلك الموائد ليتفقد أمور
الناس وعلى كل مائدة عشرة ثم يقول يا أهل الشام اكسروا الخبز لئلا يعاد عليكم وكان له ساقيان
أحدهما يسقى الماء والعسل والآخر يسقى اللبن ويروى أن ليلى الأخيلية قدمت عليه فأنشدته

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة • تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العقام الذى بها • غلام اذا هز القناة ثناها

(العقام بالفتح والضم والضم أفصح) فقال لها لا تقولى غلام قولى همام ثم قال لها أى نسائى أحب
اليك أن أنزلك عندها الليلة قالت ومن نساؤك أيها الأمير قال أم الجلاس بنت سعيد بن العاصى

ويمنع ويعصى ويغضب ويأبى وان كان المخالف سلطانا مهيبا ولم يكن يحبها ولا يستكثر منها وكانت نفسها قبيحة المنظر دقيقة الحسب خفيفة الصداق قليلة النسب وليس ذلك الا لما قد عظم الله تعالى من شأن الزوجات فى صدور الأزواج

((فصل منه فى ذكر الولد))

وباب آخر وهو أنا لو خيرنا رجلا بين الفقر أيام حياته وبين أن يكون ممتعا بالباه أيام حياته لاختار الفقر الدائم مع التمتع الدائم وليس شئ مما يحدث الله لعباده من أصناف نعمه وضروب فوائده أبقى ذكرا ولا أجل خطرا من

الأموية وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية وهند بنت المهلب بن أبي صفرة العتكية فقالت القيسية أحب الي فلما كان الغد دخلت عليه فقال يا غلام أعطها خمسمائة فقالت أيها الامير اجعلها أدما فقال قائل انما أمرك بشاء قالت الامير أكرم من ذلك فجعلها ابلا انا انا امضيا. وانما كان أمرها بشاء أولا والأدم البيض من الابل وهي أكرمها ويروى عن بعض الفقهاء (هو الشعبي) قال دعاني الحجاج فسألني عن الفريضة المخمسة وهي أم وجد وأخت فقال لي ما قال فيها الصديق رحمه الله قلت أعطى الام الثلث والجد ما بقي لانه كان يراه أبا قال فما قال فيها أمير المؤمنين يعني عثمان رحمه الله قلت جعل المال بينهم أثلاثا قال فما قال فيها ابن مسعود قال قلت أعطى الاخت النصف والام ثلث ما بقي والجد الثلثين لانه كان لا يفضل أما على جد قال فما قال فيها زيد ابن ثابت قال قلت أعطى الام الثلث وجعل ما بقي بين الاخت والجد للذكر مثل حظ الانثيين لانه كان يجعل الجد كأحد الاخوة الى الثلاثة قال فزم بأنفه ثم قال فما قال فيها أبو تراب قال قلت أعطى الام الثلث والاخت النصف والجد السدس فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال فانه المرء يرغب عن قوله وجلس الحجاج يوما يأكل ومعه جماعة على المائدة منهم محمد بن عمير بن عطارد ابن حاجب بن زرارة وحجار بن أبجر بن بجير العجلي فأقبل في وسط من الطعام على محمد بن عمير بن عطارد فقال يا محمد أيدعوك قتيبة بن مسلم الى نصرتي يوم رستقباذ فتقول هذا أمر لا ناقة لي فيه ولا جمل لا جعل الله لك فيه ناقة ولا جملا يا حرسي خذ بيده وجرد سيفك فاضرب عنقه فنظر الى حجار ابن أبجر وهو يتبسم فدخلته العصبية وكان مكان حجار من ربيعة كمكان محمد بن عمير من مضر وأتى الجبار بفرنية فقال اجعلها لي محمدا فان اللبن يعجبه يا حرسي شم سيفك وانصرف وكان محمد شمر يفاوله يقول الشاعر

علم القبائل من معد وغيرها • أن الجواد محمد بن عطارد

وذكرت بنو دارم يوما بحضرة عبد الملك فقالوا قوم لهم حظ فقال عبد الملك أتقولون ذلك وقد مضى منهم لقيط بن زرارة ولا عقب له ومضى القعقاع بن معبد بن زرارة ولا عقب له ومضى محمد ابن عمير بن عطارد ولا عقب له والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدا قوله شم سيفك يقول اغمده ويقال شمت السيف اذا سللته وهو من الاضداد ويقال شمت البرق اذا نظرت من أي ناحية

أن يكون للرجل ابن يكون ولي بناته وساتر عورة حرمه وقاضي دينه ومحيي ذكره مخلصا في الدعاء له بعد موته وقائما بعده في كل ما خلفه مقام نفسه فمن أقول أنفاعلى ما فارق ممن خلف كافيا مجربا وحائطا من وراء المال موفرا ومن وراء الحرم حاميا ولسانه في الناس محببا وقال رجل لعبد الملك بن مروان ذكر ولد له أراك الله في بنيك ما أرى أباك فيك وأرى بنيك فيك ما أراك في أبيك ونظر شيخ وهو عند المهلب الى بنيه قد أقبلوا فقال آنس الله بكم لا حقكم فوالله ان لم تكونوا أسباط

يانى قال الاعشى

فقلت للشرب فى درنى وقد ثملوا • شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل

وقال الفرزدق

بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهم • ولم تكثر القتلى بها حين سلت

وهذا البيت ظريف عند أصحاب المعانى وتأويله لم يشيموا لم يغمدوا ولم تكثر القتلى أى لم يغمدوا سيوفهم الا وقد كثرت القتلى حين سلت وحدثنى الحسن بن رجا قال قدم علينا على بن جبلة الى عسكر الحسن بن سهل والمأمون هناك بانياً على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببوران فقال الحسن ونحن اذ ذاك نجرى على نيف وسبعين ألف ملاح وكان الحسن بن سهل يسهر مع المأمون وكان المأمون يتصبح فيجلس الحسن للناس الى وقت انتباهه فلما ورد على قلت قد ترى شغل الامير قال اذا لا أضيع معك قلت أجل فدخلت على الحسن بن سهل فى وقت ظهوره فأعلمته مكانه فقال ألا ترى ما نحن فيه قلت لست بمشغول عن الامر له فقال يعطى عشرة آلاف درهم الى أن نتفرغ له فأعلمت ذلك على بن جبلة فقال فى كلمة

أعطيتنى يا ولى الحق مبتدئا • عطية كافأت مدحى ولم ترنى

ما شمت برقك حتى نلت ريقه • كأنما كنت بالجدوى تبادرنى

((باب))

قال أبو العباس قال المفضل بن المهلب بن أبى صفرة (يصف الشجاعة والنجدة)

هل الجود الا أن تجود بأنفس • على كل ماضى الشفرتين قضيب

وما خير عيش بعد قتل محمد • وبعد يزيد والحرون حبيب

ومن هز أطراف القنا خشية الردى • فليس لمجد صالح بكسوب

وما هى الا رقدة تورث العلى • لرهطك ما حنت روائم نيب

قوله ومن هز أطراف القنا خشية الردى يقول من كره قال عنترة بن شداد

حلفت لهم والخيل تردى بنا معا • نفارقهم حتى تهروا العواليا

عوالى زرقا من رماح ردينة • هرير الكلاب يتقين الافاعيا

والردى الهلاك وأكثر ما يستعمل فى الموت يقال ردى يردى ردى قال الله عز وجل وما يغنى عنه ماله

نبوة اذ لكم أسباط ملحمة وأيست النعمة فى الولد الحى والخلف الكافى بصغيرة

(فصل منه) وباب آخر وهو أن الله تعالى خلق من المرأة ولدا من غير ذكر ولم يخلق من الرجل ولدا من غير أنثى نقص الآية العجيبة والبرهان المنير المرأة دون الرجل كما خلق المسيح فى بطن مريم من غير ذكر

(فصل منه فى ذكر القرابات)

وأما أنا فانى أقول ان تباغض الاقرباء عارض دخيل وتحابهم وابد أصيل والسلامة من ذلك أعم والتناصر أظهر

اذا تردّى وهو تفعّل من الردى في احد التفسيرين وقيل اذا تردى في النار أي اذا سقط فيها وقوله الحرون فان حبيب بن المهلّب كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يريم مكانه فكان يلقّب الحرونَ وقوله وماهي الا رقدة تورث العلى فهذا مأخوذ من قول أخيه يزيد بن المهلب وذلك انه قال في يوم العقر وهو اليوم الذي قُتل فيه قاتل الله ابنَ الاشعث ما كان عليه لو غمّض عينيه ساعة للموت ولم يكن قتيلَ نفسه وذلك ان ابن الاشعث قام في الليل وهو في سطح للبول فزعموا انه ردّى نفسه وغير أهل هذا القول يقولون بل سقط منه بسنة النوم وقوله تورث العلى لرهطك فالمعنى تورث العلى رهطَك وهذه اللام تزاد في المفعول على معنى زيادتها في الاضافة تقول هذا ضاربٌ زيدًا وهذا ضاربٌ لزيد لانها لا تغيّر معنى الاضافة اذا قلت هذا ضاربُ زيد وضاربٌ له وفي القرآن وأُمرتُ لانْ أكونَ أول المسلمين وكذلك ان كنتم للرؤيا تعبرون ويقول النحويون في قوله تعالى قل عسى أنْ يكون ردفَ لكم بعضُ الذي تستعجلون انما هو ردفكم والنيبُ جمع ناب وهي المسنّةُ من الابل وتقديرها فُعْلٌ ساكنةً وابدلتَ من الضمة كسرةً لتصحّ الياء كما قلت في أبيض بيض وانما هو مثل أحمر وحُمْر وكذلك أشيبُ وشيبٌ فتقدير ناب ونيب اذا جاء على فَعَل وفُعْل تقدير أسد وأُسْد ووثن ووُثْن وناب تقديرها فَعَلٌ وانما انقلبت الياء ألفا فكذلك وانما تنقلب اذا كانت قبلها فتحة وكانت في موضع حركة والروائم قد مضى تفسيرها وأنشدني الزيادي قال أنشدني أبو زيد قال نظر شيخ من الاعراب الى امرأته تتصنّع وهي عجوز فقال

عجوزٌ ترجّي أن تكون فتيّةً • وقد لحب الجنبان واحدودب الظهرُ
تدسّ الى العطّار سلعة بيتها • وهل يُصلح العطارُ ما أفسد الدهرُ

(قال أبو الحسن وزادني غير أبي العباس في شعر هذا الاعرابي

وما غرّني الا خضابٌ بكفها • وكُحْلٌ بعينيها وأثوابها الصُّفْرُ
وجاؤا بها قبل المحاق بليلة • فكان محاقًا كلّه ذلك الشهرُ)

قال فقالت له امرأته • ألم ترَ أنّ النابَ تُحلب عُلبةً • ويُترك ثلْبٌ لا ضرابٌ ولا ظهرُ

قال ثم استغاثت بالنساء وطلب الرجال فاذا هم خلوف فاجتمع النساء عليه فضربنه وقوله قد لحب الجنبان يقول قلّ لحمهما يقال بعير ملحوبٌ وقد لحب مثل عُرق وقوله تدسّ الى العطار سلعة

بيتها

والتصادق في المودة أكثر فلذلك القبيلة تنزل معا وترحل معا وتحارب من ناوأها معا الا الشاذ النادر كخروج غني وباهلة من غطفان وكنزول عبس في بني عامر وما أشبه ذلك والا فان القرابة يد واحدة على من ناوأهم وسيف واحد على من عاداهم وما صلاح شأن العشائر الا بتقارب ساداتهم في القدر وان تفاوتوا في الرياسة والفضل كما قال في الأثر المستفيض لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا فاذا تقاربوا هلكوا وحال العامة في ذلك كحال الخاصة

(فصل منه) وقضية واجبة ان الناس لا يصلحهم

بهما يريد السويق والدقيق وما أشبه ذلك وكل عرض فالعرب تقول له سلعة أنشدني عمارة بن عقيل شعرا يمدح به خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ويذم تميم خزيمة بن حازم النهشلي

أأترك ان قلت دراهم خالد • زيارته انى اذاً للئيم

وقد يسلع المرء اللئيم اصطناعه • ويعتل نقد المرء وهو كريم

(من رفع المرء نصب اصطناعه ومن نصب المرء رفع اصطناعه وأما على تفسير أبي العباس فبنصب اصطناعه لاغير) فتى واسط في ابنى نزار محبب • الى ابنى نزار في الخطوب عميم

فليت بيرديه لنا كان خالد • وكان لبكر في الثراء تميم

فيصبح فينا سابق متمهل • أغر وفي بكر أغم بهيم

قوله وقد يسلع المرء اللئيم اصطناعه أى تكثر سلعته لاصطناعه وقوله أغم بهيم فالغمم كثرة شعر الوجه والقفا قال هدبة بن خشرم العذرى

فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا • أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

والعرب تكره الغمم والبهيم الذى لا يخالط لونه غيره من أى لون كان وقولهم ألم تر أن الناب تحلب علبة تقول فيها منفعة على حال والعلبة اناء لهم من جلود يحلبون فيه من ذلك قوله

لم تتقنع بفضل مئزرها • دعد ولم تغذ دعد بالعلب

ومن أمثال العرب قد تحلب الضجور العلبة يضربون ذلك للرجل البخيل الذى لا يزال ينال منه الشئ القليل والضجور الناقة السيئة الخلق انما تحلب حين تطلع عليها الشمس فتطيب نفسها والثلب الذى قد انتهى فى السن من الابل وقال آخر

لم أر مثل الفقر أوضع للفتى • ولم أر مثل المال أرفع للرذل

ولم أر عزا لامرئ كعشيرة • ولم أر ذلا مثل نأى عن الاصل

ولم أر من عدم أضر على امرئ • اذا عاش بين الناس من عدم العقل

وقال آخر لعمرى لقوم المرء خير بقية • عليه وان عالوا به كل مركب

من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى • جزيل ولم يخبرك مثل مجرب

(وان خبرتك النفس أنك قادر • على ما حوت أيدى الرجال فكذب)

الاترسة واحد يجمع شملهم ويكفيهم ويحميهم من عدوهم ويمنع قويهم عن ضعيفهم وقليل له نظام أقوى من كثير لا نظام لهم ولا رئيس عليهم اذ قد علم الله سبحانه وتعالى ان صلاح عامة البهائم فى أن يجعل لكل جنس منها فحلا يوردها الماء ويصدرها ويتبعه الى الكلأ كالعير فى الغابة والفحل فى الابل والهجمة وكذلك النحل العسالة والكراكى وما يحمى الفرس الا الحصان الجوور فى المروج فجعل منها رؤساء متبوعة وأذنابا تابعة ولو لم يقم الله للناس الوزعة من السلطان والحماة من الملوك وأهل

اذا كنت في قوم عدا لست منهم • فكل ما علفت من خبيث وطيب

العدا الغرباء في هذا الموضع ويقال للأعداء عدا والعداة الأعداء لا غير وقال اعرابي من باهلة

سأعمل نص العيس حتى يكفني • غنى المال يوما أو غنى الحدثان

فللموت خير من حياة يرى لها • على المرء ذي العليا مس هوان

متى يتكلم يلغ حكم مقاله • وان لم يقل قالوا عديم بيان

كأن الغنى في أهله بورك الغنى • بغير لسان ناطق بلسان

ونظير هذا الشعر ما حدثنا به في أمر حارثة بن بدر الغداني فانا حدثنا عن حارثة بن بدر وكان رجل بني تميم في وقته وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو مستهتر بالشراب فقال زياد كيف لي باطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق لم يصكك ركابي ركابه ولا تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تأخر عني فلويت عنقي اليه ولا أخذ علي الشمس في شتاء قط ولا الروح في صيف قط ولا سألته عن علم الا ظننت أنه لم يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله فقال له حارثة أيها الامير ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة فقال له عبيد الله ان أبا المغيرة كان قد برع بروعا لا يلحقه معه عيب وأنا حدث وانما أنسب الى من يغلب علي وأنت رجل تديم الشراب فمتى قربتك فظهرت رائحة الشراب منك لم آمن أن يظن بي فدع النبيذ وكن أول داخل علي وآخر خارج عني فقال له حارثة أنا لا أدعه لمن يملك ضري ونفعي أفأدعه للحال عندك قال فاختر من عملي ما شئت قال توليني رام هرمز فانها أرض عذاة وسرق فان بها شرابا وصف لي فولاه اياهما فلما خرج شيعه الناس فقال أنس بن أبي أنيس

أحار بن بدر قد وليت امارة • فكن جرذا فيها تخون وتسرق

ولا تحقرن يا حار شيئا وجدته • فحظك من ملك العراقين سرق

وباه تميما بالغنى ان للغنى • لسانا به المرء الهيوبة ينطق

فان جميع الناس اما مكذب • يقول بما يهوى واما مصدق

يقولون أقوالا ولا يعلمونها • ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

ورثى حارثة بن بدر زيادا وكان زياد مات بالكوفة ودفن بالثوية فقال

الحياطة عليهم من الأئمة لعادوا انمرا لا نظام لهم ومستكلبين لا زاجر لهم ولكان من عز ومن قدر قهر ولما زال اليسر راكدا والهرج ظاهرا حتى يكون التغابن والبوار وحتى تنطمس منهم الآثار ولكانت الانعام طعاما للسباع وكانت عاجزة عن حماية أنفسها جاهلة بكثير من مصالح شأنها فوصل الله تعالى عجزها بقوة من أحوجه الى الاستمتاع بها ووصل جهلها بمعرفة من عرف كيف وجه الحيلة في صونها والدفاع عنها وكذلك فرض على الأئمة أن يحوطوها بالحراسة لها والذيادة عنها

صلى الاله على قبر وطهره * عند الثوية يسفي فوقه المور
زفت اليه قريش نعش سيدها * فثم كل التقى والبر مقبور
أبا المغيرة والدنيا مفجعة * وان من غرت الدنيا لمغرور
قد كان عندك بالمعروف معرفة * وكان عندك للنكراء تنكير
وكنت تغشى وتعطي المال من سعة * ان كان بيتك أضحى وهو مهجور
الناس بعدك قد خفت حلومهم * كأنما نفخت فيها الأعاصير

ونظير هذا قول مهلهل يرثي أخاه كليبا وكان كليب اذا جلس لم يرفع بحضرته صوت ولم يستب بفنائه اثنان

ذهب الخيار من المعاشر كلهم * واستب بعدك يا كليب المجلس
وتقاولوا في أمر كل عظيمة * لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

قول حارثة الثوية فهي بناحية الكوفة ومن قال الثوية فهو تصغير الثوية وكل ياء اتصلت بها ياء أخرى فوقعت معتلة طرفا في التصغير وليتها ياء التصغير فهي محذوفة وذلك قولك في عطاء عطي وكان الاصل عطيي كما تقول في سحاب سحيب ولكنها تحذف لاعتلالها واجتماع ياءين معها وتقول في تصغير أحوى أحي في قول من قال في أسود أسيد وهو الوجه الجيد لان الياء الساكنة اذا كانت بعدها واو متحركة قلبتها ياء كقولك أيام والاصل أيوام وكذلك سيد والاصل سيود ومن قال في تصغير أسود أسيود فهو جائز وليس كالاول قال في تصغير أحوى أحيو يا فتى فتثبت الياء لانه ليس فيه ما يمنعها من اجتماع الياآت ومن قال أسيود فانما أظهر الواو لانها كانت في التكبير متحركة ولا تقول في عجوز الا عجيز لانها ساكنة وانما يجوز هذا على بعد اذا كانت الواو في موضع العين من الفعل أو ملحقة بالعين نحو واو جدول وانما استجازوا اظهارها في التصغير للتشبيه بالجمع لان ما جاوز الثلاثة فتصغيره على مثال جمعه ألا تراهم يقولون في الجمع أساود وجداول فهذا على التشبيه بهذا فان كانت الواو في موضع اللام كانت منقلبة على كل حال تقول في غزوة غزية وفي عروة عرية فهذا شرح صالح في هذا الموضع وهو مستقصى في الكتاب المقتضب وقوله يسفي فوقه المور فمعناه ان الريح تسفيه وجعل الفعل للمور وهو التراب وتقول سفاك الله الغيث ثم يجوز أن تجعل الفعل للغيث فتقول سقاك الغيث يا فتى وقال علقمة بن عبدة

ويردفونها عن ضعيفها وجاهلها عن عالمها وظالمها عن مظلومها وسفيهها عن حليمها فلولا السائس ضاع المسوس ولولا قوة الراعي لهلكت الرعية

(فصل منه) وانفراد السيد بالسيادة كانفراد الامام بالامامة وبالسلامة من تنازع الرؤساء تجتمع الكلمة وتكون الالفة ويصلح شأن الجماعة واذا كانت الجماعة انتهت الأعداء وانقطعت الأهواء.

(فصل منه) ولسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل ان النساء فوق الرجال أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو بأكثر

سقاك يمان ذو حبي وعارض ٭ تروح به جنح العشي جنوب

وقوله زفت اليه قريش نعش سيدها يقال زففت العروس وزففت العروس وحدثني أبو عثمان المازني قال حدثني الزيادي قال سمعت قوما من العرب يقولون أزففت العروس وهي لغة وقوله نعش سيدها يريد موضعه من النسب لانه نسبه الى أبي سفيان وكان رئيس قريش قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وله يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الصيد في بطن الفرا وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يفرش فراشا في بيته في وقت خلافته فلا يجلس عليه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب ويقول هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا شيخ قريش وكان حرب بن أمية رئيس قريش يوم الفجار وكان آل حرب اذا ركبوا في قومهم من بني أمية قدموا في المواكب وأخليت لهم صدور المجالس الا رهط عثمان رضي الله عنه فان التقديم لهم في الاسلام بعثمان وكان أبو سفيان صاحب العير يوم بدر وصاحب الجيش يوم أحد وفي يوم الخندق واليه كانت تنظر قريش في يوم فتح مكة وجعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من دخل في داره فهو آمن في حديث مشهور وقوله كأنما نفخت فيها الاعاصير هذا مثل وانما يراد خفة الحلوم والاعصار فيما ذكر أبو عبيدة ريح تهب بشدة فيما بين السماء والارض ومن أمثال العرب ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا يضرب للرجل يكون جلدا فيصادف من هو أجلد منه قال الله عز وجل فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الصيد في بطن الفرا يعني الحمار الوحشي وذلك أن أجل شيء يصيده الصائد الحمار الوحشي فاذا ظفر به فكأنه قد ظفر بجملة الصيد والعرب تختلف فيه فبعضهم يهمزه فيقول هذا فرأ كما ترى وهو الاكثر وبعضهم لا يهمزه ومن أمثالهم انه لكحنا الفرا فسترى أي زوجتنا من لا خير فيه فستعلم كيف العاقبة وجمعه في القولين جميعا أفراء كما ترى ونظيره جمل وجمال وجبل وجبال قال الشاعر

بضرب كآذان الفراء فضوله ٭ وطعن كايزاغ المخاض تبورها

الايزاغ دفع الناقة ببولها يقال أوزغت به ايزاغا وأزغلت به ازغالا وذلك حين تلقح فعند ذلك يقال لها خلفة وللجميع المخاض وقد مر هذا والبور أن تعرض على الفحل ليعلم أهي حامل أم حائل وقال ضابئ بن الحرث البرجمي (من السجن) ٠ ٠

ولكنا رأينا ناسا يزرون عليهن أشد الزراية ويحتقرونهن أشد الاحتقار ويبخسونهن أكثر حقوقهن وان من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والأعمام الا بأن ينكر حقوق الأمهات والأخوال فلذلك ذكرنا جملة ما للنساء من المحاسن ولولا ان ناسا يفخرون بالجلد وقوة المنة وانصراف النفس عن حب النساء حتى جعلوا شدة حب الرجل لأمته وزوجته وولده دليلا على الضعف وبابا من الخور لما تكلفنا كثيرا مما شرطناه في هذا الكتاب

ومن يك أمسى بالمدينة رحله • فانى وقيارا بها لغريب

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى • نجاحا ولا عن ريثهن تخيب

ورب أمور لا تضيرك ضيرة • وللقلب من مخشاتهن وجيب

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه • على نائبات الدهر حين تنوب

قوله فانى وقيارا بها لغريب أراد فانى لغريب بها وقيارا ولو رفع لكان جيدا تقول ان زيدا منطلق وعمرا وعمرو فمن قال عمرا فانما رده على زيد ومن قال عمرو فله وجهان من الاعراب أحدهما جيد والآخر جائز فاما الجيد فأن تحمل عمرا على الموضع لأنك اذا قلت ان زيدا منطلق فمعناه زيد منطلق فرددته على الموضع ومثل هذا لست بقائم ولا قاعدا والباء زائدة لان المعنى لست قائما ولا قاعدا ويقرأ على وجهين ان الله برىء من المشركين ورسوله ورسوله والوجه الآخر أن يكون معطوفا على المضمر فى الخبر فان قلت ان زيدا منطلق هو وعمرو حسن العطف لان المضمر المرفوع انما يحسن العطف عليه اذا أكدته كما قال الله تعالى اذهب أنت وربك فقاتلا واسكن أنت وزوجك الجنة وانما قبح العطف عليه بغير تأكيد لانه لا يخلو من أن يكون مستكنا فى الفعل بغير علامة أو فى الاسم الذى يجرى مجرى الفعل نحو ان زيدا ذهب وان زيدا ذاهب فلا علامة له أو تكون له علامة يتغير لها الفعل عما كان عليه نحو ضربت سكنت الباء التى هى لام الفعل من أجل الضمير لان الفعل والفاعل لا ينفك أحدهما من صاحبه فهما كالشىء الواحد ولكن المنصوب يجوز العطف عليه ويحسن بلا تأكيد لانه لا يغير الفعل اذ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه نحو ضربتك وزيدا فاما قول الله عز وجل لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانما يحسن بغير توكيد لان لا صارت عوضا والشاعر اذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر ما لا يحسن فى الكلام قال عمر بن أبى ربيعة

قلت اذ أقبلت وزهر تهادى • كنعاج الملا تعسفن رملا

وقال جرير

ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه • ما لم يكن وأب له لينالا

فهذا كثير فاما النعت اذا قلت ان زيدا يقوم العاقل فانت مخير ان شئت قلت العاقل فجعلته نعتا لزيد أو نصبته على المدح وهو باضمار أعنى وان شئت رفعت على أن تبدله من المضمر فى

(فصل منه) كان يجب أن يخرج هذا الكتاب تاما ويكون للاشكال الداخلة فيه جامعا وهو القول فى الذكور والاناث فى عامة أصناف الحيوان وما أمكن من ذلك حتى يحصل ما لكل جنس من الخصال المحمودة والمذمومة ثم يجمع بين المحاسن منها والمساوى حتى يستبين لقارئ الكتاب نقصان المفضول من رجحان الفاضل بما جاء فى ذلك من الكتاب الناطق والخبر الصادق والشاهد العدل والمثل السائر حتى يكون الكتاب عربيا اعرابيا وسنيا جماعيا وحتى يجتنب فيه

الفعل وان شئت كان على قطع وابتداء كانك قلت ان زيدا قام فقيل من هو فقلت العاقل كما قال الله عز وجل قل هل أنبئكم بشر من ذلكم النار أي هو النار والآية تقرأ على وجهين على ما فسرنا قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب وعلام الغيوب وقوله وما عاجلات الطير تدني من الفتى نجاحا يقول اذا لم تعجل له طير سانحة فليس ذلك بمبعد خيرا عنه ولا اذا أبطأت خاب فما جاءها الا يأتيه بخير وأجلها الابد فيه عنه اغتاله ما قدر له والعرب تزجر على السانح وتتبرك به وتكره البارح وتتشاءم به والسانح ما أراك ميامنه فأمكن الصائد والبارح ما أراك مياسره فلم يمكن الصائد الا ان يتحرف له وقد قال الشاعر

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه • الا كواذب مما يخبر الفال

والفال والزجر والكهان كلهم • مضللون ودون الغيب أقفال

وقوله

ورب أمور لا تضيرك ضيرة • وللقلب من مخشاتهن وجيب

فان العرب تقول ضاره يضيره ضيرا ولا ضير عليه وضره يضره ولا ضرر عليه ويقال أصابه ضر وأصابه ضر بمعنى والضر مصدر والضر اسم وقد يكون الضر من المرض والضر عاما وهذا معنى حسن وقد قال أحد المحدثين وهو اسمعيل بن القاسم أبو العتاهية

وقد يهلك الانسان من باب أمنه • وينجو باذن الله من حيث يحذر

وقال الله عز وجل فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقال رجل لمعاوية والله لقد بايعتك وأنا كاره فقال معاوية قد جعل الله في الكره خيرا كثيرا وقوله

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه • على نائبات الدهر حين تنوب

نظيره قول كثير

أقول لها يا عز كل مصيبة • اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وكان عبد الملك بن مروان يقول لو كان قال هذا البيت في صفة الحرب لكان أشعر الناس وحكى عن بعض الصالحين ان ابنا له مات فلم ير به جزع فقيل له في ذلك فقال هذا أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس وجه علي بن أبي طالب رضي الله عنه جرير بن عبد الله البجلي الى معاوية رحمه الله

باخذه

الهويص والطرق المتوعرة والألفاظ المستنكرة وتلزيق المتكلفين وتلفيق أصحاب الأهواء من المتكلمين حتى نظر الى من لا يعلم مقادير ما اختزنها الله من المنافع وغشاها من البراهين وأزمها من الدلالة عليه وأنطقها به من الحجة له فمنع من ذلك فرط الكبرة وافراط العلة وضعف المنة وانحلال القوة فلما وافق هذا الكتاب منا هذه الحال وأتى قلوبنا على هذه الاشغال اجتنبنا ان نقصد من جميع ذلك الى فرق ما بين الرجل والمرأة فلما اعتزمنا على ما ابتدأنا به وجدناه قد اشتمل على

يأخذه بالبيعة له فقال له ان حولي من ترى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار ولكني اخترتك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك خير ذي يمن ائت معاوية فخذه بالبيعة فقال جرير والله يا أمير المؤمنين ما أدخرك من نصرتي شيأ وما أطمع لك في معاوية فقال علي رضي الله عنه انما قصدي حجة أقيمها عليه فلما أتاه جرير دافعه معاوية فقال له جرير ان المنافق لا يصلي حتى لا يجد من الصلاة بدا ولا أحسبك تبايع حتى لا تجد من البيعة بدا فقال له معاوية انها ليست بخدعة الصبي عن اللبن انه أمر له ما بعده فأبلعني ريقي فناظر عمرا فطالت المناظرة بينهما وألح عليه جرير فقال له معاوية ألقاك بالفصل في أول مجلس ان شاء الله تعالى ثم كتب لعمرو بمصر طعمة وكتب عليه ولا ينقض شرط طاعة فقال عمرو يا غلام اكتب ولا تنقض طاعة شرطا فلما اجتمع له أمره رفع عقيرته ينشد ليسمع جريرا

تطاول ليلي واعترتني وساوسي • لآت أتى بالترهات البسابس

أتاني جرير والحوادث جمة • بتلك التي فيها اجتداع المعاطس

أكايده والسيف بيني وبينه • ولست لأثواب الدني بلابس

ان الشام أعطت طاعة يمنية • تواصفها أشياخها في المجالس

فان يفعلوا أصدم عليا بجبهة • تفت عليه كل رطب ويابس

وانى لأرجو خير ما نال نائل • وما أنا من ملك العراق بيائس

(الجبهة جماعة الخيل)

ثم كتب الى علي رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن صخر الى علي بن أبي طالب أما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين ولكن أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الانصار فأطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمري ما حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير لانهما بايعاك ولم أبايعك وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة لان أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام وأما شرفك في الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك من قريش فلست أدفعه ثم كتب اليه في آخر الكتاب بشعر كعب بن جعيل وهو

أبواب يكثر عددها وتبعد غايتها فرأينا والله الموفق ان نقتصر منه على ما لا يبلغ بالمستمع الى السآمة وبالمألوف الى مجاوزة القدر وليس ينبغي لكتب الآداب والرياضات ان يحمل أصحابها على الجد الصرف وعلى العقل المحض وعلى الحق المر وعلى المعاني الصعبة التي تستكد النفوس وتستفرغ المجهود وللصبر غاية وللاحتمال نهاية ولا بأس بأن يكون الكتاب موشحا ببعض الهزل على ان الكتاب اذا كثر هزله سخف كما انه اذا كثر جده ثقل ولا بد للكتاب من أن يكون فيه بعض ما ينشط

أرى الشامَ تكرهُ مُلكَ العراقِ • وأهلُ العراقِ لهم كارهينا

وكلٌّ لصاحبه مُبغضاً • يرى كلَّ ما كان من ذاك دينا

اذا ما رمونا رميناهُمُ • ودِنّاهُمُ مثلَ ما يقرضونا

فقالوا عليٌّ امامٌ لنا • فقلنا رضينا ابنَ هندٍ رضينا

وقالوا نرى أن تدينوا له • فقلنا ألا لا نرى أن ندينا

ومن دون ذلك خرطُ القتاد • وضربٌ وطعنٌ يُقِرُّ العيونا

وأحسن الروايتين يَقُضُّ الشؤونا وفي آخر هذا الشعر ذمٌّ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه امسكنا عن ذكره وقوله وآسَدْتَ أغريتَ بعثمان المهاجرين فهو من الاغراء وهو التحضيض عليه يقال أغريتُه به وآسدتُه عليه وآسدتُ الكلبَ على الصيد أوسِدُه ايساداً ومن قال أشليتُ الكلب في معنى أغريتُ فقد أخطأ انما أشليتُه دعوتُه الىّ وآسدتُه أغريتُه وقول ابن جعيل وأهلَ العراق لهم كارهينا محمول على أرى ومن قال وأهلُ العراق لهم كارهونا ذالرفع من وجهين أحدهما قطع وابتداء ثم عطف جملة على جملة بالواو ولم يحمله على أرى ولكن كقولك كان زيدٌ منطلقا وعمرٌو منطلقٌ الساعة خبّرتَ بخبر بعد خبر والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالا فيكون معناها اذ كما تقول رأيت زيدا قائما وعمرو منطلق تريد اذ عمرٌو منطلق وهذه الآية تحمل على هذا المعنى وهو قول الله عز وجل يَغْشَى طائفةً منكم وطائفةٌ قد أهمّتهم أنفسُهم والمعنى والله أعلم اذ طائفةٌ في هذه الحال وكذلك قراءة من قرأ ولو أنّ ما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدُّه من بعده سبعةُ أبحرٍ أي والبحرُ هذه حاله ومن قرأ والبحرَ فعلى أنّ وقوله ودنّاهم مثلَ ما يقرضونا يقول جزيناهم وقال المفسرون في قوله عز وجل مالكِ يومِ الدين قالوا يومُ الجزاء والحساب ومن أمثال العرب كما تدين تُدان وأنشد أبو عبيدة (الشعر ليزيد بن الصعق الكلابي وله خبر)

واعلم وأيقن أنّ مُلكَك زائلٌ • واعلم بأنّ كما تدين تُدانُ

والدين مواضع منها ما ذكرنا ومنها الطاعة ودينُ الاسلام من ذلك يقال فلان في دين فلان أي في طاعته ويقال كانت مكة بلدا لقاحا أي لم يكونوا في دين ملك وقال زهير

لئن حللتَ بجوٍّ في بني أسدٍ • في دين عمرٍو وحالت بيننا فدكُ

القارئ وينفي النعاس عن المدمن وجد في كتابنا هذا بعض ما ذكرنا فليعلم ان قصدنا في ذلك انما كان على جهة الاستدعاء لقلبه والاستمالة لسمعه وبصره والله تعالى نسأل التوفيق

(فصل منه في ذكر العشق)

رجلان من الناس لا يعشقان عشق الاعراب أحدهما الفقير المدقع فان قلبه يشغل عن التوغل فيه وبلوغ أقصاه والملك الضخم الشان لان في الرياسة الكبرى وفي جواز الأمر ونفاذ النهي وفي ملك رقاب الأمم ما يشغل شطر قوى العقل عن التوغل في الحب

فهذا

فهذا يريد في طاعة عمرو بن هند والدين العادة يقال ما زال هذا ديني ودأبي وعادتي وديدني وإجريّاي قال المثقب العبدي

تقول إذا درأت لها وضيني * أهذا دينه أبدا وديني
أكل الدهر حل وارتحال * أما يبقي علي وما يقيني

وقال الكميت بن زيد

على ذاك إجريّاي وهي ضريبتي * وإن أجلبوا طرا علي وأحلبوا

وقوله فقلنا رضينا ابن هند رضينا يعني معاوية بن أبي سفيان وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وقوله أن تدينوا له أي أن تطيعوه وتدخلوا في دينه أي في طاعته وقوله ومن دون ذلك خرط القتاد فهذا مثل من أمثال العرب والقتاد شجر شاكة غليظة أصول الشوك فلذلك يضرب خرطه مثلا في الأمر الشديد لأنه غاية الجهد ومن قال يفض الشؤونا فيفض يفرق تقول فضضت عليه المال والشؤون واحدها شأن وهي مواصل قبائل الرأس وذلك أن للرأس أربع قبائل أي قطع مشعوب بعضها إلى بعض فموضع شعبها يقال الشؤون واحدها شأن وزعم الأصمعي قال يقال أن مجاري الدموع منها فلذلك يقال استهلت شؤونه وأنشد قول أوس بن حجر

لا تحزنيني بالفراق فإنني * لا تستهل من الفراق شؤوني

ومن قال يقرأ العيونا ففيه قولان أحدهما للأصمعي وكان يقول لا يجوز غيره يقال قرت عينه وأقرها الله وقال إنما هو بردت من القر وهو خلاف قولهم سخنت عينه وأسخنها الله وغيره يقول قرت هدأت وأقرها الله أهدأها الله وهذا قول حسن جميل والأول أغرب وأطرف فكتب إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جواب هذه الرسالة بسم الله الرحمن الرحيم من علي ابن أبي طالب إلى معاوية بن صخر أما بعد فإنه أتاني منك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده فاتبعه زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان ولعمري ما كنت إلا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى وبعد فما أنت وعثمان إنما أنت رجل من بني أمية وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه فإن زعمت أنك أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم إلي وأما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير وأهل الشام وأهل البصرة فلعمري ما الأمر فيما هنالك إلا سواء لأنها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر وأما شرفي في

والاحتراق في العشق (فصل منه) كثيرا ما يعتري العشاق والمحبين غير المحترقين كالرجل تكون له جارية وقد حلت من قلبه محلا وتمكنت منه تمكنا ولا يجتث أصل ذلك الحب الغضبة تعرض وكثرة التأذي بالخلاف يكون منها فيوجد الفترة عنها بعض هذه الحالات التي تعرض فتظن أنه قد سلا أو تظن أنه في عزابة على فقدها محتملا مبيعها إن كانت أمة أو طلاقها إن كانت زوجة فلا ينشب ذلك الغضب أن يزول وذلك الأذى أن ينسى فتحرك له الدفائن

الاسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من قريش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته ثم دعا النجاشي أحد بني الحرث بن كعب فقال له ان ابن جعيل شاعر أهل الشام وأنت شاعر أهل العراق فأجب الرجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعني قوله قال اذا أسمعك شعر شاعر

فقال النجاشي يجيبه

دعا يا معاوي ما لن يكونا • فقد حقق الله ما تحذرونا

أتاكم علي بأهل العراق • وأهل الحجاز فما تصنعونا

وبعد هذا ما غسل عنه قوله ليس له بصر يهديه فمعناه يقوده والهادي هو الذي يتقدم فيدل والحادي الذي يتأخر فيسوق والعنق يسمى الهادي لتقدمه قال الأعشى

اذا كان هادي الفتى في البلا • د صدر القناة أطاع الأميرا

يصف انه قد عمي فاعتمد بيده عصا الانزاه يقول

وهاب العثار اذا ما مشى • وخال السهولة وعثا وعورا

وقال القطامي اني وان كان قومي ليس بينهم • وبين قومك الا ضربة الهادي

وقال أيضا قربن يقصرن من بزل مخيسة • ومن عراب بعيدات من الحادي

وقوله ولا قائد يرشده فقد أبان به الأول وقوله دعاه الهوى فالهوى من هويت مقصور وتقديره فعل فانقلبت الياء ألفا فلذلك كان مقصورا وانما كان كذلك لانك تقول هوى يهوى كما تقول فرق يفرق وهو هو كما تقول هو فرق كما ترى وكان المصدر على فعل بمنزلة الفرق والحذر والبطر لان الوزن واحد في الفعل واسم الفاعل فاما الهواء من الجو فممدود يدلك على ذلك جمعه اذا قلت أهوية لان أفعلة انما تكون جمع فعال وفعال وفعول وفعيل كما تقول قذال وأقذلة وحمار وأحمرة فهواء كذلك والمقصور جمعه أهواء فاعلم لانه على فعل وجمع فعل أفعال كما تقول جمل وأجمال وقتب وأقتاب قال الله عز وجل واتبعوا أهواءهم وقوله هذا هواء يا فتى في صفة الرجل انما هو ذم يقول لا قلب له قال الله عز وجل وأفئدتهم هواء أي خالية وقال زهير

كأن الرحل منها فوق صعل • من الظلمان جؤجؤه هواء

وهذا من هواء الجو قال الهذلي هواء مثل بعلك مستميت • على ما في وعائك كالخيال

وكل واو مكسورة وقعت أولا فهمزها جائز ينشد على ما في اعائك ويقال وسادة واسادة ووشاح

ويثمر ذلك الغرس فيتبعه قلبه فاما ان يسترجع الأمة من مبتاعها باضعاف ثمنها أو يسترجع الزوجة بعد أن نكحت فان تصبر وأمكنه الصبر لم يزل معذبا وان أطاع هواه واحتمل المكروه فهذا هو العقاب والنكس فليحذر الحازم الفترة يجدها في حب حبيبه والغضبة التي تنسيه عواقب أمره

(فصل منه) قال ابراهيم ابن السندي حدثني عبد الملك بن صالح قال ان عيسى بن موسى قد خلا بنفسه وهو قد كان استكثر من النساء حتى انقطع اذ مررت به

واشاحٌ وأما قوله فما أنتَ وعثمانُ فالرفع فيه الوجه لانه عطفَ اسماً ظاهراً على اسم مضمر منفصل وأجراه مُجْراه وليس هٰهنا فعلٌ فيُحْمَلَ على المفعول فكأنه قال فما أنت وما عثمانُ هذا تقديره في العربية ومعناه لستَ منه في شئ فقد ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوّزه جوازاً حسناً وجعله مفعولاً معه وأضمر كان من أجل الاستفهام تقديره عنده ما كنتَ وفلاناً وهذا الشعر كما أُعْتُ لك يُنْشَدُ

وأنتَ امرؤٌ من أهل نجدٍ وأهلُنا • تهامٍ وما النجديُّ والمتغوِّرُ

وكذلك قوله (هو زيادُ الأعجمُ) تُكلِّفُني سَوِيقَ الكَرْمِ جَرْمٌ • وما جَرْمٌ وماذاكَ السويقُ

فان كان الأول مضمراً متصلاً كان النصبُ لئلا يُحْمَلَ ظاهرٌ على مضمر تقول ما لكَ وزيداً وذلك أنه أضمرَ الفعلَ فكأنه قال في التقدير وملابستَكَ زيداً أو في النحو تقديره مع زيد وانما صلح الاضمار لان المعنى عليه اذا قلتَ ما لكَ وزيداً فانما تنهاه عن ملابسته اذ لم يجز وزيدٍ وأضمرتَ لان حروف الاستفهام للافعال فلو كان الفعل ظاهراً لكان على غير اضمار نحو قولك ما زلتُ وعبدَ الله حتى فعلَ لانه ليس يريد ما زلتُ وما زال عبدُ الله ولكنه أراد ما زلتُ بعبد الله فكان المفعول مخفوضاً بالباء فلما زال ما يخفضه وصلَ الفعلُ اليه فنصبه كما قال تعالى واختار موسى قومَهُ سبعين رجلاً قالوا في معنى مع وليست بخافضة فكان ما بعدها على الموضع فعلى هذا يُنْشَدُ هذا الشعرُ (هو لمسكين الدارمي)

فمالكَ والتلدُّدَ حول نجدٍ • وقد غصَّتْ تهامةُ بالرجال

ولو قلتَ ما شأنُكَ وزيداً لاختير النصب لان زيداً لا يلتبس بالشأن لان المعطوف على الشئ أبداً في مثل حاله ولو قلت ما شأنُكَ وشأنُ زيدٍ لرفعتَ لان الشأن يعطف على الشأن وهذه الآية تُفَسَّرُ على وجهين من الاعراب أحدهما هذا وهو الأجود فيها وهو قوله عز وجل فأجمعوا أمرَكم وشركاءَكُم فالمعنى والله أعلم مع شركائكم لانك تقول جمعتُ قومي وأجمعتُ أمري ويجوز أن يكون لما أدخلَ الشركاءَ مع الأمر حمله على مثل لفظه لان المعنى يرجعُ الى شئ واحد فيكون كقوله

(هو عبد الله بن الزِّبَعْرَى) يا ليتَ زوجَكِ قد غدا • متقلِّداً سيفاً ورُمْحا

وقال آخر • شرابُ ألبانٍ وتمرٍ وأقِطْ • وهذا بيّنٌ ويروى ان عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالداً فقال يا أخي لقد هممتُ اليومَ أن أفتكَ بالوليد بن عبد الملك فقال له خالد بئس والله ما هممتَ به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين فقال ان خيلي مرّت به فعبث بها وأصغرني فقال له خالد

جارية كأنها جان وكأنها جدل عنان وكأنها حجارة وكأنها قضيب فضة فتحركت نفسه وخاف ان تخذله قوته ثم طمع في القوة لطول الترك واجتماع الماء فلما صرعها وجلس منها ذلك المجلس خطر على باله لو عجز كيف يكون حاله فلما فكر فتر فاقبل كالمخاطب لنفسه فقال انك تجلسني هذا المجلس وتحملني على هذا المركب ثم تخذلني هذا الخذلان وتغشيني مثل هذا الذل ولولا حيرة الخجل لم أستعمل ما لا يحتمل وذلك انه حين رأى ان أبلغ الحيل في توهيمها ان العجز لم يكن من قبله ان

أنا أكفيك فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين الوليد ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين مرّت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبث بها وأصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون فقال خالد واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا فقال عبد الملك أفي عبد الله تكلمني والله لقد دخل علي فما أقام لسانه لحنا فقال له خالد أفعلى الوليد تعول فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال له خالد وان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد فقال له الوليد اسكت يا خالد فوالله ما تعدّ في العير ولا في النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه وقال ويحك فمن العير والنفير غيري جدي أبو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت أما قوله في العير فهي عير قريش التي أقبل بها أبو سفيان من الشام فنهد اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وندب اليها المسلمين وقال لعل الله ينفلكموها فكانت وقعة بدر وساحل أبو سفيان بالعير فكانت الغنيمة ببدر كما قال الله عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودّون أن غير ذات الشوكة تكون لكم أي غير الحرب فلما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل بدر قال المسلمون انهد بنا يا رسول الله الى العير فقال العباس رحمه الله انما وعدكم الله احدى الطائفتين وأما النفير فمن نفر من قريش ليدفع عن العير فجاؤا فكانت وقعة بدر وكان شيخ القوم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وهو جد خالد من قبل جدته هند أم معاوية بنت عتبة ومن أمثال العرب

لست في العير يوم تحدون بالعيـ ... ـر ولا في النفير يوم النفير

ثم اتسع هذا المثل حتى صار يقال لمن لا يصلح لخير ولا لشر ولا يحفل به لا في العير ولا في النفير وقوله غنيمات وحبيلات يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أطرد الحكم بن أبي العاصي بن أمية وهو جد عبد الملك بن مروان لجأ الى الطائف فكان يرعى غنيمات ويأوي الى حبيلة وهي الكرمة وقوله رحم الله عثمان أي لرده اياه وقولنا أطرده أي جعله طريدا وطرده نحاه كما تقول حمدته أي شكرته وأحمدته أي صادفته محمودا وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رده متى أفضى الأمر اليه روى ذلك الفقهاء

يقول لها تعرضين لي وأنت تفلة ثم لا ترجين بادلك ولا تستهدفين لسيدك ولا تعينين على نفسك حتى كانك عند عبد يشبهك أو سوقة لا يقدر الاعلى مثلك اما لو كنت من بنات ملوك العجم لا لفاك سيدك على أجود صنعة وعلى أحسن طاعة اذ كل رجل ينبسط للتمتع مع النقل

(فصل منه) ولم أسمع ولم أقرأ في الأحاديث المولدة في شأن العشاق وما صنع العشق في القلوب والاكباد والاحشاء والزفرات والحنين وفي الندامة والتولية ومتى تستعر الدمعة ومتى

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس قال رجل من بني أسد بن خزيمة يمدح يحيى بن حيان أخا الفتح بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج وهو مالك

ألا جعل الله اليمانين كلهم • فدى لفتى الفتيان يحيى بن حيان

ولولا عروق في من عصبية • لقلت وألفا من معد بن عدنان

ولكن نفسي لم تطب بعشيرتي • وطابت له نفسي بأبناء قحطان

وهذا من التعصب المفرط وحدثني شيخ من الأزد ثقة عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت وهو يدعو لأبيه فقيل له ألا تدعو لأمك فقال انها تميمية وسمع رجل يطوف بالبيت وهو يدعو لأمه ولا يذكر أباه فعوتب فقال هذه ضعيفة وأبي رجل يحتال لنفسه وحدثني المازني عمن حدثه قال رأيت رجلا يطوف بالبيت وأمه على عنقه وهو يقول

أحمل أمي وهي الحمالة • ترضعني الدرة والعلالة • ولا يجازى والد فعاله

قوله الدرة فهو اسم ما يدر من ثديها ابتداء كان ذلك أو غير ذلك والعلالة لا تكون الا بعد يقال عله يعله ويعله علا والاسم العلالة وكل شئ كان على فعلت من المدغم فمضارعه اذا كان متعديا الى مفعول يكون على يفعل نحو رده يرده وشجه يشجه وفره يفره فاذا قلت فر يفر فاعذاك لانه غير متعد الى مفعول ولكن تقول فررت الدابة افره وجاء فعل يفعل من المتعدي في ثلاثة أحرف يقال عله يعله ويعله وهره يهره ويهره اذا كرهه ويقال أحبه يحبه وجاء حبه يحبه ولا يكون فيه يفعل قال الشاعر لعمرك انني وطلاب مصر • لكالمزداد مما حب بعدا

وقال آخر وأقسم لولا تمره ما حببته • وكان عياض منه أدنى ومشرق

وقرأ أبو رجاء العطاردي فاتبعوني يحبكم الله ففعل في هذا شيئين أحدهما أنه جاء به من حببت والآخر أنه أدغم في موضع الجزم وهو مذهب تميم وقيس وأسد وجماعة من العرب يقولون رد يافتى يدغمون ويحركون الدال الثانية لالتقاء الساكنين فيتبعون الضمة الضمة ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين فيقول رد يافتى لان الفتح أخف الحركات ومنهم من يقول رد يافتى فيكسر لان حق التقاء الساكنين الكسر فاذا كان الفعل مكسورا ففيه وجهان تقول فر يافتى للاتباع وللاصل في التقاء الساكنين وتفتح لان الفتح أخف الحركات واذا كان مفتوحا فالفتح للاتباع

يعتري العين الجود ﴿فصل منه﴾ ونحن وان رأينا ان فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس ينبغي لنا ان نقصر في حقوق المرأة وليس ينبغي لمن عظم حقوق الآباء ان يصغر حقوق الأمهات وكذلك الاخوة والأخوات والبنون والبنات وانا وان كنت أرى ان حق هذا أعظم فان هذه أرحم

﴿فصل من احتجاجه للاماء﴾

قال بعض من احتج العلة التي من أجلها صار أكثر الاماء أحظى عند الرجال من أكبر المهيرات ان

ولانه أخف الحركات والكسر على أصل التقاء الساكنين نحو عَضِّ بأفنى وعَضِّ بأفنى فاذا لقيته
ألف ولام فالأجود الكسر من أجل ما بعده وهى لام المعرفة نحو

فغُضِّ الطرفَ انك من نُمَير * (فلا كعبا بلغت ولا كلابا)

ومنهم مَن يُجريه مُجرى الأول فتقع لام المعرفة بعد انقضاء الحركة فى الأول فيقول (هو جرير)

ذُمَّ المنازلَ بعد منزلة اللوى * والعيشَ بعد أولئك الأيامِ

ومن كان من شأنه أن يُتبع أو يكسر فعلى ذلك ومما جاء فى القرآن على لغة من يكسر قوله عز وجل ومن يُشاقِّ الله فان الله شديد العقاب وأما أهل الحجاز فيجرونه على القياس الأصلى فيقولون اردُدْ واغضُضْ ويقولون افرِرْ من زيد واعضُضْ لما سكن الثانى ظهر التضعيف لانه لا يلتقى ساكنان وكل ذلك من قولهم وقول التميميين قياس مطرد بيّن وقد شرحناه فى الكتاب المقتضب على حقيقة الشرح وقال الآخر

اذا ضَيَّقتَ أمرا ضاق جدا * وان هَوَّنتَ ما قد عزَّ هانا
فلا تهلك لشئ فات يأسا * فكم أمرٍ تصعَّب ثم لانا
سأصبر من رفيقى ان جفانى * على كل الأذى الا الهوانا
فان المرء يجزع فى خلاء * وان حضر الجماعة أن يُهانا

وقال آخر أحسبه من لصوص بنى سعد (قال أبو الحسن هو عُبَيد بن أيوب العنبرى وأنشد هذا الشعر ثعلب)

فانى وتركى الانس من بعد حبهم * وصبرى عمن كنت ما ان أزايله
لكالصقر جلى بعد ما صاد قنية * قديرا ومشويا عبيطا خرادله
أهابوا به فازداد بعدا وصده * عن القرب منهم ضوء برق ووابله
ألم ترنى صاحبت صفراء نبعة * لها ربذى لم تفلل معابله
وطال احتضانى السيف حتى كأنما * يلاط بكشحى جفنه وحمائله
أخو فلوات صاحب الجن وانتحى * عن الانس حتى قد تقضت وسائله
له نسب الانسى يعرف نجره * وللجن منه شكله وشمائله

قوله وصبرى عمن كنت ما ان أزايله ان زائدة وهى تزاد مغيرة للاعراب وتزاد توكيدا وهذا موضع

الرجل قبل ان يملك الامة قد تأمل كل شئ منها وعرفه ما خلا الحظوة الحلوة فاقدم على ابتياعها بعد وقوعها بالموافقة والحرة انما تشارف جمالها النساء والنساء لا يبصرن من جمال النساء وحاجات الرجال وموافقتهن قليلا ولا كثيرا والرجال بالنساء أبصر وانما تعرف المرأة من المرأة ظاهر الصفة وأما الخصائص التى تقع بموافقة الرجال فانهن لا تعرف ذلك وقد تحسن المرأة ان تغزل كأن أنفها السيف وكان عينها عين غزال وكان عنقها ابريق فضة وكان ساقها جمارة

ذلك فالموضع الذى تغير فيه الاعراب هو وقوعها بعد ما الحجازية تقول ما زيدٌ أخاك وما هذا بشرا فاذا أدخلت ان هذه بطل النصب بدخولها فقلت ما ان زيد منطلق قال الشاعر (هو فروة بن مسيك المرادى)

وما ان طبنا جبن ولكن ✽ منايانا ودولة آخرينا

فزعم سيبويه انها منعتها العمل كما منعت ما ان الثقيلة أن تنصب تقول ان زيدا منطلق فاذا أدخلت ما صارت من حروف الابتداء ووقع بعدها المبتدأ وخبره والأفعال نحو انما زيد أخوك وانما يخشى الله من عباده العلماء ولولا ما لم يقع الفعل بعد ان لان ان بمنزلة الفعل ولا يلى فعل فعلا لانه لا يعمل فيه فأما كان يقوم زيد وكاد تزيغ قلوب فريق منهم ففى كان وكاد فاعلان مكنيان وما تزاد على ضربين فاحدهما أن يكون دخولها فى الكلام كالغائها نحو فبما رحمة من الله لنت لهم أى فبرحمة وكذلك مما خطيئاتهم أغرقوا وكذلك مثلا ما بعوضة وتدخل لتغيير اللفظ فتوجب فى الشئ مالولاها لم يقع نحو ربما ينطلق زيد وربما يود الذين كفروا ولولا ما لم تقع رب على الافعال لانها من عوامل الأسماء وكذلك جئت بعد ما قام زيد كما قال المرار (هو المرار الفقعسى)

أعلاقة أم الوليد بعدما ✽ أفنان رأسك كالثغام المخلس

فلولا ما لم يقع بعدها الا اسم واحد وكان مخفوضا باضافة بعد اليه تقول جئتك بعد زيد وقوله كالصقر جلى ذأو بل التجلى أن يكون يحس شيأ فيتشوف اليه فهذا معنى جلى قال العجاج

✽ تجلى البازى اذا البازى كسر ✽ أى نظر ويقال تجلى فلان فلانة تجليا واجتلاها اجتلاء أى نظر اليها وتأملها والأصل واحد وقوله قديراه وما يطبخ فى القدر يقال قدير ومقدور كقولك قتيل ومقتول وقوله عبيطا خرادله فالعبيط الطرى يقال لحم عبيط اذا كان طريا وكذلك دم عبيط ويقال اعتبط فلان بكرته اذا نحرها شابة من غير علة وكذلك اعتبط فلان اذا مات شابا قال أمية (بن أبى الصلت الصحيح أنه لرجل من الخوارج عن الأصمعى)

من لم يمت عبطة يمت هرما ✽ الموت كأس فالمرء ذائقها

وحدثنى الزيادى ابراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن زياد قال تحدث رجل من الأعراب قال نزلت برجل من طيئ فنحر لى ناقة فأكلت منها فلما كان الغد نحر أخرى فقلت ان عندك من اللحم ما يغنى ويكفى فقال انى والله لا أطعم ضيفى الا لحما عبيطا قال وفعل ذلك فى

وكان شعرها العناقيد وكان أطرافها المدارى وما أشبه ذلك وهناك أسباب أخر بها يكون الحب والبغض

(فصل منه) وقد علم الشاعر وعرف الواصف ان الجارية الفائقة الحسن أحسن من الظبية وأحسن من البقرة وأحسن من كل شئ تشبه به ولكنهم اذا أرادوا القول شبهوها بأحسن ما يجدون ويقول بعضهم كانها الشمس وكانها القمر والشمس وان كانت بهية فانما هى شئ واحد وفى وجه الجارية الحسناء وخلقها ضروب من الحسن الغريب والتركيب

اليوم الثالث وفى كل ذلك آكل شيأ ويأكل الطائى أكل جماعة ثم نؤتى باللبن فأشرب شيأ ويشرب عامة الوطب فلما كان فى اليوم الثالث ارتقبت غفلته فاضطجع فلما امتلأ نوما استقت قطيعا من ابله فأقبلته الفج فانتبه واختصر على الطريق حتى وقف لى فى مضيق منه فألقم وتره فوق سهمه ثم نادى بى لتطب نفسك عنها فقلت أرنى آية فقال انظر الى ذلك الضب فانى واضع سهمى فى مغرز ذنبه فرماه فأندر ذنبه فقلت زدنى فقال انظر الى أعلى فقاره فرماه فأثبت سهمه فى الموضع ثم قال لى الثالثة والله فى كبدك قال فقلت شأنك بابلك فقال كلا حتى تسوقها الى حيث كانت قال فلما انتهيت بها قال فكرت فيك فلم أجد لى عندك ترة تطالبنى بها وما أحسب الذى حملك على أخذ ابلى الا الحاجة قال قلت هو والله ذاك قال فاعمد الى عشرين من خيارها فخذها فقلت اذا والله لا أفعل حتى تسمع مدحك والله ما رأيت رجلا أكرم ضيافة ولا أهدى لسبيل ولا أرمى كفا ولا أوسع صدرا ولا أرغب جوفا ولا أكرم عفوا منك قال فاستحيا فصرف وجهه عنى ثم قال انصرف بالقطيع مباركا لك فيه وقوله خرادله يعنى قطعه يقال ضربه ضربا خردله وتاويله قطعه كما قال • والضرب يمضى بيننا خرادلا • وقوله أهابوا به يقول دعوه يقال أهبت به وأهاب به أى ناداه قال القرشى

آهاب بأحزان الفؤاد مهيب • وماتت نفوس للهوى وقلوب

وقوله ضوء برق ووابله أراد صدهم ضوء برق ووابله فأضاف الوابل من المطر الى البرق وانما الاضافة الى الشئ على جهة التضمين ولا يضاف الشئ الى الشئ الا وهو غيره أو بعضه فالذى هو غيره غلام زيد ودار عمرو والذى هو بعضه ثوب خز وخاتم حديد وانما أضاف الوابل الى البرق وليس هو له كما قلت دار زيد على جهة المجاورة وانهما راجعان الى السحابة وقد يضاف ما كان كذا على السعة كما قال الشاعر

حتى أنخت قلوصى فى دياركم • بخير من يحتذى نعلا وحافيها

فاضاف الحافى الى النعل والتقدير حاف منها وقوله ألم ترنى صاحبت صفراء نبعة فالنبع خير الشجر للقسى ويقال ان النبع والشوحط والشريان شجرة واحدة ولكنها تختلف أسماؤها وتكرم وتحسن عنابتها فما كان فى قلة الجبل منها فهو النبع وما كان فى سفحه فهو الشوحط وما كان فى الحضيض فهو الشريان وقوله لها ربذى بريد وترا شديد الحركة عند دفع السهم يقال رجل ربذ اليد اذا كان يكثر التحريك لها يديه والعبث بهما ويوصف به الفرس لكثرة حركة قوائمه وكان

العيب ومن يشك ان عين المرأة الحسناء أحسن من عين البقرة وأن جيدها أحسن من جيد الظبية والأمر فيما بينهما متفاوت ولكنهم لو لم يفعلوا هذا وشبهه لم تظهر بلاغتهم وفطنتهم

(فصل منه) ورأيت أكثر الناس من البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة هذا الأمر يقدمون المجدولة والمجدولة من النساء تكون فى منزلة بين السمينة والممشوقة ولابد من جودة القد وحسن الخرط واعتدال المنكبين واستواء الظهر ولابد من أن تكون كاسية العظام بين

الأصل رَبْذِيٌّ لانه رَبْذٌ ولكن ما كان من فَعِل فنُسب اليه فتح موضع العين منه استثقالا لاجتماع ياءى النسب وكسرة اللام لان ياءى النسب تنكسران ما قبلهما فلم يدعوا مع ذلك العين مكسورة تقول فى النسب الى النَّمِر بن قاسط نَمَرِيٌّ والى الحُبَطات حَبَطِيٌّ والى شَقِرة وهو الحرث بن تميم بن مُرٍّ شَقَرِيٌّ وفى النسب الى عَمٍ عَمَوِيٌّ يا فتى وقوله لم تُفَلَّل مَعابِلُه يريد لم ينكسر حدّها من الفلول وروى أن عُروة بن الزبير سأل عبد الملك أن يَرُدّ عليه سيف أخيه عبد الله بن الزبير فاخرجه اليه فى سيوف مُنتضاة فاخذه عروة من بينها فقال له عبد الملك بم عرفته فقال بما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب

والمِعْبَلة واحدة المعابل وهى سهم خفيف قال عنترة

وآخر منهم أَجْرَرْتُ رمحى • وفى البَجَلِى مِعْبَلةٌ وقيع

باسكان الجيم لا غير (قال أبو الحسن بجيلة قبيلة من بنى الهُجَيم من اليمن)

(باب)

قال أبو العباس تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساء هنّ شرف من هنّ منه منهن أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وآمنة بنت سعيد بن العاصى بن أمية ورملة بنت الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصَىّ ففى ذلك يقول بعض الشعراء يحرّض عليه عبد الملك

عليك أمير المؤمنين بخالد • ففى خالد عما تحب صُدود

اذا ما نظرنا فى مناكح خالد • عرفنا الذى ينوى وأين يريد

فطلّق آمنة بنت سعيد فتزوجها الوليد بن عبد الملك ففى ذلك يقول خالد

فتاة أبوها ذو العصابة وابنه • وعثمان ما أكفاؤها بكثير

فان تفتلتها والخلافة تنقلب • بأكرم علقى منبر وسرير

قوله أبوها ذو العصابة يعنى سعيد بن العاصى بن أمية وذلك أن قومه يذكرون انه كان اذا اعتمّ لم يعتمّ قرشى اعظاما له وينشدون

أبو أُحَيحة من يعتمّ عمته • يُضرب وان كان ذا مال وذا عدد

ويزعم الزبيريون أن هذا البيت باطل موضوع وقوله فان تفتلتها يقول تأخذها فجاءة ومن ذلك

المُمتلئة والقضيفة والغُمارُ يدون بقولهم مجدولة جودة العصب وقلة الاسترخاء وان تكون سلمية من الزوائد والفضول ولذلك قالوا خمصانة وسيقانة وكأنها جان وكأنها جدل عنان وكأنها قضيب خيزران والتثنى فى مشيها أحسن ما فيها ولا يكن ذلك للضخمة والسمينة وذات الفضول والزوائد على ان النحافة فى المجدولة أعم وهى بهذا المعنى أعرف ولم أر المجدولة أعم وهى بهذا المعنى تحبب على السمان الضخام وعلى الممشوقات والقضاف كما يحبب هذه الأصناف

قول الشاعر

من يأمن الأيام بعد صبيرة القرشي ماتا
سبقت منيتها المشيب وكان ميتتها افتلاتا

(صبيرة بالصاد مهملة فى الرواية المشهورة وبالضاد معجمة رواية عاصم على الشرط وكسر النون لالتقاء الساكنين ورواية ابن سراج برفع يأمن على الاستفهام) وفى الحديث أن رجلا قال يارسول الله ان أمى افتلتت أى ماتت فجاءة ويروى ان آمنة لبثت عند الوليد فلما هلك عبد الملك سعى بها ساع الى الوليد قال أبو العباس وبلغنى أنها اسمعت بها احدى ضراتها الى الوليد بانها لم تبك على عبد الملك كما بكى نظائرها فقال لها الوليد فى ذلك فقالت صدق القائل أكنت قائلة ماذا أقول ياليته كان بقى حتى يقتل أخالى آخر كعمرو بن سعيد وفى رملة بنت الزبير يقول خالد

تجول خلاخيل النساء ولا أرى • لرملة خلخالا يجول ولا قلبا
فلا تكثروا فيها الملام فانني • تخيرتها منهم زبيرية قلبا
أحب بني العوام طرا لحبها • ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا

ويزيد فيها

فان تسلمي أسلم وان تتنصرى • يعلق رجال بين أعينهم صلبا

فيروى ان عبد الملك ذكر له هذا البيت فقال له ياخالد أتروى هذا البيت فقال ياأمير المؤمنين على قائله لعنة الله وذكر العتبي ان الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي لما أكره عبد الله بن جعفر على أن زوجه ابنته استأجله فى نقلها سنة ففكر عبد الله بن جعفر فى الانفكاك منه فالقى فى روعه خالد بن يزيد فكتب اليه يعلمه ذلك وكان الحجاج تزوجها باذن عبد الملك فورد على خالد كتابه ليلا فاستأذن من ساعته على عبد الملك فقيل له أفى هذا الوقت فقال انه أمر لا يؤخر فاعلم عبد الملك بذلك فأذن له فلما دخل عليه قال له عبد الملك فيم السرى يا أبا هاشم قال أمر جليل لم آمن أن أؤخره فتحدث على حادثة فلا أكون قضيت حق بيعتك قال وما هو قال أتعلم أنه ما كان بين حيين من العداوة والبغضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبى سفيان قال لا قال فان تزويجي الى آل الزبير حلل ما كان لهم فى قلبي فما أهل بيت أحب الى منهم قال فان ذلك ليكون قال فكيف أذنت للحجاج أن يتزوج فى بنى هاشم وأنت تعلم ما يقولون ويقال فيهم والحجاج من سلطانك بحيث علمت قال فجزاه خيرا وكتب الى الحجاج بعزمة أن يطلقها فطلقها فغدا الناس عليه يعزونه عنها فكان

على الجدولات ووصفوا الجدولة بالكلام المنثور فقالوا أعلاها قضيب وأسفلها كثيب

(فصل من صدر رسالته الى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة)

وفقك الله وأرشدك وأعانك على شكره وأصلحك وأصلح على يديك وجعلنا واياك ممن يقول بالحق ويعمل به ويؤثره ويحتمل ما فيه مما قد يصد عنه ولا يكون حظه الوصف له والمعرفة به دون الحث عليه والانقطاع اليه وكشف القناع فيه وايصاله الى

وممن أتاه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان فأوقع الحجاج بخالد فقال كان الأمر لا بأنه فعجز عنه حتى انتزع منه فقال له عمرو بن عتبة لا تقل ذا أيها الامير فان لخالد قديما سبق اليه وحديثا لم يغلب عليه ولو طلب الأمر لطلبه بجد وجد ولكنه علم علما فسلم العلم الى أهله فقال الحجاج يا آل أبي سفيان انتم تحبون أن تحلموا ولا يكون الحلم الا عن غضب فنحن نغضبكم في العاجل ابتغاء مرضاتكم في الآجل ثم قال الحجاج والله لأتزوجن من هو أمس به رحما ثم لا يمكنه فيه شئ فتزوج أم الجلاس بنت عبد الله بن خالد بن أسيد أما قوله ألقى في روعه فان العرب تقول ألقي في روعي وفي قلبي وفي خلدي وفي جخيفي وفي تاموري كذا وكذا ومعناه كله واحد الا أن لهذه الأشياء مواضع مختصة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي فالروع والجخيف غير مختلفين والعرب تقول أذهب الله قلبه ولا قلب له ولا تقول لا روع له فكأن الروع هو متصل بالقلب وعنه يكون الفهم خاصة ويقال رأيت قلب الطائر ولا يقال رأيت روع الطائر والتامور عند العرب بقية النفس عند الموت وبعضهم يفصح عنه فيجعله دم القلب خاصة الذي يبقى للانسان ما بقي يقال ضعه في تامورك وفي قلبك وفي روعك وفي جخيفك والدماء ممدود مثل التامور سواء تقول العرب ليس في الحيوان أطول دماء من الضب وذلك انه يذبح ثم يطرح في النار بعد ان ظن أنه قد برد فر بما سعى من النار وقال رجل لابراهيم بن أدهم عظني فقال اتخذ الله صاحبا وذر الناس جانبا وقال سعيد بن المسيب كنت بين القبر والمنبر مفكرا فسمعت قائلا يقول ولم أره اللهم اني أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا قال سعيد فلزمتهن فلم أر الا خيرا وقال الاصمعي كان من دعاء أبي الجيب اللهم اجعل خير عملي ما قارب أجلي قال وكان يقول في دعائه اللهم لا تكلنا الى أنفسنا فنعجز ولا الى الناس فنضيع قال وحدثني أبو عثمان المازني قال حدثني أبو زيد قال وقف علينا أعرابي في حلقة يونس النحوي فقال الحمد لله كما هو أهله وأعوذ بالله ان أذكر به وأنساه خرجنا من المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين رجلا ممن أخرجته الحاجة وحمل على المكروه ولا يمرضون مريضهم ولا يدفنون ميتهم ولا ينتقلون من منزل الى منزل وان كرهوه والله يا قوم لقد جعت حتى أكلت النوى المحرق ولقد مشيت حتى انتعلت الدم وحتى خرج من قدمي بخص ولحم كثير أفلا رجل يرحم ابن سبيل وفل طريق ونضو سفر فانه لا قليل من الأجر ولا

أهله والصبر على المحافظة في ان لا يصل الى غيرهم والتثبت في تحقيقه لديهم فان الله تعالى لم يعلم الناس ليكونوا عالمين دون ان يكونوا عاملين وانما علمهم ليعملوا وبين لهم ليتقوا التورط في وسط الخوف والوقوع في المضار والتوسط في المهالك ولذلك طلب الناس التبيين وطلب السلامة من الهلكة والرغبة في المنفعة احتملوا ثقل التعلم وتحملوا مكروه ثقل المعاناة ولقلة العاملين وكثرة الواصفين قال الأولون العارفون أكثر من الواصفين والواصفون أكثر من

غنىٌ عن ثواب الله عز وجل ولا عملَ بعد الموت وهو الذي يقول جلَّ ثناؤه من ذا الذي يُقرِضُ الله قرضاً حسناً فيضاعفَه له مَلِيٌّ وفيٌّ ماجدٌ واجدٌ جوادٌ لا يستقرض من عوز ولكنه يبلو الأخيار قال فبلغني انه لم يبرح حتى أخذ ستين ديناراً قوله يخص بريد اللحم الذي يركب القدم هذا قول الاصمعي وقال غيره هو لحم يخالطه بياض من فساد يحلُّ فيه ويقال بخصت عينَه بالصاد ولا يجوز الا ذلك ويقال بخسته حقَّه بالسين اذا ظلمته ونقصته كما قال الله عز وجل ولا تبخسوا الناس أشياءهم وفي المثل تحسبها حمقاء وهي باخس ويدلُّ على انه اللحم الذي قد خالطه الفساد قول الراجز (قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش الراجز هو أبو شُراعة)

يا قَدَمَيَّ لا أرى لي مَخلَصا • مما أراه أو تعودا بَخَصا

وقوله فَلٌّ فالفَلُّ في أكثر كلامهم المنهزم الذاهب وفي خبر كعب بن معدان الاشعري (الأشقري بالقاف لا غير) انا آثرنا الحدَّ على الفَلّ يعني مجاهدتهم عبد ربه الصغير لانه كان مقبلاً على حربهم وتركهم قطريّاً لانه كان منهزما وفي حديث الحجاج بن علاط السُلَميّ وكان قد أسلم ولم تعلم قريش باسلامه فاستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر في ان يصير الى مكة فيأخذ ما كان له من مال وكانت له هناك أموال متفرقة وهو غريب بينهم انما هو احد بني سُلَيم بن منصور ثم أحد بني بهز فأذن له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني احتاج ان أقول قال فقُل قال أبو العباس وهذا كلام حسن ومعنى حسن يقول أقول على جهة الاحتيال غير الحق فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه من باب الحيلة وليس هو من باب الفساد وأكثر ما يقال في هذا المعنى تقوَّلَ كما قال الله عز وجل أم يقولون تقوَّله فصار الى مكة فقالت قريش هذا لعمر الله عنده الخبر قال فقولوا فقالوا بلغنا ان القاطع قد خرج الى أهل خيبر فقال الحجاج نعم فقتلوا أصحابه قتلا لم يُسمَع بمثله وأخذوه أسيرا وقالوا نرى ان نكارم به قريشا فندفعه اليهم فلا تزال لنا هذه اليد في رقابهم وانما بادرتُ لجمع مالي لعلّي أصيبُ به من فَلِّ محمد وأصحابه قبل أن يسبقني اليه التجارُ ويتصل بهم الحديثُ قال فاجتهدوا في أن جمعوا اليَّ مالي أسرع جمع وسُرُّوا أكثر السرور وقالوا بالارغم وأتاني العباس وهو كالمرأة الواله فقال ويحك يا حجاج ما تقول قال فقلت أكاتمٌ أنت عليَّ خبري فقال اي والله قال فقلت فالبَث عليَّ شيأ حتى يخفَّ موضعي قال فسرتُ اليه فقلت الخبرُ والله على

العاملين وانما كثرت الصفات وقلت الموصوفات لان ثواب العمل مؤجل واحتمال ما فيه معجل وقد أعجبني ما رأيت من شغفك بطاعة امامك واحتجاجك لتدبير خليفتك واشفاقك من كل خلل يدخله وان دق ونول سلطانه وان صغر ومن كل أمر خالف هواه وان خفي مكانه وجالب رضاه وان قل ضرره ومن تخوفك ان تجد المتأول اليه متطرقا والعدو عليه متعلقا فان السلطان لا ينفك من متأول ناقم ومن محكوم عليه ساخط ومن معزول عن الحكم زار ومن متعطل متصنع

خلاف

خلاف ماقلتُ لهم خَلَّفتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد فتح خيبر وخَلَّفتُه والله مُعْرِسًا بابنة مَلِكهم وماجئتُكَ الا مُسلِمًا فاظهروا الخبر ثلاثا حتى أُعجز القومُ ثم أشعه فانه والله الحق فقال العباس ويحك أحقٌّ ماتقول قلتُ اى والله قال فلما كان بعد ثلاثة تخلَّق العباس وأخذ عصاه وخرج يطوف بالبيت قال فقالت قريش يا أبا الفضل هذا والله التجلُّد لحرّ المصيبة فقال كلّا ومن حلفتم به لقد فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرس بابنة ملكهم فقالوا من أتاك بهذا الحديث فقال الذي أتاكم بخلافه ولقد جاءنا مسلمًا ثم أتت الاخبار من النواحي بذلك فقالوا أفلتنا الخبيث أولى له وأصل الفَلّ مأخوذ من فللتُ الحديدة اذا كسرتَ حدَّها والنِضْو البالي المجهود ويقال ناقة نِضْوٌ اذا جهدها السير وجمعه أنضاء وفلان نِضْوٌ من المرض وقوله لا يستقرض من عوز فالعَوَز تعذُّر المطلوب يقال أعوز فلان فهو مُعْوِزٌ اذا لم يجد والمعاوز في غير هذا الموضع الثياب التي تُبتذل ليُصان بها غيرها وقوله ولكن ليبلوا الاخبار يقال الله يبلوهم ويبتليهم ويختبرهم في معنى وتأويله بمحنهم وهو العالم عز وجل بما يكون كعلمه بما كان قال الله جل ثناؤه ليبلوكم أيكم أحسن عملا قال وحدثني أبو عثمان المازني قال رأيت أبا فرعون العدويّ ومعه ابنتاه وهو في سكة العطارين بالبصرة يقول

بُنَيَّتَيَّ صابرا أباكما ❁ أنكما بعين من براكما

الله ربي سيدي مولاكما ❁ ولو يشاء عنهم أغناكما

وكان أبو فرعون وهو من بني عديّ الرباب بن عبد مناة بن أدّ وقال اليزيدي هو مولاهم وكان فصيحا وقدم قوم من الاعراب البصرة من أهله فقيل له تعرَّض لمعروفهم فقال

ولستُ بسائل الاعراب شيأ ❁ حمدتُ الله اذ لم يأكلوني

وروى الاسدي انه افتقر رجل من الصيارفة بالحاح الناس في أخذ أموالهم التي كانت لديه وتعذَّر أمواله التي كانت له عند الناس فسأل جماعة من الجيران أن يسيروا معه الى رجل من قريش كان موسرًا من أولاد أجوادهم أشدَّ من خلَّته فساروا اليه فجلسوا في الصحن فخرج اليهم يخطر بقضيب في يده حتى ثنى وسادة فجلس عليها فذكروا حاجتهم وخلَّة صاحبهم مع قديم نعمته وقريب جواره فخطر بالقضيب ثم قال متمثلا (الشعر لنُصَيب وقيل لكُثَيِّر والاول أثبت)

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه ❁ صنيعة تقوى أو صديق توامقه

ومن معجب برأيه ذى خطل فى بيانه مولع بتهجين الصواب وبالاعتراض على التدبير حتى كانه رائد لجميع الأمة ووكيل لسكان جميع المملكة يضع نفسه فى مواضع الرقباء وفى مواضع التصفح على الخلفاء والوزراء لا يعذر وان كان مجاز العذر ظاهرا ولا يقف فيما يكون الشك محتملا ولا يصدق بأن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وانه لا يعرف مصادر الرأى من لم يشهد موارده ومستدبره من لم يعرف مستقبله ومن

بخلت وبعض البخل حزم وقوة • فلم يفتلذ المال الا حقاتقه

ثم أقبل على القوم فقال انا والله ما نجمد عن الحق ولا نتسدق فى الباطل وان لنا لحقوقا تشغل فضول أموالنا وما كل من أفلس من الصيارفة احتملنا لخبره فوموا رحمكم الله قال فابتدر القوم الأبواب قوله فلم يفتلذ المال يقول لم يقتطع منه يقال فلذه من العطاء أى قطع له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين قال الغلامان فى القوم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها وقال أبو قحافة أعشى باهلة يعنى المنتشر بن وهب الباهلى

تكفيه فلذة كبد ان ألم بها • من الشواء ويكفى شربه الغمر

قال عبد الملك بن عمير استعمل عتبة بن أبى سفيان رجلا من آله على الطائف فظلم رجلا من أزد شنوءة فأتى الازدى عتبة فمثل بين يديه فقال

أمرت من كان مظلوما ليأتيكم • فقد أتاكم غريب الدار مظلوم

ثم ذكر ظلامته فقال له عتبة انى أراك أعرابيا جافيا والله ما أحسبك تدرى كم تصلى فى كل يوم وليلة فقال أرأيت ان أنبأتك ذلك أتجعل لى عليك مسئلة قال نعم فقال الاعرابى

ان الصلاة أربع وأربع • ثم ثلاث بعدهن أربع • ثم صلاة الفجر لا تضيع

فقال صدقت فاسئل فقال كم فقار ظهرك فقال لا أدرى فقال أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك قال ردوا عليه غنيمته قوله فقارا انما هو جمع فقارة ويقال فقرة فمن قال فى الواحد فقرة قال فى الجميع فقر كقولك كسرة وكسر ومن قال للواحدة فقارة قال الجميع فقار كقولك دجاجة ودجاج وحمامة وحمام وشهد اعرابى عند معاوية بشئ كرهه فقال له معاوية كذبت فقال الأعرابى الكاذب والله متزمل فى ثيابك فقال معاوية وتبسم هذا جزاء من عجل قال أبو العباس قرأت على عبد الله بن محمد المعروف بالتوزى عن أبى عبيدة معمر بن المثنى التيمى قال كانت السواقط ترد اليمامة فى الأشهر الحرم لطلب التمر فان وافقت ذلك والا أقامت بالبلد الى أوانه ثم تخرج منه فى شهر حرام فكان الرجل منهم اذا قدم يأتى رجلا من بنى حنيفة وهم أهل اليمامة أعنى بنى حنيفة بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن

محروم قد أضعفه الحرمان ومن لئيم قد أفسده الاحسان ومن مستبطئ قد أخذ أضعاف حقه وهو لجهله بقدره واضيق ذرعه ولقلة شكره يظن ان الذى بقى له أكثر ولحقه أوجب ومن مستزيد لو ارتجع السلطان سالف أياديه البيض عنده ونعمته السالفة عليه لكان لذلك أهلا وله مستحقا قد غره الأمل وأبطره دوام الكفاية وأفسده طول الفراغ ومن صاحب للفتنة خامل فى الجماعة رئيس فى الفرقة نعاق فى الهرج

دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار فيكتب له على سهم أو غيره فلان جار فلان والسواقط من وردا اليمامة من غير أهلها وقد كان النعمان بن المنذر أراد أن يجليهم منها فأجارهم مرارة بن سلمى الحنفى ثم أحد بنى ثعلبة بن الدول بن حنيفة فسوغه الملك ذلك فقال أوس بن حجر يحض النعمان عليه

زعم ابن سلمى مرارة انه * مولى السواقط دون آل المنذر
منع اليمامة حزنها وسهولها * من كل ذى تاج كريم المفخر

وذكر أبو عبيدة أن رجلا من السواقط من بنى أبى بكر بن كلاب قدم اليمامة ومعه أخ له فكتب له عمير بن سلمى أنه له جار وكان أخوه هذا الكلابى جميلا فقال له قرين أخو عمير لا تردن أبياتنا بأخيك هذا فرآه بعد بين أبياتهم فقتله قال أبو عبيدة وأما المولى فذكر أن قرينا أخا عمير كان يتحدث الى امرأة أخى الكلابى فعثر عليه زوجها فخافه قرين عليها فقتله وكان عمير غائبا فأتى الكلابى قبر سلمى أبى عمير وقرين فاستجار به وقال (قال أبو الحسن الأخفش قال أبو العباس قرين ووجدته بخط دماذ صاحب أبى عبيدة قرين)

واذا استجرت من اليمامة فاستجر * زيد بن يربوع وآل مجمع
وأتيت سلميا فعذت بقبره * وأخو الزمانة عائذ بالامنع
أقرين انك لو رأيت فوارسى * بعمايتين الى جوانب ضلفع
حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن * للغدر خائنة مغل الاصبع

فلجأ قرين الى قتادة بن مسلمة بن عبيد بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة فحمل قتادة الى الكلابى ديات مضاعفة وفعلت وجوه بنى حنيفة مثل ذلك فأبى الكلابى أن يقبل فلما قدم عمير قالت له أمه وهى أم قرين لا تقتل أخاك وسق الى الكلابى جميع ماله فأبى الكلابى أن يقبل وقد لجأ قرين الى خاله السمين بن عبد الله فلم يمنع عميرا منه فأخذه عمير فمضى به حتى قطع الوادى فربطه الى نخلة وقال للكلابى أما اذ أبيت الا قتله فأمهل حتى أقطع الوادى وارتحل عن جوارى فلا خير لك فيه فقتله الكلابى ففى ذلك يقول عمير

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا * وكان أبونا قد تجير مقابره

وقالت أم عمير

تعد معاذر لا عذر فيها * ومن يقتل أخاه فقد ألاما

قد أقصاه عز السلطان وأقام صغره ثقاف الأدب وأذله الجهل بالحق فهو مغيظ لا يجد غير التشنيع ولا يشتفى بغير الأرجاف ولا يستريح الا الى الامانى ولا يأنس الا بكل مرجف كذاب ومفتون مرتاب وخارص لا خير فيه وخالف لا غناء عنده يريد أن يسوى بالكفاة ويرفع فوق الحماة لا أب سلف له ولا احسان كان من غيره وليس ممن يربه قديم مجد ولا يحفل به رؤس شرف ولا يفصل بين ثواب المحسنين وكيف يعرف فرق ما بين حق

قوله ولم تكن للغدر خائنة ولم يقل خائنا فانما وضع هذا في موضع المصدر والتقدير ولم تكن ذا خيانة وقوله للغدر أي من أجل الغدر وقال المفسرون والنحويون في قوله الله عز وجل وانه لحب الخير لشديد أي لشديد من أجل حب الخير والخير ههنا المال من قوله تعالى ان ترك خيرا الوصية وقوله أشد أي أبخل والتقدير والله أعلم انه لبخيل من أجل حبه للمال تقول العرب فلان شديد ومتشدد أي بخيل قال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي • عقيلة مال الفاحش المتشدد

وقلما يجيء المصدر على فاعل فمما جاء على وزن فاعل قولهم عوفي عافية وفلج فالجا وقم قائما أي قم قياما وكما قال • ولا خارجا من في زور كلام • أي ولا يخرج خروجا وقد مضى تفسير هذا والمغل الذي عنده غلول وهو ما يختان ويختجن ويستعمل مستعارا في غير المال يقال غل يغل كقول الله عز وجل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ويقال أغل فهو مغل اذا صودف يغل أو نسب اليه ومن قرأ وما كان لنبي أن يغل فتأويله أن يأخذ ويستأثر ومن قرأ يغل فتأويله على ضربين يكون أن يقال ذلك فيه ويكون وهو الذي نختار أن يخون فان قال قائل كيف يكون التقدير وقد قال ما كان لنبي أن يغل فيغل غيره وأنت لا تقول ما كان لزيد أن يقوم عمرو فالجواب أنه في التقدير على معنى ما ينبغي لنبي أن يخون كما قال وما كان لنفس أن تموت الا بإذن الله ولو قلت ما كان لزيد أن يقوم عمرو اليه لكان جيدا الراجع اليه وكان جيدا على تقديرك ما كان زيد ليقوم عمرو اليه كما قلنا في الآية والاصبع أفصح ما يقال وقد يقال أصبع واصبع واصبع وموضعها ههنا موضع اليد يقال لفلان عليك يد ولفلان عليك اصبع وكل جيد وانما يعني ههنا النعمة وأما قوله فتلنا أخانا للوفاء بجارنا فيكون على ضربين أحدهما أن يكون فخم نفسه وعظمها فذكرها باللفظ الذي يذكر الجميع به والعرب تفعل هذا ويعد كبرا ولا ينبغي على حكم الاسلام أن يكون هذا مستعملا الا عن الله عز وجل لانه ذو الكبرياء كما قال الله تبارك وتعالى انا أنزلناه في ليلة القدر وانا أوحينا اليك وكل صفات الله أعلى الصفات وأجلها فاما استعمل في المخلوقين على تلك الألفاظ وان خالفت في الحكم فحسن جميل كقولك فلان عالم وفلان قادر وفلان رحيم وفلان ودود الا ما وصفنا قبل من ذكر التكبر فانك اذا قلت فلان جبار أو متكبر كان عليه

الذمام وثواب الكفاية من لا يعرف طبقات الحق في مراتبه ولا يفصل بين طبقات الباطل في منازله ثم اعلم بعد ذلك انك بنفسك بدأت في تعظيم امامك والحفظ بمناقب أنصار خليفتك واياها حطت لحياطتك لاشياعه واحتجاجك لأوليائه ونعم العون انت ان شاء الله على ملازمة الطاعة والموازرة على الخير والكفاية لأهل الحق وقد استدللت بالذي أرى من عنايتك وفرط اكبارك وافتقادك لأجناس الأعداء وبحثك

عيبا ونقصا وذلك لمخالفة هاتين الصفتين الحق وبُعْدهما من الصواب لانهما للمُبْدِئ المُعيد الخالق البارئ ولا يليق ذلك بمن تكسره الجوعة وتطغيه الشبعة وتنقصه اللحظة وهو فى كل أموره مُدَبَّر وأمّا القول الآخر فى البيت وهو قتلنا أخانا فمعناه أنه له ولمن شايعه من عشيرته وأما قولها ومن يقتلى أخاه فقد ألام تقول أتى ما يُلام عليه يقال ألامَ الرجلُ اذا تعرّض لان يُلام

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس أنشدنى السَّعْدىّ أبو محلّم

انّا سألنا قومنا نخيارهم ❊ مَنْ كان أفضلهم أبوه الأوّل

أعطى الذى أعطى أبوه قبله ❊ وتبخّلت أبناء من يتبخّل

وأنشدنى أيضا

لَطَلْحَةُ بن حبيب حين تسأله ❊ أندى وأكرم من فند بن هطّال

وبيتُ طلحة فى عزّ ومكرمة ❊ وبيتُ فند الى ربق وأجمال

ألا فتى من بنى ذبيان يحملنى ❊ وليس يحملنى الا ابنُ حمّال

فقلتُ طلحةُ أولى من عمدتُ له ❊ وجئتُ أمشى اليه مشى مختال

مُسْتيقنا انّ حبلى سوف يعلقه ❊ فى رأس ذيّالة أو رأس ذيّال

قوله الى ربق وأجمال انما أراد جمع جَمَل على القياس كما تقول فى جميع باب فَعَل جَمَلٌ وأجمالٌ وصَنَمٌ وأصنامٌ وقوله ألا فتى من بنى ذبيان يحملنى يعنى ذُبيانَ بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر وأنشد بعضهم ❊ وليس حاملُنى الا ابنَ حمّال ❊ وهذا لا يجوز فى الكلام لانه اذا نُوّن الاسم لم يتصل به المضمر لان المضمر لا يقوم بنفسه فانما يقع معاقبا للتنوين تقول هذا ضاربٌ زيدا غدا وهذا ضاربُكَ غدا ولا يقع التنوين ههنا لانه لو وقع لانفصل المضمر وعلى هذا قول الله تعالى انّا مُنَجُّوكَ وأهلَكَ وقد روى سيبويه بيتين محمولين على الضرورة وكلاهما مصنوع وليس أحد من النحويين المفتّشين يجيز مثل هذا فى الضرورة لما ذكرتُ من انفصال الكناية والبيتان اللذان رواهما سيبويه

هُمُ القائلون الخيرَ والآمِرونَهُ ❊ اذا ما خَشَوا يوما من الأمر مُعْظَما

عن مناقب الأولياء على ان ما ظهر من نحلة أمم فى جنب ما بطن من اخلاصك فامتع الله بك خليفته ومنحنا وإياك محبته وأعاذنا وإياك من قول الزور والتقرب بالباطل انه حميد مجيد فعال لما يريد وذكرت انك جالست أخلاطا من جند الخلافة وجماعات من أبناء الدعوة وشيوخا من جلة الشيعة وكهولا من أبناء رجال الدولة المنسوبين الى الطاعة والمناصحة والمحبة الدينية دون محبة الرغبة والرهبة وان رجلا من عرض ثلاث

وأنشد   ولم يرتفق والناس محتضرونه • جميعاً وأيدي المعتفين رواهقه

وانما جاز أن تبين الحركة اذا وقفت في نون الاثنين والجميع لانه لا يلتبس بالمضمر تقول هما رجلانه وهم ضاربونه اذا وقفت لانه لا يلتبس بالمضمر اذ كان لا يقع هذا الموقع ولا يجوز أن تقول ضربته وأنت تريد ضربتُ والهاء لبيان الحركة لان المفعول يقع في هذا الموضع فيكون لبساً فأما قولهم ارمه واغزه فتلحق الهاء لبيان الحركة فانما جاز ذلك لما حذفت من أصل الفعل ولا يكون في غير المحذوف وقوله في رأس ذيالة يعني فرساً انثى أو حصاناً والذيال الطويل الذنب وانما يحمد منه طول شعر الذنب وقصر العسيب وأما الطويل العسيب فمذموم ويقال ذلك للثور أيضاً أعني ذيالا قال امرؤ القيس   فجال الصوار واتقين بقرهب • طويل القرا والروق أخنس ذيال

ويقال أيضا للرجل ذيال اذا كان يجر ذيله اختيالا ويقال له فضفاض في ذلك المعنى ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال لمؤدبه كيف كانت طاعتي اياك وأنت تؤدبني فقال أحسن طاعة قال فأطعني الآن كما كنت أطيعك اذ ذاك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الازار في النار وقال آخر

مالدد مالدد ماله • يبكي وقد أنعمت ما باله • مالي أراه مطرقاً ساميا •
ذا سنة يوعد أخواله • وذاك منه خلق عادة • أن يفعل الأمر الذي قاله
ان ابن بيضاء وترك الندى • كالعبد اذ قيد أجماله • آليت لا أدفن قتلاكم
فدخنوا المرء وسرباله • والدرع لا أبغي بها ثروة • كل امرئ مستودع ماله
والرمح لا أملأ كفي به • واللبد لا أتبع تزواله

قوله مالدد يعني رجلا ودد في الأصل هو اللهو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست من دد ولا دد مني وقد يكون في غير هذا الموضع مأخوذاً من العادة وهذه اللام الخافضة تكون مكسورة مع الظاهر ومفتوحة مع المضمر والفتح أصلها ولكن كسرت مع الظاهر خوف اللبس بلام الخبر تقول ان هذا لزيد فيعلم أنه شيء في ملك زيد فان قلت ان هذا لزيد في الوقف علم قبل الادراج انه زيد ولو فتحت المكسورة لم يعلم الملك من المعنى الآخر في الوقف وأما المضمر فبين فيه لان علامة المخفوض غير علامة المرفوع تقول ان هذا لك وان هذا لأنت وقوله وقد أنعمت ما باله

الجماعة ارتجل الكلام ارتجالا مستبد وتفرد به تفرد معجب وانه تعسف المعاني وتهكم على الألفاظ فزعم ان جند الخلافة اليوم على خمسة أقسام خراساني وتركي ومولى وعربي وبنوي وانه أكثر حمد الله وشكره على احسانه ومنته وعلى جميع أياديه وسبوغ نعمه وعلى شمول عافيته وجزيل مواهبه حين ألف على الطاعة هذه القلوب المختلفة والأجناس المتباينة والأهواء المتفرقة وانك اعترضت على هذا المتكلم

فما زائدة والبالُ ههنا الحال والبال موضع آخر وحقيقته الفكر تقول ما خطر هذا على بالى وقوله مطرقا سامياً فالسامى الرافع رأسه يقال سما يسمو اذا ارتفع والمُطرِقُ الساكت المفكر المُنكِّس رأسه فانما اراد سامياً بنفسه وقوله ذا سِنَة يقول كأنه لطول الطراقه فى نعسة وقوله كالعبد اذ قيّد أجماله يريد أنه غير مكترث لاكتساب المجد والفضل وذلك أن العبد الراعى اذا قيّد أجماله ألقى رأسه ونام حجرة وهذا شبيه بقوله • واقعد فانك أنت الطاعمُ الكاسى •• وقوله قد خنوا المرء وسرباله يروى أنه طعن فارساً منهم فأحدث فقال نظفوه فانى لا ادفن القتيل منكم الا طاهرا وقوله والدرع لا أبغى بها ثروة فالنثرة الدرع السابغة يقول درعى هذه تكفينى وقوله كل امرئ مُستودعٌ ماله أى مسترهن باجله وهو كقول الاعشى

كُنتَ المُقَدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ • بالسيفِ تضربُ مُعلِماً أبطالها
وعلمتَ أنّ النفسَ تلقى حتفها • ما كان خالقُها المليكُ قضى لها

وقوله الرمح لا أملأ كفى به يتأول على وجهين أحدهما أن الرمح لا يملأ كفى وحده أنا أقاتل بالسيف وبالرمح وبالقوس وغير ذلك والقول الآخر أنى لا أملأ كفى به انما أختلس به اختلاسا كما قال الشاعر ومُدَجَّجٍ سبقت يداى لهُ • تحتَ الغبار بطعنةٍ خَلْسِ

وقوله واللبد لا أتبع تزواله يقول ان انحلّ الحزام فمال اللبد امِلْ معه أى أنا فارس ثَبْتٌ وقال الفرزدق ونزل به ذئب فأضافه

وأطلسَ عسّالٍ وما كان صاحباً • رفعتُ لنارى موهناً فأتانى
فلمّا دنا قلتُ ادنُ دونكَ انّنى • وايّاكَ فى زادى لمشتركان
فبتُّ أقُدُّ الزادَ بينى وبينه • على ضوءِ نارٍ مرّةً ودخانِ
وقلتُ له لما تكشّر ضاحكاً • وقائمُ سيفى من يدى بمكانِ
تعشَّ فان عاهدتنى لا تخوننى • نكنْ مثلَ من يا ذئبُ يصطحبانِ
وأنتَ امرؤٌ يا ذئبُ والغدرُ كنتما • أُخَيَّينِ كانا أُرضعا بلبانِ
ولو غيرَنا نبّهتَ تلتمسُ القِرى • رماكَ بسهمٍ أو شباةِ سنانِ

قوله وأطلس عسال فالأطلس الأغبر وحدثنى مسعود بن بشر قال أنشدنى طاهر بن على الهاشمى

المستبد وعلى هذا القائل المتكلف الذى قسم هذه الأقسام وخالف بين هذه الأركان وفصل بين انسابهم وانك انكرت ذلك عليه أشد الانكار وقذعته أشد القذع وزعمت انهم لم يخرجوا من الاتفاق وانك نفيت التباعد فى النسب والتباين فى السبب وقلت بل ازعم ان الخراسانى والتركى اخوان وان الحيز واحد وان حكم ذلك الشرف والقضاء على ذلك الصقع متفق غير مختلف ومتقارب غير متفاوت وان الاعراق فى

قال سمعت عبد الله بن طاهر بن الحسين ينشد فى صفة الذئب

بهم بنى محارب مزداره • أطلس يخفى شخصه غباره • فى شدقه شفرته وناره

قوله يخفى شخصه غباره يقول هو فى لون الغبار فليس يتبين فيه وقوله عسّال فانما نسبه الى مشيته

يقال مرّ الذئب يعسل وهو مشى خفيف كالهرولة قال الشاعر (هو ساعدة) يصف رمحا

لذّ بهزّ الكف يعسل متنه • فيه كما عسل الطريق الثعلب

وقال لبيد عسلان الذئب أمسى قاربا • برد الليل عليه فنسل

قال أبو عبيدة نسل فى معنى عسل وقال الله عز وجل فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون

وخفض بهذه الواو لانها فى معنى رُبّ وانما جاز أن يخفض بها وقوعها فى معنى رب لانها حرف خفض

وهى أعنى الواو تكون بدلا من الباء فى القسم لان مخرجها فى مخرج الباء من الشفة فاذا قلت

والله لافعلن فمعناه أقسم بالله لافعلن فان حذفتها قلت الله لافعلن لان الفعل يقع على الاسم

فينصبه والمعنى معنى الباء كما قال الله عز وجل واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا وصل

الفعل فعمل والمعنى معنى من لانها للتبعيض فقد صارت الواو تعمل بلفظها عمل الباء وتكون فى

معناها وتعمل عمل رب لاجتماعهما فى المعنى للاشتراك فى المخرج وقوله رفعت لنارى من المقلوب

انما أراد رفعت له نارى والكلام اذا لم يدخله لبس جاز القلب للاختصار قال الله عز وجل

وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة والعصبة تنوء بالمفاتيح أى تستقل

بها فى ثقل ومن كلام العرب ان فلانة لتنوء بها عجيزتها والمعنى لتنوء بعجيزتها وأنشد أبو عبيدة

للاخطل أمّا كليب بن يربوع فليس لها • عند التفاخر ايراد ولا صدر

مخلّفون ويقضى الناس أمرهم • وهم بغيب وفى عمياء ما شعروا

مثل القنافذ هدّاجون قد بلغت • نجران أو بلغت سوآتهم هجر

فجعل الفعل للبلدتين على السعة ويروى أن يونس بن حبيب قال لابى الحسن الكسائى كيف

تنشد بيت الفرزدق فأنشده

غداة أحلّت لابن أصرم طعنة • حصين عبيطات السدائف والخمر

فقال الكسائى لما قال غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف تم الكلام فحمل

الأصل اذا لم تكن كانت راسخة فقد كانت متشابهة وحدود البلاد المشتملة عليهم الا تكن متساوية فانها متناسبة وكلهم خراسانى فى الجملة وان تميزوا ببعض الخصائص وافترقوا ببعض الوجوه وزعمت ان اختلاف التركى والخراسانى ليس كاختلاف ما بين الرومى والصقلى والزنجى والحبشى فضلا عما هو أبعد جوهرا وأشد خلافا بل كاختلاف ما بين المدرى والوبرى والبدوى والحضرى والسهلى والجبلى وكاختلاف ما بين

الجر على المعنى أراد وحلّت له الخمر فقال له يونس ما أحسن ما قلت ولكن الفرزدق أنشدنيه على القلب فنصب الطعنة ورفع العبيطات والجر على ما وصفنا من القلب والذي ذهب اليه الكسائي أحسن في محض العربية وان كان انشاد الفرزدق جيدا وقوله فلما دنا قلت ادن دونك أمر بعد أمر وحسن ذلك لان قوله ادن للتقريب وفي قوله دونك أمره بالاكل كما قال جرير لعيّاش ابن الزبرقان

أعيّاش قد ذاق القيون مواسمي * وأوقدت ناري فادن دونك فاصطل

(جمع ميسم وهو حديدة يصنعها البيطار) وقوله على ضوء نار مرة ودخان يكون على وجهين أحدهما على ضوء نار وعلى دخان أي على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خبت وجائز أن يعطف الدخان على النار وان لم يكن للدخان ضياء ولكن للاشتراك كما قال الشاعر

يا ليت زوجك قد غدا * متقلدا سيفا ورمحا

لان معناهما الحمل وكما قال * شراب ألبان وتمر وأقط * فأدخل التمر في المشروب لاشتراك المأكول والمشروب في الحلوق وهذه الآية تحمل على هذا يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس والشواظ اللهب لا دخان له والنحاس الدخان وهو معطوف على النار وهي مخفوضة بالشواظ لما ذكرت لك قال النابغة الجعدي

تضيء كمثل سراج الذبا * ل لم يجعل الله فيه نحاسا

أي دخانا وقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان (من يجوز أن يكون نكرة موصوفة تقديره مثل اثنين يصطحبان وأن يكون بمعنى الذي ويصطحبان صلته) فمن تقع للواحد والاثنين والجميع والمؤنث على لفظ واحد فان شئت حملت خبرها على لفظها فقلت من في الدار يحبك عنيت جميعا أو اثنين أو واحدا أو مؤنثا وان شئت حملته على المعنى فقلت يحبانك وتحبك اذا عنيت امرأة ويحبونك اذا عنيت جميعا كل ذلك جائز جيد قال الله عز وجل ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني وقال فحمل على المعنى ومنهم من يستمعون اليك وقرأ أبو عمرو ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا فحمل الأول على اللفظ والثاني على المعنى وفي القرآن بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه فهذا كله على اللفظ ثم قال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون على المعنى وقوله أو شباة سنان فالشبا والشباة واحد وهو الحد ومما يستحسن في وصف الجود والحث على المبادرة به وتعريف حمد العاقبة فيه قول النمر بن تولب

من نزل البطون وبين من نزل الصحور وبين من نزل الاغوار وزعمت ان هؤلاء وان اختلفوا في بعض اللغة وقارب بعضهم بعضا وبعض الصورة فقد نجد أن عليا تميم وسفلى قيس وعجز هوازن وفصحاء الحجاز خلاف لغة حمير وسكان مخاليف اليمن وكذلك الصورة والصورة والشمائل والشمائل والاخلاق والاخلاق وكلهم مع ذلك عربي خالص غير مشوب ولا معلهج ولا مربوع ولا مزلج ولم يختلفوا كاختلاف ما بين

العُكْلى أحد بنى عُكْل بن عبد مناة بن اُد بن طابخة بن الياس بن مُضَر (قال ابن سراج رحمه الله من رواه الياس فقد أخطأ انما هو ابن الياس بوصل الألف وكسر السين والالف واللام للتعريف والاسم يأس مشتق من يئست)

أعاذل ان يُصبح صداى بقفرة * بعيداً نآنى صاحبى وقريبى

ترى أن ما أبقيتُ لم اكُ ربَّه * وأن الذى أنفقتُ كان نصيبى

وذى ابل يسعى ويحسبها له * أخى نصب فى رعيها ودؤوب

غدتْ وغدا ربٌّ سواه يقودها * وبُدِّل أحجاراً وجال قليب

قوله ان يصبح صداى بقفرة فالصدى على ستة أوجه أحدها ما ذكرنا وهو ما يبقى من الميت فى قبره والصدى الذكر من البوم قال ابن مُفَرِّغ (اسمه ربيعة وسمى مفرغا لانه شرب سقاءين ففرّغهما)

وشريتُ بُرداً ليتنى * من بعد بُرد كنتُ هامه * هامة تدعو صدى * بين المشقَّر واليمامه

ويقال فلان هامة اليوم أو غد أى يموت فى يومه أو فى غده ويقال ذلك للشيخ اذا أسنّ والمريض اذا طالت علته والمحتقر لمدة الآجال (رواية عاصم بن أيوب رحمه الله برفع المحتقر يرفعه بالابتداء ويضمر الخبر فيكون التقدير والمحتقر لمدة الآجال يقال ذلك له ورواية ابن سراج بالخفض على العطف) وفى الحديث أن حِسْلاً أبا حُذيفة بن حسل بن اليمان قال لشيخ آخر تخلّف معه فى غزوة أُحد انهض بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما نحن هامة اليوم أو غد وكانا قد أسنّا (حسل أبو حذيفة هو حسل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان والشيخ الذى تخلف معه ثابت ابن وقش الانصارى) والصدى حشوة الرأس يقال لذلك الهامة والصدى وتأويل ذلك عند العرب فى الجاهلية أن الرجل كان عندهم اذا قُتل فلم يُدرك به الثأر أنه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهى الهامة والذكر الصدى فيصيح على قبره اسقونى اسقونى فان قُتل قاتله كفّ ذلك الطائر قال ذو الاصبع العدوانى أحد بنى عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مُضَر (هو حرثان بن محرث سمى بذى الاصبع لانه كان له اصبع زائدة وقيل لان حية عضته فى اصبعه)

يا عمرو الّا تدع شتمى ومنقصتى * أضربك حيث تقول الهامة اسقونى

والصدى ما يرجع عليك من الصوت اذا كنت بمتسع من الارض أو بقرب جبل كما قال

قحطان وعدنان من قبل ما طبع الله عليه تلك التربة من خصائص الغرائز وما قسم لأهل كل جزيرة من الشكل والصورة ومن الاخلاق واللغة فان قلت وكيف صار أولادهما جميعا عربا مع اختلاف الابوة قلنا ان الجزيرة لما كانت واحدة استووا فى التربة وفى اللغة وفى الشمائل والهمة وفى الأنفة والحمية وفى الاخلاق فسبكوا سبكا واحدا تشابهت الاجزاء وتناسبت الاخلاط حتى صار ذلك أشد تشابها فى باب الأعم

اني على كل ايساري ومعسرتي • أدعو حنيفا كما تدعى ابنة الجبل

يعني الصدى وتأويله انه يجيبني في سرعة اجابة الصدى وقال آخر

كأني اذ دعوت بني سليم • دعوت بدعوتي لهم الجبالا

والصداء مهموز صدأ الحديد وما أشبهه قال النابغة الذبياني

سهكين من صدا الحديد كأنهم • تحت السنور جنة البقار

وقال الأعشى فأما اذا ركبوا فالوجو • ه في الروع من صدا البيض حم

والصدى مصدر الصدي وهو العطشان يقال صدي يصدى صدى وهو صد قال طرفة

ستعلم ان متنا صدى أينا الصدي (ويروى صدى أينا بخفض أينا على الاضافة فصدى على هذه الرواية يرتفع بالابتداء والصدي الخبر) وقال القطامي

فهن ينبذن من قول يصبن به • مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

تأويل قوله نآني يكون على ضربين يكون أبعدني وأحسن ذلك أن يقول أناني وقد رويت هذه اللغة الأخرى وليست بالحسنة وانما جاءت في حروف يقال غاض الماء وغضته ونزحت البئر ونزحتها وهبط الشيء وهبطته وبنو تميم يقولون أهبطته وأحرف سوى هذه يسيرة والوجه في فعل أفعلته نحو دخل وأدخلته ومات وأماته الله فهذا الباب المطرد ويكون نآني في موضع نأى عني كما قال الله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أي كالوا لهم أو وزنوا لهم وقوله ودءوب يقول والحاح عليه تقول دأبت على الشيء قال الشاعر (هو الراعي)

دأبت الى أن ينبت الظل بعدما • تقاصر حتى كاد في الآل يمصح

وقوله جل ثناؤه كدأب آل فرعون يقول كعادتهم وسنتهم ومثله الدين والديدن وقد مر هذا وقوله وبدل أحجارا وجال قليب فالجال الناحية يقال لكل ناحية من البئر والقبر وما أشبه ذلك جال وجول وقال مهلهل كأن رماحهم أشطان بئر • بعيد بين جاليها جرور

ويقال رجل ليس له جول أي ليس له عقل وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائي

أماوي ان يصبح صداي بقفرة • من الارض لا ماء لدي ولا خمر

ترى أن ما أبقيت لم أك ربه • وان يدي مما بخلت به صفر

والأخص وفي باب الوفاق وفي البنية من بعض الأرحام وجرى عليهم حكم الاتفاق وفي الحسب وصارت هذه الأسباب ولادة أخرى حتى تناكحوا عليها وتصاهروا من أجلها وامتنعت عدنان قاطبة من مناكحة بني اسحاق وهو أخو اسماعيل وجازوا بذلك في جميع الدهر وكبني قحطان في اجماع الفريقين على التناكح والتصاهر ومنعهما ذلك جميع الأمم ككسرى فمن دونه دليل على أن النسب عندهم متفق وان هذه المعاني

وقال الحرث بن حلزة اليشكري في هذا المعنى

قلت لعمرو حين أرسلته • وقد حبا من دوننا عالج

لا تكسع الشول بأغبارها • انك لا تدري من الناتج

واصبب لأضيافك ألبانها • فان شر اللبن الوالج

قوله لا تكسع الشول بأغبارها فان العرب كانت تنضح على ضروعها الماء البارد ليكون أسمن لأولادها التي في بطونها والغبر بقية اللبن في الضرع فيقول لا تبق ذلك اللبن لسمن الأولاد فانك لا تدري من ينتجها فلعلك تموت فتكون للوارث أو يغار عليها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول ابن آدم مالي مالي ومالك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت وروى عن بعضهم انه قال اني أحب البقاء وكالبقاء عندي حسن الثناء وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

فاذا بلغتم أرضكم فتحدثوا • ومن الحديث متالف وخلود

وأنشد فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم • بأفعالنا ان الثناء هو الخلد

وقال معاوية لابن الأشعث بن قيس ما كان جدك قيس بن معدي كرب أعطى الأعشى فقال أعطاه مالا وظهرا ورقيقا وأشياء أنسيتها فقال معاوية لكن ما أعطاكم الأعشى لا ينسى وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنة هرم بن سنان المري ما وهب أبوك زهيرا فقالت أعطاه مالا وأثاثا أفناه الدهر فقال عمر لكن ما أعطاكموه لا يفنيه الدهر وقال المفسرون في قول الله عز وجل عن ابراهيم صلوات الله عليه واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي ثناء حسنا وفي قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم أي يقال له هذا في الآخرين والعرب تحذف هذا الفعل من قال ويقول استغناء عنه قال الله عز وجل فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم أي فيقال لهم ومثله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أي يقولون وكذلك والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم (حدثنا أيوب بن المزرع البصري قال حدثنا رفيع بن سلمة المنبز بدماذ قال حدثنا أبو عبيدة قال قال الحجاج يوما لعمائر العرب وهم في مجلسه ما أحسب هذا المزوني يناصحنا في حربنا يعني المهلب والرأي مشترك فقالوا

قد قامت عندهم مقام الولادة والأرحام الماسة وزعمت انه أراد الفرقة والتحزب وانك أردت الألفة والتقرب ثم زعمت أيضا ان المزوني خراساني وان نسب الابناء نسب آبائهم وان حسن صنيع الآباء وقديم فعال الأجداد هو حسب الأبناء وان الموالي بالعرب أشبه واليهم أقرب وبهم أمس لان النسبة قد نقلت الموالي الى العرب في كثير من المعاني لأنهم عرب في المدعى وفي العاقلة وفي الراية وهذا تأويل قوله

الرأى للأمير أصلحه الله أن يكتب الى ابن الفجاءة باطعامه بعض الأرضين فاذا هو تخع بطاعته وأظهر الدعوة له سهلت الحيلة فيه فقال ويحكم الله وكتب الى ابن الفجاءة وأنفذه على يد الغضبان بن القبعثرى الشيبانى نسخة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى قطرى بن الفجاءة سلام عليك الموحد الله والمصلى على محمد عليه السلام أما بعد فانك كنت اعرابيا بدويا تستطعم الكسرة وتخف الى التمرة ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق واعترضت على كتاب الله ومرقت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجع عما أنت عليه بما زين لك وادعنى فقد آن لك فلما أوصل الغضبان الكتاب الى قطرى قال يا غلام اذ بر هذه الصحيفة فتلا عليه ما فيها فتنهد قطرى الصعداء فقال يا غضبان ألفيتنى محزونا وأنشأ يقول

فيا كبدا من غير جوع ولا ظما • ووا كبدا من وجد أم حكيم

فلو شهدتنى يوم دولاب أبصرت • طعان فتى فى الحرب غير لئيم

غداة طفت علماء بكر بن وائل • وعجنا صدور الخيل نحو تميم

وكان بعبد القيس أول جدنا • وآب عميد الأزد غير ذميم

يعنى المهلب وأم حكيم هذه امرأة من الخوارج قتلت بين يديه ثم قال يا غلام اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من قطرى بن الفجاءة الى الحجاج بن يوسف سلام على من اتبع الهدى ذكرت فى كتابك أنى كنت بدويا أستطعم الكسرة وأبدر الى التمرة وبالله لقد قلت زورا بل الله بصرنى من دينه ما أعماك عنه اذ أنت سائخ فى الضلالة غرق فى غمرات الكفر ذكرت أن الضرورة طالت بى فهلا برزت الى من خر بك من نال الشبع واتكا فاتدع أما والله لئن أبرزك الله صفحتك وأظهرلى صلعتك لتنكرن شيمتى ولتعلمن أن مقارعة الأبطال ليس كتسطير الامثال)

مولى القوم منهم والولاء لحمة كلحمة النسب ثم زعمت ان الاتراك قد شاركوا القوم فى هذا النسب وصاروا من العرب بهذا السبب مع الذى بانوا به من الخلال وحبوا به من شرف الخصال على أن ولاء الاتراك للباب قريش ولصاص عبد مناف وفى سر هاشم وهاشم موضع العذار من خد الفرس ومحل العقد من لبة الكعاب وهو الجوهر المكنون والذهب المصفى وموضع المحة من البيضة والعين فى الرأس والروح

﴿باب﴾

قال أبو العباس قال على بن أبى طالب رضى الله عنه فى خطبة له أيها الناس اتقوا الله الذى ان قلتم سمع وان أضمرتم علم وبادروا الموت الذى ان هربتم منه أدرككم وان أقمتم أخذكم قال وحدثنى التوزى فى اسناد ذكره آخره عبد الملك بن عمير الليثى قال بينا نحن فى المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه اذ أتى

آت فقال هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق فاذا به قد دخل المسجد معتمّا بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا يؤم المنبر فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي ألا أحصبه لكم فقالوا أمهل حتى ننظر فلما رأى عيون الناس اليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال (هو لسحيم بن وثيل الرياحي)

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال يا أهل الكوفة اني لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها واني لصاحبها وكأني أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى ثم قال (الشعر لرويشد بن رميض العنبري)

هذا أوان الشد فاشتدي زيم * قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال قد لفها الليل بعصلبي * أروع خراج من الدوي * مهاجر ليس بأعرابي

وقال قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا

والقوس فيها وتر عرد * مثل ذراع البكر أو أشد

(لابد مما ليس منه بد)

اني والله يا أهل العراق ما يقعقع لي بالشنان ولا يغمز جانبي كتغماز التين ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي لأنكم طال ما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون واني والله ما أقول الا وفيت ولا أهم الا أمضيت ولا أخلق الا فريت وان أمير المؤمنين أمرني باعطائكم أعطياتكم وان أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة واني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين الى من

بالكوفة

من البدن وهم الأنف المقدم والسنام الأكوم والطينة البيضاء والدرة الزهراء والروضة الخضراء والذهب الأحمر فقد شاركوا العرب في أنسابهم وفضلوهم بهذا الفضل الخاص الذي لا يبلغه فضل وان برع بل لا يشرفه شرف وان عظم ولا مجد وان قدم فزعمت ان انساب الجميع متقاربة غير متباعدة وعلى حسب ذلك التقارب تكون الموازرة والمكاتفة والطاعة والمناصحة والمحبة للخلفاء والأئمة وذكرت انه ذكر رجلا من

بالكوفة من المسلمين سلامٌ عليكم فلم يقل أحد منهم شيأ فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيأ هذا أدب ابن نهية أما والله لأؤدبنكم غير هذا الادب أو لتستقيمن اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ الى قوله سلامٌ عليكم لم يبق فى المسجد أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام (زعم أبو العباس ان ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج). ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبرا فقال أيها الأمير انى من الضعف على ما ترى ولى ابنٌ هو أقوى على الأسفار منى فتقبله بدلا منى فقال له الحجاج نفعل أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدرى من هذا أيها الامير قال لا قال هذا عمير بن ضابئ البرجمى الذى يقول أبوه

همممت ولم أفعل وكدت وليتنى • تركت على عثمان تبكى حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا فوطئ بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه فقال ردوه فلما رد قال له الحجاج أيها الشيخ هلا بعثت الى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ان فى قتلك أيها الشيخ اصلاحا للمسلمين يا حرسى اضربن عنقه فجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده ففى ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدى (الأسدى أسد خزيمة وليس من أسد قريش)

تجهز فاما أن تزور ابن ضابئ • عميرا واما أن تزور المهلبا

هما خطتا خسف نجاؤك منهما • ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

فأضحى ولو كانت خراسان دونه • رآها مكان السوق أوهى أقربا

(دونه الهاء عائدة على المهلب وأقرب ظرف وقيل مفعول ثان) قوله انا ابن جلا انما يريد المنكشف الامر ولم يصرف جلا لانه أراد الفعل فحكى والفعل اذا كان فاعله مضمرا أو مظهرا لم يكن الا الحكاية كقولك تأبط شرا وكما قال الشاعر

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها • بنى شاب قرناها تصر وتحلب

وتقول قرأت اقتربت الساعة وانشق القمر لانك حكيت وكذلك الابتداء والخبر تقول قرأت الحمد لله رب العالمين وقال الشاعر • والله ما زيد بنام صاحبه • (ولا مخالط الليان جانبه)

وقوله • أنا ابن جلا وطلاع الثنايا • لسحيم بن وثيل الرياحى وانما قاله الحجاج متمثلا وقوله

مفاخر هذه الأجناس وجهرة من مناقب هذه الأصناف وانه جمع ذلك وفصله وأجمله وفسره وانه ألغى ذكر الاتراك فلم يعرض بهم وأضرب عنهم صفحا فلم يخبر عنهم كما أخبر عن نجدة كل جيل وعن برهان كل صنف فذكر أن الخراسانى يقول نحن النقباء وأبناء النقباء ونحن النجباء وأبناء النجباء ومنا الدعاة قبل ان تظهر نقابة أو تعرف نجابة وقبل المغالبة والمباداة وقبل كشف القناع وزوال التقية وبنا زال ملك أعدائنا

وطلاعُ الثَّنايا الثَّنايا جمع ثَنِيّةٍ والثَّنِيّةُ الطريق فى الجبل والطريق فى الرمل يقال له الخَلُّ وانما أراد به انه جَلْدٌ يطلع الثَّنايا فى ارتفاعها وصعوبتها كما قال دُرَيدُ بن الصِّمَّة يعنى أخاه عبدالله

كَمِيشُ الازارِ خارجٌ نِصْفُ ساقهِ • بَعِيدٌ من السَّوْآتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ

والنَّجْدُ ما ارتفع من الارض وقد مضى تفسير هذا وقوله انى لأرى رؤساً قد أينعت يريد أدركت يقال أَيْنَعَتِ الثمرةُ ايناعاً وينَعَتْ يَنْعاً ويَنْعاً ويقرأ انظروا الى ثمره اذا أَثْمَرَ ويُنْعِهِ ويَنْعِهِ كلاهما جائز قال أبو عبيدة هذا الشعر يُخْتَلَفُ فيه فبعضهم ينسبه الى الأحوص وبعضهم ينسبه الى يزيد بن معاوية (قال أبو الحسن الصحيح انه ليزيد يصف جارية) وهو

ولها بالماطرون اذا • أكل النَّمْلُ الذى جَمَعا خُرْفَةٌ حتى اذا ربعت • سكنت من جلّقٍ بِيَعا

فى قِبابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ • حَوْلَها الزيتونُ قد يَنَعا

(قال أبو الحسن أول هذه الابيات طال هذا الليلُ فاكتنعا • وأمرَّ النومُ فامتنعا

وبعد هذا ما أنشده أبو العباس ويروى بالماطرون والرواية المشهورة بفتح النون ويروى بكسرها) قال أبو العباس وقوله هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدّى زِيَمْ يعنى فرساً أو ناقة والشعر للحُطَم القَيْسى وقوله قد لَفَّها الليلُ بسواقٍ حُطَمْ فهو الذى لا يُبْقِى من السير شيأ ويقال رجل حُطَمٌ للذى يأتى على الزاد لشدة أكله ويقال للنار التى لا تُبْقِى حُطَمَةٌ وقوله على ظهر وَضَمْ فالوَضَمُ كل ما قُطِعَ عليه اللحم قال الشاعر (هو عمر بن أبى ربيعة)

وفتيانِ صِدْقٍ حِسانِ الوُجو • هِ لا يَجِدُونَ لشئٍ أَلَمْ

من آلِ المُغِيرةِ لا يَشْهَدو • نَ عندَ المَجازِرِ لَحْمَ الوَضَمْ

وقوله قد لَفَّها الليلُ بعَصْلَبِىٍّ أى شديد وأَرْوَعَ أى ذَكِىّ وقوله خَرّاجٍ من الدَّوِىّ يقول خَرّاج من كل عَماءٍ شديدة (عَماء مقصورٌ رواية عاصم) ويقال للصحراء دَوِيّةٌ وهى التى تكاد تنقضى وهى منسوبة الى الدَّوِّ والدوُّ صحراء ملساء لا عَلَمَ بها ولا امارةَ قال الحُطَيْئةُ (يصف خيلها وأنّث على معنى المرأة) وأَنَّى اهتدَتْ والدَّوُّ بينى وبينها • وما خِلْتُ سارِىَ الليلِ بالدَّوِّ يَهْتدى

والداويّةُ المقفرة التى تسمع لها دويّاً بالليل وانما ذلك الدوىُّ من أخفاف الابل تنفسح أصواتها فيها وتقول جَهَلةُ الأعراب ان ذلك عزيف الجن وقوله والقوسُ فيها وَتَرٌ عُرُدٌّ فهو الشديد ويقال

عن مستقره ونبت ملك أوليائنا فى نصابه وبين ذلك ما قتلنا وشردنا ونهكنا ضربا وطلبا وبضعنا بالسيوف الحداد وعذبنا بألوان العذاب وبناشفى الله تعالى الصدور وأدرك الثار ومنا الاثنا عشر النقباء والسبعون النجباء ونحن الخندقية وأبناء الخندقية ونحن الكتفية وأبناء الكتفية ومنا المنجبية ومنا مرج التميمية ومناتم خزان وأصحاب الحوزتين ومنا الزغندية والاهزامردية ونحن فتحنا البلاد وقتلنا

عرند فى هذا المعنى وقوله انى والله ما يقعقع لى بالشنان واحدها شنّ وهو الجلد اليابس فاذا قعقع
به نفرت الابل منه فضرب ذلك مثلا لنفسه وقال النابغة الذبيانى

كأنك من جمال بنى أقيش • يقعقع بين رجليه بشنّ

(أقيش حىّ من عكل) وقوله ولقد فررت عن ذكاء يعنى تمام السن والذكاء على ضربين أحدهما
تمام السن والآخر الحدّة حدّة القلب فمما جاء فى تمام السن قول قيس بن زهير جرى المذكيات
غلاب (ويروى غلاء) وقال زهير يفضله اذا اجتهدا عليه • تمام السنّ منه والذكاء
وقوله فعجم عيدانها يقول مضغها لينظر أيها أصلب يقال عجمت العود اذا مضغته وكذلك فى كل
شئ قال النابغة فظل يعجم أعلى الروق منقبضا • فى حالك اللون صدق غير ذى أود
والمصدر العجم يقال عجمته عجما ويقال للنوى كل شئ عجم مفتوح ومن أسكن فقد أخطأ كما
قال الأعشى . (غزاتك بالخيل أرض العدو) • وجذعانها كلقيط العجم
وقوله طال ما أوضعتم فى الفتنة الايضاع ضرب من السير وقوله فأضحى ولو كانت خراسان دونه
يعنى دون السفر رآها مكان السوق للخوف والطاعة وكان من قصة عمير بن ضابئ أن أباه ضابئ بن
الحرث البرجمى وجب عليه حبس عند عثمان رحمه الله وأدب وذلك أنه كان استعار من قوم كلبا
فأعاروه اياه ثم طلبوه منه وكان فحاشا فرمى أمهم به فقال فى بعض كلامه

وأمكم لا تتركوها وكلبكم • فان عقوق الوالدات كبير

فاضطغن على عثمان ما فعل به فلما دعى به ليؤدب شد سكينا فى ساقه ليقتل بها عثمان فعثر
عليه فأحسن أدبه ففى ذلك يقول

وقائلة ان مات فى السجن ضابئ • لنعم الفتى تخلو به وتواصله
وقائلة لا يبعدن ذلك الفتى • ولا تبعدن أخلاقه وشمائله
وقائلة لا يبعد الله ضابئا • اذا الكبش لم يوجد له من ينازله
وقائلة لا يبعد الله ضابئا • اذا الخصم لم يوجد له من يقاوله
فلا تتبعينى ان هلكت ملامة • فليس بعار قتل من لا أقاتله
هممت ولم أفعل وكدت وليتنى • تركت على عثمان تبكى حلائله

العدو بكل واد ونحن
أصل هذه الدولة ومنبت
هذه الشجرة وأصحاب
الدعوة ومن عندنا هبت
هذه الريح والانصار
أنصاران الأوس
والخزرج نصروا النبى
صلى الله عليه وسلم فى أول
الزمان وأهل خراسان
نصروا ورثته فى آخر
الزمان غذانا بذلك آباؤنا
وغذوناه أبناءنا وصار
لنا نسبا لا نعرف الا به
ودينا لا نوالى الا عليه ثم
نحن على وتيرة واحدة
ومنهاج غير مشترك
نعرف بالشيعة وندين
بالطاعة ونقتل فيها

وما الفتن ما آمرت فيه ولا الذى * تخبرمن لاقيت أنك فاعله

قال أبو العباس وشبيه بقوله ما حدثناه عن أبى شجرة السلمى وكان من فتاك العرب (أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزى وأمه الخنساء وقال الطبرى اسمه سليم بن عبد العزى) فأتى عمر بن الخطاب رحمه الله يستحمله فقال له عمر ومن أنت فقال أنا أبو شجرة السلمى فقال له عمر أى عدى نفسه ألست القائل حيث ارتددت

ورويت رمحى من كتيبة خالد * وانى لأرجو بعدها أن أعمرا

(ويروى أن أعمرا بكسر الميم ومعناه أن افعل ذلك بكتيبة عمر)

وعارضتها شهباء تخطر بالقنا * ترى البيض فى حافاتها والسنورا

ثم انحنى عليه عمر بالدرة فسعى الى ناقته فحل عقالها وأقبل بها حرة بنى سليم بإحث السير هربا من الدرة وهو يقول قد ضن عنا أبو حفص بنائله * وكل مختبط يوما له ورق

مازال يضربنى حتى خذيت له * وحال من دون بعض الرغبة الشفق

ثم التفت اليها وهى جانحة * مثل الرتاج اذا ما لزه الغلق

أقبلتها الخل من شوران مجتهدا * انى لأزرى عليها وهى تنطلق

ويروى أنه كان يرمى المسلمين يوم الردة فلا يغنى شيأ فجعل يقول

هاان رمى عنهم لمعبول * فلا صريح اليوم الا المصقول

قوله وكل مختبط يوما له ورق أصل هذا فى الشجرة أن يختبطها الراعى وهو أن يضربها حتى يسقط ورقها فأضرب ذلك مثلا لمن يطلب فضله وقال زهير

وليس مانع ذى قربى وذى نسب * يوما ولا معدم من خابط ورقا

(قوله ولا معدم بالخفض عطفه على توهم الباء فى مانع ومثله ما أنشده

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الا ببين غرابها

على توهم الباء فى مصلحين ومن فى خابط زائدة) وقوله حتى خذيت له يقول خضعت له وأكثر ما تستعمل العامة هذه اللفظة بالزيادة تقول استخذيت له وزعم الأصمعى أنه شك فيها وأنه أحب أن يستثبت أهى مهموزة أم غير مهموزة قال فقلت لأعرابى أتقول استخذيت أم استخذأت قال

وغوت عليها سمانا موصوف ولباسنا معروف ونحن أصحاب الرايات السود فى الروايات الصحيحة والأحاديث المأثورة والذين يهدمون مدن الجبابرة وينتزعون الملك من أيدى الظلمة وفينا تقدم الخبر وصح الأثر جاء فى الحديث صفة الذين يفتحون عمورية ويظهرون عليها ويقتلون مقاتلتها ويسبون ذراريها حيث قالوا فى نعتهم شعورهم شعور النساء وثيابهم ثياب الرهبان فصدق الفعل القول وحقق الخبر

لا أقولهما قلت ولم فقال لان العرب لا تستخذي وهذا غير مهموز واشتقاقه من قولهم أذن خذواء وبغلة خذواء أي مسترخية (قال أبو الحسن اليمنة نبت مسترخ على وجه الارض تأكله الابل فتكثر عنه ألبانها) قال الاصمعي وقلت لاعرابي اتهمز الفارة قال تهمزها الهرة وقوله انى لازرى عليها بقول استخفها يقال زرى عليه أي عاب عليه وازرى به أي قصر به فيقول انها المجتهدة واني لازرى عليها أي أعيب عليها لطلبي النجاء والسرعة وقال الاخطل

فظل يفديها وظلت كأنها • عقاب دعاها جنح ليل الى وكر

وقوله هاان رمتي عنهم لمعمول يقول مخبول مردود والصريح المحض الخالص يقال ذلك للبن اذا لم يشبه ماء ويقال عربي صريح ومولى صريح أي خالص قال وحدثني محمد بن ابراهيم الهاشمي في اسناد ذكره قال بلغ عمر بن الخطاب رحمه الله أن قوما يفضلونه على أبي بكر الصديق رحمه الله فوثب مغضبا حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس اني ساخبركم عني وعن أبي بكر انه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ومنعت شاتها وبعيرها فأجمع رأينا كلنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له يا خليفة رسول الله ان رسول صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحي والملائكة يمده الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم فالزم بيتك ومسجدك فانه لا طاقة لك بقتال العرب فقال أبو بكر الصديق أوكلكم رأيه على هذا فقلنا نعم فقال والله لأن أخر من السماء فتخطفني الطير أحب الي من أن يكون هذا رأيي ثم صعد المنبر فحمد الله وكبره وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت أيها الناس أأن كثر أعداؤكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب والله ليظهرن الله هذا الدين على الاديان كلها ولو كره المشركون قوله الحق ووعده الصدق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين والله أيها الناس لو أفردت من جمعكم لجاهدتهم في الله حق جهاده حتى أبلي بنفسي عذرا أو أقتل قتلا والله أيها الناس لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت عليهم الله وهو خير معين ثم نزل فجاهد في الله حق جهاده حتى أذعنت العرب بالحق قوله كم من فئة فهي الجماعة وهي مهموزة وتخفيف الهمز في هذا

العيان ونحن الذين ذكرنا وذكر بلادنا امام الأئمة وأبو الخلائف العشرة محمد بن علي حين أراد توجيه الدعاة الى الآفاق وتفريق شيعته في البلدان اما البصرة وسوادها فقد غلب عليها عثمان وصنائع عثمان فليس بها من شيعتنا الا القليل وأما الكوفة وسوادها فقد غلب عليها علي وشيعة علي فليس فيها من شيعتنا الا القليل وأما الشام فشيعة بني مروان وآل أبي سفيان وأما الجزيرة فخارجية وحرورية ومارقة

الموضع أن تُقلَبَ الهمزة ياءً وان كانت قبلها ضمة وهي مفتوحة قلبتها واواً نحو جُؤَن تقول جُوَنٌ (الجُؤنة الحقّة يجعل فيها الحلي) وقوله لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه على خلاف ما تتأوله العامة وا لقول العامة وجه قد يجوز فأما الصحيح فان المصدّق اذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنها قيل أخذ عقالاً واذا أخذ الثمن قيل أخذ نقداً قال الشاعر

أتانا أبو الخطّاب يضربُ طبلهُ ‍ • فردَّ ولم يأخذ عقالاً ولا نقدا

(كانت الامراء اذا خرجت لأخذ الصدقة تضربُ الطبولَ) والذي تقوله العامة تأويله لو منعوني ما يساوي عقالاً فضلاً عن غيره وهذا وجه والأول هو الصحيح لانه ليس عليهم عقال يُعقَلُ به البعير فيطلبه فيمنعونه ولكن مجازه في قول العامة ما ذكرنا ومن كلام العرب أتانا بجفنة يقعدُ عليها ثلاثة أي لو قعد عليها ثلاثة لصلح وكان ارتدادُ من ارتدَّ من العرب أن قالوا نقيمُ الصلاة ولا نؤتي الزكاة فمن ذلك قول الحطيئة

ألا كلُّ أرماحٍ قصارٍ أذلَّة ‍ • فداءٌ لأرماحٍ نُصبنَ على الغَمْرِ
فباست بني عبسٍ واستاه طيّئ ‍ • وباست بني دودان حاشا بني نصرِ
أبوا غير ضربٍ يجثمُ الهامَ وقعهُ ‍ • وطعنٍ كأفواه المزفّتة الحُمْرِ

(المزفّتة المطليّةُ بالزفت وهو القطرانُ يعني الابل وهو أشبه بكلام العرب ومعناه وقيل الزِّقاق)

أطعنا رسول الله اذ كان بيننا ‍ • فيا لهفتا ما بال دين أبي بكرِ
أيورثها بكراً اذا مات بعده ‍ • فتلك وبيت الله قاصمة الظهرِ
فقوموا ولا تُعطوا اللئام مقادة ‍ • وقوموا ولو كان القيام على الجمرِ
فدى لبني نصرٍ طريفي وتالدي ‍ • عشيَّةَ ذادوا بالرماح أبا بكرِ

(قوله ذادوا بالرماح أبا بكر كذبٌ انما خرجوا على الابل فقعقعوا لها بالشنان فنفرت وفرّت) قوله يجثم الهام وقعه انما هو مثلٌ يقال جثم الطائر كما يقال برك الجمل وربض البعيرُ وكان قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر عاملاً على صدقات بني سعد فقسّم ما كان في يده من أموال الصدقات على بني منقر وقال فمن مبلغٌ عني قريشاً رسالة ‍ • اذا ما أتتها محكمات الودائعِ

حبوتُ بما صُدِّقتُ في العام منقراً ‍ • وأيأستُ منها كلَّ أطلسَ طامعِ

ولكن عليكم بهذا الشرق فان هنالك صدوراً سليمة وقلوباً باسلة لم تفسدها الأهواء ولم تخامرها الأدواء ولم تعتقبها البدع وهم مغبطون موتورون وهنالك العدد والعدة والعتاد والنجدة ثم قال وأنا أتفاءل الى حيث ما تطلع فكنا خير جند لخير امام وصدقنا ظنه ونبتنا رأيه وصوبنا فراسته وقال مرة أخرى ان أمرنا هذا شرقي لا غربي ومقبل غير مدبر يطلع كطلوع الشمس ويمتد على الآفاق امتداد النهار حتى تبلغ

قوله فاجمع رأينا كأننا أصحاب محمد فانما خفض كلا على انه توكيد لاسمائهم المضمرة والظاهرة لا تكون بدلا من المضمر الذي يعني به المتكلم نفسه أو يعني به المخاطب لا يجوز أن تقول مررت بي زيد لان هذه الياء لا يشركه فيها شيء فتحتاج الى التبيين وكذلك لا يجوز ضربتك زيدا لان المخاطب منفرد بهذه الكاف فأما الهاء نحو مررت به عبد الله فيجوز لانا نحتاج الى أن يعرفنا مبينا من صاحب الهاء لانه ليست للذي يخاطبه فلا ينكر نفسه وانما يحدث به عن غائب فيحتاج الى البيان وقوله أصحاب محمد اختصاص وينتصب بفعل مضمر وهو أعني ليبين من هؤلاء الجماعة كما ينشد * نحن بني ضبة أصحاب الجمل * أراد نحن أصحاب الجمل ثم بين من هم لان هذا قد كان يقع على من دون بني ضبة معه وعلى من فوقها الى مضر ونزار ومعد ومن بعدهم وكذلك نحن العرب أقرى الناس لضيف ونحن الصعاليك لا طاقة بنا على المروءة ويختار في هذا الشعر (هو لعمرو بن الأهتم)

انا بني منقر قوم ذوو حسب * فينا سراة بني سعد وناديها

وقليل هذا يدل على جميع هذا الباب فافهم

(باب)

قال أبو العباس هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة مستحسنة يحتاج اليها للتمثل لانها أشكل بالدهر ويستعار من ألفاظها في المخاطبات والخطب والكتب قال عبد الصمد بن المعذل

تكلفني اذلال نفسي لعزها * وهان عليها أن أهان لتكرما

تقول سل المعروف يحيى بن أكثم * فقلت سليه رب يحيى بن أكثما

(بالثاء مثلثة لا غير وكذلك أكثم بن صيفي ويقال ان يحيى بن أكثم من ولد أكثم بن صيفي) وقال بشار بن برد يذكر عبيد الله بن قزعة وهو أبو المغيرة أخو الملوي المتكلم قال وقال المازني لم أر أعلم من الملوي بالكلام وكان من أصحاب ابراهيم النظام

خليلي من كعب أعينا أخاكما * على دهره ان الكريم معين * ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه

مخافة أن يرجى نداه حزين * كأن عبيد الله لم يلق ماجدا * ولم يدر أن المكرمات تكون

فقل لابي يحيى متى تدرك العلى * وفي كل معروف عليك يمين

اذا جئته في حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

حيثما تبلغه الاخفاف وتناله الحوافر قالوا ونحن قتلنا الصحيحة والدالفية والذكوانية والراشدية ونحن أصحاب الخنادق ونباتة بن حنظلة وعامر بن ضبابة وأصحاب ابن هبيرة فلنا قديم هذا الأمر وحديثه وأوله وآخره ومنا قاتل مروان ونحن قوم لنا أجسام وأجرام وشعور وهام ومناكب عظام وجباه عراض وقصر غلاظ وسواعد طوال ونحن أولد للذكورة وأنسل بعولة وأقل ضوى وصولة وأقل أناما وأنتق أرحاما

نظيره قوله ۞ وفي كل معروف عليك يمين ۞ قول جرير

ولا خير في مال عليه أليَّةٌ ۞ ولا في يمين عُوقِدَتْ بالمآثِمِ

وقال اسمعيل بن القاسم (هو أبو العتاهية)

أطع الله بجُهدك ۞ عامداً أو دون جُهدك أعط مولاك كما تطلب من طاعة عبدك

وقال محمود ۞ تعصى الاله وأنت تُظهر حُبَّهُ ۞ هذا محالٌ في القياس بديعُ

لو كان حُبك صادقاً لأطعته ۞ ان المحبَّ لمن يحب مطيعُ

وقال أيضا ۞ انى شكرت لظالمي ظُلمى ۞ وغفرت ذاك له على علمى

ورأيته أسدى الىّ يداً ۞ لما أبان بجهله حلمى

رجعت اساءته عليه واحسانى فعاد مضاعف الجرم

وغدوت ذا أجر ومحمدة ۞ وغدا بكسب الظلم والاثم

فكأنما الاحسان كان له ۞ وأنا المسىء اليه في الحكم

مازال يظلمنى وأرحمه ۞ حتى بكيت له من الظلم

أخذ هذا المعنى من قول رجل من قريش لرجل قال له انى مررت بقوم من قريش من آل الزبير أو غيرهم يشتمونك شتماً رحمتك منه قال أفسمعتني أقول الا خيرا قال لا قال اياهم فارحم وقال أبو بكر الصديق رحمه الله لرجل قال له لأشتمنك شتماً يدخل معك في قبرك قال معك والله يدخل لا معى وقال ابن مسعود ان الرجل ليظلمنى فأرحمه وقال رجل للشعبي كلاماً أقذع له فيه فقال له الشعبي ان كنت صادقاً فغفر الله لى وان كنت كاذباً فغفر الله لك وروى انه أتى مسجداً فصادف فيه قوماً يغتابونه فأخذ بعضادتى الباب ثم قال

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر ۞ لعزة من أعراضنا ما استحلت

وذكر ابن عائشة أن رجلا من أهل الشام قال دخلت المدينة فرأيت رجلا راكبا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا سمتا ولا ثوبا ولا دابة منه فمال قلبى اليه فسألت عنه فقيل لى هذا الحسن بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهما فامتلأ قلبى له بغضا وحسدت عليا أن يكون له ابن مثله فصرت اليه فقلت له أأنت ابن أبى طالب فقال أنا ابن ابنه فقلت فبك وبأبيك أسبهما فلما انقضى كلامى

وأشد عصبا وأتم عظاما وأبداننا أحمل للسلاح وأخفافنا أملأ للعيون ونحن أكثر مادة وأكثر عددا وعدة ولو أن يأجوج ومأجوج كاثروا من وراء النهر منا لظهروا عليهم بالعدد فأما الأيد وشدة الأسر فليس لأحد بعد عاد وثمود والعمالقة والكنعانيين مثل أيدنا وأسرنا ولو أن خيول الآفاق وفرسان جميع الأطراف جمعوا فى حلبة واحدة لكنا أكثر فى العيون وأهول فى الصدور ومتى رأيت مواكبنا وفرساننا وبنودنا التى لا يحملها

قال لى أحسبك غريبا قلت أجل قال فلى بنا فان احتجت الى منزل أنزلناك أو الى مال آسيناك أو الى حاجة عاونّاك قال فانصرفت عنه ووالله ما على الارض أحد أحب الى منه وقال محمود الورّاق

يا ناظرا يرنو بعينى راقد • ومشاهدا للامر غير مشاهد

منّيت نفسك ضلّة وأبحتها • طرق الرجاء وهن غير قواصد

تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى • درك الجنان بها وفوز العابد

ونسيت أن الله أخرج آدما • منها الى الدنيا بذنب واحد

وقال الحكمى (هو أبو نواس الحسن بن هانئ وهو منسوب الى حكم قبيلة من مذحج) للفضل بن الربيع

ما من يد فى الناس واحدة • كيد أبو العباس مولاها

نام الكرام على مضاجعهم • وسرى الى نفسى فأحياها

قد كنت خفتك ثم أمّننى • من أن أخافك خوفك الله

فعفوت عنى عفو مقتدر • حلّت له نقم فألغاها

وقال عبد الله بن محمد بن أبى عيينة لذى اليمينين (سمى ذا اليمينين لانه ضرب انسانا فجعله قسمين)

لمّا رأيتك قاعدا مستقبلا • أيقنت أنك للهموم قرين

فارفض بها وتعرّ من أثوابها • ان كان عندك للقضاء يقين

ما لا يكون فلا يكون بحيلة • أبدا وما هو كائن سيكون

يسعى الذكى فلا ينال بسعيه • حظّا ويحظى عاجز ومهين

سيكون ما هو كائن فى وقته • وأخو الجهالة متعب محزون

الله يعلم أن فرقة بيننا • فيما أرى شئ علىّ يهون

وقال صالح بن عبد القدوس (صلبه عبد الملك بن مروان على الزندقة أعنى صالحا)

ان يكن ما به أصبت جليلا • فذهاب العزاء فيه أجلّ

كل آت لا شك آت وذو الجهـ • ـل معنّى والغم والحزن فضل

وأنشد منشد من الابيات المنفردة القائمة بأنفسها (لهشام بن عبد الملك)

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى • الى بعض ما فيه عليك مقال

ومنها قول ابن أبى وهيب وانى لأرجو الله حتى كأننى • أرى بجميل الظن ما الله صانع

وقال آخر ويعرف وجه الحزم حتى كأنما • تخاطبه من كل أمر عواقبه

غيرنا علمت انا لم نخلق الا لقلب الدول وطاعة الخلفاء وتأييد السلطان ولو أن أهل تبت ورجال وفرسان الهند وحلبة الروم هجم عليهم هاشم ابن أشتاخنج لما امتنعوا من طرح السلاح والهرب فى البلاد ونحن أصحاب اللحى وأرباب النهى وأهل الحلم والحجى وأهل الشجاعة فى الرأى والبعد من الطيش ولسنا كجند الشام المتعرضين للحرم والمنتهكين لكل محرم ونحن ناس لنا أمانة وفينا عفة ونحن نجمع بين النزاهة والقناعة

وقال أشجع السلمي
رأى سرى وعيون الناس راقدةٌ * ما أخّر الحزم رأى قدّم الحذرا

وقال آخر
فلله منّي جانبٌ لا أضيعه * وللّهو منّي والبطالة جانبُ

وقال آخر
فلو ماب نفسى غير نفسى لسؤته * فكيف ونفسى قد أتت ما يعيبها

وقال آخر
يرى فلتات الرأي والرأي مقبلٌ * كأنّ له فى اليوم عينا على غدٍ

وقال عبد الصمد بن المعذّل

أمنّ على المجتدى * وما أتبع المنّ منّ
كأنْ لم يزل ما أتى * وما قد مضى لم يكن
أرى الناس أحدوثة * فكونى حديثا حسن

وقال أيضا
زعمت عاذلتى أنّى لما * حفظ البخل من المال مضيعُ
كلّفتني عذرة الباخل إذ * طرق الطارق والناس هجوعُ
ليس لى عذر وعندى بلغة * إنما العذر لمن لا يستطيعُ

وقال الحسن بن هانئ الحكمي

ألا ليتَ غدت بى حاجة لم أبح بها * أخاف عليها شامتا فأدارى
فأرخ عليها ستر معروفك الذى * سترت به قدما علىّ عوارى

وقال أيضا
قد قلت للعباس معتذرا * من ضعف شكريه ومعترفا
أنت امرؤ جلّلتنى نعما * أوهت قوى شكرى فقد ضعفا
فإليك بعد اليوم تقدمة * لاقتك بالتصريح منكشفا
لا تحدثنّ إلىّ عارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفا

وقال دعبل بن على الخزاعي

أحببت قومى ولم أعدل بحبهم * قالوا تعصّبت جهلا قول ذى بهت
دعنى أصل رحمى إن كنت قاطعها * لا بدّ للرحم الدنيا من الصلة
فاحفظ عشيرتك الأدنين إن لهم * حقا يفرّق بين الزوج والمرة
قومى بنو مذحج والأزد إخوتهم * وآل كندة والأحياء من علت
ثبت الحلوم فإن سلّت حفائظهم * سلّوا السيوف فأردوا كلّ ذى عنت

والصبر على الخدمة وعلى التحمز وبعد الشقة ولنا الطبول المهولة والبنود العظام ونحن أصحاب التجافيف والأجراس والبازفكند والبنود الطوال والأعمدة والحقفة والقلانس الشاشية والخيول الشهرية ولنا الكافركوبات والطبرزينات فى الأكف والخناجر فى الأوساط ولنا تعليق السيوف وحسن الجلسة على ظهور الخيل ولنا الأصوات التى تسقط الحبالى وليس فى الأرض صناعة عراقية ولا

لا تعرضن بمزح لامرئ طبن • ما راضه قلبه أجراه في الشفة

فرب قافية بالمزح جاريةٍ • مشؤومة لم يرد انماؤها نمت

اني اذا قلت بيتا مات قائله • ومن يقال له والبيت لم يمت

وقال أيضا تعوني ولما ينعني غير شامت • وغير عدو قد أصيبت مقاتله

يقولون ان ذاق الردى مات شعره • وهيهات عمر الشعر طالت طوائله

سأقضي ببيت يحمد الناس أمره • ويكثر من أهل الرواية حامله

يموت ردي الشعر من قبل أهله • وجيده يبقى وان مات قائله

(البيت الاخير ليس لدعبل وانما هو مضمن) وقال اسمعيل بن القاسم

يا من يعيب وعيبه متشعب • كم فيك من عيب وأنت تعيب

لله درك كيف أنت وغاية • يدعوك ربك عندها فتجيب

وقال أيضا يا علي بن ثابت بان مني • صاحب جل فقده يوم بنتا

يا علي بن ثابت أين أنتا • أنت بين القبور حيث دفنتا

قد لعمري حكيت لي غصص المو • ت وحركتني لها وسكنتا

وقال أيضا صاحب كان لي هلك • والسبيل التي سلك

(والسبيل التي سلك ابتداء وخبر ومن قال غير هذا فقد أخطأ)

يا علي بن ثابت • غفر الله لي ولك كل حي مملك • سوف يفنى وما ملك

وقال أيضا طوتك خطوب دهرك بعد نشر • كذاك خطوبه نشرا وطيا

فلو نشرت قواك لي المنايا • شكوت اليك ما صنعت اليا

بكيتك يا أخي بدمع عيني • فلم يغن البكاء عليك شيا

كفى حزنا بدفنك ثم اني • نفضت تراب قبرك عن يديا

وكانت في حياتك لي عظات • وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وكان اسمعيل بن القاسم لا يكاد يخلي شعره مما تقدم من الأخبار والآثار فينظم ذلك الكلام المشهور ويتناوله أقرب متناول ويسرقه أخفى سرقة فقوله وأنت اليوم أوعظ منك حيا انما

جاز به من أدب وحكمة وحساب وهندسة وارتفاع بناء وصنعة وفقه ورواية نظرت فيها الخراسانية الا فرغت منها الرؤساء وبدت فيها العلماء ولنا صنعة السلاح عدة للحرب وتثقيفا ودربة للمجاولة والمشاولة والكر بعد الفر مثل الدبوق والنزو على الخيل صغارا ومثل الطبطاب والصوالجة كبارا ثم رمي الجثمة والبرجاسبار والطائر الخاطف فنحن أحق بالأثرة وأولى بشرف المنزلة قلت وزعم ان

أخذه من قول المؤبذ لقباذ الملك حيث مات فانه قال فى ذلك الوقت كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس وأخذ قوله

قد لعمرى حكيت لى غصص المو ٭ ت وحركتنى لها وسكنتا

من قول نادب الاسكندر فانه لما مات بكى من بحضرته فقال نادبه حركنا بسكونه وقال اسمعيل بن القاسم (وهو أبو العتاهية) ياعجبا للناس لو فكروا ٭٭ وحاسبوا أنفسهم أبصروا

وعبروا الدنيا الى غيرها ٭ فانما الدنيا لهم معبر

(معبر بفتح الميم وكسرها لابن سراج وبفتح الميم لا غير رواية عاصم)

الخير مما ليس يخفى هو الـ ٭ ـمعروف والشر هو المنكر ٭ والموعد الموت وما بعده الا ٭ حشر فذاك الموعد الاكبر ٭ لا فخر الا فخر أهل التقى ٭ غدا اذا ضمهم المحشر ٭ ليعلمن الناس أن التقى ٭ والبر كانا خير ما يذخر ٭ عجبت للانسان فى فخره ٭ وهو غدا فى قبره يقبر ٭ ما بال من أوله نطفة ٭ وجيفة آخره يفخر

أصبح لا يملك تقديم ما ٭ يرجو ولا تأخير ما يحذر

وأصبح الامر الى غيره ٭ فى كل ما يقضى وما يقدر

أما قوله ياعجبا للناس لو فكروا ٭ وحاسبوا أنفسهم أبصروا

فأخوذ من قولهم الفكرة مرآة ترى بك حسنك من قبيحك ومن قول لقمان لابنه يابنى لا ينبغى لعاقل أن يخلى نفسه من أربعة أوقات فوقت منها يناجى فيه ربه ووقت يحاسب فيه نفسه ووقت يكسب فيه لمعاشه ووقت يخلى فيه بين نفسه وبين لذتها ليستعين بذلك على سائر الأوقات وقوله

وعبروا الدنيا الى غيرها ٭ فانما الدنيا لهم معبر

مأخوذ من قول الحسن اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها وقوله

الخير مما ليس يخفى هو الـ ٭ ـمعروف والشر هو المنكر

مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعبد الله كيف بك اذا بقيت فى حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم وصاروا الناس هكذا وشبك بين أصابعه فقلت مرنى يارسول الله فقال خذ ما عرفت ودع ما أنكرت وعليك بخويصة نفسك واياك

العربى يقول ان تمكن العربى تستحق بالانساب الثابتة والارحام الشابكة وبالقدمة وبطاعة الآباء والعشيرة وبالشكر النافع والمديح الباقى وبالشعر الموزون الذى يبقى بقاء الدهر ويلوح مالاح نجم وينشد ما أهل بالحج وماهبت الصبا وماكان للزيت عاصر وبالكلام المنثور والقول المأثور وبصفة مخرج الدولة والاحتجاج للدعوة وتقييد المآثر اذلم يكن ذلك من عادة العجم ولا كان يحفظ ذلك معروفا لسوى العرب

وعوامّها قوله صلى الله عليه وسلم في حثالة من الناس أما الحثالة فهو ما يبقى في الاناء من ردى الطعام وضربه مثلا وقوله مرجت عهودهم يقول اختلطت وذهبت بهم كل مذهب يقال مرج الماء اذا سال فلم يكن له مانع قال الله عز وجل مرج البحرين يلتقيان وقوله

ليعلمن الناس أن التقى • والبر كانا خير ما يذخر

مأخوذ من قول أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حشر الناس في صعيد واحد نادى مناد من قبل العرش ليعلمن أهل الموقف من أهل الكرم اليوم ليقم المتقون ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقوله

ما بال من أوله نطفة • وجيفة آخره يفخر

مأخوذ من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وما ابن آدم والفخر وانما أوله نطفة وآخره جيفة لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه وقال ابن أبي عيينة

ما راح يوم على حي ولا ابتكرا • الا رأى عبرة فيه ان اعتبرا
ولا أتت ساعة في الدهر فانصرمت • حتى تؤثر في قوم لها أثرا

(فانصرفت أشبه للطابقة والمشهور انصرمت)

ان الليالي والايام أنفسها • عن غير أنفسها لم تكتم الخبرا

فأخذ هذا المعنى حبيب بن أوس الطائي وجمعه في ألفاظ يسيرة فقال

عمري لقد نصح الزمان وانه • لمن العجائب ناصح لا يشفق

فزاد بقوله ناصح لا يشفق على قول ابن أبي عيينة شيأ طريفا وهكذا يفعل الحاذق بالكلام ولو قال قائل ان أقرب ما أخذ منه أبو العتاهية

ليعلمن الناس أن التقى • والبر كانا خير ما يذخر

من قول الخليل بن أحمد (قال أبو الحسن زعم النسابون أنهم لا يعرفون منذ وقت النبي صلى الله عليه وسلم الى الوقت الذي ولد فيه أحمد أبو الخليل أحدا سمي باحمد غيره).

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد • ذخرا يكون كصالح الاعمال

لكان قد قال قولا وقال العباس بن الفرج أملي من دونه أجلي • فنى أفضى الى أملي

ونحن نرتبطها بالشعر المقفى ونقيدها بحفظ الأميين الذين لا يتكلمون على الكتب المدونة والخطوط المطرسة ونحن أصحاب التفاخر والتنافر والتنازع في الشرف والتحاكم الى كل حكم مقنع وكاهن سجاع ونحن أصحاب التعاير بالمثالب والتفاخر بالمناقب ونحن أحفظ لانسابنا وأدعى لحقوقنا وتقييدها أيضا بالمنثور المرسل بعد الموزون المعدل بلسان أمضى من السنان وأرهف من السيف الحسام حتى نذكرهم ما قد درس رسمه

وقال الخليل بن أحمد وكان نظر في النجوم فأبعد ثم لم يرضها فقال

أبلغا عني المنجم أني • كافر بالذي قضته الكواكب
عالم أن ما يكون وما كا • ن بحتم من المهيمن واجب

وقال محمد بن يسير يعيب المتكلمين أنشدنيه الرياشي

يا سائلي عن مقالة الشيع • وعن صنوف الأهواء والبدع
دع من يقود الكلام ناحية • فما يقود الكلام ذو ورع
كل أناس بدينهم حسن • ثم يصيرون بعد للشنع
أكثر ما فيه أن يقال له • لم يك في قوله بمنقطع

وأنشدني الرياشي لغيره

قد نقر الناس حتى أحدثوا بدعا • في الدين بالرأي لم تبعث بها الرسل
حتى استخف بحق الله أكثرهم • وفي الذي حملوا من حقه شغل

وقال محمد بن يسير

ويل لمن لم يرحم الله • ومن تكون النار مثواه
يا حسرتي في كل يوم مضى • يذكرني الموت وأنساه
من طال في الدنيا به عمره • وعاش فالموت قصاراه
كأنه قد قيل في مجلس • قد كنت آتيه وأغشاه
صار اليسيري إلى ربه • يرحمنا الله وإياه

وقال أيضا

أي صفو إلا إلى تكدير • ونعيم إلا إلى تغيير
وسرور ولذة وحبور • ليس رهنا لنا بيوم عسير
عجبا لي ومن رضاي بدنيا • أنا فيها على شفا تغرير
عالم لا أشك أني إلى الله إذا مت أو عذاب السعير
ثم الهو ولست أدري إلى أيهما بعده يصير مصيري
أي يوم علي أفظع من يو • م به تبرز النعاة سريري
كلما مر بي على أهل ناد • كنت حينا بهم كثير المرور

وعفا أثره وبين القتال من جهة الرغبة والرهبة فرق وليس المعرق في الحفاظ كمن هذي فيه حادثا وهذا باب يتقدم التالد القديم الطارف الحديث وطلاب الطوائل رجلان سجستاني وأعرابي وهل أكثر النقباء إلا من صميم العرب ومن حلية هذا النسب كعبد الحميد بن قحطبة ابن شبيب الطائي وأبي محمد سليمان بن كثير الخزاعي وأبي نصر مالك ابن الهيثم الخزاعي وأبي داود خالد بن إبراهيم الذهلي وكأبي عمرو لاهز بن قريظ

قيل من ذا على سرير المنايا • قيل هذا محمد بن بشير

وقال الحكمى أبو نواس

أخى ما بال قلبك ليس ينقى • كأنك لا تظن الموت حقا • ألا يا ابن الذين فنوا وبادوا

أما والله ما ذهبوا لتبقى • وما أحد بزادك منك أحظى • وما أحد بزادك منك أشقى

ولا لك غير تقوى الله زاد • اذا جعلت الى اللهوات ترقى

ومما يستحسن من شعره قوله لا أذود الطير عن شجر • قد بلوت المر من ثمره

فمثل هذا لو تقدم لكان فى صدور الامثال وكذلك قوله أيضا

فامض لا تمنن على يدا • منك المعروف من كدره

وكان يقول ذكر المعروف من المنعم افساد له وكتمانه من المنعم عليه كفر له وفى هذا الشعر أبيات مختارة فمنها

واذا مج القنا علقا • وتراءى الموت فى صوره • راح فى ثنيى مفاضته

أسد يدمى شبا ظفره • تتأيى الطير غدوته • ثقة بالشبع من جزره

فاسأل عن نوء تؤمله • حسبك العباس من مطره • لا تغطى عنه مكرمة

بربا واد ولا خمره • ذللت تلك الفجاج له • فهو مختار على بصره

وقد عابوا عليه قوله كيف لا يدنيك من أمل • من رسول الله من نفره

وهو لعمرى كلام مستهجن موضوع فى غير موضعه لان حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضاف اليه ولا يضاف الى غيره ولو اتسع متسع فأجراه فى باب الحيلة لخرج على الاحتيال ولكنه غير موضوع فى غير موضعه وباب الاحتيال فيه أن تقول قد يقول القائل من بنى هاشم لغيره من أفناء قريش منا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق هذا انه من القبيل الذى أنا منه فقد أضافه الى نفسه وكذلك يقول القرشى لسائر العرب كما قال حسان بن ثابت

وما زال فى الاسلام من آل هاشم • دعائم عز لا ترام ومفخر

بهاليل منهم جعفر وابن أمه • على ومنهم أحمد المتخير

فقال منهم كما قال هذا من نفره أراد من النفر الذين العباس هذا الممدوح منهم وأما قول حسان منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المتخير فان العرب اذا كان العطف بالواو قدمت وأخرت

المزنى ومن كان يجرى مجرى النقباء ولم يدخل فيهم مالك بن الطواف المزنى وبعد فهذا الذى باشر قتل مروان ومن هزم ابن هبيرة ومن قتل ابن ضبارة ومن قتل نباتة بن حنظلة الاعرب الدعوة والصميم من أهل الدولة ومن فتح السند الا موسى بن كعب ومن فتح افريقية الا محمد بن الاشعث وقلت وقال ويقول الموالى انا النصيحة الخالصة والمحبة الراسخة ونحن موضع الثقة عند الشدة وعلى الموالى من تحت موجبة المحبة المولى

قال الله تبارك وتعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال يا معشر الجن والانس وقال اسجدى واركعى مع الراكعين ولو كان بثم أو بالفاء لم يصلح الا تقديم المقدم ثم الذى يليه واحدا فواحدا واما قوله فى هذا الشعر وكريم الخال من يمن • وكريم العم من مضره فاضاف مضرا اليه فهو أجود كلام لا يمتنع منه ممتنع قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يوم الجمل للاشتر وهو مالك بن الحرث أحد النخع بن عمرو بن علة بن جلد وكان على الميمنة احمل فحمل فى أصحابه فكشف من بازائه ثم قال لهاشم بن عتبة بن مالك أحد بنى زهرة بن كلاب وكان على الميسرة احمل فحمل فى الميسرة فكشف من بازائه فقال على رضى الله عنه لاصحابه كيف رأيتم مضرى ويمنى فاضاف القبيلتين الى نفسه قال جرير

ان الذين ابتنوا مجدا ومكرمة • تلكم قريش والانصار أنصارى

ومما يستحسن من أشعار المحدثين قول اسحق بن خلف البهرانى ونسبه فى بنى حنيفة لسباء وقع عليه بقوله لعلى بن عيسى بن موسى بن طلحة الاشعرى المعروف بالقمى (منسوب الى قمة وهى بلدة أو قرية من خراسان)

وللكرد منك اذا زرتهم • بكيدك يوم كيوم الجمل
ومازال عيسى بن موسى له • مواهب غير النطاف المكل
أسل السيوف وشق الصفوف • لنقض التراث وضرب القلل
ولبس العجاجة والخافقات • تريك المنا برؤس الأسل
وقد كشرت عن شباانيابها • عروس المنية بين الشعل
وجاءت ثمادى وأبناؤها • كأن عليهم شروق الطفل
خروس نطوق اذا استنطقت • جهول تطيش على من جهل
اذا خطبت أخذت مهرها • رؤسا تحادر قبل النفل
ألذ اليه من المسمعات • وحث الكؤوسة فى يوم طل
وشرب المدام وما يشتهيه • معاط له عزاج القبل
بعثنا النواعج تحت الرحال • تسافه أشداقها فى الجدل

من فوق لان شرف مولاه راجع اليه وكرمه زائد فى كرمه وخموله مسقط لقدره وبوده أن خصال الكرم كلها اجتمعت فيه لان ذلك كلما كان مولاه أكبر وأشرف وأظهر كان هو أشرف وأنبل ومولاك أسلك صدرا وأوضح برا وأقل حسدا وأبعد فالولاء لحمة كلحمة النسب فقد صار لنا النسب الذى تقوى به العربى ولنا الأصل الذى يفتخر به العجمى قال والصبر ضروب وأكرمها كلها الصبر على افشاء السر والمولى فى

اذا ما حُدِينَ بِمَدحِ الامير • سَبقنَ لحاظَ المُحَثِّ العَجِل

(من كسر الميم فهو من حَثَّ ومن ضم الميم جعله من أَحَثَّ يقال حث وأحث على فَعَلَ وعلى أَفعَلَ لغتان) قوله تريك المَنا يريد المنايا وهذه كلمة تَخِفُّ على ألسنتهم فيحذفونها وزعم الاصمعى انه سمع العرب تقول دَرَسَ المَنَا يريدون المنازل وجاء فى التخفيف أعجبُ من هذا حدثنا بعض أصحابنا عن الاصمعى وذكره سيبويه فى كتابه ولم يذكر قائله ولكنّ الاصمعى قال كان اخوان متجاوران لا يكلم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتى وقت الرعى فيقول أحدهما لصاحبه ألا تا فيقول الآخر بلى فا يريد ألا تنهض فيقول الآخر بلى فانهض وحكى سيبويه فى هذا الباب

بالخير خيراتٍ وإن شَرًّا فا • ولا أُريدُ الشرَّ الا أن تا

يريد وان شرا فشر ولا أريد الشر الا أن تريد (قال ش قول أبى العباس الا أن تريد وهم وانما هو الا أن تشاء ولو كان كما قال أبو العباس كانت التاء مضمومة) وهذا خلاف ما تستعمله الحكماء فانه يقال ان اللسان اذا كثرت حركته رقت عَذَبَتُه • وحدثنى أبو عثمان الجاحظ قال قال لى محمد بن الجَهم لما كانت أيامُ الزُطِّ أدمَنتُ الفِكرَ وأمسكتُ عن القول فاصابتنى حُبسَةٌ فى لسانى وقال رجل من الاعراب يذكر آخر منهم

كأنَّ فيه لَفَفًا اذا نَطَقْ • من طول تَحبيسٍ وهَمٍّ وأَرَقْ

وقال رجل لخالد بن صفوان انك لتُكثِرُ فقال أُكثِرُ لضربين أحدهما فيما لا تُغنى فيه القلةُ والآخر لتمرين اللسان فان حبسه يورث العُقلة وكان خالد يقول لا تكون بليغا حتى تُكَلِّمَ أَمَتَكَ السوداءَ فى الليلة الظلماء فى الحاجة المُهِمَّة بما تتكلم به فى نادى قومك فانما اللسان عُضوٌ اذا مرَّنته مَرَنَ واذا أهملته خار كاليد التى تُخَشِّنُها بالممارسة والبدن الذى تُقَوّيه برفع الحَجَر وما أشبهه والرِّجلِ اذا عُوِّدَتِ المشى مَشَت وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تزالون أصحّاء ما نَزَعتُم ونَزَوتُم فنزعتم فى القِسِيّ ونزوتم على ظهور الخيل وقال بعض الحكماء لا ينبغى للعاقل ان يُخلِيَ نفسه من ثلاث فى غير افراط الاكلُ والمشىُ والجماعُ فاما الاكل فان الأمعاء تضيق لتركه وكان ابن الزبير رحمه الله يُواصلُ فيما ذكروا بين خمس عشرة من يوم وليلة ثم يُفطرُ على سَمنٍ وصَبِرٍ ليَفتُقَ امعاءه قال أبو العباس قال الاول والمشىُ ان لم تتعهده أوشكتَ ان تطلبه فلا تجده والجماعُ كالبئر ان نُزِحَت جمّت وان

هذه المكرمة ما ليس لأحد ونحن أخص مدخلا وألطف فى الخدمة مسلكا ولنا مع الطاعة والخدمة والاخلاص وحسن النية خدمة الأبناء للآباء والأجداد للأجداد وهم بموالينا آنس وبناحيتهم أوثق وبكفايتهم أسر وقد كان المنصور ومحمد بن على وعلى بن عبد الله يخصون مواليهم بالمؤاكلة والبسط والايناس لا يبهرجون الاسود لسواده ولا الدميم لدمامته ولا ذا الصناعة الدنيئة لدناءتها ويوصون بحفظهم أكابر أولادهم

تُركت تحت برَّما أو هاوحتى هذا كله القصد وقوله • كأنَّ عليهم شروق الطفل • يريد تألق الحديد كأنه شمس طالعة عليهم وان لم تكن شمس وأحسن من هذا قول سلامة بن جندل

كأنَّ النعام باض فوق رؤسهم • وأعينهم تحت الحديد جواحم

(أي متقدة) فهذا التشبيه المصيب وأما قوله • أحب اليه من المسمعات • فقد قال مثله القاسم بن عيسى بن ادريس أبو دلف العجلي

يوماي يوم في أوانس كالدمى • لهوى ويوم في قتال الديلم

هذا حليف غلائل مكسوة • مسكا وصافية كنفح العندم

ولذاك خالصة الدروع وضمَّر • يكسوننا رهج الغبار الأقتم

وليومهن الفضل لولا لذة • سبقت بطعن الديلمي المعلم

وأول هذه القصيدة طريف مستملح وهو

طواه الهوى فطوى من عذل • وحالف ذا الصبوة المختبل

وأما قوله • تسافه أشداقها في الجدل • فتسافه من السفه وانما يسفها بالمرح وأنها غيل كذامرة وكذامرة كما قال رؤبة • يمشي العرضني في الحديد المتقن • وكما قال الآخر

اذا رأى السوط مشى الهيدبى • ويتقى الأرض بعجع رقاق

(الهيدبى بالدال مهملة ومعجمة وقوله بعجع رقاق يريد قليلة اللحم) وكما قال الحطيئة

وان آنست حسًّا من السوط عارضت • بي الجور حتى تستقيم ضحى الغد

والجدل جمع جديل وهو الزمام المجدول كما تقول قتيل ومقتول وأدنى العدد أجدلة كقولك قضيب وقضب وأقضبة وكذلك كثيب ورغيف وجريب وفعلان كفعل في الكثير يقال قضبان ورغفان وجربان ومثل قوله • تسافه أشداقها في الجدل • قول حبيب بن أوس الطائي

سفيه الرمح جاهله اذا ما • بدا فضل السفيه على الحليم

ومما يستحسن من شعر اسحق هذا قوله في الحسن بن سهل

باب الأمير عراء ما به أحد • الا امرؤ واضع كفا على ذقن

قالت وقد أملت ما كنت آمله • هذا الأمير ابن سهل حاتم اليمن

ويجلون الكثير من مواليهم في الصلاة على جنائزهم وذلك بحضرة من العمومة وبني الأعمام والاخوة ويتذاكرون اكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة مولاه حين عقد له يوم مؤتة على جلة بني هاشم وجعله أميرا كل بلدة يطؤها ويتذاكرون حبه لأسامة بن زيد وهو الحب ابن الحب وعقده له على عظماء المهاجرين وأكابر الانصار ويتذاكرون صنيعه بسائر مواليه كأبي أنسة وشقران وفلان وفلان

كفيتك الناس لا تلقى أخا طلب • بني دارك يستعدي على الزمن
ان الرجاء الذي قد كنت آمله • وضعته ورجاء الناس في كفن
في الله منه وجدوى كفه خلف • ليس السدى والندى في راحة الحسن

واسحق هذا هو الذي يقول في صفة السيف

ألقى بجانب خصره • أمضى من الأجل المتاح
وكأنما ذر الهبا • ء عليه أنفاس الرياح

واسحق هذا هو الذي يقول في مدح العربية

النحو يبسط من لسان الألكن • والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلها • فأجلها منها مقيم الألسن

قال أبو العباس وأحسبه أخذ قوله • والمرء تكرمه اذا لم يلحن • من حديث حدثناه أبو عثمان الخزاعي عن الأصمعي قال كان يقال ثلاثة يحكم لهم بالنبل حتى يدرى من هم وهم رجل رأيته راكبا أو سمعته يعرب أو شممت منه طيبا وثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار حتى يدرى من هم وهم رجل شممت منه رائحة نبيذ في محفل أو سمعته في مصر عربي يتكلم بالفارسية أو رجل رأيته على ظهر طريق ينازع في القدر قال أبو العباس أنشدني أحد الأمراء لشاعر من أهل الري يكنى أبا يزيد شيأ يقوله لعبد الله بن طاهر أحسن فيه وأصاب الفص وقصد بالمدح الى معدنه واختاره لأهله

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفقا • في شاذمهر ودع غمدان لليمن
فانت أولى بتاج الملك تلبسه • من هوذة بن علي وابن ذي يزن

فأحسن الترتيب جدا وان كانت الملوك كلها تلبس التاج في ذلك الدهر وانما ذكر ابن ذي يزن لقول أمية بن أبي الصلت الثقفي حيث يقول

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفقا • في رأس غمدان دارا منك محلالا

وقال الأعشى في هوذة بن علي وان لم يكن هوذة ملكا

من ير هوذة يسجد غير متئب • اذا تعمم فوق التاج أو وضعا
له أكاليل بالياقوت فصلها • صواغها لا ترى عيبا ولا طبعا

قالوا ولنا صاحب الدولة أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم وأبو سلمة حفص بن سليمان وأبو مسلم مولى الامام وعليهما دارت رحى الدولة وتم الأمر واتسق نظام الملك قالوا ولنا من رؤساء النقباء أبو منصور مولى خزاعة وأبو الحكم عيسى بن أعين مولى خزاعة وأبو حمزة عمرو بن أعين مولى خزاعة وأبو النجم عامر بن اسماعيل مولى أبي معيط فلنا مناقب الخراسانية ولنا مناقب الموالي في هذه الدعوة ونحن منهم واليهم ومن أنفسهم

قال أبو العباس وحدثني التوزي قال سمعت أبا عبيدة يقول عن أبي عمرو قال لم يتتوج معدي قط وانما كانت التيجان لليمن فسألته عن هوذة بن علي الحنفي فقال انما كانت خرزات تنظم له قال أبو العباس وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن علي يدعوه كما كتب الى الملوك وكان يجير لطيمة كسرى في البر بجنبات اليمامة واللطيمة الابل تحمل الطيب والبز ووفد هوذة بن علي على كسرى بهذا السبب فسأله عن بنيه فذكر منهم عددا فقال أيهم أحب اليك فقال الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يصح فقال له كسرى ما غذاؤك في بلدك فقال الخبز فقال كسرى لجلسائه هذا عقل الخبز يفضله على عقول أهل البوادي الذين يغتذون اللبن والتمر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد هممت أن لا أقبل هدية ويروى أن لا أتهب هبة الا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي وروى بعضهم أو دوسي وذلك أن أعرابيا أهدى اليه هدية فثبّاها فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأمصار تفضيلا على أهل البوادي وقال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة يعاتب رجلا من الأشراف

أتيتك زائرا لقضاء حقي • فحال الستر دونك والحجاب
وعندك معشر فيهم أخ لي • كأن اخاءه الال السراب
ولست بساقط في قدر قوم • وان كرهوا كما يقع الذباب
ورائي مذهب عن كل ناء • بجانبه اذا عز الذهاب

وقال أيضا

كنا ملوكا اذ كان أولنا • للجود والبأس والعلى خلقوا
كانوا جبالا عزا يلاذ بها • وراحات بالوبل تنبعق
كانوا بهم ترسل السماء على الأرض غياثا ويشرق الأفق
لا يرتق الراتقون ان فتقوا • فتقا ولا يفتقون ما رتقوا
لسنا كعزى مطيرة بقيت • فما بها من سحابة لثق
والضعف والجبن عند نائبة • تنوبهم والحذار والفرق
هذا زمان بالناس منقلب • ظهر لبطن جديده خلق
الأسد فيه على براثنها • مستأخرات تكاد تسترق

(اللثق البلل)

لا يدفع ذلك مسلم ولا ينكره مؤمن خدمناهم كبارا وحملناهم على عواتقنا صغارا هذا مع حق الرضاع والخؤولة والنشوء في الكتاب والتقلب في تلك العراص التي لم يبلغها الاكل سعيد الجد وجيه في الملوك وقد شاركنا العربي في فخره والخراساني في مجده والنبوي في فضله ثم تفردنا بما لم يشاركونا فيه ولا سابقونا اليه قالوا ونحن أشكل بالرعية وأقرب الى طباع الدهم وهم بنا آنس والينا أسكن والى لقائنا أحن ونحن بهم أرحم وعليهم

وكان سبب قوله هذا الشعر أن اسمعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس كان له صديقا وكان عبد الله بن محمد بن أبي عيينة من رؤساء من أخذ البصرة للمأمون في أيام المخلوع وكان معاضدا لطاهر بن الحسين في حروبه وكان اسمعيل بن جعفر جليل القدر مطاعا في مواليه وأهله وكانت الحال بينهما ألطف حال فوصله ابن أبي عيينة بذي اليمينين فولاه البصرة وولى ابن أبي عيينة اليمامة والبحرين وغوص البحر فلما رجعا الى البصرة تنكر اسمعيل لابن أبي عيينة فهاج بينهما من التباعد على مثال ما كان بينهما من المقاربة ثم عزل ابن أبي عيينة فلم يزل يهجو اسمعيل وسأل ذا اليمينين عزله فدافعه وضن بالرجل فكان يهجو من أهله من يواصل اسمعيل وكان أكبر أهله قدرا في ذلك الوقت يزيد بن المنجاب وكان أعور قائم العين لم يطلع على علته الا بشعر ابن أبي عيينة وكان منهم وكان سيد أهل البصرة أجمعين محمد بن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب ومنهم سعيد بن المهلب بن المغيرة بن حرب بن محمد بن المهلب بن أبي صفرة وكان قصيرا وكان ابن عباد أحول فذلك حيث يقول ابن أبي عيينة في هذا الشعر الذي أمليناه

تبت تقدم المنجاب والبرق • في زمن سروا أهله الملق

عور وحول وثالث لهم •• كأنه بين أسطر لحق

ولهم يقول ولا ثنين ظن أنهما معهم وقد مروا به يريدون اسمعيل بن جعفر

ألا قل لرهط خمسة أو ثلاثة • يعدون من أبناء آل المهلب

على باب اسمعيل روحوا وبكروا • دجاج القرى مبثوثة حول ثعلب

وأثنوا عليه بالجميل فانه • يسركم حبا هو الحب والقلب

يلين لكم عند اللقاء مواربا • ويخلفكم منه بناب ومخلب

ولولا الذي تولونه لتكشفت • سريرته عن بغضة وتعصب

أبعد بلائي عنده اذ وجدته • طريحا كنصل القدح لما يركب

به صدأ أقذاه به خلوته • بكفي حتى ضوءه ضوء كوكب

وركبته في خوط نبع وريشته • بقادمتي نسر ومتن معقب

فما ان أتاني منه الا مبوأ • الي بنصل كالحريق مذرب

أعطف وهم أشبه فن أحق بالأثرة وأولى بحسن المنزلة ممن هذه الخصال له وهذه الخلال فيه وقلت وذكرت ان النبوي قال نحن أصل خراساني وهو مخرج الدولة ومطلع الدعوة ومنها نجم هذا القرن وصبا هذا الناب وتفجر هذا الينبوع واستفاض هذا البحر حتى ضرب الحق بجرانه وطبق الآفاق بضيائه فابرأ من السقم القديم وشفى من الداء العضال وأغنى من العيلة وبصر من العمى وهذه بغداد وهي مستقر الخلافة

فقلت منه حده وتركته • كهدبة ثوب الخز لما يهدب
رضيتم بأخلاق الدنى وعفتم • خلائق ماضيكم من العم والاب

وفى هذا يقول لطاهر بن الحسين

مالى رأيتك تدنى كل منتكث • اذا تغيب ملتاث اذا حضرا
اذا تنسم ريح الغدر قابلها • حتى اذا نفخت فى أنفه غدرا
ومن يجىء على التقريب منك له • وأنت تعرف فيه الميل والصعرا
أحلك الله من قحطان منزلة • فى الرأس حيث أحل السمع والبصرا
فلا تضع حق قحطان فتغضبها • ولا ربيعة كلا ولا مضرا
أعط الرجال على مقدار أنفسهم • وأول كلا بما أولى وما صبرا
ولا تقولن انى لست من أحد • لا تمحق النيرين الشمس والقمرا

ويقول له فى أخرى

هو الصبر والتسليم لله والرضا • اذا نزلت بى خطة لا أشاؤها
اذا نحن أبناء السلين بأنفس • كرام رجت أمرا فخاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة انها • تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها
هى الأنفس الكبرى التى ان تقدمت • أو استأخرت فالقتل بالسيف داؤها
سيعلم اسمعيل أن عداوتى • له ريق أفعى لا يصاب دواؤها

ولما حمل اسمعيل مقيدا ومعه ابناه أحدهما فى سلسلة مقرونا معه وكان الذى تولى ذلك أحمد بن أبى خالد فى قصة كانت لاسمعيل أيام الخضرة فقال ابن أبى عيينة فى ذلك

مر اسمعيل وابنا • ه معا فى الأسراء   جالسا فى محمل ضنك على غير وطاء
يتغنى القيد فى رجليه ألوان الغناء   باكيا الأرقات عيشناه من طول البكاء
يا عقاب الدجن فى الأمن وفى الخوف ابن ماء

وقد كان تطير عليه بمثل ما نزل به فمن ذلك قوله

لا تعدم العزل يا أبا الحسن • ولا هزالا فى دولة السمن

والقرار بعد الجولة وفيها بقية رجال الدعوة وأبناء الشيعة وهى خراسان العراق وبيت الخلافة وفيها بقية رجال الدعوة وموضع المادة وأنا أعرف فى هذا الأمر من أبى وأكثر تردادا فيه من جدى وأحق بهذا الفضل من المولى والعربى ولنا بعد فى أنفسنا ما لا ينكر من الصبر تحت ظلال السيوف القصار والرماح الطوال ولنا معانقة الأبطال عند تحطم القنا وانقطاع الصفائح ولنا المواجأة بالسكاكين وتلقى الخناجر بالعيون

ولا

ولا انتقالا من دار عافية • الى ديار البلاء والفتن

ولا خروجا الى القفار من الارض وترك الاحباب والوطن

كم روحة فيك لى مهجرة • ودلجة فى بقية الوسن

فى الحر والقر كى تولى على البصرة عين الامصار والمدن

انى أحاجيك يا أبا حسن • ما صورة صورت فلم تكن

وما جرى فى العين منظره • لو وزنوه بالزف لم يزن

ظاهره رائع وباطنه • ملآن من سوأة ومن درن

وهذا الشعر اعترض له فيه عمرو بن زعبل مولى بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وكان منقطعا الى اسمعيل وولده وكان لا يبلغ ابن أبى عيينة فى الشعر ولا يدانيه ومن أمثل شعره وما اعترض له به قوله

انى أحاجيك ما حنيف على الشفطرة باع الرباح بالغبن

وما شيخ من تحت سدرته • معلق نعله على الغصن

وما سبوف حمر مصقلة • قد عريت من مقابض السفن

وما سهام صفر مجوفة • تحشى خيوط الكتان والقطن

وما ابن ماءان يخرجوه الى الارض تسل نفسه من الأذن

وما عقاب زوراء تلجم من • خلف فتهوى قصدا على سنن

لها جناحان يخفزان بها • نيطا اليها بحذوتى رسن

ياذا اليمينين اضرب علاوته • يدفع ومانى فى النار فى قرن

(قيل السفينة وقيل الراية وهو أصح لان جده حبس راية طاهر بن الحسين ثلاثة أعوام وقوله ومانى فى النار فى قرن مانى اسم علم وكان رأسا من رؤس الزنادقة) فأجابه ابراهيم الشواق مولى آل المهلب وكان مقدما فى الشعر بابيات لا احفظ أكثرها منها

قد قيل ما قيل فى أبى حسن • فانتظروا فى تطاول الزمن

وهذا السواق هو الذى يقول لبشر بن داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب

سماؤك تمطر الذهبا • وحربك تلتظى لهبا وأى كتيبة لاقيت لم تحسن الهربا

ونحن حماة المستلم وأبناء المضائق ونحن أهل الثبات عند الجولة والمعرفة عند الحيرة وأصحاب المشهرات وزينة العساكر وحلى الجيوش ومن يمشى فى الرمح ويختال بين الصفين ونحن أصحاب الفتك والاقدام ولنا بعد التسلق ونقب المدن والتقحم على ظبات السيوف وأطراف الرماح ورضخ الجندل وهشم العمد والصبر تحت الجراح وعلى جر السلاح اذا طار قلب الاعرابى وساء ظن الخراسانى ثم

ومن شعره السائر هبني يا معذبتي أسأت ● وبالهجران قبلكم بدأت

فأين الفضل منك فدتك نفسي ● علي إذا أسأت كما أسأت

ولابن أبي عيينة في هذا المعنى أشعار كثيرة في معاتبات ذي اليمينين وهجاء اسمعيل وغيره سنذكرها بعد في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ومن شعره المستحسن قوله في عيسى بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس وكان تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمة بنت عمر بن حفص هزارمرد (وقعت الرواية كما في الاصل وصوابه هزاذمرد بالزاي والذال معجمة ولا خلاف في الزاي) وهو من ولد قبيصة بن أبي صفرة ولم يلده المهلب وكان يقال لابي صفرة ظالم بن سراق

أفاطم قد زوجت عيسى فأيقني ● بذل لديه عاجل غير آجل

فانك قد زوجت عن غير خبرة ● فتى من بني العباس ليس بعاقل

فان قلت من رهط النبي فانه ● وان كان حر الاصل عبد الشمائل

فقد ظفرت كفاه منك بطائل ● وما ظفرت كفاك منه بطائل

وقد قال فيه جعفر ومحمد ● أقاويل حتى قالها كل قائل

وما قلت ما قالا لانك أختنا ● وفي البيت منا والذرا والكواهل

لعمري لقد أثبته في نصابه ● بان صرت منه في محل الحلائل

اذا ما بنو العباس يوما تبادروا ● عرا المجد وابتاعوا كرام الفضائل

رأيت أبا العباس يسمو بنفسه ● الى بيع بياعاته والمباقل

يرخم بيض العام تحت دجاجه ● ليخرج بيضا من فراريج قابل

قال أبو العباس وولد عيسى من فاطمة هذه لهم شجاعة ونجدة وشدة أبدان وفاطمة التي ذكرتها هي التي كان ينسب بها أبو عيينة أخو عبد الله ويكني عنها بدنيا ومن ذلك قوله لها

دعوتك بالقرابة والجوار ● دعاء مصرح بادي السرار

لاني عنك مشتغل بنفسي ● ومحترق عليك بغير نار

وأنت توقرين وليس عندي ● على نار الصبابة من وقار

فأنت لانّ ما بك دون ما بي ● تدارين العيون ولا أداري

الصبر تحت العقوبة والاحتجاج عند المسألة واجتماع العقل وصحة الطرف وثبات القدمين وقلة التكلي بحبل العقابين والبعد من الفرار وقلة الخضوع للدهر والخضوع عند جفوة الزوار وجفاء الاقارب والاخوان ولنا القناعة عند أبواب الخنادق ورؤوس القناطر ونحن الموت الأحمر عند أبواب النقب ولنا المواجأة في الازقة والصبر على قتال السجون فسل عن ذلك الخلدية والسكنفية والبلالية والحزبية ونحن أصحاب المكابدات

ولو والله تشتاقين شوقى • جمحت الى خالعة العذار

وقال عبد الله يعاتب ذا اليمينين

من مبلغ عنى الامير رسالة • محصورة عندى عن الانشاد
كل المصائب قد تمر على الفتى • فتهون غير شماتة الحساد
واظن لى منها لديك خبيئة • ستكون عند الزاد آخر زاد
مالى أرى أمرى لديك كانه • من ثقله طود من الاطواد
واراك ترجيه وتمضى غيره • فى ساعة الاصدار والايراد
الله يعلم ما أتيتك زائرا • من ضيق ذات يد وضيق بلاد
لكن أتيتك زائرا لك راجيا • بك رتبة الآباء والأجداد
قد كان لى بالمصر يوم جامع • لك مصلح فيه لكل فساد
ودعوت منصورا فاعلن بيعة • فى جمع أهل المصر والاجناد
بارت مشارعى اليك بطاعتى • كل البوار وآذنت بكساد
فى الارض منفسح ورزق واسع • لى عنك فى غورى وفى انجادى

وقال أيضا يعاتبه

أياذا اليمينين ان العتا • ب يغرى صدورا ويشفى صدورا
وكنت أرى ان ترك العتا • ب خير وأجدر أن لا يضيرا
الى أن ظننت بان قد ظننت • بأنى لنفسى أرضى الحقيرا
فاضمرت النفس فى وهمها • من الهم هما يكد الضميرا
ولا بد للماء فى مرجل • على النار موقدة أن يفورا
ومن أشرب اليأس كان الغنى • ومن أشرب الحرص كان الفقيرا
علام وفيم أرى طاعتى • لديك ونصرى لك الدهر بورا
ألم أك بالمصر أدعو البعيد • اليك وأدعو القريب العشيرا
ألم أك أول آت أتاك • بطاعة من كان خلفى بشيرا
والزم غرزك فى ما قط السحروب عليها مقيما صبورا

وأرباب البينات وقتل الناس جهارا فى الاسواق والطرقات ونحن نجمع بين السلة والمزاحفة وبين أصحاب القنا الطوال ما كنا رجالة والمطارد القصار ما كنا فرسانا فان صرنا كمينا فالحتف القاضى والسم الذعاف وان كنا طلائع فكلنا يقوم مقام أمير الجيش نقاتل بالليل كما نقاتل بالنهار ونقاتل فى الماء كما نقاتل على الأرض ونقاتل فى القرية كما نقاتل فى الحلة ونحن أفتك وأخشب ونحن اقطع الطريق واذكر فى الثغور

فقيم تقدم جفالة الـبلد أمامي وأدعى أخيرا

كأنك لم تر أن الفتى الـقحمي اذا زار يوما أميرا

فقدم من دونه قبله ● ألست تراه بسخط جديرا

ألست ترى ان سقف التراب ● به كان أكرم من أن يزورا

ولست ضعيف الهوى والمدى ● أكون الصبا وأكون الدبورا

ولكن شهاب فان ترم بي ● مهما تجد كوكبي مستنيرا

فهل لك في الاذن لي راضيا ● فاني أرى الاذن غنما كبيرا

وكان لك الله فيما ابتعثت ● له من جهاد ونصر نصيرا

ولا جعل الله في دولة ● سبقت اليها وريح فتورا

فان ورائي لي مذهبا ● بعيدا من الارض قاعا وقورا

به الضب تحسبه بالفلاة ● اذا خفق الآل فيها بعيرا

ومالا ومصرا على أهله ● يد الله من جار أن يجورا

واني لمن خير سكانه ● وأكثرهم بنفيري نفيرا

وقال عبد الله لعلي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وكان دعاه الى نصرته حين ظهرت المبيضة فلم يجبه فتوعده علي فقال عبد الله

أعلي انك جاهل مغرور ● لا ظلمة لك لا ولا لك نور

أكتبت توعدني ان استبطأتني ● اني بحربك ما حييت جدير

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ● أطنين أجنحة البعوض يضير

واذا ارتحلت فان نصري للالى ● آباؤهم المهدي والمنصور

نبتت عليه لحومنا ودماؤنا ● وعليه قدر سعينا المشكور

وقال عبد الله في قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب من قتل بأرض السند بدم أخيه المغيرة بن يزيد

أفنى تميما سعدها وربابها ● بالسند قتل مغيرة بن يزيد

صعقت عليهم صعقة عتكية ● جعلت لهم يوما كيوم ثمود

مع حسن القد وجودة الخرط ومقادير اللحى وحسن العمة والنفس المرة وأصحاب الفتوة ثم الخط والكتابة والفقه والرواية ولنا بغداد بأسرها تسكن ما سكنا وتحرك ما تحركنا والدنيا كلها معلقة بها وصائرة الى معناها فاذا كان هذا أمرها وقدرها لجميع الدنيا تبع لها وكذلك أهلها لأهلها وفتاكها لفتاكها وخلاعها لخلاعها ورؤساؤها لرؤسائها وصلحاؤها لصلحائها ونحن تربية الخلفاء وجيران

ذاقت تميم عز كثير عذابنا • بالسند من عمرو ومن داود

قدنا الجياد من العراق اليهم • مثل القطا مستقنة لورود

يحملن من ولد المهلب عصبة • خلقت قلوبهم قلوب أسود

وفي المغيرة يقول في قصيدة مطولة

اذا كر فيهم كرة أفرجوا له • فرار بغاث الطير صادفن أجدلا

وما نيل الأمن بعيد بحاصب • من النبل والنشاب حتى تجدلا

واني لمثن بالذي كان أهله • أبو حاتم ان ناب دهر فأعضلا

فتى كان يستحيي من الذم أن يرى • له مخبر جار وما عليه ومدخلا

وكان يظن الموت عارا على الفتى • يد الدهر الا أن يصاب فيقتلا

منية أبناء المهلب انهم • يرون بها حتما كتابا مؤجلا

وقد أطلق الله اللسان بقتل من • قتلنا به منهم ومن وأفضلا

أناخ بهم داود يصرف نابه • ويلقي عليهم كلكلا ثم كلكلا

يقتلهم جوعا اذا ما تحصنوا • ويقريهم هوج المجانيق جندلا

وهذا شعر عجيب من شعره في هذه القصة يقول

أبت الا بكاء وانتحابا • وذكرا للمغيرة واكتئابا

ألم تعلم بان القتل ورد • لنا كالماء حين صفا وطابا

وقلت لها اقري ونقي بقولي • كأنك قد قرأت به كتابا

فقد جاء الكتاب به فقولي • ألا لا تعدم الرأي الصوابا

جلبنا الخيل من بغداد شعثا • عوابس تحمل الأسد الغضابا

بكل فتى أغر مهلبي • تخال بضوء صورته شهابا

ومن قحطان كل أخي حفاظ • اذا يدعى لنائبة أجابا

فما بلغت قرى كرمان حتى • تحدد لحمها عنها فذابا

وكان لهن في كرمان يوم • أمر على الشراة بها الشرابا

الوزراء ولدنا في أفنية ملوكنا ونحن أجنحة خلفائنا فأخذنا بآدابهم واحتذينا على مثالهم فلسنا نعرف سواهم ولا نتهم بغيرهم ولم يطمع فينا أحد قط من خطاب ملكهم وممن يترشح للاعتراض عليهم فمن أحق بالأثرة وأولى بالقرب في المنزلة ممن هذه الخصال فيه وهذه الخلال له ان ذهبنا حفظك الله بعقب هذه الاحتجاجات وعند منقطع هذه الاستدلالات تستعمل المفاوضة بمناقب الارائك

وانّا تاركون غـدا حدينا • بأرض السند سعدا والربابا

تُفاخر بابن أحوزها تميم • لقـد حانَ المُفاخِرُ لي وخابا

وفي مثل هذا البيت الاخير يقول أخوه أبو عيينة

أعاذلُ صه لستَ من شيمتي • وان كنتَ لي ناصحا مُشفقا

أراكَ تُفرّقُني دائبا • وما ينبغي لي أن أفرقا

أنا ابنُ الذي شادلي منصبا • وكان السماكَ اذا حلّقا

قريعُ العراق وبطريقهم • وعزهم المرتجى المتقى

فمن يستطيع اذا ماذهبتُ أنطقُ في المجد أن ينطقا

انا ابن المهلّب ماقوق ذا • لعالٍ الى شرف مرتقى

فدعني أُغلي ثياب الصبا • بجدتها قبل أن تخلقا

(قال أبو الحسن وهذا شعر حسن أوله

ألم تنه نفسك أن تعشقا • وما أنت والعشقُ لولا الشقا

أمن بعد شربك كأس النهى • وشمّك ريحان أهل التقا

عشقت فاصبحت في العاشقين أشهر من فرس أبلقا

ثم قال • أعاذل صه لست من شيمتي • ثم قال بعد قوله • فدعني أُغلي ثياب الصبا •

أدُنياي من غمر بحر الهوى • خذي بيدي قبل أن أغرقا

أنا لك عبدٌ فكوني كمن • اذا سرّه عبده أعتقا

قال أبو الحسن قوله انا لك عبدٌ فوصل بالالف فهذا انما يجوز في الضرورة والالف تثبت في الوقف لبيان الحركة فلم يحتج الى الالف ومن أثبتها في الوصل قاسه على الوقف للضرورة كقوله

فان يكُ غثّا أو سمينا فانني • سأجعل عينيه لنفسه مقنعا

لانه اذا وقف وقف على الهاء وحدها فاجرى الوصل على الوقف وأنشدوا قول الاعشى

فكيف أنا وانتحالُ القوا • في بعد المشيب كفى ذاك عارا

والرواية الجيدة فكيف يكون انتحال القوا • في بعد المشيب

والمقاربة بين خصالهم وخصال كل صنف من هذه الأصناف سلكنا في هذا الكتاب سبيل أصحاب الخصومات في كتبهم وطريق أصحاب الأهواء في الاختلاف الذي بينهم وكتابنا هذا انما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم ان كانت مختلفة ولنزيد في الألفة ان كانت مؤتلفة ولنخبر عن اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم ولتسلم صدورهم وليعرف من كان لا يعرف منهم موضع التفاوت في النسب كم مقدار الخلاف في الحسب

سقى الله دنيا على نأيها • من القطر منبعقا ريقا
ألم أخدع الناس عن حبها • وقد يخدع الكيس الأحمقا
بلى وسبقتهم انني • أحب الى المجد أن أسبقا
ويوم الجنازة اذ أرسلت • على رقبة أن حيى الخندقا
الى السال فاخترلنا مجلسا • قريبا وإياك ان تخرقا

هذا مما يغلط فيه عامة أهل البصرة يقولون السال بالتخفيف وانما هو السائل بالهمز وجمعه سلان وهو الغال وجمعه غلان وهو الشق الخفي في الوادي

فكنا كغصنين من بانة • رطيبين حين دنا ما أورقا
فقالت اترب لها استنشديه • من شعره الحسن المنتقى
فقلت أمرت بكتمانه • وحذرت ان شاع ان يسرقا
فقالت بعيشك قولي له • تمتع لعلك أن تنفقا

قوله لعلك ان تنفقا اضطرار وحقه لعلك تنفق لان لعل من أخوات ان فاجريت مجراها ومن أتى بأن فلمضارعتها عسى كما قال متمم بن نويرة

لعلك يوما ان تلم ملمة • عليك من اللائي يدعنك أجدعا

(وهو كثير) قال أبو العباس وزعم أبو معاذ النميري انه كان يعتاد عبد الله بن محمد بن أبي عيينة ويكرم المقام عنده وكان راوية لشعره وأم ابن أبي عيينة بن المهلب يقال لها خيرة وهي من بني سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فابطأت عليه أياما فكتب الى

تمادى في الجفاء أبو معاذ • وراوغني ولاذ بلا ملاذ
ولولا حق أخوالي قشير • أتته قصائد غير اللذاذ
كما راح الهلالي بن حرب • بوسمة على عنق وحاذ

يعني محمد بن حرب بن قبيصة بن مخارق الهلالي وكان من أقعد الناس ولقبيصة بن المخارق صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سار اليه فاكرمه وبسط له رداءه وقال مرحبا بخالي فقال يا رسول الله رق جلدي ودق عظمي وقل مالي وهنت على أهلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

الا لا يغير بعضهم مغير ويفسده عدو بأباطيل مموهة وشبهات مزورة فان المنافق العليم والعدو ذا الكيد العظيم قد يصور لمن دونه الباطل في صورة الحق ويلبس الاضاعة ثياب الحزم الا أنا على حال سنذكر جملا من أحاديث رويناها وأمورا رأيناها وشاهدناها وقصصا تلقفناها من أفواه الحكماء وسمعناها وسنذكر ما حفظ لجميع الأصناف من الآلات والأدوات ثم ننظر أيهم لها أشد استعمالا

لقد أبكيت بما ذكرت ملائكة السماء. ومحمد بن حرب هذا ولي شرطة البصرة سبع مرات وكان على شرطة جعفر بن سليمان على المدينة وكان كثير الادب غزيره فأغضب ابن أبي عيينة في حكم جرى عليه بحضرة اسحق بن عيسى وكان على شرطته اذ ذاك في ذلك يقول عبد الله بن أبي عيينة

بأخوالي وأعمامي أقامت • قريش ملكها وبها تهاب
متى ما أدع أخوالي لحرب • وأعمامي لنائبة أجابوا
أنا ابن أبي عيينة فرع قومي • وكعب والدي وأبي كلاب
خلا ابن عكابة الطربان سهل • له فسو تصاد به الضباب
وآخر من هلال قد تداعى • فصار كأنه الشيء الخراب

(باب)

قال أبو العباس كان ابن شبرمة اذا نزلت به نازلة قال سحابة ثم تنقشع وكان يقال أربع من كنوز الجنة كتمان المصيبة وكتمان الصدقة وكتمان الفاقة وكتمان الوجع قال عمر بن الخطاب رحمه الله لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت وقال العتبي محمد بن عبيد الله يذكر ابنا له مات

أضحت بخدي للدموع رسوم • أسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المصائب كلها • الا عليك فانه مذموم

قال أبو العباس وأحسب ان حبيبا الطائي سمع هذا فاسترقه في بيتين أحدهما قوله في ادريس بن بدر الشامي

دموع أجابت داعي الحزن همع • توصل منا عن قلوب تقطع
وقد كان يدعى لابس الصبر حازما • فأصبح يدعى حازما حين يجزع

والآخر قوله

قالوا الرحيل فما شككت بأنها • نفسي عن الدنيا تريد رحيلا
الصبر أجمل غير أن تلددا • في الحب أحرى أن يكون جميلا

وقال سابق البربري

وان جاء ما لا تستطيعان دفعه • فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا

وقال آخر أيضا

اصبر على القدر المجلوب وارض به • وان أتاك بما لا تشتهي القدر
فما صفا لامرئ عيش يسر به • الا سيتبع يوما صفوه كدر

وكان خالد بن صفوان يدخل على بلال بن أبي بردة يحدثه فيلحن فلما كثر ذلك على بلال قال له أتحدثني

أحاديث

وبها أشد استقلالا ومن أنقب حسبا وأيقظ عينا وأزكى نفسا وأشد غورا وأهم خواطر وأكثر نفعا في الحروب وضرا وأدرب دربة وأغمض مكيدة وأشد احتراسا وألطف احتيالا حتى يكون الخيار في يد الناظر في هذا الكتاب المتصفح لمعانيه والمقلب لوجوهه والمفكر في أبوابه والمقابل بين أوله وآخره ولا نكون نحن انتحلنا شيأ دون شيء وتقلدنا تفضيل بعض على بعض بل لعلنا ان لا نخبر عن خاصة ما عندنا

أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقاآت قال الثوري فكان خالد بن صفوان بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلم الإعراب وكف بصره فكان إذا مر به موكب بلال يقول ما هذا فيقال له الأمير فيقول خالد

سحابة صيف عن قليل تقشع ۞

فقيل ذلك لبلال فأجلس معه من يأتيه بخبره ثم مر به بلال فقال خالد كما كان يقول فقيل ذلك لبلال فأقبل على خالد فقال لا تقشع والله حتى تصيبك منها بشؤبوب برد فضربه مائتي سوط وقال بعضهم بل أمر به فديس بطنه قوله بشؤبوب مهموز وهو الدفعة من المطر بشدة وجمعه شآبيب قال النابغة يخاطب القبيلة

ولا تلاقي كما لاقت بنو أسد ۞ فقد أصابتهم منها بشؤبوب

يريد ما نال بني أسد من غارة النعمان عليهم وضرب الشؤبوب مثلا للغارة والغارة تضرب لذلك مثلا كما يقال شن عليهم الغارة أي صبها عليهم قال ابن هرمة

كم بازل قد وجأت لبتها ۞ بمنهل الشؤبوب أو جمل

يريد ما وجأها به من حديدة يقول لما وجأتها دفعت بشؤبوب من الدم فكأنه قال بسنان مستهل الشؤبوب أو ما أشبه ذلك وكان خالد بن صفوان أحد من إذا عرض له القول قال فيقال إن سليمان بن علي سأله عن ابنيه جعفر ومحمد فقال كيف أحمادك جوارهما يا أبا صفوان فقال

أبو مالك جارها وابن برثن ۞ فيالك جاري ذلة وصغار

(ش قوله أبو مالك صوابه أبو نافع وهو مولى لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

فأعرض عنه سليمان وكان سليمان من أحلم الناس وأكرمهم وهو في الوقت الذي أعرض فيه عنه والي البصرة وعم الخليفة المنصور والشعر الذي تمثل به خالد ليزيد بن مفرغ الحميري قال

سقى الله دارا لي وأرضا تركتها ۞ إلى جنب داري معقل بن يسار
أبو مالك جارها وابن برثن ۞ فيالك جاري ذلة وصغار

وكان الحسن يقول لسان العاقل من وراء قلبه فإن عرض له القول نظر فإن كان له أن يقول قال وإن كان عليه القول أمسك ولسان الأحمق أمام قلبه فإذا عرض له القول قال كان عليه أو له وخالد لم يكن يقول الشعر ويروى أنه وعد الفرزدق شيأ فأخره عنه وكان خالد أحد البخلاء فمر به الفرزدق فهدده فأمسك عنه حتى جاز الفرزدق ثم أقبل على أصحابه فقال إن هذا قد جعل إحدى يديه

بحرف واحد فإذا دبرنا كتابنا هذا التدبير وكان موضوعا على هذه الصفة كان العدل له من مذاهب الجدال والمراء واستعمال الهواء وقد ظن ناس كثير أن أسماء أصناف الأجناد لما اختلفت في الصورة والخط والهجاء كانت حقائقها ومعانيها على حسب ذلك وليس الأمر على ما يتوهمون ألا ترى أن اسم الشاكرية وإن خالف في الصورة والخط والهجاء اسم الجند فإن المعنى فيهما ليس ببعيد لأنهم يرجعون إلى

سطيحا وملاءالاخرى سطحا وقال ان عمرتم سطيحى والا نحتكم بسلحى وقال اياس بن معاوية المزنى أبو واثلة وكان أحد العقلاء الدهاة الفضلاء لخالد لا ينبغى أن نجتمع فى مجلس فقال له خالد وكيف يا أبا واثلة فقال لانك لا تحب ان تسكت وأنا لا أحب ان أسمع وخاصم الى اياس رجل رجلا فى دين وهو قاضى البصرة فطلب منه البينة فلم يأت بمقنع فقيل للطالب استجر وكيع بن أبى سود حتى يشهد لك فان اياسا لا يجترئ على رد شهادته ففعل فقال وكيع والله لاشهدن لك فان رد شهادتى لأعممنه السيف فلما طلع وكيع فهم اياس عنه فاقعده الى جانبه ثم سأله عن حاجته فقال جئت شاهدا فقال له يا أبا المطرف أتشهد كما تفعل الموالى والعجم أنت تجل عن هذا فقال اذن والله لا أشهد فقيل لوكيع بعد انما خدعك فقال أولى لابن اللخناء وشهد رجل من جلساء الحسن بشهادة عند اياس فرده فشكا الرجل ذلك الى الحسن فأتاه الحسن فقال يا أبا واثلة لم رددت شهادة فلان فقال يا أبا سعيد ان الله تعالى يقول ممن ترضون من الشهداء وليس فلان ممن أرضى واختلف نصرانى الى أبى دلامة مولى بنى أسد يتطبب لابن له فوعده ان برأ على يديه ان يعطيه ألف درهم فبرأ ابنه فقال للتطبب ان الدراهم ليست عندى ولكن والله لاوصلنها اليك ادع على جارى فلان هذه الدراهم فانه موسر وأنا وابنى نشهد لك فليس دون أخذها شئ فصار النصرانى بالجار الى ابن شبرمة فسأله البينة فطلع عليه أبو دلامة وابنه ففهم القاضى فلما جلس بين يديه قال أبو دلامة

ان الناس غطونى تغطيت عنهم ◦ وان بحثونى كان فيهم مباحث

(وان حفروا بئرى حفرت بئارهم ◦ ليعلم قوم كيف تلك النبائث)

فقال ابن شبرمة من ذا الذى يبحثك يا أبا دلامة ثم قال للمدعى قد عرفت شاهديك فخل عن خصمك ورح العشية الى فراح اليه فغرمها من ماله وشهد أبو عبيدة عند عبيد الله بن الحسن العنبرى على شهادة ورجل عدل فقال عبيد الله للمدعى أما أبو عبيدة فقد عرفته فزدنى شاهدا وكان عبيد الله أحد الادباء الفقهاء الصلحاء وزعم ابن عائشة قال عتبت عليه مرة فى شئ قال فلقينى يدخل من باب المسجد يريد مجلس الحكم وأنا أخرج فقلت معرضا به (للبعيث)

طمعت بليلى أن تريع وانما ◦ تقطع أعناق الرجال المطامع

فأنشدنى معرضا انا ركالما قصدت له

معنى واحد وعلم واحد والذى يرجعون اليه طاعة الخلفاء وتأييد السلطان واذا كان المولى منقولا الى العرب فى أكثر المعانى ومجعولا منهم فى عامة الاسباب لم يكن بأعجب من جعل الخال والداوالحليف من الصميم وابن الاخت من القوم وقد جعل الله ابن الملاعنة المولود على فراش البعل منسوبا الى أمه وقد جعل اسماعيل وهو ابن أعجميين عربيا لان الله تعالى لما فتق لهاته بالعربية المبينة على غير التعسين

وبايعتُ ليلى في خلاءٍ ولم يكن • شهودٌ على ليلى عدولٌ مقانعُ

وكان ابن عائشة يقصّ عنه حديثا عجيبا ثم عُرف مخرج ذلك الحديث ذكر ابن عائشة وحدثني عنه جماعة لا أحصيهم كثرة ان عبيد الله بن الحسن شهد عنده رجل من بني نهشل على أمر أحسبه دَيْنا فقال له أتروي قول الاسود بن يعفر • نام الخليّ فما أحسّ رقادي • فقال له الرجل لا فردّ شهادته وقال لو كان في هذا خير لروى شرف أهله فحدثني شيخ من الأزد حديثا ظننت ان عبيد الله اياه قصد قال تقدم رجل الى سوّار بن عبد الله وسوّار ابن عم عبيد الله بن الحسن يدّعي دارا وامرأة تدافعه وتقول لسوار انها والله خطة ما وقع فيها كتاب قط فأتى المدعي بشاهدين يعرفهما سوّار فشهدا له بالدار وجعلت المرأة تنكر انكارا يعضده التصديق ثم قالت سل عن الشهود فان الناس يتغيرون فردّ المسئلة فحمد الشاهدان فلم يزل يرتّب أمورهم ويسأل الجيران فكلٌّ يصدّق المرأة والشاهدان قد ثبتا فشكا ذلك الى عبيد الله فقال له عبيد الله انا أحضر مجلس الحكم معك فآتيك بالجليّة ان شاء الله تعالى فقال للشاهدين ليس للقاضي ان يسألكما كيف شهدتما ولكن انا أسألكما قال فقالا أراد هذا ان يحج فأدارنا على حدود الدار من خارج وقال هذه داري فان حدث بي حادث فلتبع ولتقسم على سبيل كذا قال أفعندكما غير هذه الشهادة قالا لا فقال الله أكبر وكذا لو أدرتكما على دار سوّار وقلت لكما مثل هذه المقالة أكنتما تشهدان بها لي ففهما انهما قد اغترا فكان سوار اذا سأل عن عدالة الشاهد يتبع المسئلة ان يقول أجائز العدالة هو وفطنت ان عبيد الله رأى في الشاهد غفلة فاختبره بهذا وما أشبهه وحدثني أحد أصحابنا ان رجلا من الاعراب تقدم الى سوّار في أمر فلم يصادف عنده ما يحبّ فاجتهد فلم يظفر بحاجته قال فقال الاعرابي وكانت في يده عصا

رأيتُ رؤيا ثم عبّرتها • وكنتُ للاحلام عبّارا

بأنّني أخبط في ليلتي • كلبا فكان الكلب سوّارا

ثم انحنى على سوار بالعصا فضربه حتى مُنع منه قال فما عاقبه سوّار بشيء قال وحُدّثت ان اعرابيا من بني العنبر سار الى سوّار فقال ان أبي مات وتركني وأخالي وخط خطين في الارض ثم قال وهجينا وخط خطا ناحية فكيف نقسم المال فقال أههنا وارث غيركم قال لا قال المال بينكم أثلاثا فقال لا أحسبك فهمت عني انه تركني وأخي وهجيننا فقال سوار المال بينكم أثلاثا فقال

والترتيب وفطره على الفصاحة العجيبة على غير النشؤ والتمرين وسلخ طباعه من طبائع العجم ونقل الى بدنه تلك الاجزاء وركبه اختراعا على ذلك التركيب وسواه تلك التسوية وصاغه تلك الصيغة ثم حباه من طبائعهم ومنعه من أخلاقهم وشمائلهم وطبعه من كرمهم وأنفتهم وهممهم على أكرمها وأسناها وأشرفها وأعلاها وجعل ذلك برهانا على رسالته ودليلا على نبوته وصار أحق بذلك النسب

الاعرابي أبا أخذ الهجين كما آخذ وكما يأخذ أخي قال أجل فغضب الاعرابي قال ثم أقبل على سوار فقال تعلَمْ والله انك قليل الخالات بالدهنا فقال سوار اذا لا يضيرني ذلك عند الله شيأ (قيل انه ليس بالدهنا أمَةٌ وانما كان فيها الحرائر) وكان عقيلُ بن عُلَّفَة من الغيرة والانفة على ما ليس عليه أحدٌ علمناه فخطب اليه عبدُ الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه وكانت لعقيل اليه حاجات فقال أما اذ كنتَ فاعلا فجنّبني هُجناءَكَ وخطبَ اليه ابنتَهُ ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة وهو خال هشام بن عبد الملك ووالي المدينة وكان أبيض شديد البياض فرده عقيلٌ وقال

رددتُ صحيفةَ القُرَشي لما • أبتْ أعراقُهُ الا احمرارا

وكانت حفصةُ بنت عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله قد ميتَ عنها فخطبها جماعة من قريش أحدهم عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب وأحدهم ابراهيم بن هشام فكان أخوها محمد بن عمران اذا دخل الى ابراهيم بن هشام أوشح له وأنشده

وقالوا يا جميلُ أتى أخوها • فقلتُ أتى الحبيبُ أخو الحبيب

أُحِبُّكَ أن نزلتَ جبالَ حِسمَى • وأن ناسبتَ بثنةَ من قريب

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن معمر العذري فاما جميلُ بن معمر الجُمَحيُّ فلا نسب بينه وبين معمر أي ليس بينه وبينه أبٌ آخر وكانت له صُحبة وكان خاصًّا بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ويروى عن عبد الرحمن بن عوف انه قال أتيت باب عمر بن الخطاب رحمه الله فسمعته يُنشدُ

وكيف ثَوائي بالمدينة بعدما • قضى وطرًا منها جميلُ بن معمر بالركبانية

فلما استأذنتُ عليه قال لي أسمعتَ ما قلتُ فقلتُ نعم فقال انّا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس في بيوتهم (قال ش وهم أبو العباس رحمه الله في هذا وانما القصة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي سمع عبد الرحمن بن عوف يُنشدُ) وكان جميلُ بن معمر الجمحي قتل أخا لابي خراش الهُذَليّ يوم فتح مكة وأتاه من ورائه وهو موثق فضرب به ففي ذلك يقول أبو خراش

فأقسم لولا قيتَه غيرَ موثَق • لآبَكَ بالعرج الضباعُ النواهلُ

لكان جميلٌ أسوأَ الناس صرعةً • ولكنّ أقرانَ الظهورِ مقاتلُ

فليس كعهد الدار يا أمَّ مالك • ولكن أحاطتْ بالرقاب السلاسلُ

وأولى بشرف ذلك الحسب وكما جعل ابراهيم أبا لمن لم يلد فالنبوي خراساني من جهة الولادة والمولى عربي من جهة المدعى والعاقلة ولو أحاط علمنا بان زيدا لم يخلق الا من نجل عمرو لنفيناه عنه وان أيقنا انه لم يخلق الا من ماء صلبه وكما جعل النبي أزواجه أمهات المؤمنين وهن لم يلدنهم ولا أرضعنهم وفي بعض القراآت وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم على قوله ملة أبيكم ابراهيم وجعل المرأة من جهة

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل * سوى الحق شيأ فاستراح العواذل

قوله أسوأ الناس صرعة أى الهيئة التى يصرع عليها كما تقول جلست جلسة وركبت ركبة وهو حسن الجلسة والركبة أى الهيئة التى يجلس عليها ويركب عليها وكذلك القعدة والنيمة وقوله لا بد أى لعادلة وأصل هذا من الاياب والرجوع قال الله تبارك وتعالى ان الينا ايابهم وقال عبيد بن الابرص

وكل ذى غيبة يؤوب * (وغائب الموت لا يؤوب)

وقوله بالعرج فهو ناحية من مكة به ولد عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فسمى العرجى ويقال بل كان له مال بذلك الموضع فكان يقيم فيه (قال ش هذا وهم من أبى العباس رحمه الله وأما صوابه فعبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه) والنواهل فيه قولان أحدهما العطاش وليس بشئ والآخر الذى قد شرب شربة فلم يرو فاحتاج الى أن يعل كما قال امرؤ القيس

اذهن أقساط كرجل الدبى * أو كقطا كاظمة الناهل

وقوله أحاطت بالرقاب السلاسل يقول جاء الاسلام فمنع من الطلب بالاوتار الا على وجهها وكان يقال ان أول من أظهر الجور من القضاة فى الحكم بلال بن أبى بردة وكان أمير البصرة وقاضيها وفى ذلك يقول رؤبة

وأنت يا ابن القاضيين قاضى * (معتزم على الطريق ماضى)

وكان بلال يقول ان الرجلين ليتقدمان الى فأجد أحدهما على قلبى أخف فاقضى له ويروى أن بلالا وفد على عمر بن عبد العزيز بخناصرة فسدك (ش معناه لصق) بسارية من المسجد فجعل يصلى اليها ويديم الصلاة فقال عمر بن عبد العزيز للعلاء بن المغيرة بن البندار ان يكن سره كعلانيته فهو رجل أهل العراق غير مدافع فقال العلاء انا آتيك بخبره فأتاه وهو يصلى بين المغرب والعشاء فقال اشفع صلاتك فان لى اليك حاجة ففعل فقال له العلاء قد عرفت حالى من أمير المؤمنين فان أنا أشرت بك على ولاية العراق فما تجعل لى قال لك عمالتى سنة وكان مبلغها عشرين ألف ألف درهم (العمالة بضم العين أجرة العامل) قال فاكتب لى بذلك قال فارقد (معناه أسرع) بلال الى منزله فأتى بدواة وصحيفة فكتب له بذلك فأتى العلاء عمر بالكتاب فلما رآه كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وكان والى الكوفة أما بعد فان بلالا غرنا بالله فكدنا نغتر فسبكناه فوجدناه خبثا كله والسلام ويروى أنه كتب الى عبد الحميد اذا ورد

الرضاع أما وأجعل امرأة البعل أم ولد البعل من غيرها وجعل الراب والدا وجعل العم فى كتاب الله أباً وهم عبيده لا يتقلبون الا فيما قلبهم فيه وله ان يجعل من عباده من شاء عربيا ومن شاء أعجميا ومن شاء قرشيا ومن شاء زنجيا كما ان له ان يجعل من شاء ذكرا ومن شاء أنثى ومن شاء خنثى ومن شاء أخرجه من ذلك فجعله لا ذكرا ولا أنثى ولا خنثى وكذلك خلق الملائكة وهم أكرم على الله من جميع الخليقة فلم

عليك كتابي هذا فلا تستعن على عملك بأحد من آل أبي موسى قال أبو العباس وكان بلالٌ داهية لقناً ديباً ويقال أن ذا الرمة لما أنشده

سمعتُ الناسَ ينتجعون غيثاً * فقلتُ لصيدحَ انتجعي بلالا

تُناخي عند خيرِ فتىً يمانٍ * اذا النكباءُ ناوحتِ الشمالا

فلما سمع قوله * فقلت لصيدح انتجعي بلالا * قال يا غلام مُر لها بقتّ ونوى أراد ان ذا الرمة لا يحسنُ المدح قوله سمعت الناسُ ينتجعون حكاية والمعنى اذا حُقق انما هو سمعتُ هذه اللفظة أي قائلا يقول الناسُ ينتجعون غيثاً ومثل هذا قوله

وجدنا في كتاب بني تميم * أحقُّ الخيلِ بالركضِ المعارُ

فعناه وجدنا هذه اللفظة مكتوبة فقوله أحقُّ الخيل ابتداء والمعارُ خبره وكذلك الناسُ ابتداء وينتجعون خبره ومثل هذا في الكلام قرأتُ الحمدُ لله رب العالمين انما حكيتَ ما قرأتَ وكذلك قرأتُ على خاتمه اللهُ أكبرُ يا ثقتي فهذا لا يجوز سواه وقوله اذا النكباء ناوحت الشمالا فان الرياح أربع ونكباواتها أربع وهي الريح التي تأتي من بين ريحين فتكون بين الشمال والصَبا أو الشمال والدبور أو الجنوب والدبور أو الجنوب والصبا فاذا كانت النكباءُ تُناوحُ الشمالَ فهي آية الشتاء ومعنى تُناوحُ تُقابلُ يقال تناوحَ الشجرُ اذا قابل بعضُه بعضاً وزعم الأصمعي أن النائحة بهذا سُميت لانها تقابل صاحبتها وقال يحيى بن نوفل الحميري ويقال أنه لم يمدح أحداً قط

فلو كنتُ ممتدحاً للنوال * فتىً لامتدحتُ عليه بلالا

ولكنني لستُ ممن يريد * بمدح الرجال الكرام السؤالا

سيكفي الكريمَ إخاءُ الكريمِ * ويقنعُ بالودّ منه نوالا

ومن أحسن ما امتدح به ذو الرُمة بلالاً قوله

تقول عجوزٌ مدرجي متروحاً * على بيتها من عند أهلي وغاديا

أذو زوجةٍ بالمصر أم ذو خصومةٍ * أراكَ لها بالبصرة العامَ ثاويا

فقلتُ لها لا ان أهلي لجيرةٌ * لأكثبةِ الدهنا جميعاً وماليا

(قوله لا لحن وهذا اللحن راجع على المرأة لان لا لا تقع الا في جواب أو وانما سألته بأم وهي لم يستقر

يجعل لآدم أبا ولا أما وخلقه من طين ونسبه اليه وخلق حواء من ضلع آدم وجعلها له زوجا وسكنا وخلق عيسى من غير ذكر ونسبه الى أمه التي خلقه منها وخلق الجان من نار السموم وآدم من طين وعيسى من غير نطفة وخلق السماء من دخان والأرض من الماء وخلق اسحاق من عاقر وأنطق عيسى في المهد وأنطق يحيى بالحكمة وهو صبي وعلم سليمان منطق الطير وكلام النمل وعلم الحفظة من الملائكة

عندها علم) وما كنت مذ أبصرتني في خصومة • أراجع فيها يا ابنة الخير قاضيا

ولكنني أقبلت من جانبي قسا • أزور فتى نجدا كريما يمانيا

من آل أبي موسى ترى القوم حوله • كأنهم الكروان أبصرن بازيا

مرمين من ليث عليه مهابة • تفادى اسود الغاب منه تفاديا

وما الخرق منه يرهبون ولا الخنى • عليهم ولكن هيبة هي ماهيا

قوله مذ درجي يقول مر دوري فأما قولهم في المثل خير من دب ومن درج فمعناه من حي ومن مات يريدون من دب على وجه الأرض ومن درج منها فذهب وقوله أثوت لها بالبصرة العام ثاويا فانه يقال في هذا المعنى ثوى الرجل فهو ثاو يا فتى اذا أقام وهي أكثر ويقال أثوى فهو مثو يا فتى وهي أقل من تلك قال الأعشى

أثوى وقصر ليلة ليزودا • فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

وقوله قسا فهو موضع من بلاد بني تميم وقوله لا كثيبة الدهنا فالكثيبة جمع كثيب وهو أقل العدد والكثير كثب وكثبان والدهنا من بلاد بني تميم ولم أسمع الا القصر من أهل العلم والعرب وسمعت بعد من يروي مدها ولا أعرفه قال ذو الرمة

حنت الى نعم الدهنا فقلت لها • أمي هلالا على التوفيق والرشد

يعني هلال بن أحوز المازني وقال جرير • باز يصعصع بالدهنا قطاجونا • وقوله كأنهم الكروان أبصرن بازيا فالكروان جماعة كروان وهو طائر معروف وليس هذا الجمع لهذا الاسم بكماله ولكنه على حذف الزيادة فالتقدير كرا وكروان كما تقول أخ واخوان وورل وورلان وبرق وبرقان والبرق أعجمي ولكنه قد أعرب وجمع كما تجمع العربية واستعمل الكروان جمعا على حذف الزيادة واستعمل في الواحد كذلك تقول العرب في مثل من أمثالها

أطرق كرا أطرق كرا • ان النعام في القرى

يريدون الكروان وقوله من آل أبي موسى ترى القوم حوله فقال ترى ولم يقل ترين وكانت المخاطبة أولا لامرأة الا تراه يقول

وما كنت مذ أبصرتني في خصومة • أراجع فيها يا ابنة الخير قاضيا

جميع الألسنة حتى كتبوا بكل خط ونطقوا بكل لسان وأنطق ذئب أهبان بن أوس والمؤمنون من جميع الأمم اذا دخلوا الجنة وكذلك أطفالهم والمجانين منهم يتكلمون ساعة يدخلون الجنة بكلام أهل الجنة على غير الترتيب والتنزيل والتعليم على طول الأيام والتلقين فكيف يتعجب الجاهلون من انطاق اسماعيل بالعربية على غير تعليم الآباء وتأديب الحواضن وهذه المسألة ربما سأل عنهما بعض القحطانية

ثم حوّل المخاطبة الى رجل والعرب تفعل ذلك قال الله عز وجل حتى اذا كُنتُم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فكأنّ التقدير والله أعلم كان للناس ثم حوّلت المخاطبة الى النبي صلى الله عليه وسلم قال عنترة بن شدّاد شطّت مزار العاشقين فأصبحت • عسِراً عليّ طلابُكِ ابنة مخرم

وقال جرير ما للمنازل لا تجيب حزينا • اصممن أم قدم المدى فبلينا

وترى العواذل يبتدرن ملامتي • واذا أردن سوى هواك عصينا

قال أولا لرجل ثم قال سوى هواك وقال آخر

فدى لك والدي وسراة قومي • ومالي انه منه أتاني

على تحويل المخاطبة وقوله مرمّين بريدُ سكوتاً مُطرقين يقال أرمّ اذا أطرق ساكتا وقوله تفادى أسودُ الغاب معناه تفتدى منه بعضها ببعض وفى انشاد سليمان بن عبد الملك أمر بدفع عيال الحجاج وحُمّته الى يزيد بن المهلّب فتفادى منهم تأويله فدى نفسه من ذلك المقام بغيره وقوله

وما الخرق منه يرهبون ولا الخنى • عليهم ولكن هيبةٌ هي ماهيا

اذا رفعت هيبة فالمعنى ولكن أمره هيبة كما قال الله عز وجل لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغٌ أى ذلك بلاغ ومثله قوله عز وجل طاعة وقولٌ معروف يكون رفعه على ضربين أحدهما أمرنا طاعةٌ وقولٌ معروف والوجه الآخر طاعةٌ وقولٌ معروف أمثل ومن نصب هيبة أراد المصدر أى ولكن يهاب هيبةً وأحسن ما قيل فى هذا المعنى

يُغضي حياء ويُغضى من مهابته • فما يُكلّم الا حين يبتسم

وقال الفرزدق يعني يزيد بن المهلب

فاذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم • خُضُع الرقاب نواكس الأبصار

وفى هذا البيت شئ يستطرفه النحويون وهو أنهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتا على فواعل لئلا يلتبس بالمؤنث لا يقولون ضارب وضوارب وقاتل وقواتل لانهم يقولون فى جمع ضاربة ضواربُ وقاتلة قواتلُ لم يأت ذلك الا فى حرفين أحدهما فى جمع فارس فوارسُ لان هذا مما لا يستعمل فى النساء فأمنوا الالتباس ويقولون فى المثل هو هالكٌ فى الهوالك فأجروه على أصله لكثرة الاستعمال لانه مثلٌ فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال نواكس الابصار ولا يكون

عمن لا علم له ببعض العدنانية وهي على حال القحطانية أشد فاما جواب العدناني فسلس النظام سهل المخرج قريب المعنى لان بنى قحطان لايدعون لقحطان نبوة فيعطيه الله تعالى مثل هذه الاعجوبة وما الذى قسم الله بين الناس من ذلك الا كما صنع فى طينة الأرض فجعل بعضها حجرا وبعض الحجر ياقوتا وبعضه ذهبا وبعضه نحاسا وبعضه رصاصا وبعضه صفرا وبعضه حديدا وبعضه

مثل هذا أبداً الا في ضرورة

(باب)

قال جرير ونزل بقوم من بني العنبر بن عمرو بن تميم فلم يقروه حتى اشترى منهم القرى فانصرف وهو يقول

يا مالك بن طريف ان بيعكم * رفد القرى مفسد للدين والحسب
قالوا نبيعكه بيعاً فقلت لهم * بيعوا الموالي واستحيوا من العرب
لولا كرام طريف ما غفرت لكم * بيعي قراي ولا انسأتكم غضبي
هل انتم غير أوشاب زعانفة * ريش الذنابى وليس الرأس كالذنب

قوله يا مالك بن طريف فمن نصب فانما هو على انه جعل ابنا تابعا لما قبله كالشئ الواحد وهو أكثر في الكلام اذا كان اسما علما منسوبا الى اسم علم جعل ابن مع ما قبله بمنزلة الشئ الواحد ومثل ذلك • يا حكم بن المنذر بن الجارود * ومن وقف على الاسم الاول ثم جعل الثاني نعتا لم يكن الا الرفع لانه مفرد نعت بمضاف فصار كقولك يا زيد ذا الجمة. وقوله ولا انسأتكم غضبي يقول لم أؤخره عنكم يقال نسأ الله في أجلك وأنسأ الله أجلك والنسئ من هذا ومعناه تأخير شهر عن شهر وكانت النسأة من بني مدلج بن كنانة فأنزل الله عز وجل انما النسئ زيادة في الكفر لانهم كانوا يؤخرون الشهور فيحرمون غير الحرام ويحلون غير الحلال لما يقدرونه من حروبهم وتصرفهم فاستوت الشهور لما جاء الاسلام وأبان ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله هل انتم غير أوشاب زعانفة فالأشابة جماعة تدخل في قوم وليست منهم وانما هو مأخوذ من الامر الأشب أي المختلط وزعم بعض الرواة أن أصله فارسي أعرب يقال بالفارسية وقع القوم في آشوب في اختلاط ثم تصرف فقيل تأشب النبت فصنع منه فعل (هذا وهم من أبي العباس ليس الأشابة ولا الأشب من الأوشاب لان فاء الفعل من الأشابة همزة ومن أوشاب واو ولكنه مثله في المعنى يحتمل أن يكون أصله وشابة وأبدلت الواو المضمومة همزة) وأما الزعانف فأصلها أجنحة السمك سمي بذلك الأدعياء لانهم التصقوا بالصميم كما التصقت تلك الاجنحة بعظام السمك قال أوس بن حجر

(ومازال يفري الشد حتى كأنما) * قوائمه في جانبيه زعانف

ترابا أو بعضه نخارا وكذلك الزاج والمغرة والزرنيخ والمرتك والكبريت والقار والتوتيا والنوشادر والمرقشيشا والمغناطيس ومن يحصي عدد جواهر الأرض وأصناف الفلز واذا كان الامر على ما وصفنا فالنبوي خراساني واذا كان الخراساني مولى والمولى عربيا فقد صار الخراساني والنبوي والمولى مولى والعرب شيأ واحدا وأدنى ذلك ان يكون الذي معهم من خصال الوفاق غامر لما معهم من خصال الخلاف

وتزعم الرواة أن ما أنفت منه جلة الموالي هذا البيت يعني قول جرير

بيعوا الموالي واستحيوا من العرب * لأنه حطّهم ووضعهم ورأى أن الإساءة إليهم غير محسوبة عيبا ومثل ذلك قول المنتجع لرجل من الأشراف ما علّمت ولدك قال الفرائض قال ذلك علم الموالي لا أبا لك علّمهم الرجز فإنه يهرّت أشداقهم ومن ذلك قول الشعبي ومر بقوم من الموالي يتذاكرون النحو فقال لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده ومن ذلك قول عنترة

فما وجدونا بالفروق أشابة * ولا كشفا ولا دعينا مواليا

ومن ذلك قول الآخر

يسمّوننا الأعراب والعرب اسمنا * وأسماؤهم فينا رقاب المزاود

يريد أسماؤهم عندنا الحمراء وقول العرب ما يخفى ذلك على الأسود والأحمر يريد العربي والعجمي وقال المختار لإبراهيم بن الأشتر يوم خازر (وقعت الرواية كما في الأصل ووجد بخط يد أبي علي البغدادي رحمه الله جازر بالجيم) وهو اليوم الذي قتل فيه عبيد الله بن زياد إن عامة جندك هؤلاء الحمراء وإن الحرب إن ضرّستهم هربوا فاحمل العرب على متون الخيل وأرجل الحمراء أمامهم ومن ذلك قول الأشعث بن قيس لعلي بن أبي طالب رحمه الله وأتاه يتخطى رقاب الناس وعليّ على المنبر فقال يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك قال فركض عليّ المنبر برجله فقال صعصعة بن صوحان العبدي ما لنا ولهذا يعني الأشعث ليقولنّ أمير المؤمنين اليوم في العرب قولا لا يزال يذكر فقال عليّ من يعذرني من هذه الضياطرة يتمرّغ أحدهم على فراشه تمرّغ الحمار ويهجر قوم للذكر فيأمرني أن أطردهم ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليضربنّكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا قوله الضياطرة واحدهم ضيطر وضيطار وهو الأحمر العضل الفاحش قال خداش بن زهير

وتركب خيل لا هوادة بينها * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

وإنما قال جرير لبني العنبر * هل أنتم غير أوشاب زعانفة * لأن النسّابين يزعمون أن العنبر بن عمرو بن تميم إنما هو ابن عمرو بن بهراء وأمهم أم خارجة البجلية التي يقال لها في المثل أسرع من نكاح أم خارجة فكانت قد ولدت في العرب في نيّف وعشرين حيّا من آباء متفرقين وكان يقول

بل هم في معظم الأمر وفي كبر الشأن وعمود النسب متفقون فالأتراك خراسانية وموالي الخلفاء قصرة وقد صار فضل التركي إلى الجميع راجعا وصار شرفهم زائدا في شرفهم وإذا عرف سائر الأجناد ذلك سامحت النفوس وذهب التعقيد ومات الضغن وانقطع سبب الاستثقال فلم يبق إلا التحاسد والتنافس الذي لا يزال يكون بين المتقاربين في القرابة وفي الصناعة وفي المجاورة على أن التوازر والتالم في القرابات وفي

لها الرجل خطب فتقول نكح كذلك قال يونس بن حبيب فنظر بنوها الى عمرو بن تميم قد ورد بلادهم فأحسّوا بأنه أراد أمهم فبادروا اليه ليمنعوه تزوجها وسبقهم لانه كان راكبا فقال لها ان فيك لبقية فقالت ان شئت فجاوا وقد بنى عليها ثم نقلها بعد الى بلده فزعم الرواة انها جاءت بالعنبر معها صغيرا وأولدها عمرو بن تميم أسيدا والهجيم والقليب فخرجوا ذات يوم يستقون فقل عليهم الماء فأنزلوا ماتحا من تميم فجعل المائح يملأ الدلو اذا كانت للهجيم وأسيد والقليب فاذا وردت دلو العنبر تركها تضطرب فقال العنبر

قد رابني من دلوي اضطرابها • والنأي عن بهراء واغترابها • الا تجي ملأى يجي قرابها

فهذا قول النسابين ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لعائشة رحمها الله وقد كانت نذرت أن تعتق قوما من ولد اسمعيل فسبي قوم من بني العنبر فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سرك أن تعتقي الصميم من ولد اسمعيل فأعتقي من هؤلاء فقال النسابون فهؤلاء من قضاعة وقد قيل قضاعة من بني معد فقد رجعوا الى اسمعيل ومن زعم أن قضاعة من بني مالك بن حمير وهو الحق قال فالنسب الصحيح في قحطان الرجوع الى اسمعيل وهو الحق وقول المبرزين من العلماء انما العرب المتقدمة من أولاد دابر ورهطه عاد وطسم وجديس وجرهم والعماليق فأما قحطان عند أهل العلم فهو ابن الهميسع بن تيمن بن نبت بن قيذار بن اسماعيل صلوات الله عليه فقد رجعوا الى اسمعيل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم من خزاعة وقيل من الانصار ارموا يابني اسمعيل فان أباكم كان راميا قال يحيى بن نوفل يهجو العريان بن الهيثم بن الاسود النخعي وكان العريان تزوج زباد من ولد هاني بن قبيصة الشيباني وكانت عند الوليد بن عبد الملك فطلقها فتزوجها العريان وكان ابن نوفل له هجاء فقال

أعريان ما يدري امرؤ سيل عنكم • أمن مذحج تدعون أم من اياد
فان قلتم من مذحج ان مذحجا • لبيض الوجوه غير جد جعاد
وأنتم صغار الهام حدل كأنما • وجوهكم مطلية بمداد
فان قلتم الحي اليمانون أصلنا • وناصرنا في كل يوم جلاد
فأطول بأير من معد ونزوة • نزت باياد خلف دار مراد

بني الأعمام والعشائر أفشى وأعم من التخاذل والتعادي ولحب التناصر والحاجة الى التعاون انضم بعض القبائل في البوادي الى بعض ينزلون معا ويظعنون معا ومن فارق أصحابه أقل ومن نصر ابن عمه أكثر ومن اغتبط بنعمته وتمنى بقاءها والزيادة فيها أكثر ممن بغاها الغوائل وتمنى انقطاعها وزوالها ولابد في اضعاف ذلك من بعض التنافس والتخاذل الا ان ذلك قليل من كثير وليس يكون ان تصفو الدنيا

لعمر بنى شيبان اذ ينكحونه • زياد لقد ما قصروا بزياد
أبعد الوليد أنكحوا عبد مذحج • كمزنية عيرا خلاف جواد
وأنكحها لا فى كفاء ولا غنى • زياد أضل الله سعى زياد

قوله أمن مذحج تدعون أم من اياد فبنو مذحج بنو مالك بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان واياد ابن نزار بن معد بن عدنان ويقال ان النخع وثقيفا أخوان من اياد فأما ثقيف فهو قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر فهذا قول قوم فأما آخرون فيزعمون أن ثقيفا من بقايا ثمود ونسبهم غامض على شرفهم فى أخلاقهم وكثرة مناكحهم قريشا وقد قال الحجاج على المنبر تزعمون أنا من بقايا ثمود والله عز وجل يقول وثمود فما أبقى وقال الحجاج يوما لابى العسوس الطائى أى أقدم أنزول ثقيف الطائف أم نزول طيئ الجبلين فقال أبو العسوس ان كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طيئ الجبلين قبلها وان كانت ثقيف من ثمود فهى أقدم فقال الحجاج يا أبا العسوس اتقنى فانى سريع الخطفة للاحمق المتهوك فقال أبو العسوس (رواية عاصم رحمه الله العسوس والعسوس وفى رواية ش كما فى دخل الكتاب) يؤدبنى الحجاج تأديب أهله • فلو كنت من أولاد يوسف ما عدا
وانى لاخشى ضربة ثقفية • يقد بها من عصاه المقلدا
على أننى مما أحاذر آمن • اذا قيل يوما قد عتا المرء واعتدا

وقد كان المغيرة بن شعبة وهو والى الكوفة صار الى دير هند بنت النعمان بن المنذر وهى فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقيل لها أمير هذه المدرة بالباب فقالت قولوا له أمن ولد جبلة بن الايهم أنت قال لا قالت أفمن ولد المنذر بن ماء السماء قال لا قالت فمن أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفى قالت فما حاجتك قال جئتك خاطبا قالت لو كنت جئتنى لجمال أو لمال لاطلبتك ولكنك أردت أن تتشرف بى فى محافل العرب فتقول نكحت ابنة النعمان بن المنذر والا فأى خير فى اجتماع أعور وعمياء فبعث اليها كيف كان أمركم فقالت سأختصر لك الجواب أمسينا مساء وليس فى الأرض عربى الا وهو يرغب الينا ويرهبنا ثم أصبحنا وليس فى الارض عربى الا ونحن نرغب اليه ونرهبه قال فما كان أبوك يقول فى ثقيف قالت اختصم اليه رجلان منهم أحدهما ينميها الى اياد والآخر

ويبقى من الفساد والمكروه وحتى يموت جميع الخلاف ويستوى لاهاها ويمهد اسكانها على ما يشتهون ويهوون لان ذلك من صفة دار الجزاء وليس كذلك صفة دار العمل هذا كتاب كتبته أيام المعتصم بالله رضى الله عنه ونضر وجهه فلم يصل اليه لاسباب يطول ذكرها فلذلك لم أعرض للاخبار عنها وأحببت ان يكون كتابا قصدا ومذهبا عدلا ولا يكون كتاب اسراف فى مديح قوم واغراق فى هجاء

الى بكر بن هوازن فقضى به الايادى وقال

ان ثقيفا لم تكن هوازنا • ولم تناسب عامرا ومازنا

يريد عامر بن صعصعة ومازن بن منصور فقال المغيرة أما نحن فن بكر بن هوازن فليقل أبوك ماشاء وقالت أخت الاشتر وهو مالك بن الحرث النخعى تبكيه وهذا الشعر رواه أبو اليقظان وكان متعصبا

أبعد الاشتر النخعى نرجو • مكاثرة ونقطع بطن واد

ونصحب مذحجا باخاء صدق • وان ننسب فنحن ذرا اياد

ثقيف عمنا وأبو أبينا • واخوتنا نزار أولو السداد

قوله وأنتم صغار الهام حذل فالاحذل المائل العنق يقال قوس حذلاء اذا اعوجت سيتها قال الراجز

لها متاع ولهاة فارض • حذلاء كالرق نحاه الماخض

(كذا وقعت الرواية لها والصواب له لانه يعنى الفحل من الابل لان الشقشقة لاتكون للانثى قاله ش) وأما قوله زباديا فى فله باب نذكره على وجهه باستقصائه بعد فراغنا من تفسير هذا الشعر وقوله لقد ماقصروا فما زائدة مثل قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا ولو قال لقد ماقصروا لم يكن جيدا ودخل الوليد فى الذم وقوله كنزية عيرا خلاف جواد يقول بعد جواد قال الله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقوله لافى كفاء يقال هو كفؤك وكفؤك وكفيئك وكفاؤك اذا كان عديلك فى شرف أو ما أشبهه كما قال الفرزدق • وتنكح فى اكفائها الحبطات •

(أول هذا البيت ۞ بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع ۞ وآل مسمع بيت بكر بن وائل والحبطات هم بنو الحرث بن عمرو بن تميم وانما قال هذا الفرزدق حين بلغه أن رجلا من الحبطات خطب امرأة من بنى دارم بن مالك فأجابه رجل من الحبطات

أما كان عباد كفيأ لدارم • بلى ولابيات بها الحجرات

عباد يعنى بنى هاشم وقد تقدم هذا البيت للفرزدق فى مواضع) وقال الله عز وجل ولم يكن له كفوا أحد وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لامنعن النساء الا من الاكفاء وتحدث أصحابنا عن الاصمعى عن اسحق بن عيسى قال قلت لأمير المؤمنين الرشيد أو المهدى يا أمير المؤمنين من أكفاؤنا قال أعداؤنا يعنى بنى أمية وزياد الذى ذكر كان أخاها

آخرين فان الكتاب اذا كان كذلك شأنه وخالطه التزيد وبنى أساسه فى التكلف خرج كلامه مخرج الاستكراه والتعليق وأنفع المدائح للمادح وأجداها على الممدوح وأبقاها أثرا وأحسنها ذكرا أن يكون المديح صدقا ولظاهر حال الممدوح موافقا وبه لائقا حتى لايكون من المعبر عنه والواصف له الا الاشارة اليه والتنبيه وأنا أقول ان كان لايمكن ذكر مناقب الاتراك الا بذكر مثالب سائر الأجناد

(هذا تفسير ما كان من المؤنث على فَعالِ مكسور الآخر)

(وهو على أربعة أضرب والأصل واحد)

قال أبو العباس اعلم انه لا يُبنى شيءٌ من هذا الباب على الكسر الا وهو مؤنث معرفةٌ معدولٌ عن جهته وهو في المؤنث بمنزلة فُعَل نحو عُمَر وقُثَم في المذكر وفُعَل معدولٌ في حال المعرفة عن فاعل وكان فاعلٌ ينصرف فلما عُدل عنه فُعَل لم ينصرف وفَعالِ معدولٌ عن فاعلة وفاعلةُ لا ينصرف في المعرفة فعُدل الى البناء لانه ليس بعد ما لا ينصرف الا المبنيُّ وبنى على الكسر لان في فاعلة علامة التأنيث وكان أصلُ هذا ان يكون اذا اردت به الامر ساكنا كالمجزوم من الفعل الذي هو في معناه فكسرته لالتقاء الساكنين مع ما ذكرنا من علامة التأنيث والكسر مما يؤنث به فلم يخلُ من العلامة تقول للمرأة أنتِ فعلتِ فالكسر علامة التأنيث وكذلك انكِ ذاهبةٌ وضربتكِ يا امرأة فما لا يكون الا معرفة مكسورا ما كان اسما للفعل نحو نَزالِ يا فتى ومعناه انزل وكذلك تَراكِ زيدًا أي اتركه فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة وهما مؤنثان معرفتان يدلك على التأنيث القياسُ الذي ذكرنا

قال الشاعر تصديقا لذلك   ولنعم حشوُ الدرع أنت اذا • دُعيتْ نَزالِ ولُجَّ في الذُّعُر

فقال دعيت لما ذكرته لك من التأنيث وقال الآخر وهو زيدُ الخيل

وقد علمتْ سلامةُ أن سيفي • كريهٌ كلما دُعيتْ نَزالِ

وقال الشاعر   تَراكِها من ابلٍ تَراكِها • أما ترى الموتَ لدى أوراكها

أي اتركها وقال آخر (هو رؤبة) • حَذارِ من أرماحنا حَذارِ • وقال آخر (هو أبو النجم) • نَظارِ كي أركبه نَظارِ • فهذا باب من الاربعة ومنها أن يكون صفة غالبة تحلّ محلّ الاسم نحو قولهم للضبع جَعارِ يا فتى وللمنية حَلاقِ يا فتى لانها حالقة والدليل على التأنيث بعد ما ذكرنا قوله

لحقتْ حَلاقِ بهم على أكسائهم • ضَربَ الرقابِ ولا يُهِمُّ المَغنمُ

وتقول في النداء يا فَساقِ ويا خَباثِ ويا لَكاعِ تريد يا فاسقةُ ويا خبيثةُ ويا لكعاءُ لانه في النداء في موضع معرفة كما تقول للرجل يا فُسَقُ ويا خُبَثُ ويا لُكَعُ فهذا باب ثان (حكى ابن السرّاج عن أبي عبيدة فرس لُكَعٌ للذكر ولُكَعَةٌ للمؤنث) ومن ذلك ما عُدل عن المصدر نحو قوله (هو المتلمس يذمّ الخمر)

جَمادِ لها جَمادِ ولا تقولي • طَوالَ الدهرِ ما ذُكرتْ حَمادِ

فترك ذكر الجميع أصوب والاضراب عن هذا الكتاب أحزم وذكر الكثير من هذه الأصناف بالجميل لا يقوم الا بالقليل من ذكر بعضهم بالقبيح وهو معصية وباب من ترك الواجب وقليل الفريضة أجدى علينا أى لان ذكر الاكثر بالجميل نافلة وباب من التطوع وذكر الاقل بالقبيح معصية وباب من ترك الواجب وقليل الفريضة أجدى علينا من كثير التطوع ولكل الناس نصيب من النقص ومقدار من

وقال النابغة الذبياني   أنّا اقتسمنا خطّتينا بيننا • فحملتُ برّةَ واحتملتَ فجارِ

يريد قولي لها جوداً ولا تقولي لها جحداً هذا المعنى ولكنه عدل مؤنثا وهذا باب ثالث (برّة اسم علم لجميع البر وفجار لجميع الفجور لابن جني تخصيصه برّة بفعلتُ وفجار بافتعلتَ مثل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فكسب للخير واكتسب للشر) والباب الرابع أن تُسمّي امرأة أو شيئاً مؤنثاً باسم تصوغه على هذا المثال نحو رقاش وحذام وقطام وما أشبهه فهذا مؤنث معدول عن راقشة وحاذمة وقاطمة اذا سميت به وأهل الحجاز يجرونه على قياس ما ذكرتُ لانه معدول في الاصل وسُمّي به فنقل الى مؤنث كالباب الذي كان قبله فلم يغيروه وعلى ذلك قالوا

اسق رقاش انها سقّاية   وقال آخر

اذا قالت حذام فصدقوها • فانّ القول ما قالت حذام

وينشدون • واقفر من سلمى شراء فيذبل • (كذا وقع والصحيح فقد أقفرت سلمى شراء لان قبله • تأبّد من أطلال جمرة مأسل • والشعر للنمر بن تولب) وأما بنو تميم فاذا أزالوه عن النعت فسمّوا به صرفوه في النكرة ولم يصرفوه في المعرفة وسيبويه يختار هذا القول ولا يردّ القول الآخر فيقول هذه رقاش قد جاءت وهذه غلاب قد جاءت وهذه غلاب أخرى ولا اختلاف بين العرب في صرفه اذا كان نكرة وفي اعرابه في المعرفة وصرفه في النكرة اذا كان اسما لمذكر نحو رجل تسميه نزال أو رقاش أو حلاق فهو بمنزلة رجل سميته بعناق أو أتان لان التأنيث قد ذهب عنه فاحتج سيبويه في تصحيح هذا القول بانك لو سميت شيأ بالفعل الذي هو مأخوذ منه لانصرف بتة نحو انزل واضرب لو سميت بهما رجلا لجرى مجرى اصبع وأحمد واثمد ونحو ذلك فهذا يحيط بجميع هذا الباب • قال أبو العباس وقالت امرأة أحسبها من بني عامر بن صعصعة زوجت في طيئ

لا تحمدنّ الدهر أختٌ أخالها • ولا ترثينّ الدهر بنتٌ لوالد

هُمُ جعلوها حيث ليست بحرّة • وهُم طرحوها في الأقاصي الأباعد

ويروى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت انما النكاح رقّ فلينظر امرؤ من يُرقّ كريمته وعلى هذا جاءت اللغة فقالوا كنا في املاك فلان وفي ملاك فلان وفي ملك فلان وفي ملكة فلان وفي ملكان فلان ويقول الرجل ملكت المرأة وأملكنيها وليها ومن ذلك أن يمين الطلاق اذا وقع فيها حنث

الذنوب وانما يتفاضل بكثرة المحاسن وقلة المساوي فاما الاشتمال على جميع المحاسن والسلامة من جميع المساوي دقيقها وجليلها ظاهرها وخفيها فهذا ما يعرفونه فيهم فاذا كان الخلطاء من جمهور الناس وأهل المقاييس من زعماء الجماعة يرون ذلك واجبا في الاخلاق ومصلحة في المعاش وتدبيرا في التعامل على ما فيهم من مشاركة الخطأ للصواب وامتزاج الضعف بالقوة فلسنا نشك ان الامام

اغنا يكون محلُّها محل الاقرار بترك ما كان عليه كالعتاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أُوصيكم بالنساء فانهن عندكم عوان أى أسيرات ويقال عنى فلان فى بنى فلان اذا أقام فيهم أسيرا ويقال فلان يفكّ العناة وأصل التعنية التذليل وأصل الاسار الوثاق ويقال للقتب مأسور اذا شُدّ بالقد هذا أصل هذا فاما المثل فى قولهم انما فلان غُلّ قَمِل فانهم كانوا يتخذون الاغلال من القدّ فكانت تقمل وقال رجل يذكر امرأة زوجت من غير كفء

لقد فرح الواشون أن نال ثعلب • شبيهة ظبى مُقلتاها وجيدُها

أضرّ بها فقدُ الولى فاصبحت • بكفّ لئيم الوالدين يقودُها

ولما زوّج ابراهيم بن النعمان بن بشير الانصارى يحيى بن أبى حفصة مولى عثمان بن عفان ابنته على عشرين ألف درهم قال قائل يعيّره

لعمرى لقد جلّلت نفسك خزية • وخالفت فعل الاكرمين الاكارم

ولو كان جدّاك اللذان تتابعا • ببدر لما راما صنيع الألائم

فقال ابراهيم بن النعمان يردّ عليه

ما تركت عشرون ألفا لقائل • مقالا فلا تحفل ملامة لائم

وان آك قد زوّجت مولى فقد مضت • به سُنّة قبلى وحبّ الدراهم

وتزوج يحيى بن أبى حفصة وهو جدّ مروان الشاعر ويزعم النسّابون ان أباه كان يهوديا أسلم على يدى عثمان بن عفان وكان يحيى من أجود الناس وكان ذا يسار فتزوج خولة بنت مقاتل بن طلبة (الرواية المشهورة باسكان اللام وتسامح ابن سراج فى فتح اللام) ابن قيس بن عاصم سيد أهل الوبر ابن سنان بن خالد بن منقر ومهرها خرقا فى ذلك يقول القلاخ بن حزن

لم أر أثوابا أجرّ لخزية • وألأم مكسوّا وألأم كاسيا

من الخرق اللاتى صُببن عليكم • بحجر فكنّ المبقيات البواليا

فقال يحيى بن أبى حفصة يجيبه

تجاوزت حزنا رغبة عن بناته • وأدركت قيسا ثانيا من عنانيا

يقال ذلك للسابق اذا تقدم تقيّد ما بينا فبلغ الغاية فمن شأنه ان يثنى عنانه فينظر الى الخيل وقال

الاكبر والرئيس الاعظم مع الاعراق الكريمة والاخلاق الرفيعة والتمام فى العلم والحلم والكمال فى العزم والحزم مع التمكين والقدرة والفضيلة والرياسة والسيادة والخصائص التى معه من التوفيق والعصمة والتأييد وحسن المعونة لم يكن الله ليجلله لباس الخلافة ويحبوه ببهاء الامامة وبأعظم نعمه وأسبغها وأفضل كرامة وأسناها ثم وصل طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته الا ومعه من

الشاعر فمن يفخر بمثل أبي وجدي • يجيء قبل السوابق وهو ثاني

يريد ثاني عنانه وقال القلاخ في هذه القصة .

نُبّئتُ خولة قالت حين أنكحها • لطالما كنتُ منك العار أنتظر

أنكحت عبدين ترجو فضل مالهما • في فيك مما رجوت الترب والحجر

لله درّ جياد أنت سائسها • برذنتها وبها التحجيل والغرر

وقال جرير يعيبهم رأيت مقاتل الطلبات حلّى • فروج بناته كمر الموالي

لقد أنكحتم عبد العبيد • من الصهب المشوّهة السبال

فلا تفخر بقيس ان قيسا • خزيتم فوق أعظمه البوالي

وقال آخر في مثل هذه القصة .

ألا يا عباد الله قلبي متيّم • بأحسن من صلّى وأقبحهم بعلا

يدبّ على أحشائها كل ليلة • دبيب القرنبي بات يقرو نقا سهلا

القرنبي دويبة على هيئة الخنفس منقطة الظهر وربما كان في ظهرها نقطة حمراء وفي قوائمها طول على الخنفس وهي ضعيفة المشي وقال الفرزدق يعني عطية أبا جرير

قرنبي يحكّ قفا مقرف • لئيم مآثره قعدد

(ألف قرنبي ألف الحاق وليست للتانيث والقعدد اللئيم وجمعه قعادد) وفي هذا الشعر يقول

ألم تر أنّا بني دارم • زرارة منّا أبو معبد

ومنّا الذي منع الوائدات • وأحيا الوئيد فلم توأد

ألسنا بأصحاب يوم النسار • وأصحاب ألوية المربد

(النسار جبل تألفه النسور كثيرا فلذلك سمي بهذا الاسم)

ألسنا الذين تميم بهم • تُسامي وتفخر في المشهد

وناجية الخير والأقرعان • وقبر بكاظمة المورد

اذا ما أتى قبره عائذ • أناخ على القبر بالأسعد

أيطلب مجد بني دارم • عطية كالجعل الأسود

الحلم في موضع الحلم والعفو في موضع العفو والتغافل في موضع التغافل ما لا يبلغه فضل ذي فضل ولا حلم ذي حلم ونحن قائلون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فيما انتهى الينا من القول في الاتراك زعم محمد بن الجهم وثمامة بن الاشرس والقاسم بن سيار في جماعة ممن يغشون دار الخلافة وهي دار الامامة قالوا جميعا بينا حميد بن عبد الحميد جالسا ومعه أخشيد الصغدي وأبو شجاع شبيب بن بخار خداى

وتجد بني دارم دونه • مكان السماكين والفرقد

(الرفع في مكان أقوى وهو الوجه الجيد في العربية) قوله ألم تر أنا بني منقر منصوب على الاختصاص وقد مضى تفسيره وزرارة الذي ذكره زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم وكان زرارة يكنى أبا معبد وكان له بنون معبد ولقيط وحاجب وعلقمة والمأموم ويزعم قوم ان المأموم هو علقمة ومنهم شيبان بن زرارة وابنه يزيد بن شيبان النسابة وكان حاجب أذكر القوم ورووا أن عبد الملك ذكر يوما بني دارم فقال أحد جلسائه يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم محظوظون فقال عبد الملك أتقول ذلك وقد مضى منهم لقيط بن زرارة ولم يخلف عقبا ومضى القعقاع بن معبد ابن زرارة ولم يخلف عقبا ومضى محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة ولم يخلف عقبا والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدا وكان لقيط بن زرارة قتل يوم جبلة وأسر حاجب ففودي فزعم أبو عبيدة انه لم يكن عكاظي أغلى فداء من حاجب وكان أسره زهدم العبسي (اخو كردم) فلحقه ذو الرقيبة القشيري وبنو عبس يومئذ نازلة في بني عامر بن صعصعة فأخذه ذو الرقيبة بعزه وأنه في محل قومه فقال حاجب لما تنازع في الرجلان خفت ان أقتل بينهما فقلت حكماني في نفسي ففعلا فحكمت بسلاحي وركابي لزهدم وبنفسي لذي الرقيبة وكان حاجب يكنى أبا عكرشة وكان أحلم قومه وفي ذي الرقيبة يقول الشاعر (هو المسيب بن علس واسمه زهير ويكنى أبا الفضة)

ولقد رأيت القائلين وفعلهم • فلذي الرقيبة مالك فضل

كفاه مخلفة ومتلفة • وعطاؤه متدفق جزل

وفدي حاجب وقتل في ذلك اليوم لقيط وأسر عمرو بن عمرو بن عدس فلذلك يقول جرير يعير الفرزدق لان الفرزدق من بني مجاشع بن دارم وقد مضى ذكر هذا في الكتاب ولجرير في قيس خؤولة فلما هجا الفرزدق قيسا في أمر قتيبة بن مسلم الباهلي قال

أتاني وأهلي بالمدينة وقعة • لآل تميم أقعدت كل قائم

كأن رؤس الناس اذ سمعوا بها • مشدخة هاماتها بالأمائم

(حجارة تشدخ بها الرؤس الواحدة أميمة)

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة • وبين تميم غير حز الحلاقم

البلخي ويحيى بن معاذ ورجال من المعدودين المتقدمين في العلم بالحرب من أصحاب التجارب والمراس وطول المعالجة والمعاناة بصناعة الحرب اذ خرج رسول المأمون فقال لهم يقول لكم مفترقين ومجتمعين فليثبت كل رجل منكم دعواه وحجته يقول لكم أيما أحب الى كل قائد منكم اذا كان في مائة من نخبته وثقاته أن يلقى جهم مائة تركي أو مائة خارجي فقال القوم جميعا الآن نلقى مائة تركي أحب الينا من أن نلقى

اتغضب ان أذنا قتيبة حزتا • جهاراً ولم تغضب لقتل ابن خازم
وما منهما الا نقلنا دماغه • الى الشام فوق الشاحجات الرواسم
تذبذب فى المخلاة تحت بطونها • محذفة الاذناب جلح المقادم
وما أنتم من قيس فتنبح دونها • ولا من تميم فى الرؤس الاعاظم
تخوفنا أيام قيس ولم تدع • لعيلان أنفا مستقيم الخياشم
لقد شهدت قيس فما كان نصرها • قتيبة الا عضها بالاباهم

وقال جرير يجيبه
أباهل ما أحببت قتل ابن مسلم • ولا أن تروعوا قومكم بالمظالم

ثم قال يخوف الفرزدق
تحضض يا ابن القين قيسا ليجعلوا • لقومك يوما مثل يوم الاراقم
كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا • وعمرو بن عمرو اذ دعوا يال دارم
ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا • وشدات قيس يوم دير الجماجم
فيوم الصفا كنتم عبيدا لعامر • وبالحنو أصبحتم عبيد اللهازم
اذا عدت الايام أخزين دارما • وتخزيك يا ابن القين أيام دارم

أما قول الفرزدق
كان رؤس الناس اذ سمعوا بها • مشدخة هاماتها بالامائم

فان الشجاج مختلفة الاحكام فاذا كانت الشجة شقيقا ندى فهى الدامية واذا أخذت من اللحم شيئا فهى الباضعة واذا أمعنت فى اللحم فهى المتلاحمة فاذا هشمت العظم فهى الهاشمة واذا كان بينها وبين العظم جليدة رقيقة فهى السمحاق من أجل تلك الجليدة يقال ما على ترب الشاة من الشحم الا سماحيق أى طرائق فاذا خرجت منها عظام صغار فهى المنقلة وانما أخذ ذلك من النقل وهى الحجارة الصغار فاذا أوضحت عن العظم فهى الموضحة فاذا خرقت العظم وبلغت أم الدماغ وهى جليدة قد ألبست الدماغ فهى الآمة وبعض العرب يسميها المأمومة واشتقاق ذلك افضاؤها الى أم الدماغ ولا غاية بعدها قال الشاعر

يحج مأمومة فى قعرها لجف • فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

وقال ابن غلفاء الهجيمى يرد على يزيد بن عمرو بن الصعق فى هجائه بنى تميم

مائة خارجى وحميد ساكت فلما فرغ القوم جميعا من حججهم قال الرسول لحميد قد قال القوم فقل واكتب قولك وليكن حجة لك أو عليك قال بل أن ألقى مائة خارجى أحب الى لانى وجدت الخصال التى فضل بها التركى جميع المقاتلة غير تامة فى الخارجى ووجدتها تامة فى التركى ففضل التركى على الخارجى بقدر فضل الخارجى على سائر المقاتلة وذلك لان التركى بان من الخارجى بأمور ليس فيها للخارجى دعوى ولا متعلق على ان

فانك من هجاء بنى تميم • كمزداد الغرام الى الغرام
هُمُ تركوك أسلح من حبارى • رأت صقرا وأشرد من نعام
وهُمْ ضربوك أُمّ الرأس حتى • بدت أُمّ الشؤون من العظام
اذا بأسوتها جشأت اليهم • شرنبثة القوائم أمّ هام

(يريد غليظة القوائم) وابن خازم هو عبد الله بن خازم السُّلَمى وهو أحد غربان العرب فى الاسلام وكان من أشجع الناس وقتله بنو تميم بخراسان وكان الذى ولى قتله منهم وكيع بن الدورقية القريعى وقوله فوق الشاحجات يعنى البغال والرسيم ضربٌ من السير وانما عنى ههنا بغال البريد لقوله • محذوفة الاذناب جلح المقادم • كما قال امرؤ القيس

على كل مقصوص الذُّنابى مُعاوِدِ • بريد السُّرى بالليل من خيل بربرا

وكانت بُرُدُ ملوك العرب فى الجاهلية الخيل وأما قول جرير الجونين فقد مضى ذكرهما ويوم دير الجماجم يريد الحجاج فى وقعته بدير الجماجم بعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندى وقوله بالحنو أصبحتم عبيد اللهازم فاللهازم بنو قيس بن ثعلبة وبنو ذهل بن ثعلبة وبنو تيم اللات ابن ثعلبة وبنو عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل وبنو مازن بن صعب بن على ثم تلهزمت حنيفة بن لجيم فصارت معهم وأما علقمة بن زرارة فانه قتلته بنو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فقتل به حاجبٌ أخوه أشيم بن شراحيل القيسى فقال حاجبٌ فى ذلك

فان تقتلوا منّا كريما فاننا • أبأنا به مأوى الصعاليك أشيما
قتلنا به خير الضُّبيعات كلها • ضبيعة قيس لا ضبيعة أضجما

وكان يقال لاشيم مأوى الصعاليك وضبيعة أضجم الذى ذكره هو ضبيعة بن ربيعة بن نزار رهط المتلمّس هذا القبهم وأما معبد بن زرارة فان قيسا أسرته يوم رحرحان فساروا به الى الحجاز فاتى لقيطٌ فى بعض الاشهر الحُرُم ليفديه فطلبوا منه ألف بعير فقال لقيط ان آبانا أمرنا أن لا نزيد على المائتين فتطمع فينا ذؤبان العرب فقال معبدٌ يا أخى افدنى بمالى فانى ميت فأبى لقيط وأبى معبد أن يأكل أو يشرب فكانوا يشحون فاه ويصبون فيه الطعام والشراب لئلا يهلك فيذهب فداؤه فلم يزل كذلك حتى مات فقال جرير يعير الفرزدق وقومه بذلك

هذه الامور التى بان بها التركى من الخارجى أعظم خطرا وأكثر نفعا مما شاركه الخارجى فى بعضه ثم قال حميدوا الخصال التى يصول بها الخارجى على سائر الناس صدق الشدة عند أول وهلة وهى الدفعة التى يبلغون بها ما أرادوا وينالون بها ما أملوا والثانية الصبر على الخبب وعلى طول السرى حتى يصبحوا القوم الذين مرقوا بهم غادرين فيهجموا عليهم وهم بشر ولحم على وضم فيجعلوا بهم على الرؤية وعن رد

تركتم بوادى رَحْرحانَ نساءكُم • ويوم الصفا لاقيتمُ الشعبَ أوعَرا
سمعتم بنى مَجْد دعَوا يا لَ عامرٍ • فكنتم نعاما عند ذلكَ مُنفّرا
وأسلمت القلحاءُ فى الغُلِّ مَعْبَدا • ولاقى لقيطٌ حتفَه فتقطّرا

قوله سمعتم بنى مجد دعوا يا لَ عامر يعنى مَجْدَ بنت النضر بن كنانة ولدت ربيعة بن عامر بن صعصعة وولده بنو كلاب وبنو كعب وبنو عامر بن ربيعة والقلحاءُ لقب والقَلَحُ ان تركب الاسنانَ صفرةٌ تضربُ الى السواد ويقال لها الحَبَرَة لشدة تأثيرها أنشدنى المازنى

لستُ بسَعْدىّ على فيه حَبَرَةٌ • ولستُ بعَبْدىّ حقيبتُه التَمْرُ

وزعم أبو الحسن الاخفش (سعيد بن مَسْعَدَة) ان العرب تقول فى هذا المعنى فى أسنانه حِبِرَةٌ وليس ذلك بمعروف ولم يأت اسم على فِعِل الا إبِلٌ وإطِلٌ (وامرأة بِلِزٌ أى ضخمة قاله ابن قتيبة أما إبل فكما ذكر وأما إطِلٌ فليس كما ذكر واطِلٌ أصله إطْلٌ ثم حركت الطاءُ اتباعا لحركة الهمزة كما قالوا فى الجِلْد الجِلِد قال سيبويه ليس فى الاسماء والصفات فِعِلٌ الا إبِلٌ) وقوله ولاقى لقيطٌ حتفه فتقطّرا يقال قطّرهُ لجنبيه وقتّرهُ لغتان لان التاء من مخرج الطاء فان رمى به على قفاه قيل سلقه وسلقاه وبطحه لوجهه فان رمى به على رأسه قيل نكّتَه ۞ رجع التفسير الى شعر الفرزدق الاول • أما قوله ومنا الذى منع الوائدات فانه يعنى جده صعصعة بن ناجية بن عقال وكانت العرب فى الجاهلية تئدُ البنات ولم يكن هذا فى جميعها انما كان فى تميم بن مُرّ ثم استفاض فى جيرانهم فهذا قولٌ واحدٌ وقال قوم آخرون بل كان فى تميم وقيس وأسد وهذيل وبكر بن وائل لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدُدْ وطأتَكَ على مُضَرَ واجعلْها عليهم سنينَ كسنى يوسفَ وقال بعض الرواة اشدد وطدتَك والمعنى قريب يرجع الى الثقل فاجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوَبَرَ بالدمِ فكانوا يسمونه العِلْهِزَ ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم ودلّ على ما من أجله قتلوا البنات فقال ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إملاق وقال ولا يقتُلْنَ أولادهُنّ فهذا خبرٌ بيّنٌ ان ذلك للحاجة وقد روى بعضهم انهم انما فعلوا ذلك أنفةً وذكر أبو عبيدة معمرُ بن المُثنّى أن تميما منعت النُعْمانَ الاتاوةَ وهى الاَدْيانُ فوجّهَ اليهم أخاه الرَيّانَ بن المُنْذِر وكانت للنعمان خمسُ كتائبَ احداها الوَضائعُ وهم قوم من الفُرْسِ كان كِسْرى يضعُهُم عنده عُدّةً ومَدَدًا فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لَخْم فاذا

النفس بعد الجولة والنزوة لا يظنون أن أحدا يقطع فى ذلك المقدار من الزمان ذلك المقدار من البلاد والثالثة ان الخارجى موصوف عند الناس بانه ان طاب أدرك وان طلب فات والرابعة خفة الازواد وقلة الامتعة وانما تجنب الخيل وتركب البغال وان احتاجت أمست بأرض وأصبحت بأخرى وانهم قوم حين خرجوا لم يخلفوا الأموال الكثيرة والجنان المتفة والدور المشيدة ولا ضياعا ولا

كان فى رأس الحول ردّهم الى أهاليهم وبعث بمثلهم وكتيبة يقال لها الشهباء وهى أهل بيت الملك وكانوا بيض الوجوه يسمّون الاشاهب وكتيبة ثالثة يقال لها الصنائع وهم صنائع الملك أكثرهم من بكر بن وائل وكتيبة رابعة يقال لها الرهائن وهم قوم كان يأخذهم من كل قبيلة فيكونون رهناً عنده ثم يوضع مكانهم مثلهم والخامسة دوسر وهى كتيبة ثقيلة تجمع فرساناً وشجعاناً من كل قبيلة فأغزاهم أخاه وجلّ من معه بكر بن وائل فاستاق النعم وسبى الذرارىّ وفى ذلك يقول أبو المشمرج اليشكرى

لما رأوا راية النعمان مقبلة • قالوا ألا ليت أدنى دارنا عدن

ياليت أم تميم لم تكن عرفت • مرًّا وكانت كمن أودى به الزمن

ان تقتلونا فأعيار مجدّعة • أو تنعموا فقديماً منكم المنن

منهم زهير وعتّاب ومحتضر • وابنا لقيط وأودى فى الوغا قطن

ويقول النعمان فى جواب هذا

لله بكر غداة الروع لو بهم • أرمى ذرا حضن زالت بهم حضن

اذ لا أرى أحداً فى الناس أشبههم • الا فوارس خامت عنهم اليمن

وهذا خبر طويل فوفدت اليه بنو تميم فلما رآها أحب البقيا فقال

ماكان ضرّ تميماً لو تغمّدها • من فضلنا ما عليه قيس عيلان

فاناب القوم وسألوه النساء فقال النعمان كل امرأة اختارت أباها رُدّت اليه وان اختارت صاحبها تُركت عليه فكلهن اختارت أباها الا ابنة لقيس بن عاصم فانها اختارت صاحبها عمرو بن المشمرج فنذر قيس أن لا تولد له ابنة الا قتلها فهذا شئ يعتلّ به من وأد ويقول فعلناه أنفة وقد أكذب ذلك بما أنزل الله تعالى فى القرآن وقال ابن عباس رحمه الله فى تأويل هذه الآية وكانوا لا يورّثون ولا يتخذون الا من طاعن بالرمح ومنع الحريم يريد الذكران وروت الرواة ان صعصعة بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم قال يارسول الله انى كنت أعمل عملاً فى الجاهلية أفينفعنى ذلك اليوم قال وما عملك قال أضللت ناقتين عشراوين فركبت جملاً ومضيت فى بغائهما فرفع لى بيت حريد فقصدته فاذا شيخ جالس بفناء الدار فسألته عن الناقتين فقال ما نارهما قلت ميسم بنى

مستقلات ولا جوارى مطهمات وانهم لا سلب لهم ولا مال معهم فيرغب الجند فى لقائهم واغاهم كالطير لا تدخر ولا تهتم لغد ولها فى كل أرض من المياه والبرور ما يقوتها وان لم تجد ذلك فى بعض البلاد فأجنحتها تقرب لها البعيد وتسهل لها الحزون وكذلك الخوارج لا تمتنع عليهم القرى والطعم فان تمتنع عليهم ففى بنات أعوج وبنات شجاج وخفة الانقال والقوة على طول الخبب ما يأتيها بأرزاقها وأكثر من

دارم فقال هما عندي وقد أحيا الله بهما قوما من أهلك من مضر فجلست معه لنخرجا الي فاذا عجوز قد خرجت من كسر البيت فقال لها ما ولدت فان كان سقبا شاركنا في أموالنا وان كانت حائلا وأدناها فقالت العجوز وضعت أنثى فقلت أتبيعها قال وهل تبيع العرب أولادها قال قلت انما اشترى منك حياتها ولا اشترى رقها قال فبكم قلت احتكم قال بالناقتين والجمل قال قلت ذاك لك على ان يبلغني الجمل واياها قال ففعل فآمنت بك يا رسول الله وقد صارت لي سنة في العرب على أن اشترى كل موؤدة بناقتين عشراوين وجمل فعندي الى هذه الغاية ثمانون ومائتا موؤدة فقد أنقذتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفعك ذلك لانك لم تبتغ به وجه الله وان تعمل في اسلامك عملا صالحا تثب عليه وكان ابن عباس يقرأ واذا الموؤدة سألت باي ذنب قتلت وقال أهل المعرفة في قول الله عز وجل واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت انما تسئل تبكيتا لمن فعل ذلك بها كما قال الله تعالى يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقوله وئدت انما هو أثقلت بالتراب يقال للرجل اتئد أي تثبت وتثقل كما يقال توقر قال قصير صاحب جذيمة (هذا وهم من أبي العباس وانما هو للزباء)

ما للجمال مشيها وئيدا • أجندلا يحملن أم حديدا • (أم صرفانا باردا شديدا)

وقوله أضللت ناقتين عشراوين أضللت ضالتين وتحقيقه صادفتهما ضالتين كما قال (لرجل من قضاعة يقال له مالك بن عمرو وقبله

لا وجد ثكلى كما وجدت ولا • وجد عجول أضلها ربع)

أو وجد شيخ أضل ناقته • حين تولى الحجيج فاندفعوا

والعشراء الناقة التي قد أتى عليها منذ حملت عشرة أشهر وانما حمل الناقة سنة وقوله ما نارهما يريد ما وسمهما كما قال

قد سقيت آبالهم بالنار • والنار قد تشفي من الأوار

أي عرف وسمهم فلم يمنعوا الماء وقوله فاذا بيت حريد يقول منتح عن الناس وهذا من قولهم انحرد الجمل اذا تنحى عن الاناث فلم يبرك معها ويقال في غير هذا الموضع حرد حرده أي قصد قصده قال الراجز

قد جاء سيل جاء من أمر الله • يحرد حرد الجنة المغله

وقالوا في قوله عز وجل وغدوا على حرد قادرين أي على قصد كما ذكرنا وقالوا هو أيضا على منع من

أرزاقها والخامسة ان الملوك اذا أرسلوا اليهم أعدادهم ليكونوا في خفة أزوادهم وأثقالهم وليقووا على التنقل كقوتهم لم يقووا عليهم لان مائة من الجند لا يقومون لمائة من الخوارج وان كثفوا الجيش وضاعفوا العدد ثقلوا عن طلبهم وعن الفوت ان طلبهم عدوهم ومتى شاء الخارجي ان يقرب منهم ليتطرفهم أو ليصيب الغرة أو ليثبتهم فعل ذلك ثقة بانه يقيم عند الفرصة ورؤية

قولهم حاردت الناقة اذا منعت لبنها وحاردت السنة اذا منعت مطرها والبعير الاحرد هو الذى يضرب بيده وأصله الامتناع من المشى وأما قوله

وقبر بكاظمة المورد * اذا ما أتى قبره خائف * أناخ على القبر بالاسعد

فانه يعنى قبر أبيه غالب بن صعصعة بن ناجية وكان الفرزدق يجير من استجار بقبر أبيه وكان أبوه جوادا شريفا ودخل الفرزدق البصرة فى امرة زياد فباع ابلا كثيرة وجعل يصر أثمانها فقال له رجل انك لتصر أثمانها ولو كان غالب بن صعصعة ما صرها ففتح الفرزدق تلك الصرر ونثر المال وبلغ الخبر زيادا فطلبه فهرب الفرزدق وله فى هربه حديث طويل واستجارته بسعيد بن العاص بالمدينة نذكره بعد هذا ان شاء الله فممن استجار بقبر غالب فأجاره الفرزدق امرأة من بنى جعفر ابن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بنى جعفر بن كلاب أن يسميها او يشبب بها فعاذت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال فى كلمته التى يهجو فيها بنى جعفر بن كلاب

عجوز تصلى الخمس عاذت بغالب * فلا والذى عاذت به لا أضيرها

ومن ذلك أن الحجاج لما ولى تميم بن زيد القينى السند دخل البصرة فجعل يخرج من أهلها من شاء فجاءت عجوز الى الفرزدق فقالت انى استجرت بقبر أبيك وأتت منه بحصيات فقال لها وما شأنك فقالت ان تميم بن زيد خرج بابن لى معه ولا قرة لعينى ولا كاسب لى غيره فقال لها وما اسم ابنك فقالت خنيس فكتب الى تميم بن زيد مع بعض من شخص

تميم بن زيد لا تكونن حاجتى * بظهر فلا يعيا على جوابها

وهب لى خنيسا واحتسب فيه منة * لعبرة أم ما يسوغ شرابها

أتتنى فعاذت يا تميم بغالب * وبالحفرة السافى عليها ترابها

وقد علم الاقوام أنك ماجد * وليث اذا ما الحرب شب شهابها

فلما ورد الكتاب على تميم تشكك فى الاسم فقال أحبيش أم خنيس ثم قال انظروا من له مثل هذا الاسم فى عسكرنا فأصيب ستة ما بين حبيش وخنيس فوجههم اليه ومنهم مكاتب لبنى منقر تلمع بمكاتبته فأتى قبر غالب فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن فى عمامته ثم أتى الفرزدق فأخبره خبره وقال انى قد قلت شعرا فقال هاته فقال

العورة ويمكنه الهرب عند الخوف وان شاء كبسهم ليقطع نظامهم أوليقتطع القطعة منهم قال حميد فهذه هى مفاخرهم وخصالهم التى بها كره القواد لقاءهم قال القاسم بن سيار وخصلة أخرى وهى التى أرعبت القلوب وحشتها ونقضت العزائم وفسخها وهو ما تسمع الاجناد ومقاتلة العوام من ضرب المثل بالخوارج كقول الشاعر اذا ما رأى الخيل المحاذى القرى

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعدما ٭ خشيت الردى أو أن أرد على قسر

بقبر امرئ تقري المئين عظامه ٭ ولم يك الا غالبا ميت يقري

فقال لي استقدم أمامك انما ٭ فكاك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق ما اسمك قال لهذم قال يا لهذم حكمك مسمطا قال ناقة كوماء سوداء الحدقة قال ياجارية اطرحي الينا حبلا ثم قال يا لهذم اخرج بنا الى المربد فالقه في عنق ماشئت فتخير العبد على عينه ثم رمى بالحبل في عنق ناقة وجاء صاحبها فقال له الفرزدق اغد على في ثمنها فجعل لهذم يقودها والفرزدق يسوقها حتى اذا نفذ بها من البيوت الى الصحراء صاح به الفرزدق يا لهذم قبح الله أخسرنا (قوله تقري المئين عظامه يريد أنهم كانوا ينحرون الابل عند قبور عظمائهم فيطعمون الناس في الحياة وبعد الممات وهذا معروف في أشعارهم) قوله ولم يك الا غالبا ميت يقري فانه نصب غالبا لانه استثناء مقدم وانما انتصب الاستثناء المقدم لما أذكره لك وذلك أن حق الاستثناء اذا كان الفعل مشغولا به أن يكون جاريا عليه لا يكون فيه الا هذا تقول ما جاءني الا عبد الله وما رأيت الا عبد الله وما مررت الا بعبد الله فان كان الفعل مشغولا بغيره فكان موجبا لم يكن في المستثنى الا النصب نحو جاءني اخوتك الا زيدا كما قال تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم ونصب هذا على معنى الفعل والدليل على ذلك فاذا قلت جاءني القوم لم يؤمن أن يقع عند السامع أن زيدا أحدهم فاذا قال الا زيدا فالمعنى لا أعني فيهم زيدا أو استثني ممن ذكرت زيدا ولسيبويه فيه تمثيل والذي ذكرت لك أبين منه وهو مترجم عما قال غير مناقض له وان كان الاول منفيا جاز البدل والنصب والبدل أحسن لان الفعل الظاهر أولى بان يعمل من المختزل الموجود بدليل وذلك قولك ما أتاني أحد الا زيد وما مررت باحد الا زيد والفصل بين المنفي والموجب أن المبدل من الشئ يفرغ له الفعل فانت في المنفي اذا قلت ما جاءني أحد الا زيد اذا حذفت على جهة البدل صار التقدير ما جاءني الا زيد لانه بدل من أحد والموجب لا يكون فيه البدل لانك اذا قلت جاءني اخوتك الا زيدا لم يجز حذف الاول لا تقول جاءني الا زيد وان شئت ان تقول في النفي ما جاءني أحد الا زيدا جاز ونصبه بالاستثناء الذي شرحت لك في الواجب والقراءة الجيدة ما فعلوه الا قليل منهم وقد قرئ الا قليلا منهم على ما شرحت لك في الواجب والقراءة الاولى فاذا قدمت المستثنى بطل البدل

رأى الضيف مثل الازرق المخنف

هذه زيادة القاسم بن سيار وأما حميد فانه قال فاما الشدة فالتركي فيها أحد أثرا وأجمع أمرا وأحكم شأنا لان التركي من أجل ان تصدق شدته ويتمكن عزمه ولا يكون مشترك العزم ومنقسم الخواطر قد عود برذونه ان لا ينثني وان ثناه فلا علا ذروجه الا ان يديره مرة أو مرتين والا فانه لا يدع سننه ولا يقطع ركضه وانما أراد التركي ان يؤيس نفسه من البدرات ومن ان

لانه ليس قبله شئ يبدل منه فلم يكن فيه الا وجه الاستثناء فتقول ماجاءنى الا أباك أحد وما مررت الا أباك بأحد وكذلك تنشد هذه الاشعار قال كعب بن مالك الانصارى لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الناس ألب علينا فيك ليس لنا • الا السيوف وأطراف القنا وزر

وقال الكميت بن زيد

فمالى الا آل أحمد شيعة • ومالى الا مشعب الحق مشعب

لا يكون الا هذا وليونس قول مرغوب عنه فلذلك لم نذكره وقوله فقال لى استقدم أمامك مخبر عن الميت بالقول فان العرب وأهل الحكمة من العجم تجعل كل دليل قولا فمن ذلك قول زهير

• أمن أم أوفى دمنة لم تكلم •

وانما كلامها عنده أن تبين عما يرى من الآثار فيها من قدم أهلها وحدثان عهدهم ويروى عن بعض الحكماء أنه قال هلا وقفت على المعاهد والجنان فقلت أيتها الجنان من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وأهل النظر يقولون فى قول الله عز وجل قالتا أتينا طائعين لم يكن كلام انما فعل عز وجل ما أراد فوجد قال الراجز

قد ختق الحوض وقال قطنى • سلا رويدا قد ملأت بطنى

ولم يكن كلام انما وجد ذلك فيه وكذلك قوله

فقال لى استقدم أمامك انما • فكاكك ان تلقى الفرزدق بالمصر

أى قد جربت مثل هذا منك فى المستجير بقبره وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى فى اسناد قد ذهب عنى أكثره قال نزل النعمان بن المنذر ومعه عدى بن زيد فى ظل شجرة مونقة ليلهو النعمان هناك فقال له عدى بن زيد أيها الملك أبيت اللعن أتدرى ما تقول هذه الشجرة قال وما الذى تقول قال تقول

(من رآنا فليحدث نفسه • أنه موف على قرن زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها • ولما تأتى به صم الجبال)
رب ركب قد أناخوا حولنا • يمزجون الخمر بالماء الزلال
(والاباريق عليها فدم • وجياد الخيل تردى فى الجلال
عمروا الدهر بعيش حسن • قطعوا دهرهم غير عجال)
ثم أضحوا عصف الدهر بهم • وكذاك الدهر حالا بعد حال

يعتريه التكذيب بعد الاعتزام لهول اللقاء وحب الحياة لانه اذا علم انه قد صير برذونه الى هذه الغاية حتى لا ينثنى ولا يجيبه الى التصرف معه الا بان يصنع شيأ بين الصفين فيه عطبه لم يقدم على الشدة الا بعد احكام الأمر والبصر بالعودة وانما يريد ان يشبه نفسه بالمخرج الذى اذا رأى أشد القتال لم يدع جهدا ولم يدخر حيلة ولينفى عن قلبه خواطر الفرار ودواعى الرجوع وقال الخارجى عند الشدة انما

قال فتنغص النعمان وهذا فى الامثال كثير وفى الاشعار السائرة وأما قوله حكمك مسمطا فاعرابه أنه أراد لك حكمك مسمطا واستعمل هذا فكثر حتى حذف استخفافا لعلم السامع بما يريد القائل كقولك الهلال والله أى هذا الهلال وأغنى عن قوله هذا القصد والاشارة وكان يقال لرؤبة كيف أصبحت فيقول خير عافاك الله فلم يضمر حرف الخفض ولكنه حذف لكثرة الاستعمال والمسمط المرسل غير المردود والكوماء العظيمة السنام

((باب))

قال أبو العباس قال الليثى (هو الجاحظ) أعتق سعيد بن العاصى أبا رافع الا سهما واحدا فيه من أسهم لم يسم عدده النافاشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك السهم فأعتقه وكان لابى رافع بنون أشراف منهم عبيد الله بن أبى رافع وحديثه أثبت الحديث عن على بن أبى طالب وكان كالكاتب له وكان عبيد الله بن أبى رافع شريفا وكان عبيد الله ينتسب الى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ولى عمرو بن سعيد الاشدق المدينة لم يعمل شيأ قبل ارساله الى عبيد الله بن أبى رافع فقال له مولى من أنت فقال له مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبرزه فضربه مائة سوط ثم قال له مولى من أنت فقال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه مائة أخرى فلما رأى عبد الله أناه غير راجع وأن عمرا قد ألح عليه فى ضربه قام الى عمرو فقال له اذكر الملح فأمسك عنه والملح ههنا اللبن يريد الرضاع كما قال أبو الطمحان القينى

وانى لارجو ملحها فى بطونكم • وما بسطت من جلد أشعث أغبرا

(كذا وقعت الرواية والصواب أغبر لان قبله

ولو علمت صرف البيوع لسرها • بمكة أن تبتاع حمضا باذخر

قاله ش) وكما قال الآخر

لا يبعد الله رب العبا • د والملح ما ولدت خالده

ويروى ان عبيد الله بن أبى رافع أتى الحسن بن على بن أبى طالب فقال انا مولاك فقال فى ذلك مولى لتمام بن عباس بن عبد المطلب يعذله ويعيره

جحدت بنى العباس حق أبيهم • فما كنت فى الدعوى كريم العواقب

متى كان أولاد البنات كوارث • يحوز ويدعى والدا فى المناسب

يعتمد على الطعان والاتراك تطعن طعن الخوارج وان شد منهم ألف فارس فرموا رشقا واحدا صرعوا ألف فارس فما بقى جيش على هذا النوع من الشدة والخوارج والاعراب ليست لهم رماية مذكورة على ظهور الخيل والتركى يرمى الوحش والطير والبرجاس والناس والجثمة والمثل الموضوعة والطائر الخاطف ويرمى وقد ملأ فروج دابته مدبرا ومقبلا ويمنة ويسرة وصعدا وسفلا ويرمى العشرة

يريد ان العباس أولى بولاء مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان العم مدعوٌّ والد فى كتاب الله تعالى وهو يحوز الميراث وقال رجل من الثقفيين أنشدتُ مروان بن أبى حفصة هذين البيتين فوقع عندى أنه من هذا أخذ قوله

أنَّى يكون وليس ذاك بكائن • لبنى البنات وراثة الأعمام

ألغى سهامهم الكتابُ فهالهم • أن يشرعوا فيه بغير سهام

وقال طاهر بن على بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس للطالبيين

لو كان جدُّكم هناك وجدُّنا • فتنازعا فيها الوقت خصام

كان التراثُ لجدِّنا من دونه • حواه بالقربى وبالاسلام

حقُّ البنات فريضةٌ معروفةٌ • والعمُّ أولى من بنى الأعمام

وذكر الزبيريون عن ابن الماجشون قال جاءنى رجل من ولد أبى رافع فقال انى قد قاولتُ رجلا من موالى بعض العرب فقلت أنا خير منك فقال بل أنا خير منك فما الذى يجب لى عليه فقلت ليس فى هذا شئ فقال أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزعم انه خير منى قال قلت قد ينصرف هذا على غير الحسب قال فلما رآنى لا أقضى له بشئ قال لى أنت دافع مغرما الآن ولائى عندك ليس فى موضع مرضى قال وصدق فى بنى تيم لتيم من هو أشرف ولا مى • وحدثت ان أسامة بن زيد قاول عمرو بن عثمان فى أمر ضيعة يدعيها كل واحد منهما فلجت بهما الخصومة فقال عمرو يا أسامة أتأنف ان تكون مولاى فقال اسامة والله ما يسرنى بولائى من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبك ثم ارتفعا الى معاوية فلجا بين يديه فى الخصومة فتقدم سعيد بن العاصى الى جانب عمرو فجعل يلقنه الحجة فتقدم الحسن الى جانب اسامة يلقنه فوثب عتبة بن أبى سفيان فصار مع عمرو ووثب الحسين فصار مع اسامة فقام عبد الرحمن بن أم الحكم فجلس مع عمرو فقام عبد الله بن العباس فجلس مع اسامة فقام الوليد بن عقبة فجلس مع عمرو فقام عبد الله بن جعفر فجلس مع أسامة فقال معاوية الجلية عندى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقطع هذه الضيعة أسامة فانصرف الهاشميون وقد قضى لهم فقال الأمويون لمعاوية هلا اذ كانت هذه القضية عندك بدأت بها قبل التحزب أو أخرتها عن هذا المجلس فتكلم بكلام يدفعه بعض الناس وكان

الأسهم قبل ان يفوق الخارجى سهما واحدا ويركض دابته مصعدا من سهل أو متسفلا الى بطن واد بأكثر مما يمكن الخارجى على بسيط الأرض والتركى له أربعة أعين عينان فى وجهه وعينان فى قفاه وللخارجى عيب فى مستدبر الحرب وللخراسانى عيب فى مستقبل الحرب فعيب الخراسانية أن لها جولة عند أول الالتقاء فان ركبوا أكساءهم كانت هزيمتهم وكثيرا ما يثوبون وذلك بعد الخطار بالعسكر

الذى اعتدّ به الحجاج بن يوسف على سعيد بن جُبَير لمّا أُتِىَ به اليه بعد انقضاء أمر ابن الاشعث وكان سعيد عبدا لرجل من بنى أَسَد بن خُزَيمة فاشتراه سعيد بن العاصى فى مائة عبد فأعتقهم جميعا فقال له الحجاج يا شقىّ بن كُسَير أما قدمتَ الكوفة وليس يؤمّ بها الا عربىّ فجعلتك اماما قال بلى قال أفما وَلَّيتُك القضاء فضجّ أهل الكوفة وقالوا لا يصلح القضاء الا لعربىّ فاستقضيت أبا بُردة بن أبى موسى الاشعرىّ وأمرته ان لا يقطع أمرا دونك قال بلى قال أوما جعلتك فى سُمّارى وكلّهم من رؤس العرب قال بلى قال أوما أعطيتك مائة ألف درهم لتفرّقها فى أهل الحاجة ثم لم أسألك عن شىء منها قال بلى قال فما أخرجك علىّ قال بيعةٌ كانت لابن الاشعث فى عنقى فغضب الحجاج ثم قال أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك فى عنقك قبل والله لاقتلنّك يا حرسىّ اضرب عنقه ونظر الحجاج فاذا جُلُّ من خرج مع عبد الرحمن من الفقهاء وغيرهم من الموالى فأحبّ ان يزيلهم عن موضع الفصاحة والآداب ويخلطهم بأهل القرى والانباط فقال انما الموالى عُلوج وانما أُتِىَ بهم من القُرى فقُراهم أولى بهم فأمر بتسييرهم من الامصار وافرار العرب بها وأمر بان يُنقَش على يد كل انسان منهم اسم قريته وطالت ولايته فتوالد القوم هناك فخبثت لغات أولادهم وفسدت طباعهم فلما قام سليمان بن عبد الملك أخرج من كان فى سجن الحجاج من المظلومين فيقال انه أخرج فى يوم واحد ثمانين ألفا وردّ المنقوشين فرجعوا فى صورة الانباط ففى ذلك يقول الراجز

جارية لم تدر ما سَوقُ الابل ٭ أخرجها الحجاجُ من كِنٍّ وظلّ
لو كان بدرٌ حاضرا وابن جمل ٭ ما نُقِشَت كفّاك فى جلد جمل

وقال شاعر لاهل الكوفة لما استُقضِىَ عليهم نوح بن درّاج (ينسب للفرزدق)

يا أيها الناس قد قامت قيامتُكم ٭ اذ صار قاضيكم نوحُ بن درّاج
لو كان حيًّا له الحجاجُ ما سَلِمت ٭ كفّاه ناجيةً من نقش حجّاج

ويروى عن حسّان المعروف بالنبطىّ صاحب منارة حسّان فى البطيحة قال أُريتُ الحجاج فيما يرى النائم فقلت أصلح الله الامير ما صنع الله بك فقال يا نبطىّ أهذا عليك قال فرأيتنا لا نُفلت من نقشه فى الحياة ومن شتمه بعد الوفاة ويروى عن حسان انه قصّ هذه الرؤيا على محمد بن سيرين فقال له ابن سيرين لقد رأيت الحجاج بالصحة قال أبو العباس وحُدِّثتُ من ناحية الزبيريين ان الخفاف بن حكيم

واطماع العدو فى الشدة والخوارج اذا ولوا فقد ولوا وليس لهم بعد الفرار كرّ الا ما لا يعتد والتركى ليست له جولة الخراسانى واذا أدبر فهو السم الناقع والحتف القاضى لانه يصيب بسهمه وهو مدبر كما يصيب بسهمه وهو مقبل ولا يؤمن رهقه قال وهم قد علموا الفرسان حمل قوسين وثلاث قسى ومن الاوتار على حساب ذلك قال والتركى فى حال شدته معه كل شىء يحتاج اليه لنفسه وسلاحه

دخل على عبد الملك والأخطل عنده فلما بصر به الأخطل قال

ألا أبلغ الجحّاف هل هو ثائر • بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فقال الجحّاف بلى سوف نبكيهم بكل مهند • ونبكي عميرا بالرماح الخواطر

ثم قال يا ابن النصرانية ما ظننتك تجترئ على بمثل هذا ولو كنت مأسوراً لك فحمّ الأخطل خوفا فقال له عبد الملك أنا جارك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتني منه في اليقظة فمن يجيرني منه في النوم ومن هذا أو نحوه أخذ السلمي قوله (قال أبو الحسن هو أشجع السلمي يقوله للرشيد)

وعلى عدوك يا ابن عم محمد • رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته واذا هدا • سلت عليه سيوفك الاحلام

وكان العديل بن الفرخ العجلي هاربا من الحجاج فجعل لا يحل ببلدة الا ريع لأن يراه من آثار الحجاج فيهرب حتى أبعد ففي ذلك يقول العديل

يخوفني الحجاج حتى كأنما • يحرك عظم في الفؤاد مهيض

ودون يد الحجاج من أن تنالني • بساط لأيدي اليعملات عريض

فلم ينشب أن أتي به الحجاج ففي ذلك يقول العديل

فلو كنت في سلمى أجا وشعابها • لكان لحجاج على دليل

بني قبة الاسلام حتى كأنما • أتى الناس من بعد الضلال رسول

أجا وسلمى جبلا طيئ وأجا مهموز وانما هو أجأ مقصور فاعلم قال زيد الخيل

جلبنا الخيل من أجا وسلمى • تخب نزائعا خبب الذئاب

والشاعر اذا احتاج الى قلب الهمزة قلبها ان كانت الهمزة مكسورة جعلها ياء أو ساكنة جعلها على حركة ما قبلها وان كانت مفتوحة وقبلها فتحة جعلها ألفا وان كانت مفتوحة وقبلها كسرة جعلها ياء وان كانت قبلها ضمة جعلها واوا قال الفرزدق

راحت بمسلمة البغال عشية • فارعي فزارة لا هناك المرتع

وقال حسان بن ثابت سالت هذيل رسول الله فاحشة • ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

وقال عبد الرحمن بن حسان وكنت أذل من وتد بقاع • يشجج رأسه بالفهر واجي

ولدابته وأداة دابته فاما الصبر على الخبب ومواصلة السير وعلى طول السرى وقطع البلاد فظاهر أن فرس الخارجي لا يصبر صبر برذون التركي والخارجي لا يحسن ان يعالج فرسه الا معالجة الفرسان لخيولهم والتركي أحذق من البيطار وأجود تقويما لبرذونه على ما يريد من الراضة وهو استنتجه وهو رباه فلوا ويتبعه ان سماه وان ركض خلفه قد عوده حتى عرفه كما يعرف الفرس أجذم

وأما قول الفرزدق فانه يقول لما عُزِلَ مَسْلَمةُ بن عبد الملك عن العراق بعد قتله يزيد بن المهلب لحاجة الخليفة الى قربه وولى عمر بن هُبَيرة فقال

راحت بمَسْلمةَ البِغالُ عشيةً • فارعَيْ فزارةُ لاهَناكِ المرتَعُ

ولقد علمتُ اذا فزارةُ أُمِّرتْ • ان سوف تطمعُ في الامارة أشجعُ

فارى الامورَ تنكّرتْ أعلامُها • حتى أُميّةُ عن فزارةَ تنزعُ

عُزِلَ ابنُ عمرو وابن بشر قبلهُ • وأخو هَراةَ لمثلها يتوقّعُ

(تنزع رواية عاصم فمن روى تُنزَعُ بضم التاء يعني تُعزَلُ ومن روى بفتح التاء وكسر الزاي فهو من النزع في القوس وهو الرمي يشير الى أنهم احتاجوا الى رأيها وأنها ترمي عن قوسها) في جواب هذا يقول الأسديُّ لما ولي خالد بن عبد الله القسريّ

بكتِ المنابرُ من فزارةَ شجوَها • فالآن من قَسْرٍ تضجُّ وتخشعُ

وملوكُ خندفَ أسلمونا للعدى • لله درُّ ملوكنا ما تصنعُ

(كانوا كتاركة بنيها جانبًا • سفهًا وغيرَهم تصون وترضعُ)

وأما قول حسان سالت هذيلُ رسولَ الله فاحشة فليس من لغته سلتُ أسال مثل خفتُ أخاف وهما يتساولان هذا من لغة غيره وكانت هذيل سألتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ان يحلّ لها الزنا ويروى ان أسديًّا وهذليًّا تفاخرا فرضيا برجل فقال اني ما أقضي بينكما الا ان تجعلا لي عقدا وثيقا أن لا تضرباني ولا تشتماني فاني لستُ في بلاد قومي ففعلا فقال يا أخا بني أسد كيف تُفاخر العربَ وأنت تعلم انه ليس حيٌّ أحبَّ الى الجيش ولا أبغضَ الى الضيف ولا أقلّ تحت الرايات منكم وأما أنتَ يا أخا هُذيل فكيف تكلّم الناس وفيكم خلالٌ ثلاثٌ كان منكم دليلُ الحبشة على الكعبة ومنكم خَوْلةُ ذاتُ النّحيين وسألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يُحلّ لكم الزنا ولكن اذا أردتما بنِي مُضَر فعليكما بهذين الحيّين من تميم وقيس قوما في غير حفظ الله وأما بيتُ عبد الرحمن بن حسان فانه يقوله لعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي وكان يهاجيه فقال له في كلمته

وأما قولك الخلفاءُ منا • فهم منعوا وريدك من وداج

ولولاهم لكنتَ كحوت بحرٍ • هوى في مُظلم الغمرات داجي

والناقة حلى والجمل جأ والبغل عدس والحمار سأسا وكما يعرف المجنون لقبه والصبي اسمه ولو حصرت مدة عمر التركي وحسبت أيامه لوجدت جلوسه على ظهر الارض نادرا والتركي يركب فحل ارماكه ويخرج غازيا أو مسافرا أو متباعدا في طلب صيد أو سبب من الاسباب فتتبعه الرمكة وأفلاؤها ان أعياه اصطيادا الناس اصطاد الوحش وان أخفق منها واحتاج الى طعام فصد

وكنت أذل من وتد بقاع • يشجج رأسه بالفهر واجى

وكان أحد من هرب من الحجاج سوار بن المضرب (بفتح الراء) ففى ذلك يقول

أقاتلى الحجاج ان لم أزر له • دراب وأترك عند هند فؤاديا

فان كان لا يرضيك حتى تردنى • الى قطرى ما اخالك راضيا

اذا جاوزت درب المجيزين ناقتى • فباست أبى الحجاج لما ثنانيا

أيرجو بنو مروان سمعى وطاعتى • وقومى تميم والفلاة ورائيا

(فاعل يرضيك مضمر أو منوى تقديره فان كان لا يرضيك الارضاء ولا يجوز أن يكون ما بعد يرضيك الفاعل لان سيبويه رحمه الله قال الفاعل لا يكون جملة وحتى تردنى جملة قاله ابن الابرش) وورائى هاهنا بمعنى أمامى قال الله عز وجل وانى خفت الموالى من ورائى وقال جل ثناؤه وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وممن هرب من الحجاج محمد بن عبد الله بن نمير الثقفى وكان يشبب بزينب بنت يوسف أخت الحجاج وهو القائل فيها

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت • به زينب فى نسوة عطرات

يخبئن أطراف البنان من التقى • ويخرجن شطر الليل معتجرات

فى كلمة له فلما أتى به الحجاج قال

هالذى يدى ضاقت بى الارض رحبها • وان كنت قد طوفت كل مكان

فلو كنت بالعنقاء أو بأسومها • لخلتك الا أن تصد ترانى

(من رفع رحبها فعلى البدل ومن نصب فعلى الظرف قاله ش وأسومها بفتح الهمزة وبالضم والفتح أحسن ش) ثم قال والله أيها الامير ان قلت الا خيرا انما قلت

يخبئن أطراف البنان من التقى • ويخرجن شطر الليل معتجرات

فعفا عنه ثم قال له اخبرنى عن قولك

ولما رأت ركب النميرى أعرضت • وكن من ان يلقينه حذرات

ما كنتم قال كنت على حمار هزيل ومعى صاحب لى على أتان مثله وممن هرب منه مالك بن الريب المازنى أحد بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وفى ذلك يقول

دابة من دوابه وان عطش حلب رمكة من رماكه وان أراح واحدة ركب أخرى من غير أن ينزل الى الأرض وليس فى الأرض أحد الا وبدنه ينتفض عن اقتيات اللحم وحده غيره وكذلك دابته تكتفى بالعنقر والعشب والشجر لا يظلها من شمس ولا يكنها من برد قال وأما الصبر على الحبب فان الثغريين والفزانقيين والحصيان والخوارج لو اجتمعت قواهم فى شخص واحد لما وفوا بتركى

ان تنصفونا يال مروان نقترب • اليكم والا فأذنوا ببعاد

فانّ لنا عنكم مراحا ومرحلا • بعيس الى ريح الفلاة صوادى

ففى الارض عن دار المذلة مذهب • وكل بلاد أوطنت كبلادى

(كذا وقعت الرواية بضم الهمزة وكسر الطاء والاصح أوطنت بفتح الهمزة وفتح الطاء قاله ش)

فماذا ترى الحجاج يبلغ جهده • اذا نحن جاوزنا حفير زياد

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف • كما كان عبدا من عبيد اياد

زمان هو العبد المقر بذلة • يراوح صبيان القرى ويغادى

قال ذلك لان الحجاج كان هو وأخوه معلمين بالطائف وكان لقبه كليبا وفى ذلك يقول القائل

أينسى كليب زمان الهزال • وتعليمه سورة الكوثر

رغيف له فلكة ما ترى • وآخر كالقمر الازهر

يقول خبز المعلمين يأتى مختلفا لانه من بيوت صبيان مختلفى الاحوال وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

أما رأيت بنى بحر وقد حملوا • كأنهم خبز بقال وكتاب

هذا طويل وهذا احنبل جعد • يمشون خلف عمير صاحب الباب

وفى لقبه يقول آخر من أهل الطائف كليب تمكن فى أرضكم • وقد كان فينا صغير الخطر

ولما دخل الحجاج مكة اعتذر الى أهلها لقلة ما وصلهم به فقال قائل منهم اذا والله لا نعذرك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين وذلك ان عروة بن مسعود ولده من قبل أمه وتأويل قول الله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم مجازه فى العربية على رجل من رجلين من القريتين عظيم والقريتان مكة والطائف والرجلان عروة بن مسعود والآخر الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ويروى ان أبا بكر الصديق رحمه الله مر بقبره ومعه خالد فقال أصبح جمرة فى النار فأجابه خالد فى ذلك بجواب غير مرضى وأما عروة بن مسعود فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى الطائف يدعوهم الى الاسلام فرقى سطحه فرماه رجل بسهم فقتله فلما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب رحمه الله الى أهل مكة أبطأ عليه فقال ردوا على أبى أما لئن فعلت به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود لاضرمنها عليهم نارا

واحد والتركى لا يبقى معه مع طول الغاية الا الصميم من دوابه والذى يقتله التركى باتعابه له ويبقيه عند غزاته هو الذى لا يصبر معه فرس الخارجى ولا يبقى معه كل برذون بخارى ولو سار خارجيا الا يستفرغ جهده قبل ان يبلغ الخارجى عفوه والتركى هو الراعى وهو السايس وهو الرائض وهو النخاس وهو البيطار وهو الفارس فالتركى الواحد أمة على حدة قال واذا سار التركى فى غير

يقال رقيت السطح وما كان مثله أرقاه مثل خشيته أخشاه كما قال الله تبارك وتعالى أو ترقى فى السماء ويقال رقيت اللديغ أرقيه مثل رميته أرميه ويقال مارقأت عينه من الدمع مهموز ترقأ يافتى مثل قرأت تقرأ يافتى وكان الحجاج رأى فى منامه ان عينيه قلعتا فطلق الهندين هند ابنت المهلب وهند ابنت أسماء بن خارجة فلم يلبث أن جاءه نعى أخيه من اليمن فى اليوم الذى مات فيه ابنه محمد فقال هذا والله تأويل رؤياى ثم قال انا لله وانا اليه راجعون محمد ومحمد فى يوم واحد

حسبى بقاء الله من كل ميت • وحسبى رجاء الله من كل هالك

اذا كان رب العرش عنى راضيا • فان شفاء النفس فيما هنالك

(ويروى فان سرور النفس) وقال من يقول شعرا يسليني به فقال الفرزدق

ان الرزية لا رزية مثلها • فقدان مثل محمد ومحمد

ملكان قد خلت المنابر منهما • أخذ الحمام عليهما بالمرصد

فقال لو زدتنى فقال الفرزدق

انى أباك على ابنى يوسف جزعا • ومثل فقدهما للدين يبكينى

ما سد حى ولا ميت مسدهما • الا الخلائف من بعد النبيين

فقال له ما صنعت شيأ انما زدت فى حزنى فقال الفرزدق

لئن جزع الحجاج ما من مصيبة • تكون لمحزون أجل وأوجعا

من المصطفى والمصطفى من خيارهم • جناحيه لما فارقاه فودعا

أخ كان أغنى أيمن الارض كله • وأغنى ابنه أهل العراقين أجمعا

جناحا عقاب فارقاه كلاهما • ولو نزعا من غيره لتضعضعا

فقال الآن أما قوله الا الخلائف من بعد النبيين نخفض هذه النون وهى نون الجمع وانما فعل ذلك لانه جعل الاعراب فيها لا فيما قبلها وجعل هذا الجمع كسائر الجمع نحو أفلس ومساجد وكلاب فان اعراب هذا كاعراب الواحد وانما جاز ذلك لان الجمع يكون على ابنية شتى وانما يلحق منه بمنهاج التثنية ما كان على حد التثنية لا يكسر الواحد عن بنائه الا فلان فان الجمع كالواحد لاختلاف معانيه كما تختلف معانى الواحد والتثنية ليست كذلك لانها ضرب واحد

عساكر الترك فسار القوم عشرة أميال سار التركى عشرين ميلا لانه ينقطع عن العسكر يمنة ويسرة ويصعد فى ذرى الجبال ويستبطن قعور الاودية فى طلب الصيد وهو فى ذلك يرمى كل ما دب ودرج وطار ووقع قال والتركى لم يسر فى العسكر سير الناس قط ولا سار مستقيما قط قال واذا طالت الدلجة واشتد السير وبعد المنزل وانتصف النهار واشتد التعب وشغل الناس الكلام وصمت المسايرون

ولا يكون اثنان أكثر من اثنين عدداً كما يكون الجمع أكثر من الجمع فما جاء على هذا المذهب قولهم هذه سنينٌ فاعلم وهذه عشرينٌ فاعلم قال الغنوي

إني أبيَّ أبيٌّ ذو محافظةٍ • وابنُ أبيٍّ أبيٍّ من أبيينِ

وأنتم معشرٌ زيدٌ على مائةٍ • فأجمعوا كيدكم طرّاً فكيدوني

وقال سحيم بن وثيل

وماذا يدّري الشعراءُ مني • وقد جاوزتُ حدَّ الاربعينِ

أخو خمسينَ مجتمعٌ أشدّي • ونجّذني مداورةُ الشؤونِ

وفي كتاب الله عز وجل ولا طعامٌ الا من غسلين فلمن قال قائل فان غسليناً واحدٌ فانه كل ما كان على بناء الجمع من الواحد فاعرابه كاعراب الجمع ألا ترى ان عشرين ليس لها واحد من لفظها واعرابها كاعراب مسلمين واحدها هم مسلمٌ وكذلك جميع الاعراب وتقول هذه فلسطون يافتى ورأيت فلسطين يافتى هذا القول الاجود وكذلك يبرين وفي الرفع يبرونَ يافتى وكل ما أشبه هذا فهو بمنزلته تقول قنسرونَ ورأيت قنسرينَ والاجود في هذا البيت (هو الاعشى)

وشاهدنا الجُلّ والياسمو • نَ والمسمعاتُ بقُصّابها

(الجُلُّ الوردُ والقصاب الاوتار وقيل الزمّارُ) وفي القرآن ما يصدّقُ ذلك قول الله عز وجل كلّا انَّ كتاب الابرار لفي علّيّين وما أدراك ما علّيّون فمن قال هذه قنسرونَ ويبرونَ فنسب الى واحدة منهما رجلاً أو شيئاً قال هذا رجل قنسريٌّ ويبريٌّ بحذف النون والواو لمجيء حرف النسب ولو أثبتهما فكان في الاسم رفعان ونصبان وجرّان لان الياء مرفوعة والواو علامة الرفع ومن قال هذه قنسرينُ كما ترى قال في النسب قنسرينيٌّ لان الاعراب في حرف النسب وانكسرت النون كما ينكسر كلُّ ما لحقه النسب وأما قوله ونجّذني مداورةُ الشؤون فمعناه فهّمني وعرّفني كما يقال حنّكته التجاربُ والناجذُ آخرُ الاضراس من ذلك قولهم ضحك حتى بدتْ نواجذُه والشؤون جمع شأنٍ مهموزٌ وهو الامر وقال المفسرون من أهل الفقه وأهل اللغة في قول الله تبارك وتعالى ولا طعامٌ الا من غسلينٍ هو غسالةُ أهلِ النار وقال النحويون هو فعلينٌ من الغُسالة ويروى أن عمر بن عبد العزيز خرج يوماً فقال الوليدُ بالشام والحجّاجُ بالعراق وقُرّةُ بن شريك بمصر وعثمان بن حيّان بالحجاز ومحمد بن يوسف باليمن امتلأتِ الارضُ والله جوراً وكتب الحجاج الى الوليد بن عبد الملك

فلم ينطقوا وقطعهم ماهم فيه عن المشاغل بالحديث وتفسخ كل شئ من شدة البرد وعنى كل جليد قوي على طول السري ان تطوى له الارض وكلما رأى خيالا أو علما استبشر به وظن انه قد بلغ المنزل واذا بلغه الفارس نزل وهو متفجج كانه صبي مجنون يئن أنين المريض ويستريح الى الشراب ويتداوى مما به بالتمطي والتفجع ترى التركي في تلك الحال وقد سار ضعف ما سار وقد

بعد وفاة محمد بن يوسف أُخبرُ أمير المؤمنين أكرمه الله أنه أُصيب لمحمد بن يوسف خمسون ومائة ألف دينار فان يكن أصابها من حلها فرحمه الله وان تكن من خيانة فلا رحمه الله فكتب اليه الوليدُ أما بعد فقد قرأ أميرُ المؤمنين كتابك فيما خلّف محمدُ بن يوسف وانما أصاب ذلك المالَ من تجارة أحللناها له فترحّم عليه رحمه الله ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية في يوم بُويِع له على عهده فجعل الناس يمدحونه ويُقرظونه يا أمير المؤمنين والله ما ندري أنخدعُ الناسَ أم يخدعوننا فقال له معاوية كُلّ من أردتَ خديعته فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعتَه ويروى أن الحجاج كتب الى عبد الملك بن مروان وبلغني أن أمير المؤمنين عطس عطسة فشمّته قوم فقال يغفر الله لنا ولكم فيا ليتني كنتُ معهم فأفوزَ فوزًا عظيما وزعم الاصمعي قال خرج الوليد يوما على الناس وهو مُشعانُّ الرأس فقال مات الحجاجُ بن يوسف وقُرّةُ بن شريك وجعل يتفجّعُ عليهما قوله مشعانّ الرأس يعني منتفخ الشعر متفرقه (الرواية منتفخ والصحيح منتفش قاله ابن سراج) ومثلُ هذا لا يكون في شعر لان في هذا التقاء ساكنين ولا يقع مثل هذا في وزن الشعر الا فيما تقدم ذكرُه في المتقارب وليس ذا على ذلك الوزن وحُدِّثتُ أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله وجّه عبد الله بن عبد الأعلى ومعه رجل من عنس الى أليونَ فقال العنسيُّ خلا بي عمر دونه وقال لي احفظ كل ما يكون منه فلما صرنا اليه صُرنا الى رجل عربي اللسان انما نشأ بعرعس فذهب عبد الله ليتكلم فقلتُ على رِسلك فحمدتُ الله وصليتُ على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قلتُ اني وُجّهتُ بالذي وُجّه به هذا وان أمير المؤمنين يدعوك الى الاسلام فان تقبله تُصب رُشدك واني لأحسبُ أن الكتاب قد سبق عليك بالشقاء الا أن يشاء الله غير ذلك فان قبلتَ والا فاكتب جواب كتابنا قال ثم تكلم عبد الله فحمد الله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب في القول وكان مُموّهًا فقال له أليونُ يا عبد الله ما تقول في المسيح فقال روحُ الله وكلمتُه فقال أيكون ولدٌ من غير فحل فقال عبد الله في هذا نظرٌ فقال أيُّ نظر في هذا أمّا نعم وامّا لا فقال عبد الله آدم خلقه الله من تراب فقال ان هذا أُخرج من رحم قال في هذا نظر قال له أليونُ بالرومية اني أعلم أنك لستَ على ديني ولا على دين الذي أرسلك قال وأنا أفهم بالرومية ثم قال أتعظمون يوما غير يوم الجمعة فقال نعم فقال وما ذلك اليوم أمن أعيادكم هو فقال لا قال فلم تعظمونه قال عبد القوم كانوا صالحين قبل أن يصيروا اليكم قال فقال له

أتعب منكبيه كثرة التزمزري لقرب المنزل عيرًا أو ظبيا أو عرض له ثعلب أو أرنب كيف يركض ركض مبتدئ مستأنف حتى كأن الذي سار ذلك السير وتعب ذلك التعب غيره وان بلغ الناس واديا فازدحموا على مسالكه أو على قنطرة بطن بردونه فاقتحمه ثم طلع من الجانب الآخر كأنه كوكب وان انتهوا الى عقبة صعبة نزل السير وذهب في الجبل صعدًا ثم تدلى من موضع

اليون بالرومية فقد علمت أنك لست على دينى ولا على دين الذى أرسلك فقال له عبد الله أتدرى ما يقول أهل السفه قال وما يقولون قال يقولون قال ابليس أمرت أن لا أسجد الا لله ثم قيل لى اسجد لآدم قال فقال له بالرومية الامر فيك أبين من ذلك قال ثم كتب جواب كتبنا قال فرجعنا الى عمر بها قال فخبرناه بما أردنا ثم مضينا فردنى اليه من باب الدار تخلانى فأخبرته فقال لعنه الله لقد كانت نفسى تأباه ولم أحسبه يجترئ على مثل هذا قال فلما خرجت قال لى عبد الله ما الذى قال لك قال قلت قال لى أنطمع فيه قلت لا ولما وجه عبد الملك الشعبى الى صاحب الروم فكلمه قال له صاحب الروم بعد انقضاء ما بينهما أمن أهل بيت المملكة أنت قال قلت لا ولكنى رجل من العرب قال فكتب معى رقعة وقال لى اذا أديت جواب ما جئت له فأد هذه الرقعة الى صاحبك قال فلما رجعت الى عبد الملك فأعطيته جواب كتابه وخبرته بما دار بيننا ثم نهضت ثم ذكرت الرقعة فرجعت فدفعتها اليه فلما وليت دعانى فقال لى أتدرى ما فى هذه الرقعة قلت لا قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف ولوا أمورهم غيره قال فلما وليت دعانى فقال لى أفتدرى ما أراد بهذا قلت لا قال حسدنى عليك فأراد أن أقتلك قال فقلت انما كثرت عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يرك قال فرجع الكلام الى ملك الروم فقال لله أبوه ما عدا ما فى نفسى وحدثت ان معاوية كان اذا أتاه عن بطريق من بطارقة الروم كيد للاسلام احتال له فأهدى اليه وكاتبه حتى يغرى به ملك الروم فكانت رسله تأتيه فتخبره بأن هنالك بطريقا يؤذى الرسل ويطعن عليهم ويسيء عشرتهم فقال معاوية أى ما فى عمل الاسلام أحب اليه فقيل له الخفاف الحمر ودهن البان فألطفه بهما حتى عرفت رسله باعتياده ثم كتب كتابا اليه كأنه جواب كتاب منه يعلمه فيه انه وثق بما وعده به من نصره وخذلان ملك الروم وأمر الرسول بان يتعرض لان يظهر على الكتاب فلما ذهبت رسله فى أوقاتها ثم رجعت اليه قال ما حدث هنالك قالوا فلان البطريق رأيناه مقتولا مصلوبا فقال وانا أبو عبد الرحمن وحدثت أن ملك الروم فى ذلك الاوان وجه الى معاوية ان الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا وتجهد بعضهم فى ان يغرب على بعض أفتأذن فى ذلك فأذن له فوجه اليه برجلين أحدهما طويل جسيم والآخر أيد فقال معاوية لعمرو أما الطويل فقد أصبنا كفأه وهو قيس ابن سعد بن عبادة وأما الآخر الايد فقد احتجنا الى رأيك فيه فقال ههنا رجلان كلاهما اليك

يعجز عنه الوعل وأنت تحسبه مخاطرا بنفسه للذى ترى من مطلعه ولو كان فى كل ذلك مخاطرا لما دامت له السلامة مع تتابع ذلك منه قال ويعجز الخارجى بانه اذا طلب أدرك واذا طلب فات والتركى ليس يحوج الى ان يفوت لانه لا يطلب ولا يرام ومن يروم مالا يطمع فيه فهذا دليل على انا قد علمنا ان العلة التى عمت الخوارج بالنجدة استواء حالاتهم فى أشد الديانة واعتقادهم بان

بغيض محمد بن الحنفية وعبد الله بن الزبير فقال معاوية من هو أقرب الينا على حال فلما دخل الرجلان وجه الى قيس بن سعد بن عبادة يعلمه فدخل قيس فلما مثل بين يدى معاوية نزع سراويله فرمى بها الى العلج فلبسها فنالت ثندوته (الثندوة ما اسود حول الحلمة) فأطرق مغلوبا فحدثت ان قيسا ليم فى ذلك فقيل له لم تبذلت هذا التبذل بحضرة معاوية هلا وجهت الى غيرها فقال

أردت لكيما يعلم الناس أنها * سراويل قيس والوفود شهود
وان لا يقولوا غاب قيس وهذه * سراويل عادى نمته ثمود
وانى من القوم اليمانين سيد * وما الناس الا سيد ومسود
وبذ جميع الخلق أصلى ومنصبى * وجسم به أعلو الرجال مديد

وكان قيس سناطا وكانت الانصار تقول لوددنا أنا اشترينا له لحية بأنصاف أموالنا وسنذكر خبره بعد انقضاء الخبران شاء الله (السناط والسنوط أن يكون فى الذقن شئ من الشعر ولا يكون فى العارضين شئ فان لم يكن فيهما جميعا شئ فهو الثط) ثم وجه الى محمد بن الحنفية فدخل فخبر بما دعى له فقال قولوا له ان شاء فليجلس وليعطنى يده حتى أقيمه أو يقعدنى وان شاء فليكن القائم وأنا القاعد فاختار الرومى الجلوس فأقامه محمد وعجز هو عن اقعاده ثم اختار أن يكون محمد هو القاعد فجذبه فأقعده وعجز الرومى عن اقامته فانصرفا مغلوبين وحدثنى أحد الهاشميين ان ملك الروم وجه الى معاوية بقارورة فقال ابعث الى فيها من كل شئ فبعث الى ابن عباس فقال لتملأ له ماء فلما وردبها على ملك الروم قال لله أبوه ما أدهاه فقيل لابن عباس كيف اخترت ذلك فقال لقول الله عز وجل وجعلنا من الماء كل شئ حى وقيل لرجل من بنى هاشم وهو جعفر بن محمد بن على بن الحسين وكان يقدم فى معرفته ما طعم الماء فقال طعم الحياة وأما عبد الله بن الزبير فيذكر أهله انه قال ما جئت لحيتى لتتصل لى الى ان بلغت ستين سنة فلما أكملتها يئست منها وكان قيس بن سعد شجاعا جوادا سيدا وجاءته عجوز قد كانت تألفه فقال لها كيف حالك فقالت ما فى بيتى جرذ فقال ما أحسن ما سألت أما والله لأكثرن جرذان بيتك وكان سعد بن عبادة حيث توجه الى حوران قسم ماله بين ولده وكان له حمل لم يشعر به فلما ولدله قال له عمر بن الخطاب يعنى قيسا لا تنقضن ما فعل سعد فجاءه قيس فقال يا أمير المؤمنين نصيبى لهذا المولود ولا تنقض ما فعل سعد قال أبو العباس حدثت

القتال دين لانا حين وجدنا السجستانى والخزرى واليمانى والمغربى والعمانى والازرقى منهم والنجدى والاباضى والصفوى والمولى والعربى والعجمى والاعرابى والعبيد والنساء والحائك والفلاح كلهم يقاتل مع اختلاف الانساب وتباين البلدان علمنا ان الديانة هى التى سوت بينهم فى ذلك كما كان كل حجام فى الارض من أى جنس كان ومن أهل أى بلد كان فهو يحب النبيذ وكما كان

بهذا الحديث من حيث أتى به ان أبابكر وعمر رحمهما الله مشيا الى قيس بن سعد يسألانه فى أمر هذا المولود فقال نصيبى له ولا أغير ما فعل سعد وكان معاوية كتب الى قيس بن سعد وهو والى مصر لعلى بن أبى طالب رحمه الله أما بعد فانك يهودى ابن يهودى ان غلب أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان غلب أبغضهما اليك قتلك ومثل بك وقد كان أبوك فوق سهمه ورمى غرضه فأكثر الحز وأخطأ المفصل حتى خذله قومه وأدركه يومه فمات غريبا بحوران والسلام فكتب اليه قيس أما بعد فانك وثن ابن وثن لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك دخلت فى الدين كرها وخرجت منه طوعا وقد كان أبى فوق سهمه ورمى غرضه فشغبت عليه أنت وأبوك ونظراؤك فلم تشقوا غباره ولم تدركوا شأوه ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه وأعداء الدين الذى خرجت اليه والسلام وكان قيس موصوفا مع جماعة قد بذوا الناس طولا وجمالا منهم العباس بن عبد المطلب رحمه الله وولده وجرير بن عبد الله البجلى والأشعث بن قيس الكندى وعدى بن حاتم الطائى وابن جذل الطعان الكنانى وأبو زبيد الطائى وزيد الخيل بن مهلهل الطائى وكان أحد هؤلاء يقبل المرأة على الهودج وكان يقال للرجل منهم مقبل الظعن وكان طلحة بن عبيد الله موصوفا بالتمام

أصحاب الحلقان والسماكين والنخاسين والحاكة فى كل بلد ومن كل جنس شرار خلق الله فى المبايعة والمعاملة فعلمنا بذلك ان ذلك خلقة فى هذه الصناعات وبنية فى هذه التجارات حتى صاروا من بين جميع الناس كذلك قال ورأيناه فى بلاده ليس يقاتل على دين ولا على تأويل ولا على ملك ولا على خراج ولا على عصبية ولا على غيره دون الحرمة ولا على حمية ولا على عداوة

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس قال السليك ابن السلكة وهى أمه وكانت سوداء حبشية وكان من غربان العرب وهو السليك بن عمير السعدى

ألا عتبت على فصارمتنى • وأعجبها ذوو اللمم الطوال

فانى يا ابنة الأقوام أربى • على فعل الوضى من الرجال

فلا تصلى بصعلوك نؤوم • اذا أمسى يعد من العيال

ولكن كل صعلوك ضروب • بنصل السيف هامات الرجال

(كل خبر ابتداء والتقدير هملك)

أشاب الرأس أنى كل يوم • أرى لى خالة وسط الرجال

يشق على ان يلقين ضيما • ويعجز عن تخلصهن مالى

قوله وأعجبها ذوو اللمم الطوال يعنى الجمم وان شئت قلت الجمام يقال جمة وجمم كقولك ظلمة

وظُلْم ويقال جِسام كقولك جُفْرة وجِفار (الجُفْرة هي الحفرة العظيمة) وبُرْمة وبِرام قال الشاعر

أما ترى لِمّتي أودى الزمانُ بها * وشيّب الدهرُ أصداغي وأفوادي

وقوله على فَتْل الوضيّ من الرجال يريد الجميل وهو فعيل من وَضُؤ يَوْضُؤ يافتى تقديره كَرُم يَكْرُم وهو كريم ومصدره الوضاءة وكذلك قَبُح يقبح قباحة وسمُج يسمُج سماجة ويقال ما كنت وضيئا ولقد وضُؤت بعدنا وقوله فلا تصلى بصعلوك يقول لا تتصلى به كما قال ابن أحمر

ولا تصلى بمطروق اذا ما * سرى في القوم أصبح مستكينا

اذا شرب المُرِضّة قال أوكى * على ما في سقائك قد روينا

(اذا صُبّ اللبن حليب على حامض فهو المُرِضّة) والصعلوك الذي لا مال له قال الشاعر (جابر بن ثعلبة الطائي) كأن الفتى لم يَعْرَ يوما اذا اكتسى * ولم يك صعلوكا اذا ما تموّلا

وقوله نَؤوم يصفه بالبلادة والكسل وكانت العرب تمدح بخفة الرؤس عن النوم وتذم النومة كما قال عبد الملك لمؤدب ولده علّمهم العوم وخذهم بقلة النوم وانما توجع لحالاته لأنهن كن اماء ويروى عن رجل من قريش لم يُسَمّ لنا قال كنت أجالس سعيد بن المسيّب فقال لي يوما من أخوالك فقلت أمي فتاة فكأني نقصت في عينه فأمهلت حتى دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رحمه الله فلما خرج من عنده قلت يا عم من هذا فقال يا سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر قلت فمن أمه قال فتاة قال ثم أتاه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رحمه الله فجلس عنده ثم نهض فقلت يا عم من هذا فقال أتجهل من أهلك مثله ما أعجب هذا هذا القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قلت فمن أمه قال فتاة فأمهلت شيأ حتى جاءه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فسلم عليه ثم نهض فقلت يا عم من هذا قال هذا الذي لا يسع مسلما ان يجهله هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قلت فمن أمه قال فتاة قال قلت يا عم رأيتني نقصت في عينك لما علمت اني لأم ولد أفمالي في هؤلاء أسوة قال فجللت في عينه جدا وكانت أم علي بن الحسين سلافة من ولد يزدجرد معروفة النسب وكانت من خيرات النساء ويروى أنه قيل لعلي بن الحسين رحمه الله انك من أبرّ الناس ولست تأكل مع أمك في صحفة فقال أكره أن تسبق يدي الى ما قد سبقت اليه عينها فأكون قد عققتها وكان يقال له ابن الخيرتين (بتحريك الياء أفصح) لقول رسول الله صلى الله

ولا على وطن ولا على منع دار ولا مال وانما يقاتل على السلب والخيار في يده وليس يخاف الوعيد ان هرب ولا يرجو الوعد ان أبلى عذرا وكذلك هم في بلادهم وعاداتهم وحروبهم وهو الطالب غير المطلوب ومن كان كذلك فانما يأخذ العفو من قوته ولا يحتاج الى مجهوده ثم مع ذلك لا يقوم له شيء ولا يطمع فيه أحد فانظر الى من هذه صفته ولو اضطره احراج أو غيره أو غضب أو تدين أو عرض

عليه وسلم لله من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس وكانت سلافة عمة أم يزيد الناقص أو أختها وقال رجل من ولد الحكم بن أبي العاصي يقال له عبيد الله بن الحر وكان شاعرا متقدما وكان لأم ولد وهو من ولد مروان بن الحكم

فان تك أمي من نساء أفاءها * جياد القنا والمرهفات الصفائح
فتبا لفضل الحران لم آت به * كرائم أولاد النساء الصرائح

وانما أخذ هذا من قول عنترة

وأنا امرؤ من خير عبس منصبا * شطري وأحمي سائري بالمنصل

(شطري مبتدأ والخبر في المجرور قبله) وأنشد لبلال بن جرير وبلغه ان موسى بن جرير كان اذا ذكره نسبه الى أمه لأنه ابن أم ولد فيقول قال ابن أم حكيم فقال بلال

يا رب خال لي أغر أبلجا * من آل كسرى يغتدي متوجا * ليس كخال لك يدعى عشنجا

والعشنج المتقبض الوجه السيئ المنظر وكان سبب أم بلال عند جرير أن جريرا في أول دخوله العراق دخل على الحكم بن أيوب بن أبي عقيل الثقفي وهو ابن عم الحجاج وعامله على البصرة وفي ذلك يقول جرير

أقبلن من ثهلان أو وادي خيم * على قلاص مثل خيطان السلم
اذا قطعن علما بدا علم * حتى أنخناها الى باب الحكم
خليفة الحجاج غير المتهم * في ضئضئ المجد وبحبوح الكرم

فكتب الحكم بعد أن فاطنه الى الحجاج وذلك في أول سببه انه قدم علي أعرابي باقعة لم أر مثله (يريد داهية والباقعة طائر حذر) فكتب اليه الحجاج ان يحمله معه فلما دخل عليه قال له بلغني انك ذو بديهة فقل في هذه الجارية لجارية قائمة على رأسه فقال جرير مالي ان أقول فيها حتى أتأملها ومالي ان أتأمل جارية الأمير فقال بلى فتأملها واسئلها فقال لها ما اسمك يا جارية فأمسكت فقال لها الحجاج خبريه بالخناء فقالت أمامة فقال جرير

ودع أمامة حان منك رحيل * ان الوداع لمن تحب قليل
مثل الكثيب تمايلت أعطافه * فالريح تجبر متنه وتهيل
هذي القلوب صوادياً تيمتها * وأرى الشفاء وما اليه سبيل

له بعض ما يحصب المقاتل المحامي من العلل والاسباب قال وقناة الخارجي طويلة صماء وقناة التركي مطرد أجوف والقنا الجوف القصار أشد طعنة وأخف محملا والعجم تجعل القنا الطوال للرجالة وهي قنا الابناء على أبواب الخنادق والمضائق والأبناء في هذا الباب لا يجرون مع الاتراك والخراسانية لان الغالب على الأبناء المطاعنة على أبواب الخنادق وفي المضائق وهؤلاء أصحاب

فقال له الحجاج قد جعل الله لك السبيل اليها خذها هي لك فضرب بيده الى يدها فمتنعت عليه فقال

ان كان طبكم الدلال فانه ● حسن دلالك يا أمام جميل

(ش بنصب الطب ورفع الدلال وبالعكس برفع الطب ونصب الدلال والطب هنا المذهب والدلال الدالة) فاستضحك الحجاج وأمر بتجهيزها معه الى اليمامة وخبرت أنها كانت من أهل الرى وكان اخوتها أحرارا فاتبعوه فأعطوه بها حتى بلغوا عشرين ألفا فلم يفعل فى ذلك يقول

اذا عرضوا عشرين ألفا تعرضت ● لأم حكيم حاجة هى ماهيا

لقد زدت أهل الرى عندى مودة ● وحببت أضعافا الى المواليا

فأولدها حكيما وبلالا وحمزة بنى جرير وهؤلاء ممن أذكر من ولد هاربقال ان الحمانى قاول بلالا ذات يوم فيما كان بينهما من الشر فقال يا ابن أم حكيم فقال له بلال ماتذكر من ابنة دهقان وأخيذة رماح وعطية ملك ليست كامك التى بالمروت تغدو على أثر ضأنها كأنما عقباها حافرا حمار فقال له الحمانى أنا أعلم بامك انما عتب عليها الحجاج فى أمر الله أعلم به فخاف ان يدفعها الى الأم العرب فلما رأى أباك لم يتشكك فيه قال وأنشدت لرجل من رجاز بنى سعد

أنا ابن سعد وتوسطت العجم ● فأنا فيما شئت من خال وعم

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله ليس قوم أكيس من أولاد السرارى لانهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم وكتب أمير المؤمنين المنصور الى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رحمهم الله لما كتب اليه محمد واعلم انى لست من أولاد الطلقاء ولا أولاد اللعناء ولا أعرقت فى الاماء ولا حضنتنى أمهات الاولاد ولقد علمت ان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد الحسن مرتين وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين من قبل جدى الحسن والحسين يعنى ان أم على فاطمة بنت أسد بن هاشم وأم الحسن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وان أمه فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم فكتب اليه المنصور اما ماذكرت من ولادة هاشم عليا مرتين وولادة عبد المطلب الحسن مرتين فخير الاولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الامرة واحدة ولا عبد المطلب الامرة واحدة وله السبق الى كل خير ولقد علمت انه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخيل والفرسان وعلى أصحاب الخيل والفرسان يدور أمر الفروسية لهم الفر والكر والفارس هو الذى يطوى الجيش طى السجل ويفرقهم فرق الشعر وليس يكون الكمين ولا الطليعة ولا الساقة الا الكبار منهم وهم أصحاب الأيام المذكورة والحروب الكبار والفتوح العظام

(فصل منها) والشح على الوطن والحنين اليه والصبابة به مذكور فى القرآن مخطوط فى المصحف

وعمومته أربعة فآمن به اثنان أحدهما أبي وكفر به اثنان أحدهما أبوك وأما ماذكرت انه لم تعرق فيك الاماء فقد عرقت على بني هاشم طرا أولهم ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علي ابن الحسين الذي لم يولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مولود مثله وهذه رسالة للمنصور طريفة مستحسنة جدا سنتمها في موضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وأنشدني الرياشي

ان أولاد السراري • كثروا يارب فينا

رب ادخلني بلادا • لا أرى فيها هجينا

والهجين عند العرب الذي أبوه شريف وأمه وضيعة والاصل في ذلك ان تكون أمة وانما قيل هجين من أجل البياض وكانهم قصدوا وقصدا الروم والصقالبة ومن أشبههم والدليل على أن الهجين الابيض ان العرب تقول مايخفى ذلك على الاسود والاحمر أي العربي والعجمي ويسمون الموالي وسائر العجم الحمراء وقد ذكرنا ذلك ولذلك قال زيد الخيل

(وأسلم عرسه لما رآنا) • وأيقن اننا صهب السبال

أي كهؤلاء العدو من العجم وقال ابن الرقيات

ان ترني تغيرا اللون مني • وعلا الشيب مفرقي وقذالي

فظلال السيوف شيبن رأسي • وطعاني في الحرب صهب السبال

فقيل هجين من ههنا واذا كانت الام كريمة والاب خسيسا قيل له المذرع قال الفرزدق

اذا باهلي تحته حنظلية • له ولد منها فذاك المذرع

وقال الآخر ان المذرع لا تغني خؤولته • كالبغل يعجز عن شوط المحاضير

(جمع محضير وهو الفرس السريع) وانما سمي مذرعا للرقمتين في ذراع البغل وانما صارتا فيه من ناحية الحمار قال هدبة ورثت رقاش اللؤم عن آبائها • كتوارث الحمرات رقم الاذرع

وقال عبد الله بن العباس في كلام يجيب به ابن الزبير والله انه لمصلوب قريش ومتى كان عوام بن عوام يطمع في صفية بنت عبد المطلب من أبوك يابغل فقال خالي الفرس

(باب)

قال أبو العباس قال اعرابي

كل امرئ ذي حبة عنولة • يقوم عليها ظن ان له فضلا

بين جميع الناس غير أن الترك للعلل التي ذكرنا أشد حنينا وأكثر نزوعا وباب آخر مما كان يدعوهم الى الرجوع قبل ذي العزم والعادة المنقوضة وذلك ان الترك قوم يشتد عليهم الحضر وطول اللبث والمكث وقلة التصرف والحرف وأصل بنيتهم انما وضع على الحركة وليس للسكون فيهم نصيب وفي قوى أرواحهم فضل على قوى أبدانهم لأنهم أصحاب توقد وحرارة

وما الفضل في طول السبال وعرضها • اذا الله لم يجعل لصاحبها عقلا

ويروى لحاملها عثولية يقول كثيرة والمستعمل يقال رجل عثولٌ اذا كان كثير الشعر وأصل ذلك في الرأس واللحية وبناه الاعرابي بناء جذول كانه عثول ثم نسب اليه والسبلة مقدم اللحية يقال لما أسبل من الشارب سبلتان وتقول العرب أخذ فلان شفرة ثم تلتهم بها سبلة بعيره أي نحره والتلتم الشق فهذا ما أسبل من جرانه وقال بعض المحدثين

وما حسن الرجال لهم بحسن • اذا ما أخطأ الحسن البيان
كفى بالمرء عيبا أن تراه • له وجه وليس له لسان

وقال آخر إني على ما تزدري من دمامتي • اذا قيس ذرعي بالرجال طويل

ونظر يزيد بن مزيد الشيباني الى رجل ذي لحية عظيمة وقد تلففت على صدره فاذا هو خاضب فقال انك من لحيتك في مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن في كل جمعة • وآخر للحناء يبتدران
ولولا نوال من يزيد بن مزيد • لصوّت في حافاتها الجلمان

وقال اسحق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية

ما سرني أنني في طول داود • وأنني عالم في البأس والجود
ماشيت داود فاستضحكت من عجب • كأنني والدٌ يمشي بمولود
ما طول داود الا طول لحيته • يظل داود فيها غير موجود
تكنه خصلة منها اذا نفحت • ريح الشتاء وجف الماء في العود
كالا تعجني مصقولا عوارضها • سوداء في لين خد الغادة الرود
أجزى وأغنى من الخز الصفيق ومن • بيض القطائف يوم القر والسود
ان هبت الريح أدته الى عدن • ان كان مالف منها غير معقود

(القر بالقاف يريد البرد ويروى بالعين يريد السحائب البيض وجعلها غرا لبياضها) وفي الحديث من سعادة المرء خفة عارضيه وليس هذا بناقض لما جاء في اعفاء اللحى واحفاء الشوارب فقد روى أنهم قالوا لا بأس بأخذ العارضين والتبطين وأما الاعفاء فهو التكثير وهو من الاضداد قال الله

واشتغال وفطنة كثيرة خواطرهم سريع لحظهم وكانوا يرون الكفاية معجزة وطول المقام بلادة والراحة غفلة والقناعة من قصر الهمة وان ترك الغز ويورث الذلة وقد قالت العرب في مثل ذلك قال عبد الله بن وهب الراسبي حب الهوينا يكسب النصب والعرب تقول من غلا دماغه في الصيف غلت قدره في الشتاء وقال اكثم بن صيفي ما أحب اني مكفى كل أمر الدنيا قيل ولم قال

عز وجل حتى عفوا أى حتى كثروا ويقال عفا وبر الناقة اذا كثر قال الشاعر

ولكنا نعض السيف منها • بأسوق عافيات اللحم كوم

والكوم العظام الاسنمة واحدتها كوماء ويقال عفا الربع اذا درس ومن ذلك

• على آثار من ذهب العفاء • أى الدروس وقال مسلمة بن عبد الملك انى لأعجب من ثلاثة

من رجل قصر شعره ثم عاد فأطاله أو شمر ثوبه ثم عاد فأسبله أو تمتع بالسرارى ثم عاد الى المهيرات

واحدة المهيرات مهيرة وهى الحرة الممهورة ومفعول يخرج الى فعيل كمقتول وقتيل ومجروح

وجريح قال الاعشى   ومنكوحة غير ممهورة • وأخرى يقال لها فادها

(فادها من فديت الاسير وهو يصف سبيا أخذ فيه اماء وحرائر) فهذا المعروف فى كلام العرب

مهرت المرأة فهى ممهورة ويقال وليس بالكثير أمهرتها فهى ممهرة أنشدنى المازنى

أخذن اغتصابا خطبة عجرفية • وأمهرن أرماحا من الخط ذبلا

(عجرفية جافية خطبة مصدر معنى) وأهل الحجاز يرون النكاح العقد دون الفعل ولا ينكرونه

فى الفعل ويحتجون بقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من

قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فهذا الاشيع فى كلام العرب قال الاعشى

وأمتعت نفسى من الغانيا • ت امانكاحا واما أزن

ومن كل بيضاء رعبوبة • لها بشر ناصع كاللبن

(قوله أزن أراد أزنى ثم حذف الياء وخفف النون فقال أزن) ويكون النكاح الجماع وهو فى الاصل

كناية قال الراجز   اذا زنيت فأجد نكاحا • وأعمل الغدو والرواحا

والكناية تقع عن هذا الباب كثيرا والاصل ما ذكرنا لك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا من

نكاح لا من سفاح ومن خطب المسلمين ان الله عز وجل أحل النكاح وحرم السفاح والكناية

تقع عن الجماع قال الله عز وجل أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فهذه كناية عن الجماع

قال أكثر الفقهاء فى قوله تبارك وتعالى أو لامستم النساء قالوا كناية عن الجماع وليس الامر

عندنا كذلك وما أصف مذهب أهل المدينة فقد فرغ من النكاح نصا وانما الملامسة أن

يلمسها الرجل بيد أو بإدناء جسد من جسد فذلك ينقض الوضوء فى قول أهل المدينة لانه قال

أخاف عادة العجز فهذه كانت علل الترك فى حب الرجوع والحنين الى الوطن ومن أعظم ما كان يدعوهم الى الشرود ويبعثهم على الرجوع ويكره عندهم المقام ما كانوا فيه من جهل فؤادهم باقدارهم وقلة معرفتهم بأخطارهم واغفالهم موضع الرد عليهم والانتفاع بهم ولانهم حين جعلوهم أسوة أجنادهم لم يقنعوا أن يكونوا فى الحاشية والحشوة وفى غمارة

تبارك وتعالى بعد ذكر الجنب أو لامستم النساء وقوله عز وجل كانا يأكلان الطعام كناية بالاجماع عن قضاء الحاجة لان كل من أكل الطعام فى الدنيا أنجى يقال نجا وأنجى اذا قام لحاجة الانسان وكذلك وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا كناية عن الفروج ومثله أو جاء أحد منكم من الغائط فانما الغائط كالوادى وقال عمرو بن معدى كرب

وكم من غائط من دون سلمى • قليل الانس ليس به كتيع

يقال وهم الرجل توهم اذا شك وهو الاجود ويجوز يهم ويهم وباهم اعلال وكذلك ما كان مثله نحو وجل توجل ووحل توحل ووجع توجع ويجوز فى وهم أن تقول يهم فان المعتل من هذا يجىء على مثال حسب يحسب مثل ولى الامير يلى وورم الجرح يرم فهذا جميع ما فى هذا الباب وقال رجل أحسبه من بنى تميم

لا تسألن الخيل يا سعد ما لها • ولكن أخريات الخيل علك تجرح
لعلك تحمى عن صحاب بطعنة • فما عاندتنى الحصاحين تنفح
وأكرم كريما ان أتاك لحاجة • لعاقبة ان العضاه تروح
(بذا فامدحينى واندبينى فاننى • فتى تعتريه هزة حين يمدح

اذا أدبر القيظ وبرد الليل تحرك للشجر ورق رطب فيقال أخلف الشجر وتروح) قوله لا تسألن الخيل يا سعد ما لها يقول لا تتخلف عن القتال وتسأل عن أخبار القوم ولكن كن فيهم كما قال مهلهل

ليس مثلى يخبر القوم عن آ • بائهم قتلوا وينسى القتالا
لم أرم حومة الكتيبة حتى • حذى الورد من دماء نعالا

يقول كنت فى حومة القتال وصليت الحرب أكثر مما صليها غيرى ويروى عن رجل من بنى أسد بن عبد العزى يقال له فلان (ش هو عبد الله) بن السائب انه زوج ابنته عمرو بن عثمان بن عفان فلما نصت عليه طلقها على المنصة فجاء أبوها الى عبد الله بن الزبير فقال ان عمرو بن عثمان طلق ابنتى على المنصة وقد ظن الناس ان ذلك لعاهة وأنت عمها فقم فادخل اليها فقال عبد الله أو خير من ذلك جيئونى بالمصعب فخطب عبد الله فزوجها من المصعب وأقسم عليه ليدخلن بها فى ليلته فلا تعرف امرأة نصت على رجلين فى ليلتين ولا غيرها فأولدها المصعب عيسى وعكاشة

العامة ومن عرض العساكر وأنفوا الانفسهم وذكروا ما يجب لهم ورأوا ان الضيم لا يليق بهم وان الخمول لا يجوز عليهم وانهم فى المقام على من لم يعرف حقهم ألوم ممن منعهم حقهم فلما صادفوا ملكا حكيما وباقدار الناس عليما لا يميل الى سوء عادة ولا يجنح الى هوى ولا يتعصب لبلد على بلد يدور مع التدبير ما دار ويقيم مع الحزم حيث ما أقام أقاموا اقامة من منح الحظ ودار

فلما كان يوم مسكن وهرب أكثر الناس عن المصعب دخل الى سكينة ابنة الحسين بن على بن أبى طالب وكانت له شديدة المحبة وكانت تخفى ذلك فلبس غلالة وتوشح عليها وانتضى السيف فلما رأت ذلك علمت انه عزم أن لا يرجع فصاحت من ورائه واحرباه فالتفت اليها فقال أوهذا فى فى قلبك فقالت اى والله وأكثر من هذا فقال أما لو علمت لكان لى ولك شأن ثم خرج فقال لابنه عيسى يا بنى انج الى تجارك فان القوم لا حاجة بهم الى غيرى وستفلت بحيلة أو بقيا فقال يا أبتاه لا أحدث والله عنك أبدا فقال أما والله لئن قلت ذلك لما زلت أتعرف الكرم فى أسرارك وأنت تقلب فى مهدك (ش الأسرار جمع سر وهى الطرائق فى الجبهة) فقتل بين يدى أبيه ففى ذلك يقول شاعر أهل الشام من اليمانية

نحن قتلنا مصعبا وعيسى * وابن الزبير البطل الرئيسا * عمدا أذقنا مضر التبئيسا

وقال رجل يعاتب رجلا

فلو كان شهم النفس أو ذا حفيظة * رأى ما رأى فى الموت عيسى بن مصعب

وقال بلال بن جرير يمدح عبد الله بن الزبير (يقال ان بلالا لم يلحق ابن الزبير الا أن يكون مدحه ميتا)

مد الزبير عليك اذ يبنى العلا * كفيه حتى نالتا العيوقا

(ويروى كفيه وهو أظهر لقوله حتى نالتا)

ولو ان عبد الله فاخر من ترى * فات البرية عزة وسموقا

قرم اذا ما كان يوم نفورة * جمع الزبير عليك والصديقا

لو شئت ما فاتوك اذ جاريتهم * ولكنت بالسبق المبر حقيقا

لكن أتيت مصليا برآئهم * ولقد ترى وترى لذلك طريقا

عاد الحديث الى تفسير الابيات المتقدمة قوله لملك تحمى عن صحاب بطعنة يقال حميت الناحية أحميها حميا وحماية كما قال الفرزدق

واذا النفوس جشأن طامن جأشها * ثقة لها بحماية الأدبار

ومعنى ذلك منعت ودفعت ويقال أحميت الارض أى جعلتها حمى لا تقرب وأحميت الحديد أحميه احماء وحميت أنفى محمية يا فتى اذا أنت أبيت الضيم وصحاب جمع صاحب وقد يقال هو جمع صحب

بالحق ونبذ العادة وآثر الحقيقة ووصل نفسه بقطيعة وطنه وآثر الأمامة على ملك الجبرية واختار الصواب على الألف ثم اعلم بعد ذلك كله ان كل أمة وقرن وجيل وبنى أب وجدتهم قد برعوا فى الصناعات وفضلوا الناس فى البيان وفاقوهم فى الآداب أوفى تأسيس الملك أوفى النصر بالحرب فانك لا تجدهم فى الغاية وفى أقصى النهاية الا ان يكون الله تعالى قد حضرهم لذلك

كما تقول تاجر وتجر وراكب وركب ونحو ذلك ثم تجمع صحبا على صحاب كقولك كاتب وكتاب وكاذب وكذاب وفرخ وفراخ فهذا مذهب حسن ومن قال هو جمع صاحب فنظيره قائم وقيام وتاجر وتجار وقوله لها عاند ينفى الحصا يعنى الدم يقال عند العرق اذا خرج الدم منه بحدة وينفى الحصا يعنى الدم بشدة جريه كما قال

مُنصِحة تنفى الحصا عن طريقها • يقطع أحشاء الرعيب انتشارها

يعنى طعنة وقال آخر فى صفة طعنة

ومُشتقّة كاستنان الحرو • ف قد قطع الحبل بالمرود

والحروف ههنا الغماهو الفلو الصغير وقوله

وأكرم كريما ان أتاك لحاجة • لعاقبة ان العضاه تروح

يقول الشجر يصيبه الندى فى آخر الصيف فينشأله ورق فيقول اعلك تحتاج الى هذا الكريم وقد قدر ومثله ولا تهين الكريم علّك ان • تركع يوما والدهر قد رفعه

أراد ولا تهينن بالنون الخفيفة فحذفها لالتقاء الساكنين وهذا الحكم فيها ومثله فى المعنى قول عبّاد بن عبّاد بن حبيب بن المهلّب

اذا خلّة نابت صديقك فاغتنم • مرمّتها فالدهر بالناس قُلّب

وبادر بمعروف اذا كنت قادرا • زوال اقتدار أو غنى عنك يعقب

(زوال مفعول لبادر قاله ش) ومثل هذا كثير وقال جعفر بن محمد بن على بن الحسين رحمهم الله انى لاسارع الى حاجة عدوى خوفا من أن أرده فيستغنى عنى وقال رجل من العرب ماردت رجلا عن حاجة فولى عنى الا رأيت الغنى فى قفاه وقال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ما رأيت أحدا أسعفته فى حاجة الا أضاء ما بينى وبينه ولا رأيت رجلا رددته عن حاجة الا أظلم ما بينى وبينه وقال عمر بن الخطاب رحمه الله من يئس من شئ استغنى عنه وقال عبد الله بن همّام السلولى

فأخلف وأتلف انما المال عارة • فكله مع الدهر الذى هو آكله

فاهون مفقود وأيسر هالك • على الحى من لا يبلغ الحى نائله

عارة أى معار ووزنه فعلة وقال أحد المحدثين (هو محمود الوراق) وليس من هذا الباب ولكنا ذكرناه

المعنى بالاسباب وقصرهم عليه بالعلل التى تقابل تلك الأمور وتصلح لتلك المعانى لان من كان منقسم الهوى مشترك الرأى متشعب النفس غير موفر على ذلك الشئ ولا مهيأ له لم يحذق من تلك الاشياء شيأ بأسره ولم يبلغ فيه غايته كأهل الصين فى الصناعات واليونانيين فى الحكم والآداب والعرب فيما نحن ذاكروه فى موضعه والساسان فى الملك والاتراك فى الحروب الا ترى ان اليونانيين

في الامارة   أمارك ماله لتقوم فيه • بطاعته وتعرف فضل حقه

فلم تشكره نعمته ولكن • قويت على معاصيه برزقه

تجاهره به عودا وبدأ • وتستخفي بها من شر خلقه

وقال جرير   واني لأستحيي أخي أن أرى له • عليّ من الحق الذي لا يرى ليا

هذا بيت يحمله قوم على خلاف معناه وانما تأويله اني لاستحيي أخي أن يكون له عليّ فضل ولا يكون لي عليه فضل ومني اليه مكافأة فاستحيي أن أرى له عليّ حقا لما فعل الي ولا أفعل اليه ما يكون لي به عليه حق وهذا من مذاهب الكرام ومما تأخذ به أنفسها فاما قول عائذ الكلب الزبيري

(اسمه عبد الله بن مصعب الزبيري وسمي عائذ الكلب بقوله

مالي مرضت فلم يعدني عائد • منكم ويمرض كلبكم فأعود

وأشد من مرضي عليّ صدودكم • وصدود كلبكم عليّ شديد)

لعبد الله بن حسن بن حسن

له حق وليس عليه حق • ومهما قال فالحسن الجميل

وقد كان الرسول يرى حقوقا • عليه لغيره وهو الرسول

فانه ذكره بقلة الانصاف فقال يرى له حقا على الناس ولا يرى لهم عليه حقا من أجل نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ذلك بقوله

وقد كان الرسول يرى حقوقا • عليه لغيره وهو الرسول

فالذي يفتخر به عبد الله يرى للناس عليه حقا فالمفتخر به أجدر وقد قيل لعلي بن الحسين وكان بين الفضل رحمه الله ما بالك اذا سافرت كتمت نسبك أهل الرفقة فقال أكره ان آخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا أعطي مثله وانما يعتري هذا الباب من الظلم وقلة الانصاف والبعد من الرقة عليهم الجهلة من أهل هذا النسب والله جل ذكره يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال تعالى اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فاذا كان هو صلى الله عليه وسلم يخاف من المعصية فكيف يأمن غيره به وأما قول جرير لهشام بن عبد الملك فهو المدح الصحيح على خلاف هذا المعنى قال

الذين نظروا في العلل لم يكونوا تجارا ولا صناعا بأكفهم ولا أصحاب زرع وفلاحة وبناء وغرس ولا أصحاب جمع ومنع وكد وكانت الملوك تفرغهم وتجري عليهم كفاياتهم فنظروا حين نظروا بانفس مجتمعة وقوة وافرة وأذهان فارغة حتى استخرجوا الآلات والأدوات والملاهي التي تكون جماما للنفس وراحة بعد الكد وسرورا يداوي قرح الهموم فصنعوا من المرافق

وأنت اذا نظرت الى هشام • عرفت نجار منتخب كريم

ولى الحق حين يؤم حجا • صفوفا بين زمزم والحطيم

يرى للمسلمين عليه حقا • كفعل الوالد الرؤف الرحيم

اذا بعض السنين تعرقتنا • كفى الايتام فقد أبى اليتيم

وفى هذا الشعر

أمير المؤمنين على صراط • اذا اعوج الموارد مستقيم

أمير المؤمنين جمعت دينا • وحلما فاضلا لذوى الحلوم

لك المتخيران أبا وخالا • فأكرم بالخؤلة والعموم

فيا ابن المطعمين اذا شتونا • ويا ابن الذائدين عن الحريم

سما ابناك خالد وبنو هشام • الى العلياء فى الحسب الجسيم

(وهم أبو العباس فى قوله وبنو هشام واغا وقع فى شعره وأبو هشام وهو الصحيح يريد اسمعيل بن هشام وهو جده من قبل أمه)

ونزل من أمية حيث تلقى • شؤون الرأس مجتمع الصميم

تواصت من تكرمها قريش • برد الخيل دامية الكلوم

فما الأم التى ولدت قريشا • بمقرفة النجار ولا عقيم

وما خل بانجب من أبيكم • ولا خال بأكرم من تميم

سما أولاد برة بنت مر • الى العلياء فى الحسب العظيم

لك الغر السوابق من قريش • فقد عرق الاغر من البهيم

قوله حين يؤم حجا فيكون الحج جمع حاج كما يقال تاجر وتجر وراكب وركب قال العجاج

بواسط أكرم دار دارا • والله سمى نصرك الانصارا

فاخرجه على ناصر ونصر قال ويجوز أن يكون حج أصحاب حج كما قال الله عز وجل واسأل القرية يريد أهلها وقوله كفعل الوالد الرؤف الرحيم يقال رؤف على فعل مثل يقظ وحذر ورؤوف على وزن ضروب وقال الانصارى (هو كعب بن مالك)

نطيع نبينا ونطيع ربا • هو الرحمن كان بنا رؤفا

وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات والاسطرلابات وآلة الساعات وكالكرنيا والكسيران والبوكار وكاصناف المزامير والمعازف والطب والحساب والهندسة واللحون وآلات الحرب وكالمجانيق والقرادات والرتيلات والدبابات وآلة النفاطين وغير ذلك مما يطول ذكره وكانوا أصحاب حكمة ولم يكونوا فعلة يصورون الآلة ويخرطون الاداة ويصوغون المثال ولا

وقد قرئ ان الله رؤف بالعباد ورؤف أكثر وانما هو من الرأفة وهي أشد الرحمة ويقال رآفة وقرئ ولا تأخذكم بهما رآفة في دين الله على وزن الصرامة والسفاهة وقوله اذا بعض السنين تعرقتنا يفسر على وجهين أحدهما ان يكون ذهب الى ان بعض السنين سنون كما قال الأعشى

وتشرق بالقول الذي قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

لان صدر القناة قناة ومن كلام العرب ذهبت بعض أصابعه لان بعض الاصابع اصبع فهذا قول والاجود ان يكون الخبر في المعنى عن المضاف اليه فأقحم المضاف اليه توكيدا لانه غير خارج من المعنى وفي كتاب الله عز وجل فظلت أعناقهم لها خاضعين انما المعنى فظلوا لها خاضعين والخضوع بين في الاعناق فأخبر عنهم فأقحم الاعناق توكيدا وكان أبو زيد الانصاري يقول أعناقهم جماعاتهم تقول أتاني عنق من الناس والاول قول عامة النحويين وقال جرير

لما أتى خبر الزبير تواضعت * سور المدينة والجبال الخشع

وقال أيضا رأت مر السنين أخذن مني * كما أخذ السرار من الهلال

وقال ذو الرمة مشين كما اهتزت رماح تسفهت * أعاليها مر الرياح النواسم

(زعم بعضهم أن البيت مصنوع والصحيح فيه مرضى الرياح النواهم والمرضى التي تهب بلين)

ومثل هذا كثير وعلى مثل هذا القول الثاني تقول يا تيم تيم عدي لانك أردت يا تيم عدي وأقحمت الاول توكيدا (كذا وقع وأقحمت الاول توكيدا وانما الصحيح وأقحمت الثاني توكيدا) وكذلك لا أبالك لان الالف لا تثبت في الاب في النصب الا في الاضافة أو بدلا من التنوين فانما أراد لا أباك ثم أقحم اللام توكيدا للاضافة وأنشد المازني

وقد مات شماخ ومات مزرد * وأي كريم لا أبالك يخلد

وقال آخر أبالموت الذي لا بد أني * ملاق لا أباك تخوفيني

وقوله على صراط فالصراط المنهاج الواضح وكذلك قالت العلماء في قول الله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم وقوله سما ابن خالد يريد خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب لان أم هشام بنت هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان هشام بن المغيرة أجل قرشي حلما وجودا وكانت قريش تؤرخ بموته كما كانت تؤرخ

يحسنون العمل به ويشيرون اليها ولا يمسونها يرغبون في التعليم ويرغبون عن العمل فاما سكان الصين فانهم أصحاب السبك والصياغة والافراغ والاذابة والاصباغ العجيبة وأصحاب الخرط والنحر والتصاوير والنسج والخط ورفق الكف في كل شئ يتزاولونه ويعانونه وان اختلف جوهره وتباينت صنعته وتفاوت ثمنه فاليونانيون يعرفون العلل ولا يباشرون العمل

بعام الفيل وعلى فلان قال الشاعر • زمان تناعى الناس موت هشام • ومن أجله يقول القائل

فأصبح بطن مكة مقشعرا • كأن الارض ليس بها هشام

يقول هو وان كان مات فهو مدفون فى الارض فقد كان يجب من أجله ان لا ينالها جدب وقال الآخر ذريني أصطبح يا سلم اني • رأيت الموت نقب عن هشام

قوله نقب أى طوف حتى أصاب هشاما قال الله عز وجل فنقبوا فى البلاد أى طوفوا ومثله قول امرئ القيس وقد نقبت فى الآفاق حتى • رضيت من الغنيمة بالاياب

فأما التاريخ الذى يؤرخ به اليوم فاول من فعله فى الاسلام عمر بن الخطاب رحمه الله حين دون الدواوين فقيل له لو أرخت يا أمير المؤمنين لكنت تعرف الامور فى أوقاتها فقال وما التاريخ فاعلم ما كانت العجم تفعله فقال أرخوا فقالوا مذ أى سنة فاجمعوا على سنة الهجرة لانه الوقت الذى حكم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير تقية ثم قالوا فى أى شهر فقالوا نستقبل بالناس أمورهم فى شهر المحرم اذا انقضى حجهم وكانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الآخر (الذى اتفق عليه أن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الاول وفيه مات صلى الله عليه وسلم) فقدم التاريخ على الهجرة هذه الاشهر وجاء فى تصحيح هذا الوقت أعنى المحرم ما روى لنا عن ابن عباس رحمه الله فانه قال فى قول الله عز وجل والفجر وليال عشر قال فاقسم بفجر السنة وهو المحرم وقوله فالام التى ولدت قريشا يعنى برة بنت مر كانت أم النضر بن كنانة وهو أبو قريش ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى وتميم بن مر خاله وكان يقال من عرف حق أخيه دام له اخاؤه ومن تكبر على الناس ورجا ان يكون له صديق فقد غر نفسه وقيل ليس للجوج تدبير ولا لسيئ الخلق عيش ولا لمتكبر صديق وقيل من بسط بالخير لسانه انبسطت فى القلوب محبته والمنة تفسد الصنيعة وروى ان شاعرا أتى أبا البختري (البختري بفتح الباء وبالخاء المعجمة) وهب بن وهب وكان من أجود الناس وكان اذا سمع مدح المادح ضحك وسرى السرور فى جوانحه وأعطى وزاد فأتاه هذا الشاعر فأنشده

لكل أخي فضل نصيب من العلا • ورأس العلا طرا عقيد الندى وهب
وما ضر وهبا قول من غمط العلا • كما لا يضر البدر ينبحه الكلب

وسكان الصين يباشرون العمل ولا يعرفون العلل لان أوائلك حكما. وهؤلاء فعلة وكذلك العرب لم يكونوا تجارا ولا صناعا ولا اطباء ولا حسابا ولا أصحاب فلاحة فيكونوا مهنة ولا أصحاب زرع لخوفهم صغار الجزية ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ولا أصحاب احتكار لما فى أيديهم وطلب لما عند غيرهم ولا طلبوا المعاش من ألسنة الموازين ورؤوس المكاييل ولا عرفوا الدوانيق والقراريط

(غمط كفر النعمة وغمط ويقال أيضاً تنقّص) فثنى له الوسادة وهشّ اليه ورفده وحمله وأضافه فلما أن أراد الرحيل الرحلة لم يخدمه أحد من غلمان أبي البختري ولا عقد له ولا حلّ معه فأنكر ذلك مع جميل ما فعل به وأنه قد تجاوز به أمله فعاتب بعضهم فقال له الغلام انا انما نعين النازل على الاقامة ولا نعين الراحل على الفراق فبلغ هذا الكلام جليلاً من القرشيين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد على هذا القصد أحسن من رفد سيدهم

(باب)

قال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه وكان يجتنب غير الأدباء أيّ المناديل أفضل فقال قائل منهم مناديل مصر كأنها غرقئ البيض (الغرقئ يهمز ولا يهمز وكذلك فعله) وقال آخر مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع فقال عبد الملك ما صنعتما شيئاً أفضل المناديل ما قال أخو تميم يعني عبدة بن الطبيب (عبدة بإسكان الباء)

لما نزلنا نصبنا ظلّ أخبية • وفار للقوم باللحم المراجيل

وَرْدٌ وأشقر ما يؤنيه طابخه • ما غيّر الغلي منه فهو مأكول

ثمّت قمنا الى جُرْدٍ مسوّمة • أعرافهنّ لأيدينا مناديل

قوله غرقئ البيض يعني القشرة الرقيقة التي تركب البيضة دون قشرها الاعلى وقشرها الاعلى يقال له القيض وقوله المراجيل انما واحدها المراجل ولكن لما كانت الكسرة لازمة أشبعها للضرورة كما قال • نفي الدراهيم تنقاد الصياريف • (الجيد في الصياريف) وقد مر تفسير هذا وقوله وردٌ وأشقر ما يؤنيه طابخه يقول ما تغير من اللحم قبل نضجه وقوله ما يؤنيه طابخه يقول ما يؤخره لانه لو آناه لأنضجه لان معنى آناه بلغ به اناه أي ادراكه قال الله عز وجل الى طعام غير ناظرين اناه تقول أنى يأني أنى اذا أدرك وآن يئين مثله وقوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن أي قد بلغ اناه وقوله ما غير الغلي منه فهو مأكول يقول نحن أصحاب صيد وهذا من فعلهم (العرب لا تنضج اللحم اما لاستعجالها الضيف واما لان ذلك مستحب عندها فلذلك قال لا يؤنيه وقيل لتعجيل القرى) وقوله مسومة تكون على ضربين أحدهما ان تكون معلَّمة والثاني ان تكون قد أسيمت في المرعى وهي ههنا معلمة وقد مضى هذا التفسير وانما أخذ ما في

ولم يفتقروا الفقر المدقع الذي يشغل عن المعرفة ولم يستغنوا الغنى الذي يورث البلادة والثروة التي تحدث الغرة ولم يحتملوا ذلا قط فيميت قلوبهم ويصغر عندهم أنفسهم وكانوا سكان فياف وتربية العراء لا يعرفون الغمق ولا اللثق ولا البخار ولا الغلظ ولا العفن ولا التخم أذهان حديدة ونفوس منكرة فحين حملوا حدهم ووجهوا قواهم الى قول الشعر وبلاغة المنطق وتثقيف

هذه الابيات من بيت امرئ القيس فانه جمع ما فى هذه الابيات فى بيت واحد مع فضل التقدم

نمش باعراف الجياد أكفنا ● اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وهو الذى لم يدرك ونمش نمسح ويقال للمنديل المشوش وكانت العرب تألف الطيب وتطرح ذلك فى حالتين فى الحرب والصيد قال النابغة

سهكين من صدأ الحديد كأنهم ● تحت السنور جنة البقار

وقال آخر وأسيافكم مسك تحل أكفكم ● على أنها ريح الدماء تضوع

(تضوع رواية) معنى تضوع تفوح وروى عن ابنة هانئ بن قبيصة (ذكر يعقوب انها ابنة قيس بن خالد الشيبانى ش) انه لما قتل عنها لقيط بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة فتزوجها رجل من أهلها فكان لا يزال يراها تذكر لقيطا فقال لها ذات مرة ما استحسنت من لقيط فقالت كل أموره كانت حسنة ولكنى أحدثك انه خرج مرة الى الصيد وقد انتشى فرجع وبقميصه نضخ من دم صيده والمسك يضوع من أعطافه ورائحة الشراب من فيه فضمنى ضمة وشمنى شمة فليتنى كنت مت ثمة قال ففعل زوجها مثل ذلك ثم ضمها اليه وقال أين انا من لقيط فقالت ماء ولا كصداء مثل حمراء ووزنها فعلاء وموضع اللام همزة وهى بئر مقدمة واسمها ما ذكرنا عن الاصمعى وأبى عبيدة وكذلك سمعنا العرب تقوله ومن ثقل فقد أخطأ ومثل ذلك رجل ولا كمالك (فما يقال فتى ولا كمالك وقد تقدم لابى العباس فتى وهو الصواب) يعنون مالك بن نويرة ومرعى ولا كالسعدان وحدثنى على بن عبد الله عن ابن عائشة قال كان ذو الاصبع العدوانى رجلا غيورا وكانت له بنات أربع وكان لا يزوجهن غيرة فاستمع عليهن يوما وقد خلون يتحدثن فقالت قائلة منهن لتقل كل واحدة منكن ما فى نفسها ولنصدق جميعا قال فقالت كبراهن

ألا ليت زوجى من أناس ذوى غنى ● حديث الشباب طيب النشر والذكر

لصوق بأكباد النساء كأنه ● خليفة جان لا يقيم على هجر

قال وقالت الثانية ألا ليته يعطى الجمال بديئة ● له جفنة تشقى بها النيب والجزر

له حكمات الدهر من غير كبرة ● تشين فلا فان ولا ضرع غمر

(آخذ التجارب وهو مأخوذ من حكمة اللجام ش) فقلن لها أنت تريدين سيدا فقالت الثالثة

اللغة وتصاريف الكلام وقيافة البشر بعد قيافة الأثر وحفظ النسب والاهتداء بالنجوم والاستدلال بالآثار وتعرف الانواء والبصر بالخيل والسلاح وآلة الحرب والحفظ لكل مسموع والاعتبار بكل محسوس واحكام شأن المناقب والمثالب بلغوا فى ذلك الغاية وحازوا كل أمنية وببعض هذه العلل صارت نفوسهم أكبر وهممهم أرفع وهم من جميع الأمم أفخر ولأيامهم

ألا هل تراها مرة وحليلها * أشم كنصل السيف عين المهند

عليما بأدواء النساء ورهطه * إذا ما انتمى من أهل بيتى ومحتدى

(حليلها بفتح اللام وبالضم وأشم مثله) فقلن لها أنت تريدين ابن عمك فقد عرفته وقلن للصغرى ماتقولين فقالت لا أقول شيأ فقلن لا ندعك وذاك انك اطلعت على أسرارنا وتكتمين سرك فقالت زوج من عود خير من قعود قال فخطبن فزوجهن جمع ثم أمهلهن حولا ثم زار الكبرى فقال لها كيف رأيت زوجك قالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال لها فما مالكم قالت الابل قال وما هى قالت نأكل لحمانها مزعا ونشرب ألبانها جرعا وتحملنا وضعفتنا معا فقال زوج كريم ومال عميم ثم زار الثانية فقال لها كيف رأيت زوجك قالت يكرم الحليلة ويقرب الوسيلة قال فما مالكم قالت البقر قال وما هى قالت تألف الفناء وتملأ الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء قال لها رضيت وحظيت ثم زار الثالثة فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعزى قال وما هى قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها أدما لم نبغ بها نعما فقال لها جذوة مغنية ثم زار الرابعة فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال لها فما مالكم قالت شر مال الضأن قال لها وما هن قالت جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن فقال أشبه امرؤ بعض بزه (أشبه امرأ بعض بزه رواية) فأرسلها مثلا قال على بن عبد الله قلت لابن عائشة ما قولها وأمر مغويتهن يتبعن فقال اما تراهن عرزن فتسقط الواحدة منهن فى ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها اليه وقول الثانية له جفنة تشقى بها النيب والجزر فالنيب جمع ناب وهى المسنة وانما قيل لها ناب لطول نابها قال أوس ابن حجر * تشبه نابا وهى فى السن بكرة * وتقدير نيب من الفعل فعل ولكن ما كان من ذوات الياء كسر له موضع الفاء من الفعل لتصح الياء لان الياء اذا سكنت وانضم ما قبلها كانت واوا فى الاصل نحو موقن وموسر وان فارقتها الضمة عادت الى أصلها نحو قولك مياسير ومثل ذلك أبيض وبيض وانما بيض فعل كأحمر وحمر وأصفر وصفر ولكن كسرت الاول لتصح الياء ولو كانت واوا فى الاصل لم تغير نحو أسود وسود وقوله ناب تقديرها فعل متحركة العين ولا تنقلب الياء ولا الواو ألفا الا وهما فى موضع حركة وما قبلهما مفتوح نحو باع وقال ورمى وغزا لان التقدير فعل ولو كان

أذكر وكذلك الترك أصحاب عمد وسكان فياف وأرباب مواش وهم اعراب العجم كما ان هذيلا اكراد العرب لم تشغلهم الصناعات ولا التجارات ولا الطب والفلاحة والهندسة ولا غراس ولا بنيان ولا شق أنهار ولا جباية غلات ولم تكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل ومقارعة الابطال وطلب الغنائم وتدويخ البلاد وكانت هممهم الى ذلك مصروفة وكانت لهذه

على فَعْل انحت الياء والواو كما تقول بَيْعٌ وقَوْلٌ وفَعْلٌ قد يجمعونه على فُعْلٍ كقولهم أَسَدٌ وأُسْدٌ ووَثَنٌ ووُثْنٌ وقولها تشتق بها النيب والجزر فانما عطفت أحدهما على الآخر لان من الابل ما يكون جزورا للنحر لا غير وأما قولها ولا ضرع غمر فالضَّرَعُ الضعيف والغُمْرُ الذى لم يجرب الامور ويروى ان الحجاج لما ورد عليه ظَفَرُ المُهَلَّب بن أبى صُفْرة وقَتْلُه عبد ربه الصغير وهرب قَطَرِيّ عنه تمثّل فقال لله دَرُّ المهلب والله لكأنه ما وصف لَقِيطٌ الايادىُّ حيث يقول

وقلِّدوا أمركم لله دَرُّكُمُ • رَحْبَ الذراع بأمر الحرب مُضطَلِعا

لا مُتْرَفًا إن رخاء العيش ساعده • ولا اذا عضّ مكروهٌ به خَشَعا

ما زال يحلب هذا الدهر أشطُرَه • يكون مُتَّبِعًا طورا ومُتَّبَعا

حتى استمرت على شَزْرٍ مَرِيرَتُه • مُرَّ العزيمة لا رَتًّا ولا ضَرَعا

فقام اليه رجل فقال أيها الامير والله لكأنى أسمع هذا التمثيل من قَطَرِيّ فى المهلب فسُرَّ الحجاج بذلك سرورا تبين فى وجهه وقولها كنصل السيف عين المُهَنَّد فالمهند المنسوب الى الهند وقولها من أهل بيتى ومحتدى فالمحتد الاصل قال الشاعر

وفى السِرّ من قحطان أولاد حُرّة • عظام اللهاميم كرام المحاتد

وقوله مال صميم يقول جامع أخذه من عمّ يعمّ وقوله جذوة مغنية فالجذو جمع جَذوة وهى القطعة وأصل ذلك فى الخشب ما كان منه فيه نار قال الله عز وجل أو جذوة من النار وتجمع أيضا جذا قال ابن مُقْبِل

باتت حواطب سلمى يلتمسن لها • جزل الجذا غير خوار ولا دعر

الخوار الضعيف والدعر الكثير الثقب يقال عود دَعِرٌ وقولها جوف لا يشبعن تقول عظام الاجواف وهيم لا ينقعن الهيم العطاش يكون الواحد من هيم أهيم ويقال فى هذا المعنى هيمان وقال بعض المفسرين فى قول الله عز وجل فشاربون شُرْبَ الهيم قال هى الابل العطاش وقال ذو الرمة (يصف حميرا)

فراحت الحُقْبُ لم تقصع صرائرها • وقد نشحن فلا رِيٌّ ولا هيم

(الحقب البيض الاعجاز من الحمير) ويقال قصع صارته اذا روى والصارة شدة العطش والنشوح ان تشرب دون الرى يقال نشح ينشح ومثله تغمّر اذا لم يرو ويقال للقدح الصغير الغُمَر من هذا وقال بعض المفسرين الهيم رمال بعينها واحدتها اهيم ما يأتى وقولها لا ينقعن أى لا يروين يقال

المعانى والأسباب مسطرة ومصورة عليها وموصولة بها أحكموا ذلك الأمر بأسره وأتوا على آخره وصار ذلك هو صناعتهم وتجارتهم ولذتهم فى الحرب وفخرهم وحديثهم وسمرهم فلما كانوا كذلك صاروا فى الحرب كاليونانيين فى الحكمة وأهل الصين فى الصناعات والاعراب فيما عددنا ونوعنا وكالساسان فى الملك والسياسة وعما يستدل به على انهم قد استقصوا هذا الباب واستفرغوه

نقعت ماشية بنى فلان برى اذا لم تبلغ من الماء حقها ويقال للماء النقع ويقال النقع فى غير هذا الموضع الغبار يقال أثاروا النقع بينهم والنقع اسم موضع بعينه قال الشاعر

لقد حببت نعم الينا بوجهها • مساكن ما بين الوتائر والنقع

(الوتائر بالتاء منقوطة باثنتين من فوق) والنقع الصراخ قال لبيد

فمتى ينقع صراخ صادق • يحلبوه ذات جرس وزجل

وقولها وصم لا يسمعن طريف من كلام العرب وذلك انه يقال لكل صحيح البصر ولا يعمل بصره أعمى واعما اراد به انه قد حل محل من لا يبصر البتة اذا لم يعمل بصره وكذلك يقال للسميع الذى لا يقبل أصم قال الله جل ذكره صم بكم عمى كما قال جل ثناؤه أم على قلوب أقفالها وكذلك انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء وقوله عز وجل كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء وتقول العرب أبلد ما يرعى الضأن ويقال أحمق من راعى ضأن ثمانين (قوله أحمق من راعى ضأن ثمانين المثل لكسرى فى أعرابى خبره فاختار ذلك ذكره أبو عبيد وهذا غير ما أشار اليه أبو العباس) وتحدث عمرو بن بحر قال كان يقال لا ينبغى لعاقل ان يشاور واحدا من خمسة القطان والغزال والمعلم وراعى ضأن ولا الرجل الكثير المحادثة للنساء وقيل فى مثل هذا لا تدع أم صبيك تضرب به فانه أعقل منها وان كان طفلا وقال الاحنف بن قيس انى لاجالس الاحمق الساعة فأتبين ذلك فى عقلى وقال جل ثناؤه فى صفة النساء أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين وحدثت ان عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة أتى المدينة فأقام بها ففى ذلك يقول

يا خليلى قد مللت ثوائى • بالمصلى وقد شنئت البقيعا

فلما أراد الشخوص شخص معه الاحوص بن محمد فلما نزلا ودان صارا اليهما نصيب فقضى الاحوص لبعض حاجته فرجع الى صاحبيه فقال انى رأيت كثيرا بموضع كذا فقال عمر فابعثوا اليه ليصير الينا فقال الاحوص أهو يصير اليكم هو والله أعظم كبرا من ذلك قال فاذا نصير اليه فصاروا اليه وهو جالس على جلد كبش فوالله ما رفع منهم أحدا ولا القرشى ثم أقبل على القرشى فقال يا أخا قريش والله لقد قلت فأحسنت فى كثير من شعرك ولكن خبرنى عن قولك

قالت لها أختها تعاتبها • لا تفسدن الطواف فى عمر

وبلغوا أقصى غايته وتعرفوه ان السيف الى ان يتقلده متقلد ويضرب به ضارب قد مر على أيد كثيرة وعلى طبقات من الصناع كل واحد منهم لا يعمل عمل صاحبه ولا يحسنه ولا يدعيه ولا يتكلفه لان الذى يذيب حديد السيف ويميه ويصفيه ويهذبه غير الذى يمده ويعطه والذى يمده ويعطه غير الذى يطبعه ويسوى متنه ويقيم خشيبته والذى يطبعه ويسوى متنه سوى الذى

(كذا وقعت الرواية لاتفسدن على النهى والصحيح لتفسدن على القسم كأنها قالت والله لتفسدن)

قُومِى تَصَدَّى له لِيُبْصِرَنا ٭ ثم اغْمِزِيه ياأختِ فى خَفَرِ

قالت لها قد غَمَزْتُه فأبى ٭ ثم اسْبَطَرَّتْ تشتدُّ فى أثَرِى

والله لو قد قلتَ هذا فى هِرَّة أهلك ما عدا أردتَ ان تَنْسُبَ بها فنسبتَ بنفسك أهكذا يقال للمرأة انما توصف بالخَفَر وأنها مطلوبة ممتنعة هلا قلتَ كما قال هذا وضرب بيده على كتف الأحوص

أدور ولولا أن أرى أمَّ جعفرٍ ٭ بأبياتكم مادُرْتُ حيث أدورُ

وما كنتُ زَوَّارًا ولكنَّ ذا الهوى ٭ اذا لم يُزَرْ لابد أن سيزور

لقد مَنَعَتْ معروفَها أمُّ جعفر ٭ وانى الى معروفها الفقيرُ

قال فامتلأ الأحوص سرورا ثم أقبل عليه فقال يا أحوص خبّرنى عن قولك

فان تَصِلِى أصِلْكِ وان تعودى ٭ لِهَجْرٍ بعد وصلِك لاأبالى

أما والله لو كنتَ من فحول الشعراء لباليتَ هلا قلتَ مثل ما قال هذا وضرب بيده على جنب نُصَيب

بزينبَ ألمِمْ قبل ان يَظْعَنَ الركبُ ٭ وقُلْ ان تَمَلِّينا فما مَلَّكِ القلبُ

قال فانتفخ نصيب ثم أقبل عليه فقال له ولكن اخبرنى عن قولك يا أسْوَدُ

أهيمُ بدَعْدٍ ماحييتُ وان أمُتْ ٭ فواحَزَنًا مَن ذا يهيمُ بها بعدى

كأنك اغتممتَ ان لا يُفْعَلَ بها بعدكَ ولا يُكْنَى فقال بعضهم لبعض قوموا فقد استوت الفرقة وهى لعبة على خطوط فاستوى لاعبوها انقضاؤها (قال أبو الحسن الطبين هى السُّدَّرُ فاذا زيد فى خطوطه سمّته العربُ الفِرْقة وتسميه العامة السُّدَّر) قال وحُدِّثتُ ان كُثَيِّرا دخل على عبد الملك ابن مَرْوانَ وعنده الاخطل فأنشده فالتفت عبد الملك الى الاخطل فقال كيف تَرَى فقال حجازى مُجَوَّعٌ مقرورٌ دَعْنِى أُضْغِمْهُ يا أمير المؤمنين فقال كثير من هذا يا أمير المؤمنين فقال له هذا الاخطل فقال له كثير مَهْلًا فهلا ضَغَمْتَ الذى يقول

لاتطلُبَنَّ خُؤُولةً فى تَغْلِبٍ ٭ فالزَّنْجُ أكرمُ منهمُ أخوالا

والتَّغْلَبِيُّ اذا تَنَحْنَحَ للقِرَى ٭ حَكَّ استَه وتَمَثَّلَ الأمثالا

(أخوالا منصوب على الحال ومن زعم أنه تمييز فقد أخطأ) فسكت الاخطلُ فما أجابه بحرف

يسقيه ويرهفه والذى يسقيه ويرهفه غير الذى يركب قبيعته ويستوثق من سيلانه والذى يعمل مسامير السيلان وشاذى القبيعة ونعل السيف غير الذى ينحت خشب غمده والذى ينحت خشب غمده غير الذى يدبغ جلده والذى يدبغ جلده غير الذى يحليه والذى يحليه ويركب نصله غير الذى يخرز حمائله وكذلك السرج وحالات السهم والجعبة والرمح وجميع السلاح مما هو خارج

قال أبو العباس سمعت من ينشد هذا الشعر * والتغلبي اذا تنحنح للقرى * وهو أبلغ قال وخبرت ان نصيبا نزل بامرأة تكنى أم حبيب من أهل ملل وكانت تضيف فى ذلك الموضع وتقرى ولا يزال الشريف قد نزل بها فاقضل عليها الفضل الكثير ولا يزال الشريف ممن لم يحتفل بها يقضى لها بالبر ليعينها على مروتها فنزل بها نصيب ومعه رجلان من قريش فلما أرادوا الرحلة عنها وصلها القرشيان وكان نصيب لا مال معه فى ذلك الوقت فقال لها ان شئت فلك أن أوجه اليك بمثل ما أعطاك أحدهما وان شئت قلت فيك شعرا فغزلت أم حبيب (أى مالت الى أن يتغزل بها) فقالت بل الشعر فقال

ألا حى قبل البين أم حبيب * وان لم تكن منا غدا بقريب
وان لم يكن انى أحبك صادقا * فما أحد عندى اذا بحبيب
تهام أصابت قلبه ملليـة * غريب الهوى واها لكل غريب

وحدثت أن نصيبا أتى عبد الملك فأنشده فاستحسن عبد الملك شعره وسر به فوصله ثم دعا بالغداء فطعم معه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما يتنادم عليه فقال يا أمير المؤمنين تأملنى قال قد أرالك فقال يا أمير المؤمنين جلدى أسود وخلقى مشوه ووجهى قبيح ولست فى منصب وانما بلغنى مجالستك ومؤاكلتك عقلى وأنا أكره يا أمير المؤمنين أن أدخل عليه ما ينقصه فأعجبه كلامه فأعفاه وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج فى وفدة وفدها عليه وقد أكلا هل لك فى الشراب فقال يا أمير المؤمنين ليس بحرام ما أحللته ولكنى أمنع أهل عملى منه وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه فأعفاه وقال مسلمة بن عبد الملك يوما لنصيب أمدحت فلانا لرجل من أهله فقال قد فعلت قال أو حرمك قال قد فعل قال فهلا هجوته قال لم أفعل قال ولم قال لانى كنت أحق بالهجاء منه اذ رأيته موضعا للمدح فأعجب به مسلمة فقال اسئلنى قال لا أفعل قال ولم فقال لان كفك بالعطية أجود من لسانى بالمسئلة فوهب له ألف دينار وحدثت أن الكميت بن زيد أنشد نصيبا فاستمع له فكان فيما أنشده

وقد رأينا بها حورا منعمة * بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فثنى نصيب خنصره فقال له الكميت ما تصنع فقال أحصى خطأك تباعدت فى قولك تكامل فيها الدل والشنب هلا قلت كما قال ذو الرمة

أرجنه والتركى يعمل هذا كله بنفسه من ابتدائه الى غايته ولا يستعين برفيق ولا يفزع الى رأى صديق ولا يختلف الى صانع ولا يشغل قلبه بطلبه وتسويفه واكاذيب مواعيده وبغرم كراءه وليس فى الارض كل تركى كما وصفنا كما انه ليس كل يونانى حكيما ولا كل صينى حاذقا ولا كل اعرابى شاعرا فائقا ولكن هذه الأمور فى هؤلاء أعم وأتم وفيهم أظهر وأكثر وقد قلنا فى السبب الذى تكاملت به

لمياء في شفتيها حوة لعس • وفي اللثات وفي أنيابها شنب

ثم أنشده في أخرى كأن الغطامط من جريها • أراجيز أسلم تهجو غفارا

(وقعت الرواية من جريها وصوابه من غليها لانه يصف قدرا فيه لحم فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذي يرتفع) فقال له نصيب ما هجت أسلم غفارا قط فاستحيا الكميت فسكت

قال أبو العباس والذي عابه نصيب من قوله تكامل فيها الدل والشنب قبيح جدا وذلك أن الكلام لم يجر على نظم ولا وقع الى جانب الكلمة ما يشاكلها واول ما يحتاج اليه القول أن ينظم على نسق وأن يوضع على رسم المشاكلة وخبرت أن عمر بن لجأ قال لابن عم له انا أشعر منك قال له وكيف قال لاني أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه وأنشد عمرو بن بحر

وشعر كبعر الكبش فرق بينه • لسان دعي في القريض دخيل

وبعر الكبش يقع متفرقا فمن ذلك قول ابنة الحطيئة لما نزل في بني كليب بن يربوع تركت الثروة والعدد ونزلت في بني كليب بعر الكبش يقال بعر وبعر وشعر وشعر وشمع وشمع ويقال الصدر قص وقصص وكذلك النهر ونهر وزعم الاصمعي أنه سأل أعرابيا وهو بالموضع الذي ذكره زهير

ثم استمروا وقالوا ان مشربكم • ماء بشرقي سلمى فيد أو ركك

قال الاصمعي فقلت لاعرابي أتعرف ركك فقال لا ولكن قد كان ههنا ماء يسمى ركا فهذا ليست فيه لغتان ولكن الشاعر اذا احتاج الى الحركة أتبع الحرف المتحرك الذي يليه الساكن ما يشاكله فحرك الساكن بتلك الحركة قال عبد مناف بن ربع (ش ربعي) الهذلي

اذا تجاوب نوح قامتا معه • ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

يريد الجلد فهذا مطرد (قال ابن القوطية لعج الحب قلبه والضرب جسده أحرقه) ومن مذاهبهم المطردة في الشعر أن يلقوا على الساكن الذي يسكن ما بعده للتقييد حركة الاعراب كما قال الراجز (قال ابن السيد أحسبه لعبيد بن ماوية) • أنا ابن ماوية اذ جد النقر • يريد النقر يا فتى وهو النقر بالخيل فلما أسكن الراء ألقى حركتها على الساكن الذي قبلها (النقر صويت باللسان يسكن به الفرس اذا اضطرب بفارسه قال امرؤ القيس

أخفضه بالنقر لما علوته • ويرفع طرفا غير جاف غضيض)

النجدة والفروسية في الترك دون جميع الامم في الحال التي من أجلها نظموا جميع معاني الحرب وهي معان تشتمل على مذاهب غريبة وخصال عجيبة فمنها ما يقضي لأهله بالكرم وبعد الهمة وطلب الغاية ومنها ما يدل على الادب الشديد والرأي الأصيل والفطنة الثاقبة والبصيرة النافذة ألا ترى انه ليس بصاحب الحرب من الحلم والعلم والحزم والعزم والصبر

وشبيه بهذا قوله عجبت والدهر كثير عجبه • من عنزى سبنى لم أضربه •

أراد لم أضربه بالفتح فلما أسكن الهاء ألقى حركتها على الباء وكان ذلك في الباء أحسن لخفاء الهاء

وقال أبو النجم • أقول قرب ذا وهذا أزحله • يريد أزحله بالفتح (أقول قرب ذا وهذا ازحله

كذا عن ش) وقال طرفة حابسى ربع وقفت به • لو أطيع النفس لم أرمه •

ولم يلزمه رد الياء لما تحركت الميم لأن تحركها ليس لها على الحقيقة وانما هي حركة الهاء وأما قول

الشاعر حديث بنى بدر اذا ما لقيتهم • كنز والدبى فى العرفج المتقارب

فليس كقوله وشعر كبعر الكبش ولكنه وصف فهم بضئولة الاصوات وسرعة الكلام وادخال

بعضه فى بعض والذى يحمد الجهارة والفخامة وأنشدنى لرجل قال يمدح الرشيد

جهير الكلام جهير العطاس • جهير الرواء جهير النغم

ويخطو على الأين خطو الظليم • ويعلو الرجال بخلق عمم

(الرجل هو العمانى الشاعر وقوله عمم أى جسيم والأين الاعياء ويكون الأين الحية وهى الأيم)

ويروى ان الرشيد كان يأتزر فى الطواف فيذنب ازاره ويباعد بين خطاه فاذا رجع بيده كاد يفتن

من يراه فعند ذلك مدح بهذا الشعر ويروى ان عائشة رحمها الله نظرت الى رجل متماوت فقالت

ما هذا فقالوا أحد القراء فقالت قد كان عمر بن الخطاب قارئا فكان اذا قال أسمع واذا مشى أسرع

واذا ضرب أوجع ويروى ان عمر بن الخطاب رحمه الله نظر الى رجل مظهر للنسك متماوت فخفقه

بالدرة وقال لا تمت علينا ديننا أماتك الله ويروى ان عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس

أتته وفود من الروم وقام السماطان فأتى برجل منهم فعطس أحد من فى السماطين فأخفى عطسته

فقال له عبد الملك لما انقضى أمر الوفد هلا اذ كنت لئيم العطاس أتبعت عطستك صيحة حتى

تخلع بها قلب العلج وكان العباس بن عبد المطلب رحمه الله أجهر الناس صوتا ولذلك قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لما انهزم الناس يوم حنين يا عباس اصرخ بالناس ويروى ان غارة أتتهم يوما

فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وقد طعن فى قول النابغة الجعدى

(وأزجر الكاشح العدو اذا اغتابك عندى زجرا على أضم)

زجر أبى عروة السباع اذا • أشفق أن يختلطن بالغنم

والكتمان ومن الثقافة وقلة الغفلة وكثرة التجربة ولا بد من البصر بالحيل والسلاح والخبرة بالرجال وبالبلاد والعلم بالمكان والزمان والمكايد وعاقبه صلاح الامور كلها والملك يحتاج الى أواخ شداد وأسباب متان ومن أمتنها سبباً وأعمها انفعا ما ثبته فى نصابه وسكنه فى قراره وزاد فى تمكينه وبهائه وقطع أسباب المطمعة فيه ومنع أيدى البغاة من الاشارة اليه فضلا عن البسط عليه قد قلنا

وذلك ان الرواة احتملت هذا البيت على انه كان يزجر الذئاب ونحوها مما يُغير على الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه (يروى زجر أبي عروة السباع بخفض السباع كما قيل قيس الرقيات فصار على هذا يعرف بأبي عروة السباع مثل ذلك) فقال من يطعن في هذا السبع أشد أيدا من الغنم فاذا فعل ذلك بالسبع هلكت الغنم قبله فقال من يحتج له ان الغنم كانت قد أنست بهذا منه والصوت الرائع أنس لمن أنس به كالرعد القاصف الذي لولا خشية صاعقته لم يفزع كبير فزع ولو جاء أقل منه من جوف الارض لذعر ولم يبعد أن يقتل اذا أتى من حيث لم يعتمد وجملة هذا البيت انه وصف شدة صوت المذكور وتأويله انه من تكاذيب الأعراب وحدثت ان الحسن نظر الى رجل يجود بنفسه فقال ان أمرا هذا آخره لجدير بان يزهد في أوله وان أمرا هذا أوله لجدير ان يخاف آخره وقيل لرجل من أشراف العجم في علته التي مات فيها ما بك قال فكر عجيب وحسرة طويلة فقيل مم ذاك فقال ما ظنكم بمن يقطع سفرا قفرا بلا زاد ويسكن قبرا موحشا بلا مؤنس ويقدم على حكم عادل بلا حجة وقال بعض المحدثين وهو محمود الوراق

باي اعتذار أم بأية حجة • يقول الذي يدري من الامر لا أدري
اذا كان وجه العذر ليس ببين • فان اطراح العذر خير من العذر

واعتذر رجل الى سلم بن قتيبة من أمر بلغه عنه فعذره ثم قال له يا هذا لا يحملنك الخروج من أمر تخلصت منه على الدخول في أمر لعلك لا تخلص منه وقيل لخالد بن صفوان أي اخوانك أحب اليك فقال الذي يسد خللي ويغفر زللي ويقبل عللي وافتقد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب صديقا له من مجلسه ثم جاءه فقال له أين كانت غيبتك فقال خرجت الى عرض من أعراض المدينة مع صديق لي فقال له ان لم تجد من صحبة الرجال بدا فعليك بصحبة من ان صحبته زانك وان خففت له صانك وان احتجت اليه مانك وان رأى منك خلة سدها أو حسنة عدها وان وعدك لم يحرضك وان كثرت عليه لم يرفضك وان سألته أعطاك وان أمسكت عنه ابتداك قال أبو العباس وامتدح نصيب عبد الله بن جعفر فامر له بخيل وابل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل أمثل هذا الاسود يعطى مثل هذا المال فقال له عبد الله بن جعفر ان كان اسود فان شعره لأبيض وان ثناءه لعربي ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى وما لا يفنى ومطايا تنضى

في مناقب جميع الاصناف مجمل ما انتهى الينا وبلغه علمنا فان وقع بالموافقة فبتوفيق من الله تعالى وصنعه عز ذكره وان قصر دون ذلك فالذي قصر بنا نقصان علمنا وقلة حفظنا واسماعنا وربما حسنه الذي نضمر من المحبة والاجتهاد في القربة فلا نرجع في ذلك الى أنفسنا بلائمة وبين التقصير من جهة العجز وضعف القوة فرق ولو كان هذا الكتاب من كتب المناقضات وكتب المسائل

وأعطانا مدحا يروى وثناء يبقى وقيل لعبد الله بن جعفر انك لتبذل الكثير اذا سئلت وتضيق في القليل اذا توجرت فقال اني أبذل مالي وأضن بعقلي وقيل ليزيد بن معاوية ما الجود فقال اعطاء المال من لا تعرف فانه لا يصير اليه حتى يتخطى من تعرف وخبرت عن رجل من الانصار قال لابن عبد الرحمن بن عوف ما ترك لك أبوك قال ترك لي مالا كثيرا فقال ألا أعلمك شيأ هو خير لك مما ترك أبوك انه لا مال لعاجز ولا ضياع على حازم والرفيق جمال وليس بمال فعليك من المال بما يعولك ولا تعوله وقال معاوية الخفض والدعة سعة المنزل وكثرة الخدم وقيل الكريم المرئ وهو المتبرز بخريم الناعم ما النعمة فقال الامن فانه ليس لخائف عيش والغنى فانه ليس لفقير عيش والصحة فانه ليس لسقيم عيش قيل ثم ماذا قال لا مزيد بعد هذا وقال سلم بن قتيبة الشباب الصحة والسلطان الغنى والمروءة الصبر على الرجال وقال المهلب بن أبي صفرة العجب لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وكان يقول لبنيه اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا وقال خالد بن عبد الله القسري محض الجود ما لم تسبقه مسئلة وما لم يتبعه من ولم يزر به قصر ووافق موضع الحاجة وقال بعض المحدثين وهو (حبيب) الطائي

أسائل نصر لا تسله فانه • أحن الى الارفاد منك الى الرفد

وقال آخر وهو أبو العتاهية

لا تسألن المرء ذات يديه • فلتحقرنك من رغبت اليه

المرء مالم ترزه لك مكرم • واذا رزأت المرء هنت عليه

وكما يكون لديك من عاشرته • فكذاك فارض بأن تكون لديه

ودخل النضار العذري على معاوية في عباءة فاحتقره فرأى ذلك النضار في وجهه فقال له يا أمير المؤمنين ليست العباءة تكلمك انما يكلمك من فيها ثم تكلم فملأ سمعه ثم نهض ولم يسأله فقال معاوية ما رأيت رجلا أحقر أولا ولا أجل آخرا منه ودخل محمد بن كعب القرظي على سليمان بن عبد الملك في ثياب رثة فقال له سليمان ما يحملك على لبس مثل هذه الثياب فقال أكره أن أقول الزهد فأطري نفسي أو أقول الفقر فأشكو ربي وحدثني التوزي قال دخل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب على هشام بن عبد الملك في ثياب وعليه عمامة تخالفها فقال له هشام كأن العمامة

والجوابات وكان كل صنف من هذه الاصناف يريد الاستقصاء على صاحبه ويكون غايته اظهار نفسه وان لم يصل الى ذلك الا باظهار نقص أخيه ووليه لكان كتابنا كبيرا كثير الورق عظيما ولكن القليل الذي يجمع خير من الكثير الذي يفرق ونحن نعوذ بالله من هذا المذهب ونسأله العون والتسديد انه سميع قريب فعال لما يريد

(فصل من صدر كتابه في حجج النبوة)

ليست من الشباب قال انها مستعارة فقال له كم سنّك قال ستون سنة قال ما رأيت ابن ستين أبقى كدنة منك (كدنة قوة الجسم قال ابن القوطية فى الافعال كدن الشفة كدونا اسودت وأكدن البعير كثر لحمه وشحمه) ما طعامك قال الخبز والزيت قال أما تأجمهما قال اذا أجمتهما تركتهما حتى أشتهيهما ثم خرج من عنده وقد صدع فقال أترون الاحول لقعني بعينه فمات من تلك العلة (قال ابن الاعرابى لقع فلان فلانا بعينه وزلقه وزلّقه وأزلقه وشقذه وشوّهه ويقول الرجل اذا أجاد فى عمله لا تشرّه على أى لا تقل لى أجدت فتصيبنى بالعين ورجل معين اذا أصيب بالعين وشاه وشانه وشقذ وشقذان) ونظر اعرابى الى رجل جيد الكدنة فقال يا هذا انى لارى عليك قطيفة محكمة من نسج أضراسك ودخل أبو الاسود الدؤلى (اسم أبى الاسود الدؤلى ظالم بن عمرو بن سفيان وقيل ابن عمرو بن جندل بن سفيان وأمه من بنى عبد الدار بصرى تابعى ثقة من أصحاب على من كتّابه) على عبيد الله بن زياد فى ثياب رثّة فكساه ثيابا جسانا فخرج وهو يقول

كساك ومااستكسيته فشكرته ✱ أخ لك يعطيك الجزيل وناصر

وان أحق الناس ان كنت مادحا ✱ بمدحك من أعطاك والعرض وافر

وحدثنى الرياشى قال دخل أبو الاسود الدؤلى على عبيد الله بن زياد وقد أسن فقال له عبيد الله يهزأ به يا أبا الاسود انك لجميل فلو تعلقت تميمة تردّ عنك بعض العيون فقال أبو الاسود

أفنى الشباب الذى أفنيت جدته ✱ كرّ الجديدين من آت ومنطلق

لم يتركا لى فى طول اختلافهما ✱ شيأ أخاف عليه لذعة الحدق

قوله فلو تعلقت تميمة هى المعاذة يعلقها الرجل قال ابن قيس الرقيات

صدروا ليلة انقضى الحج فيهم ✱ طفلة زانها أغر وسيم

يتقى أهلها العيون عليها ✱ فعلى جيدها الرقى والتميم

وقال أبو ذؤيب ✱ واذا المنية أنشبت أظفارها ✱ ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقوله لذعة الحدق فهو من قولك لذعته النار اذا لفحته ويقال لذع فلان فلانا بأدب اذا أدبه أدبا يسيرا كأنه كالمقدار الذى وصفناه من النار وقول ابن قيس الرقيات زانها أغر وسيم فالاغر الابيض يعنى الوجه والوسيم الجميل والمصدر الوسامة والوسام وقال بعض المحدثين ذكرناه بقول

الحمد لله الذى عرفنا نفسه وعلمنا دينه وجعلنا من الدعاة اليه والمحتجين له فنحن نسأله تمام النعمة والعون على أداء شكره وان يوفقنا للحق برحمته انه ولى ذلك والقادر عليه والمرغوب اليه فيه وصلى الله على محمد وآله وسلم ثم انا قائلون فى الاخبار ومخبرون عن الآثار ومفرقون بين أسباب الشبهة وأسباب الحجة ثم مفرقون بين الحجة التى تلزم الخاصة دون العامة ومخبرون عن الضرب الذى

أبي الاسود

قد كنتُ أرتاعُ للبيضاء في حلكٍ • فصرتُ أرتاع للسوداء في يققِ

من لم يَشِب ليس بالاقى حليلته • وصاحبُ الشيب للنسوان ذو ملقِ

قد كُنَّ يفرَقنَ منه في شبيبته • فصار يفرق ممن كان ذا فرقِ

ان الخضابَ لتدليسٌ يُغشّ به • كالثوب في السوق مطويا على حرقِ

ويروى يُطوى لتدليس على حَرَق وشبيهٌ بهذا المعنى قول أبي تمام

طال انكارىَ البياضَ وان عُمّرتُ شيأ أنكرتُ لونَ السواد

وحدثني الزيادي قال قيل لاعرابي ألا تخضبُ بالوسمة فقال لم ذاك فقال لتصبو اليك النساء فقال أما نساؤنا فما يردن بنا بديلا وأما غيرهن فما التمس صبوتهن وقال العتبي

وقائلة تبيّض والغواني • نوافرُ عن معالجة القتير

(ويروى معالجة بكسر اللام فمن فتح اللام جعله مصدرا ومن كسر اللام فهي الجماعة التي تعالج ذلك الشيء)

عليك الخطر علّك أن تدنّى • الى بيض ترائبهنّ حور

فقلتُ لها المشيبُ نذيرُ عمري • ولستُ مسوّدا وجهَ النذير

وقال آخر وهو أبو خالد يزيد بن محمد المهلّبي

صبغتُ الرأس ختلا للغواني • كما غطّى على الرِّيَبِ المُريبُ

أُعلّلُ مرةً وأُعادُ أخرى • ولا تخفى من الكبر العيوبُ

أُسوّفُ توبتي خمسين عاما • وظنّي أن مثلي لا يتوب

يُقوّمُ بالثقافِ العودُ لدنًا • ولا يتقوّمُ العودُ الصليبُ

وقال مالك بن دينار جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم وكان يقول ما أشدّ فطام الكبير وقال آخر

دعي لومي ومعتبتي أماما • فاني لم أعوّد أن الاما

وكيف ملامتي اذ شاب رأسي • على خُلُقٍ نشأتُ به غلاما

وقيل لاعرابي ألا تغيّر شيبك بالخضاب فقال بلى ففعل ذلك مرة ثم لم يعاود فقيل له لم لا تعاود الخضاب فقال يا هناه لقد شدّ لحياي فجعلت اخالني ميتا وقال بعض المحدثين وهو محمود الوراق

يا خاضبَ الشيبِ الذي • في كل ثالثة يعود ان النصول اذا بدا • فكأنه شيب جديد

يكون الخاصة فيه حجة على العامة وعن الموضع الذي يكون القليل فيه أحق بالحجة من الكثير ولم شاع الخبر وأصله ضعيف ولم خفي وأصله قوي وما الذي يؤمن من فساده وتبديله مع تقادم عصره وكثرة الطاعنين فيه وعن الحاجة الى رواية الآثار والى سماع الاخبار وعن أخلاق الناس وآبائهم ومذاهب أسلافهم وعن سير الملوك قبلهم وما صنعت الايام بهم وعن شرائع أنبيائهم

وله بديهة لوعة * مكروهها أبداً عتيد فدع المشيب لما أرا * د فلن يعود كما تريد

وقال محمود أيضاً أليس عجيباً بأن الفتى * يصاب ببعض الذى فى يديه

فمن بين باك له موجع * وبين معز مغذ اليه

ويسلبه الشيب شرخ الشباب * فليس يعزيه خلق عليه

وقال أيضاً يا خاضب الشيبة ثم فقدها * فانما تدرجها فى كفن

أما تراها منذ مانبتها * تزيد فى الرأس بنقص البدن

وقال أيضاً اغتنم غفلة المنية واعلم * أنما الشيب للمنية جسر

كم كبير يوم القيامة يقصى * وصغير له هنالك قدر

(قال أبو الحسن يقال جسر وجسر وهو مأخوذ من الناقة الكبيرة يقال لها الجسر) وقال أعرابى (هو أبو النجم)

قالت سليمى أنت شيخ أنزع * فقلت ماذاك إنى أصلع ثم حسرت عن صفاة تلمع

فاقبلت قائلة تسترجع * ما رأس ذا الاجبين أجمع

وقال آخر وهو رؤبة فقد ترك الدهر صفاتى صفصفا * فصار رأسى جبهة الى القفا

كانه قد كان ربعا فعفا * غشى ويغشى للمنايا هدفا

وكان نصر بن حجاج بن علاط السلمى ثم البهزى جميلا فسيّره عمر بن الخطاب رحمه الله فى أمر الله أعلم به فحلق رأسه وكان عمر أصلع لم يبق من شعره الا حفافا كذلك قال الاصمعى فقال نصر بن حجاج

أضن ابن خطاب على بجمة * اذا رجلت تهتز هز السلاسل

فصلّع رأساً لم يصلعه ربه * يرف رفيفاً بعد أسود جاثل

لقد حسد الفرعان أصلع لم يكن * اذا ما مشى بالفرع بالمتخايل

قوله بالفرع المتخايل ليس أنه جعل بالفرع من صلة المتخايل فيكون معناه بالذى يختال بالفرع فيكون قد قدم الصلة على الموصول ولكنه جعل قوله بالفرع تبيينا فصار بمنزلة بك التى تقع بعد مرحبا للتبيين وقد مر تفسير هذا مستقصى فى الكتاب المقتضب وقال آخر

تغطى عنبر بالعمائم لؤمها * وكيف يغطى اللؤم طى العمائم

واعلام رسلهم وعن أدب حكمائهم وآفاويل أئمتهم وفقهائهم وعن حالات من غاب عن أبصارهم فى دهرهم ولم كان الاخبار على الناس أخف من الكتمان ولم كان الصمت أثقل عليهم من الكلام وما الضرب الذى يقدرون على كتمانه وطيه والضرب الذى لا يقدرون الا على اذاعته ونشره ولم اجتمعت الامم على الصدق فى أمور واختلفت فى غيرها ولم حفظت أمورا ونسيت

فان تضربونا بالسياط فاننا • ضربناكم بالمرهفات الصوارم

وان تحلقوا منا الرؤس فاننا • حلقنا رؤسا بالقها والغلاصم

وان تمنعوا منا السلاح فعندنا • سلاح لنا لا يشترى بالدراهم

جلاميد أملاء الاكف كأنها • رؤس رجال حلقت بالمواسم

وكان يزيد بن الطثرية غزلا وكان أخوه ثور ذا مال فكان يزيد يأتي العطار فيقول اذهني دهنة بناقة من ابل ثور فيفعل ذلك وكان ذا جمة حسنة فاذا كثر عليه الدين هرب فتبدى فاذا ذكر حوشية وهي امرأة كان يشبب بها (حوشية بنت أبي فلان بن قرة ولها مع يزيد حديث طريف) قدم فاقتطع من ابل أخيه ما يقضي به دينه وفي ذلك يقول

قضى غرماني حب أسماء بعدما • تخونني ظلم لهم وفجور

فذلك دأبي ما حييت وما مشى • لثور على ظهر الفلاة بعير

فاستعدى عليه ثور السلطان فأمر بحلق رأسه فقال

أقول لثور وهو يحلق لمتي • بعقفاء مردود عليها انصابها

ترفق بها يا ثور ليس ثوابها • بهذا ولكن عند ربي ثوابها

ألا ربما يا ثور فرق بينها • أنامل رخصات حديث خضابها

فيهلك مدرى العاج في مدلهمة • اذا لم تفرج مات غما صوابها

فجاء بها ثور ترف كأنها • سلاسل برق لينها وانسكابها

وراحت برأس كالصخرة أشرفت • عليها عقاب ثم طارت عقابها

فجد لو تبة كالشرية الفرد جادها • من الصيف أنواء مطير سحابها

(باب)

قال رجل من المتقدمين وهو قيس بن عاصم المنقري

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك • ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد

اذا ما اصنعت الزاد فالتمسي له • أكيلا فاني لست آكله وحدي

قصيا كريما أو قريبا فانني • أخاف مذمات الأحاديث من بعدي

سواها ولم كان الصدق أكثر من الكذب ولم كان الصمت أثقل والقول أفضل والعجب من ترك الفقهاء تمييز الآثار وترك المتكلمين القول في تصحيح الأخبار وبالأخبار يعرف الناس النبي من المتنبي والصادق من الكاذب وبها يعرفون الشريعة من السنة والفريضة من النافلة والحظر من الاباحة والاجماع من الفرقة والشذوذ من الاستفاضة والرد من

وانى لَعَبْدُ الضَّيْفِ مادام ثاوياً • وما من خلالى غيرها شيمةُ العبد

غيرها الاستثناء مقدم وقد مضى تفسيرُه وقوله قصيا كريما من طريف المَعانى وذلك انه لم يحتج الى ان يشترط فى نسبته الكرم لانه قد ضَمِنَ ذلك واشترط فى القَصِىّ ان يكون كريما الا انه كره ان يكون مُواكِله غير كريم وهذا ليس من الباب الذى ذكره جرير حيث يقول فى هجائه بنى هِزّان

ضَيْفُكُمْ جائع ان لم يَبِتْ غَزِلاً • وجارُكُم يا بنى هِزّانَ مَسروقُ

رأيتُ هِزّانَ فى أرواحِ نِسوتها • رَحْبٌ وهِزّانُ فى أخلاقها ضِيقُ

وقال آخر من المُحْدَثين وهو يحيى بن نوفل انشد دعبل

كنتُ ضيفًا بِبَرْمَنايا العبدِ الله والضيفُ حقُّه معلومُ

فانبرى يمدحُ الصيامَ الا انّ صُمْتُ يوما ما كنتُ فيه أصومُ

ثم أنشا يستام بِرْذَوْنَى الورد مُلِحًّا كما يُلِحُّ الغَريمُ

(قال الاخفش يروى بِرْذَونَى الزَّرْد وهو الاصفر)

ولَعَمْرى انَّ ابنَ قَيْلَةَ اذ يَسْتامُ بِرْذَونَ ضيفه للئيم

وقال رجل أنشدنيه السجستانى يقوله لابن دَعْلَج وكان ابن دعلج يتوالى بنى تميم

اذا جئتَ الاميرَ فقل سلامٌ • عليك ورحمةُ الله الرحيم

وأمّا بعدَ ذاك فلى غريمٌ • من الاعراب قُبِّحَ من غريم

لزومٌ ما علمتُ بباب دارى • لزومَ الكهف أصحابُ الرقيم

له مائة علىَّ ونصفُ أخرى • ونصفُ النصف فى صكٍّ قديم

دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكن • حَبَوْتُ بها شيوخَ بنى تميم

(زاد أبو الحسن أتونى فى العشيرة يسألونى • ولم أكُ فى العشيرة بالمليم

قال أبو الحسن لم يعرف أبو العباس هذا البيت الاخير وهو صحيح) وجاور قيس بن عاصم بن سنان ابن خالد بن منقر بن عبيد تاجرا خمّارا فشرب شرابه وأخذ متاعه ثم أوثقه فقال اقد نفسك وقال فى ذلك

وتاجرٍ فاجرٍ جاء الالهُ به • كأنّ عُثْنُونَه أذنابُ أجمال

(قال ذلك لان ذَنَبَ البعير يَضْرِبُ الى الصُّهْبة وفيه استواء وهو يشبه اللحية) وقال النَّمِرُ بن تولب

المعارضة والنار من الجنة وعامة المفسدة والمصلحة فاذا نزلت الاخبار منازلها وقسمتها ذكرت حجج الرسول صلى الله عليه وسلم ودلائله وشرائعه وسننه ثم جنست الآثار على أقدارها ورتبتها فى مراتبها وقربت ذلك واختصرته وأوضحت عنه وبينته حتى يستوى فى معرفتها من قل سماعه وساء حفظه ومن كثر سماعه وجاد حفظه بالوجوه الجليلة والأدلة الاضطرارية ولم أردف

اذا كنت فى سعد وامك منهم • غريبا فلا يغررك خالك من سعد

فان ابن أخت القوم مصغى اناؤه • اذا لم يزاحم خاله باب جلد

واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن عاصم على صدقات بنى سعد فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها قيس بعد فى بنى منقر وقال

من مبلغ عنى قريشا رسالة • اذا ما أتتها محكمات الودائع

حبوت بما صدقت فى العام منقرا • وأيأست منها كل أطلس طامع

وجاور عروة بن مرة أخو أبى خراش الهذلى ثمالة من الازد فجلس يوما بفناء بيته آمنا لا يخاف شيأ فاستدبره رجل منهم من بنى بلال بسهم فقصم صلبه ففى ذلك يقول أبو خراش

لعن الاله وجوه قوم رضع • غدروا بعروة من بنى بلال

وأسر خراش بن أبى خراش أسرته ثمالة فكان فيهم مقيما فدعا آسره يوما رجلا منهم للمنادمة فرأى ابن أبى خراش موثقا فى القد فامهل حتى قام الآسر لحاجة فقال المدعو لابن أبى خراش من أنت قال أنا ابن أبى خراش فقال كيف دليلاك قال قطاة قال نقم فاجلس ورائى وألقى عليه رداءه ورجع صاحبه فلما رأى ذلك اشتمل بالسيف وقال أسيرى فنثل المجير كنانته وقال والله لأرمينك ان رمته فانى قد أجرته فخلى عنه فجاء الى أبيه فقال له من أجارك فقال والله ما أعرفه فقال أبو خراش وقال الرواة لا نعرف أحدا مدح من لا يعرف غير أبى خراش

حمدت الهى بعد عروة اذ نجا • خراش وبعض الشر أهون من بعض

فوالله لا أنسى قتيلا رزيته • بجانب قوسى ما مشيت على الارض

بلى انها تعفو الكلوم وانما • نوكل بالادنى وان جل ما يمضى

ولم أدر من ألقى عليه رداءه • على انه قد سل عن ماجد محض

(ولم يك مثلوج الفؤاد مهبجا • أضاع الشباب فى الربيلة والخفض

ولكنه قد لوحته مخامص • على أنه ذو مرة صادق النهض)

كأنهم يسعون فى اثر طائر • خفيف المشاش عظمه غير ذى نحض

يبادر جنح الليل فهو مهابذ • يحث الجناح بالتبسط والقبض

هذا الكتاب جمع حجج الرسول عليه السلام وتفصيلها والقول فيها لبعض مسها أولوهن كان فى أصلها من ناقليها والمخبرين عنها أو لان طعن الملحدين نهكها وفرق جماعتها ونقض قواها ولكن لامور سأذكرها واحتج وكيف تقصر الحجة عن بلوغ الغاية وتنقص عن التمام والله تعالى المتوكل بها ومسخر أصناف البرية ومهيج النفوس على ابلاغها وقد أخبر بذلك عن نفسه

قوله قَبَحَ الاله وجوه قوم رُضَّع فهو جماعة راضع وقوم يقولون هو توكيد اللئيم كما يقولون جائع
نائع وحسن بسن وعطشان نطشان وأجمع أكتع وقوم يقولون الراضع هو الذي يرتضع من
الضرع لئلا يسمع الضيف أو الجار صوت الحلب فيطلب منه وتصديق ذلك ما أنشدناه أبو عثمان
عمرو بن بحر لرجل من الاعراب ينسب ابن عم الى اللؤم والتوحش

أحبُّ شئ اليه أن يكون له • حلقوم واد له في جوفه غارُ
لا تعرف الريح ممساه ومصبحه • ولا يشبُّ اذا أمسى له نارُ
لا يحلب الضرع لؤما في الاناء ولا • يرى له في نواحي الصحن آثارُ

وقوله كيف دليلاك فهي كثرة الدلالة والفعيلي انما تستعمل في الكثرة يقال القتيتي لكثرة النميمة
ويقال الهجيرى لكثرة الكلمة المترددة على لسان الرجل يقال ذكرته هجيراي أي هو الذي يجري
على لساني وفي الحديث كان هجيري أبي بكر الصديق رحمه الله لااله الا الله ويقال كان بينهم
رميا لكثرة الرمي وكذلك كل ما أشبه هذا وقوله بجانب قوسي فهو بلد تحله ثمالة بالسراة وقوله
بلى انها تعفو الكلوم فهي الجراح والآثار التي تشبهها قال جرير

تلقى السليطي والابطال قد كلموا • وسط الرجال سليما غير مكلوم

وينشد وسط الرحال وتعفو تدرس وقوله عظمه غير ذي نحض النحض اللحم يقال رأكل نحضا
ويروى الرجال نحضا وقوله فهو مهابذ يقول مجتهد وهذيل فيها سعي شديد وهي جماعة من القبائل
التي تحل بأكناف الحجاز ولقي الزبرقان بن بدر وهو قاصد بصدقات قومه الى أبي بكر الصديق
رحمه الله الحطيئة في طريقه فقال له الزبرقان من أنت فقال انا أبو مليكة أنا حسب موضوع فقال
له الزبرقان انى أريد هذا الوجه ومالك منزل فامض الى منزلي بهذا السهم فسل عن القمر بن القمر
وكن هناك حتى أعود اليك ففعل فأنزلوه وأكرموه فأقام فيهم فحسدهم عليه بنو عمهم من بني
قريع وذلك أن الزبرقان من بني بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وحاسدوه بنو
قريع بن عوف بن كعب بن سعد ولم يكن لعوف الا قريع وعطارد وبهدلة وكان الذين حسدوه منهم
بنو لأي بن شماس بن أنف الناقة بن قريع فدسوا الى الحطيئة أن تحول الينا نعطك مائة ناقة
ونشد كل طنب من أطناب بيتك بجلة هجرية قال فانى لى بذلك قالوا انهم يريدون النجعة فاذا احتملوا

في محكم كتابه عز ذكره
حيث قال هو الذي أرسل
رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون وأدنى
منازل الاظهار اظهار
الحجة على من ضاره وخالف
عليه وقال عز ذكره
يريدون ليطفئوا نور الله
بأفواههم والله متم نوره
ولو كره الكافرون وأخبر
انه أمر الاحمر والاسود
ولم يكن ليأمر الاقصى كما
يأمر الادنى ويأمر الغائب
على الحاضر قال الله
تعالى لنبيه عليه السلام

فتخلّف عنهم ثم دسّوا الى امرأة الزبرقان من خبّر بأن الزبرقان انما قدّم هذا الشيخ ليتزوج ابنته فقدح ذلك في قلبها فلما تحمّل القوم تخلّف الحطيئة فاحتمله القُرَيعيون فبنوا له ووفوا له فلما جاء الزبرقان صار اليهم فقال ردّوا عليّ جاري فقالوا ليس لك بجار وقد طرحته فذلك حيث يقول الحطيئة

وانّ التي نكّبتها عن معاشر • عليّ غضاب ان صددت كما صدّوا
أتت آل شمّاس بن لأي وانما • أتاهم بها الأحلام والحسب العدّ
فانّ الشقيّ من تعادي صدورهم • وذا الجدّ من لانوا اليه ومن ودّوا
يسوسون أحلاما بعيدا أناتها • وان غضبوا جاء الحفيظة والجدّ
أقلّوا عليهم لا أبا لأبيكم • من اللوم أو سدّوا المكان الذي سدّوا
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنى • وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدّوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها • وان أنعموا لا كدّروها ولا كدّوا
وان قال مولاهم على جلّ حادث • من الدهر ردّوا فضل أحلامكم ردّوا
وتعذلني أفناء سعد عليهم • وما قلت الا بالذي علمت سعد

قوله جلّة محزونة أي ضخمة يقال ذلك للناقة والنخلة اذا استفحلت وطالت وقوله نكّبتها يقول عدلت بها وقوله والحسب العدّ معناه الجليل الكثير وأصل ذلك في الماء يقال بئر عدّ اذا كانت ذات مادة من العيون لا تنقطع وكل ماء ثابت فهو عدّ وقوله يسوسون احلاما بعيدا أناتها يقول يقال لا يبلغ آخرها وأصل الاناة من التأنّي والانتظار فيقول لا يبلغ آخرها فتستفّه وقوله أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنى وان شئت قلت البنا فهما مقصوران يقال بِنى بِنية وبُنية فجمع بِنية بِنى وجمع بُنية بُنى فبِنية وبِنى ككسرة وكسر وبُنية وبُنى كظُلمة وظُلم فأما المصدر من بنيت فممدود يقال بنيته بناء حسنا وما أحسن بناءك وقوله وان عاهدوا أوفوا أوفى أحسن اللغتين يقال وفى وأوفى قال الشاعر فجمع اللغتين

أما ابن بيض فقد أوفى بذمته • كما وفى بقلاص النجم حاديها

وفي القرآن بلى من أوفى بعهده وقال الله تبارك وتعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وقال عز وجل والموفون بعهدهم اذا عاهدوا فهذا كله على أوفى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى

وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا فاقول ان كل منطيق محجوج والحجة جنان عيان ظاهر وخبر قاهر فاذا تكلمنا في العيان وما يتفرع منه فلا بد من التعارف في أصله وفرعه منه ولا بد من التصادق في أصله والتعارف في فرعه فالعقل هو المستدل والعيان والخبر هما علة الاستدلال وأصله ومحال كون الفرع مع عدم الأصل وكون الاستدلال مع عدم

من انه قتل مسلما بعاهد وقال انا أوفى من أوفى بذمته وقال السموءل فى اللغة الاخرى

وفيت بأدرع الكندى انى ٭ اذا ما عاهدت أقوام وفيت

وقال المكعبر الضبى (قال أبو الحسن حفظى المكعبر)

وفيت وفاء لم ير الناس مثله ٭ بتعشار اذ تحبو الى الاكابر

وقوله وان كانت النعماء فيهم جزوا بها ٭ وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا

يقول ماقال جرير مثله وانى لاستحيى أخى أن أرى له ٭ علىّ من الحق الذى لا يرى ليا

يقول أستحيى ان أرى نعمته علىّ ولا يرى على نفسه لى مثلها وقوله على جل حادث فهو الجليل

من الامر يقال فلان يدعى للجلّى قال طرفة ٭ وان أدع للجلى أكن من حماتها وفيهم يقول الحطيئة

لقد مريتكم لو ان دررتكم ٭ يوما يجىء بها مسحى وابساسى

لما بدا لى منكم غيب أنفسكم ٭ ولم يكن لجراحى فيكم آسى

أزمعت يأسا مبينا من نوالكم ٭ ولا ترى طاردا للحر كالياس

ماكان ذنب بغيض لا أبا لكم ٭ فى بائس جاء يحدو آخر الناس

جار لقوم أطالوا هون منزله ٭ وغادروه مقيما بين أرماس

ملوا قراه وهرته كلابهم ٭ وجرحوه بأنياب وأضراس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ٭ واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ٭ لا يذهب العرف بين الله والناس

قوله لقد مريتكم أصل المرى المسح يقال مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لتدر ويقال مرى

الفرس والناقة اذا قام أحدهما على ثلاث ومسح الأرض بيده الاخرى قال الشاعر

اذا حط عنها الرحل ألقت برأسها ٭ الى شذب العيدان أو صفنت تمرى

وهذا من أحسن أوصافها وقال بعض المحدثين يصف برذونا بحسن الأدب (الشعر لمحمد بن يزيد من

ولد مسلمة بن عبد الملك يصف فرسه وقبله

عودته فيما أزور حبائبى ٭ اهماله وكذاك كل مخاطر)

واذا احتبى قربوسه بعنانه ٭ علك اللجام الى انصراف الزائر

الدليل والعقل مضمن بالدليل والدليل مضمن بالعقل ولا بد لكل واحد منها من صاحب وليس لابطال أحدهما وجه مع ايجاب الآخر والعقل نوع واحد والدليل نوعان أحدهما شاهد عيان يدل على غائب والآخر مجىء خبر يدل على صدق ثم رجع الكلام الى الاخبار عن دلائل النبى صلى الله عليه وسلم وأعلامه والاحتجاج لشواهده وبرهانه فأقول ان السلف الذين جمعوا

ويقال مراه مائة سوط ومائة درهم اذا أوصل ذلك اليه ولمراه موضع آخر ومعناه مراه حقه اذا دفعه عنه ومنعه منه وقد قرئ أفتمرونه على ما يرى أى تدفعونه وعلى فى موضع عن قال العامرى (هو القحيف العقيلى) اذا رضيت على بنو قشير • لعمر الله أعجبنى رضاها

وبنو كعب بن ربيعة بن عامر يقولون رضى الله عليك وأما الابساس فان تدعوا الناقة باسمها أو تلين لها الطريق الى الحلب بقول أو مسح أو ما أشبه ذلك فاذا كانت الناقة تدر على الدعاء والملق قيل ناقة بسوس وذلك من صفاتها فى حسن الخلق وقوله ولم يكره الجراحى فيكم آسى يقول مداو والآسى الطبيب قال الفرزدق يصف شجة

اذا نظر الآسون فيها تقلبت • حماليقهم من هول أنيابها العصل

والاساء الدواء ممدود قال الحطيئة

هم الآسون أم الرأس لما • تواكلها الأطبة والاساء

وأما الأسى فمقصور وهو الحزن من ذلك قول الله جل ثناؤه فلا تأس على القوم الكافرين وقال العجاج يا صاح هل تعرف رسما مكرسا • قال نعم أعرفه وأبلسا

• وانحلبت عيناه من فرط الأسى •

فاذا قلت الأسى قصرت أيضا وهو جمع أسوة يقال فلان أسوتى وقدوتى قال الله جل وعز لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة والرمس التراب يقال رمس فلان فى قبره وأشعار الحطيئة فى هذا الباب كثيرة ولولا أنها معروفة مشهورة لأتينا على آخرها ولكنا نذكر منها شيأ مختارا فى ذلك قوله

جزى الله خيرا والجزاء بكفه • على خير ما يجزى الرجال بغيضا

فلو شاء اذ جئناه ضن فلم يلم • وصادف منا فى البلاد عريضا

(كذا وقعت الرواية منا والصواب منأى بعدا مأخوذ من نأيت اذا بعدت ومنه النأى) يقول كثرت محاسنه حتى كذب ذامه فاستغنى عن أن يكثر مادحه ثقة بأن هاجيه غير مصدق فاعتبر هذا الكلام فانك تجده رأسا فى بابه ومن ذلك قوله

وانى قد علقت بحبل قوم • أعانهم على الحسب الثراء

اذا نزل الشتاء بجار قوم • تجنب جار بيتهم الشتاء

القرآن فى المصاحف بعد ان كان متفرقا فى الصدور والذين جمعوا الناس على قراءة زيد بعد أن كان غيرها مطلقا غير محظور والذين حصنوه ومنعوه الزيادة والنقصان لو كانوا جمعوا علامات النبى صلى الله عليه وسلم وبرهانه ودلائله وآياته وصنوف بدائعه وأنواع عجائبه فى مقامه وظعنه وعند دعائه واحتجاجه فى الجمع العظيم وبحضرة العدد الكثير الذين لا يستطيع الشك فى خبرهم الا الغبى

هم الآسون أم الرأس لما • تواكلها الأطبة والإساء

ثم قال يخاطب الزبرقان ورهطه

ألم أك نائيا فدعوتموني • فجاءني المواعد والدعاء

فلما كنت جاركم أبيتم • وشر مواطن الحسب الإباء

ولما كنت جارهم حبوني • وفيكم كان لو شئتم حباء

فلما أن مدحت القوم قلتم • هجوت وهل يحل لي الهجاء

ولم أشتم لكم حسبا ولكن • حدوت بحيث يستمع الحداء

ويروى ان الحطيئة واسمه جرول بن أوس ويكنى أبا مليكة مر بحسان بن ثابت وهو ينشد (ش) أدخله سيبويه رحمه الله على أن الجفنات من الجمع الكثير)

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى • وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فالتفت اليه فقال كيف ترى فقال ما أرى بأسا فقال حسان انظروا الى الأعرابي يقول ما أرى بأسا أبو من قال أبو مليكة قال حسان ما كنت علي أهون منك حيث اكتنيت بامرأة ما اسمك قال الحطيئة قال امض بسلام وكان الحطيئة في حبس عمر بن الخطاب رحمه الله باستعداء الزبرقان عليه في هذه القصة ولعمر يقول

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ • حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة • فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الامام الذي من بعد صاحبه • ألقت اليك مقاليد النهى البشر

ما آثروك بها اذ قدموك لها • لكن بك استأثروا اذ كانت الأثر

ويروى عن أبي زيد الانصاري أنه قال ويروى الأثر والواحدة أثرة وإثرة ومعناه الاستئثار فرق له عمر فأخرجه فيروى أن عمر رحمه الله دعا بكرسي فجلس عليه ودعا بالحطيئة فأجلسه بين يديه ودعا باشفى وشفرة يوهمه أنه على قطع لسانه حتى ضج من ذلك فكان فيما قال له الحطيئة يا أمير المؤمنين اني والله قد هجوت أبي وأمي وهجوت امرأتي وهجوت نفسي فتبسم عمر رحمه الله ثم قال فما الذي قلت قال قلت لأبي وأمي والمخاطبة للام

الجاهل والعدو المائل لما استطاع اليوم ان يدفع كونها وصحة مجيئها لا زنديق جاحد ولا دهري معاند ولا متطرف ماجن ولا ضعيف مخدوع ولا حدث مغرور ولكان مشهورا في عوامنا كشهرته في خواصنا ولكان استبصار جميع أعياننا في حقهم كاستبصارهم في باطل نصاراهم ومجوسهم ولما وجد الملحد موضع طمع في غبي يستمليه وفي حدث يموه له ولولا كثرة ضعفائنا مع كثرة الدخلاء

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني • وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقلت لها

تنحي فاجلسي مني بعيدا • أراح الله منك العالمينا

أغربالا اذا استودعت سرا • وكانونا على المتحدثينا

(قوله كانونا قيل الكانون النمام وقيل الثقيل وقيل الذي اذا دخل على القوم كتموا حديثهم منه وقيل هو المصطلي وقيل انه هو كانون النار لانه يؤذي ويحرق) وقلت لامرأتي

أطوف ما أطوف ثم آوي • الى بيت قعيدته لكاع

فقال له عمر رحمه الله فكيف هجوت نفسك فقال اطلعت في بئر فرأيت وجهي فاستقبحته فقلت

أبت شفتاي اليوم الا تكلما • بهجو فما أدري لمن أنا قائله

أرى لي وجها قبح الله خلقه • فقبح من وجه وقبح حامله

ونزل أعرابي من طيئ يقال له المثنى بن معروف بأبي جبر الفزاري فسمعه يوما يقول والله لوددت أني أبيت الليلة خاليا بابنة عبد الملك بن مروان فقال له الطائي أحلالا أم حراما فقال ما أبالي فوثب عليه فضرب رأسه بحالة ثم انتقل وهو يقول

أبلغ أمير المؤمنين رسالة • على النأي أني قد وترت أبا جبر

كسرت على اليافوخ منه رحالة • لنصر أمير المؤمنين وما يدري

على غير شيء غير أني سمعته • بني بنساء المسلمين بلا مهر

ويروى أن الحجاج جلس لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقام رجل منهم فقال أصلح الله الامير ان لي عليك حقا قال وما حقك قال سبك عبد الرحمن يوما فرددت عليه قال من يعلم ذلك قال أنشد الله رجلا سمع ذلك الا شهد به فقام رجل من الأسراء فقال قد كان ذلك أيها الامير قال خلوا عنه ثم قال للشاهد فما منعك أن تنكر كما أنكر قال لقديم بغضي اياك قال ويخلى عنه لصدقه وقال عمر بن الخطاب لرجل وهو أبو مريم السلولي والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم قال أفتمنعني حقا قال لا قال فلا بأس انما يأسف على الحب النساء (وهم أبو العباس رحمه الله في قوله أبو مريم السلولي انما هو أبو مريم الحنفي وكان سبب بغضه اياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب واسم أبي مريم اياس بن صبيح ثقة كوفي واسم أبي مريم السلولي

فينا الذين نطقوا بألسنتنا واستعانوا بعقولنا على أغبيائنا وأغمارنا لما تكلفنا كشف الظاهر واظهار البارز والاحتجاج الواضح الآن الذي دعا سلفنا الى ذلك الاتكال على ظهورها واستفاضة أمرها اذ كان ذلك كذلك فلم يؤت من أتى من جهالنا وأحداثنا وسفهائنا وخلفائنا الا من قبل ضعف العناية وقلة المبالاة ومن قبل الحداثة والغرارة ومن قبل انهم حملوا على عقولهم

مالك بن ربيعة من الصحابة روى عنه ابنه يزيد وغيره) وقال الحجاج لرجل من الخوارج والله انى لأبغضكم فقال له الخارجى أدخل الله أشدنا بغضا لصاحبه الجنة وأتى الحجاج بامرأة من الخوارج فجعلت لا تنظر اليه وكان يزيد بن أبى مسلم يرى رأى الخوارج ويكتم ذلك فأقبل على المرأة فقال انظرى الى الامير فقالت لا أنظر الى من لا ينظر الله اليه فكلمها الحجاج وهى كالساهية فقال لها يزيد استمعى ويلك من الامير فقالت بل الويل لك أيها الكافر الردىّ والردىّ عند الخوارج الذى له عقدهم ويظهر خلافه رغبة فى الدنيا وكان صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وصاحب دواوين العراق والذى قلب الدواوين الى العربية ثم كان على خراج العراق أيام ولى يزيد بن المهلب فأشجى يزيد وقد كان يرى رأى الخوارج فكايده يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج فأشار على الحجاج أن يأمره بقتل حواب الضبى وهو رأس من رؤس الخوارج وقال يزيد ان فعل برئت منه الخوارج وقتلته وان أمسك قتله الحجاج فقتله وخبرت أنه قال والله ما قتلته رغبة فى الحياة ولكنى خفت أن يبنى الحجاج بنانى وكان يقول انى حين أقتل حوابا لحريص على الدنيا لما عذبه عمر بن هبيرة فى خلافة يزيد بن عاتكة رمى به على قمامة وهو ما به فسمع يحكم عليها وحكم مالك بن المنذر بن الجارود وهو بآخر رمق فى سجن هشام بن عبد الملك ودخل يزيد بن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دميما فلما رآه قال قبح الله رجلا أجرك رسنه وأشركك فى أمانته فقال له يزيد يا أمير المؤمنين رأيتنى والأمر لك وهو عنى مدبر ولو رأيتنى والامر علىّ مقبل لاستكبرت منى ما استصغرت واستعظمت منى ما استحقرت فقال أترى الحجاج استقر فى قعر جهنم بعد فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذلك فان الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابر وهو يجىء يوم القيامة عن يمين أبيك وعن يسار أخيك فحيث كانا كان

من دقيق الكلام قبل العلم بجليله مالم تبلغه قواهم وتتسع له صدورهم وتحمله أقدارهم فذهبوا عن الحق يمينا وشمالا لان من لم يلزم الجادة تخبط ومن تناول الفرع قبل احكام الأصل سقط ومن خرق بنفسه وكلفها فوق طاقتها ولم ينل مالا يقدر عليه تفلت منه ما كان يقدر عليه فاذا كانوا كذلك فانما أتوا من قبل أنفسهم ولم يؤتوا من سلفهم أولان الله تبارك وتعالى عرف

(باب)

قال أبو العباس وهذا باب من تكاذيب الاعراب حدثنى أبو عمر الجرمىّ قال سألت أبا عبيدة عن قول الراجز

أهدموا بيتك لا أبا لكا * وأنا أمشى الدألى حوالكا

فقلت لمن هذا الشعر فقال هذا يقوله الضبّ للحسل أيام كانت الاشياء تتكلم الدألى مشى كمشى الذئب يقال هو يدأل فى مشيه اذا مشى كمشية الذئب من ذلك قول امرئ القيس

أقب حنيت الركض والدالان • ومن قال في بيت ابن عمة الضبي

(حقيبة رخلها بدن وسرج) • تعارضه مربّبة ذؤول

فانما أراد هذا ومن قال ذؤول فانما أراد السرعة يقال مر يذأل اذا مر يسرع وقوله حواليك يقال هو يطوف حواله وحوله وحواليه ومن قال حواليه بالكسر فقد أخطأ وفي القرآن نودي أن بورك من في النار ومن حولها وحواليه تثنية حوال كما تقول حنانيه الواحد حنان قال الشاعر

فقالت حنان ما أتى بك ههنا • أذو نسب أم أنت بالحي عارف

والحنان الرحمة قال الله عز وجل وحنانا من لدنا وقال الشاعر (وهو الحطيئة) لعمر بن الخطاب رحمه الله

تحنن علي هداك المليك • فان لكل مقام مقالا

وقال طرفة

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا • حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وحدثني غير واحد من أصحابنا قال قيل لرؤبة ما قولك

لو أنني عمرت سن الحسل • أو عمر نوح زمن الفطحل • والصخر مبتل كطين الوحل

ما زمن الفطحل قال أيام كانت السلام رطابا قوله سن الحسل مثل تضرب به العرب في طول العمر (ذكر ابن جني أن الحسل يعيش ثلثمائة سنة) وأنشدني رجل من بني العنبر أعرابي فصيح لعبيد بن أيوب العنبري

كأني وليلى لم يكن حل أهلنا • بواد خصيب والسلام رطاب

وحدثني سليمان بن عبد الله عن أبي العميثل مولى العباس بن محمد قال تكاذب أعرابيان فقال أحدهما خرجت مرة على فرس لي فاذا بظلمة شديدة فيممتها حتى وصلت اليها فاذا قطعة من الليل لم تنتبه فما زلت أحمل بفرسي عليها حتى أنبهتها فانجابت فقال الآخر لقد رميت ظبيا مرة بسهم فعدل الظبي يمنة فعدل السهم خلفه فتياسر الظبي فتياسر السهم خلفه ثم علا الظبي فعلا السهم خلفه فانحدر فانحدر عليه حتى أخذه وتزعم الرواة أن عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب قال لابني الجون الكنديين يوم جبلة ان لي عليكما حق الرحلي ووفادتي فدعوني أنذر قومي من موضعي هذا فقالوا شأنك فصرخ بقومه بعد أن قالا له شأنك فأسمعهم على مسيرة ليلة ويروى عن حماد الراوية قال قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لابيها أرأيت قول أبيك

بني عامر هل تعرفون اذا غدا • أبو مكنف قد شد عقد الدوابر

أسلافنا بنسيان أو غيره ليمتحن بذلك غيرهم في آخر الزمان وليعرضهم لطاعته بالذب عن دينه والاحتجاج لنبيه صلى الله عليه وسلم وليجري هذا الخير على أيديهم كما أجرى أكثر منه على أيدي أسلافهم لئلا يبخس أحد خليقته من العلماء والفقهاء ولان يجعل فضله مقسما بين جميع الأولياء وان كان الأول أحق بالتقديم والآخر أحق بالتأخير للذين قدموا من الاحتمال وأعطوا من المجهود ولانهم أصل هذا الأمر ونحن فرعه والأصل أحق بالقوة من الفرع وهم السابقون ونحن التابعون وهم الذين وطؤا لنا

بجيش تضل البلق في حجراته • ترى الأكم منه سجداً للحوافر

وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى • كثير تواليه سريع البوادر

ابت عادة للورد ان يكره الوغى • وحاجة رمحي في نمير بن عامر

فقلت لأبي أحضرت هذه الوقعة فقال نعم قلت فكم كانت خيلكم قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه قال فذكرت هذا لابن أبي بكر الهذلي فحدثني عن أبيه قال حضرت يوم جبلة قال وكان قد بلغ مائة سنة وكان قد أدرك أيام الحجاج قال فكانت الخيل في الفريقين مع ما كان مع ابني الجون ثلاثين فرسا قال فحدثت بهذا الحديث الخثعمي وكان راوية أهل الكوفة فحدثني أن خثعم قتلت رجلا من بني سليم بن منصور فقالت أخته ترثيه

لعمري وما عمري علي بهين • لنعم الفتى غادرتم آل خثعما

وكان اذا ما أورد الخيل بيشة • الى جنب أشراج أناخ فألجما

فأرسلها رهواً رعالاً كأنها • جراد زهته ريح نجد فأتهما

فقيل لها كم كانت خيل أخيك فقالت اللهم اني لا أعرف الا فرسه قوله قد شد عقد الدوابر يريد عقد دوابر الدرع فان الفارس اذا حمي فعل ذلك وقوله تضل البلق في حجراته يقول لكثرته لا ترى فيه الأبلق والابلق مشهور المنظر لاختلاف لونيه من ذلك قوله

فلئن وقفت لتخطفنك رماحنا • ولئن هربت ليعرفن الابلق

وحجراته نواحيه وقوله ترى الأكم منه سجدا للحوافر يقول لكثرة الجيش تطحن الأكم حتى تلصقها بالارض وقوله كمثل الليل يقول لكثرته فيكاد يسد سواده الأفق ولذلك يقال كتيبة خضراء أي سوداء وكانت كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هو فيها والمهاجرون والانصار يقال لها الخضراء والمرتجس الذي يسمع صوته ولا يبين كلامه يقال ارتجس الرعد من هذا والوغى الاصوات والتوالي واللواحق يقال تلاه يتلوه اذا اتبعه وتلوت القرآن أتبعت بعضه بعضا والمتلية التي معها أولادها وقوله فأرسلها رهوا يقول ساكنة قال الله جل وعز واترك البحر رهوا ويقال عيش راهيا في أي ساكن ورعال جمع رعيل وهو ما تقدم من الخيل يقال جاء في الرعيل الاول قال عنترة

اذ لا أبادر في المضيق فوارسي • ولا أوكل بالرعيل الأول

وكلفونا ما لم نكن لنكلفه أنفسنا فتجرعوا دوننا المرار ومنحونا روح الكفاية ولان الله تعالى اختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ولان القرآن نطق بفضيلتهم والله تعالى أعلم بمن بعدهم والذي جمع أسلافنا الذين جمعوا الناس على قراءة زيد دون أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود والذين رأوا من قول عبد الله في المعوذتين وقول أبي في سورتي القنوت ومن تعلق الناس بالاختلاف فكانوا لا يزالون قد رأوا الرجل يروي الحرف الشاذ ويقرأ بالحرف الذي لا يعرفونه فرأوا ان تحصينه لا يتم الا بحمل الناس على المقروء

وقوله

وقوله زهته ريح نجد فأتهم مايقول رفعته واستخفته قال ابن أبي ربيعة

فلما تواقفنا وسلمت أشرقت ❊ وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

ومعنى أتهم أتى تهامة وزعم أبو عبيدة عمن حدثه أن بكر بن وائل أرادت الغارة على قبائل بنى تميم فقالوا ان علم بنا السليك أنذرهم فبعثوا فارسين على جوادين يريغان السليك فبصرا به فقصداه وخرج يمحص كأنه ظبى فطارداه سحابة يومهما فقالا هذا النهار ولو جن عليه الليل لقد فتر فجدا فى طلبه فاذا بأثره قد بال فرغا فى الارض وخدها فقالا قاتله الله ما أشد متنيه ولعل هذا كان من أول الليل فلما امتد به الليل فتر فاتبعناه فاذا به قد عثر بأصل شجرة فندر منها كنكان ثلث وانكسرت قوسه فارتزت قصدة منها فى الأرض فنشبت فقالا قاتله الله والله لانتبعه بعد هذا فرجعا عنه وأتم الى قومه (ش يروى أتم بألف وتم بغير ألف وتم بالنون ومعنى تم الى قومه أى نفذ) فانذرهم فلم يصدقوه لبعد الغاية ففى ذلك يقول

يكذبنى العمران عمرو بن جندب ❊ وعمرو بن كعب والمكذب أكذب

ثكلتكما ان لم أكن قد رأيتها ❊ كراديس يهديها الى الحى موكب

كراديس فيها الحوفزان وحوله ❊ فوارس همام متى يدع يركبوا

فصدقه قوم فنجوا وكذبه قوم فورد عليهم الجيش فاكتسحهم وحدثنى التوزى قال سألت أبا عبيدة عن مثل هذه الاخبار من أخبار العرب فقال لى ان العجم تكذب فتقول كان رجل ثلثه من نحاس وثلثه من رصاص وثلثه من ثلج فتعارضها العرب بهذا وما أشبهه ومن ذلك قول مهلهل ابن ربيعة

فلو نشر المقابر عن كليب ❊ فتخبر بالذنائب أى زير

بيوم الشعثمين لقر عينا ❊ وكيف لقاء من تحت القبور

كأنا غدوة وبنى أبينا ❊ بجنب عنيزة رحيا مدير

كأن رماحهم أشطان بئر ❊ بعيد بين جاليها جرور

فلولا الريح أسمع من بحجر ❊ صليل البيض تقرع بالذكور

(قال أبو الحسن يقال فلان زير نساء وطلب نساء وتبع نساء وخلب نساء اذا كان صاحب نساء وذلك أن مهلهلا كان صاحب نساء فكان كليب يقول ان مهلهلا زير نساء ولا يدرك بثار فلما أدرك

عندهم المشهور فيما بينهم وانهم ان لم يشددوا فى ذلك لم ينقطع الطمع ولم ينزجر الطير لأن رجلا من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة طويلة أو قصيرة لتبين له فى نظامها ومخرجها وفى لفظها وطبعها انه عاجز عن مثلها ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها وليس ذلك فى الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين ألا ترى أن الناس قد كان يتهيأ فى طبائعهم ويجرى على ألسنتهم ان يقول رجل منهم الحمد لله وانا لله وعلى الله توكلنا وربنا الله وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا كله فى القرآن غير

مهلهل بنار كليب قال أىُّ زيرفرفع أبا بالابتداء والخبر محذوف فكأنه قال أىُّ زيرٍ أنا فى هذا اليوم)
قال أبو العباس وحدثنى عمرو بن بحر قال أتيت أبا الربيع الغنوىَّ وكان من أفصح الناس وأبلغهم
ومعى رجل من بنى هاشم فقلت أأبو الربيع ههنا فخرج الى وهو يقول خرج اليك رجل كريم فلما
رأى الهاشمىَّ استحيا من فخره بحضرته فقال أكرمُ الناس رديفا وأشرفهم حليفا فتحدثنا مليًّا ثم
نهض الهاشمى فقلت لابى الربيع يا أبا الربيع مَن خيرُ الخلق فقال الناس والله فقلت مَن خيرُ الناس
قال العرب والله قلت فمَن خيرُ العرب قال مُضَرُ والله قلت فمَن خير مضر قال قيسٌ والله قلت فمن خير
قيس قال يَعْصُر والله قلت فمن خير يعصر قال غنيٌّ والله قلت فمن خير غنى قال المخاطب لك والله
قلت أفأنت خير الناس قال نعم اى والله قلت أيسرُّك ان تحتك بنت يزيد بن المهلَّب قال لا والله
قلت ولك ألفُ دينار قال لا والله قلت فألفا دينار قال لا والله قلت ولك الجنةُ فأطرق ثم قال على ان
لا تلدَ منى وأنشد

تأبى لأعصرَ أعراقٌ مُهذَّبةٌ • من ان تُناسبَ قوما غيرَ أكفاء
فان يكن ذاك حتمَ الامر دُلّه • فاذكرُ حذيفَ فانى غيرُ ابّاء

قوله أكرم الناس رديفا فان أبا مرثد الغنوىَّ كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
وأشرفهم حليفا كان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب وقوله فاذكر حذيف أراد حذيفةَ بن بدر
الفزارىَّ وانما ذكره من بين الاشراف لانه أقربهم اليه نسبا وذلك ان يَعْصُر ابن سعد بن قيس
وهؤلاء بنو ريث بن غطفان بن سعد بن قيس وقد قال عُيَينةُ بن حصن بحجو ولد يعصر وهم غنيٌّ
وباهلةُ والطُّفاوةُ

أباهلَ ما أدرى أمن لؤم منصبى • أحبُّكمُ أم بى جنونٌ وأولَقُ
أُسَيدٌ أخوالى ويعصُرُ إخوتى • فمن ذا الذى منى مع اللؤم أحمقُ

فقال الباهلى يجيبه

وكيف تُحبُّ الدهرَ قوما هُمُ الاُولى • نواصيكمُ فى سالف الدهر حَلَّقوا
ألستَ فزاريًّا عليكَ غضاضةٌ • وان كنتَ كنديًّا فانكَ مُلْصَقُ

وتحدثت الرواةُ بأن الحجاج رأى محمد بن عبد الله بن نُمَيرٍ الثقفىَّ وكان يَنْسُبُ بزينب بنت يوسف
فارتاع من نظر الحجاج فدعا به فلما عرفه قال مبتدئا

هالكَ يدى ضاقت بى الارض رحبُها • وان كنتُ قد طوَّفتُ كلَّ مكان
ولو كنتُ بالعنقاء أو بيَسُومها • لخلتُكَ الا أن تصدَّ ترانى

انه متفرق غير مجتمع ولو أراد أنطق الناس ان يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيرة على نظم القرآن وطبعه وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه ولو استعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان ورأوا بفهمهم وبتوفيق الله تعالى لهم ان يحصنوه مما يشكل ويمكن ان يفتعل مثله من الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين وقد كانوا اعرفوا الابتداع الكثير على البلغاء والشعراء وخافوا انهم لم يتقدموا فى ذلك أن يتطرقوا عليه كما تطرقوا على الرواية لانهم حين رأوا كثرة الرواية فى غير ذوى السابقة ورأوا كثرة

ثم قال والله ان قلت الا خيرا انما قلت

يحْبِسْنَ أطرافَ البَنانِ من التُقَى • ويخرُجنَ جُنحَ الليلِ مُعتجِرات

قال أجل ولكن أخبرني عن قولك

ولما رأت ركبَ النُمَيرِيّ أعرضت • وكُنّ من ان يلقينه حذرات

فى كم كنت قال والله ان كنت الا على حمار هزيل ومعى رفيقى على أتان مثله ومن ذلك ما يحكون فى خبر لقمان بن عاد فانهم يصفون أن جارية له سُئلت عما بقى من بصره لدخوله فى السن فقالت والله لقد ضعف بصره ولقد بقيت منه بقية انه ليفصل بين أثر الانثى والذكر من الذر اذا دب على الصفا فى أشياء تشاكل هذا من الكذب وحدثت أن امرأة عمران بن حطان السدوسى قالت له أما حلفت أنك لا تكذب فى شعر فقال لها أوكان ذاك قالت نعم قلت

فكذاك مجزأة بن ثور • كان أشجع من أسامه

أيكون رجل أشجع من أسد فقال لها ما رأيت أسدا فتح مدينة قط ومجزأة بن ثور قد فتح مدينة (مجزأة بن ثور جعله عمر رحمه الله رأسة بكر فلما أسن فعل عثمان بن عفان رضى الله عنه ذلك مع ابنه شقيق بن مجزأة وقتل رحمه الله على تستر هو والبراء بن مالك وكانا من أبطال المسلمين) ومر عمران بن حطان بالفرزدق وهو ينشد فوقف عليه فقال

أيها المادحُ العبادَ ليُعطَى • انّ لله ما بأيدى العباد

فاسأل الله ما طلبت اليهم • وارجُ فضلَ المُقسِّمِ العوّاد

لا تقل للجواد ما ليس فيه • وتُسمِّ البخيلَ باسم الجواد

وأنشدنى الحسن بن رجاء لرجل من المحدثين لم يسمه (وهو بكر بن النطّاح فى أبى دلف)

أبا دُلَفٍ يا أكذبَ الناسِ كلهم • سواى فانى فى مديحك أكذبُ

وأنشدنى آخر لرجل من المحدثين (أيضا قال أبو الحسن هو بكر بن النطاح)

انى امتدحتك كاذبا فأثبتنى • لما امتدحتك ما يثاب الكاذبُ

قال الاصمعى قلت لاعرابى كنت أعرفه بالكذب أصدقت قط قال لولا انى أخاف أن أصدق فى هذا القلت لك وتحدثوا من غير وجه أن عمرو بن معدى كرب كان معروفا بالكذب وقيل لخلف

اختلافهما والغرائب التى لا يعرفونها لم يكن لهم الا تحصين الشئ الذى عليه مدار الأمر وان كانوا يعلمون ان الله بالغ أمره فعلى الأئمة ان تحوط هذه الأمة كما حاط السلف أولها وان يعملوا بظاهر الحيطة اذ كان على الناس الاجتهاد وليس عليهم علم الغيوب وانما ذلك كنحو رجل أبصر نبيا يحيى الموتى فعرف صدقه فلما انصرف سأله عنه بعض من لم ير ذلك ولا صح عنده فعليه ان لا يكتمه وان كان يعلم ان الله تعالى سيعلمه ذلك من قبل غيره وانه عز ذكره سيسمعه محنته على حبه وكرهه ورأوا ان قراءة زيد أحق بذلك اذ كانت آخر العرض

الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان عمرو بن معدى كرب يكذب فقال كان يكذب فى المقال ويصدق فى الفعال وذكروا من غير وجه أن أهل الكوفة من الاشراف كانوا يظهرون بالكناسة فيتحدثون على دوابهم الى أن يطردهم حر الشمس فوقف عمرو بن معدى كرب وخالد بن الصقعب النهدى فأقبل عمرو يحدثه فقال أغرنا مرة على بنى نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصقعب فحملت عليه فطعنته فأرديته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال له خالد حلاً أبا ثور ان قتيلك هو المحدث فقال يا هذا اذا حدثت فاستمع فانما نتحدث بمثل ما تسمع لنرهب به هذه المعدية قوله مسترعفين يقول متقدمين له يقال جاء فلان يرعف الجيش ويؤم الجيش اذا جاء متقدما لهم ويقال فى الرعاف رعف يرعف لا يقال غير رعف ويجوز رعف من أجل العين وليس من الوجه وسنذكر هذا الباب بعد انقضاء هذه الاخبار ان شاء الله وقوله حلاً أبا ثور يقول استثن يقال حلف ولم يتحلل أى لم يستثن وخبرت أن قاصا كان يكثر الحديث عن هرم بن حيان (الهرم الضب يقال انه فى الشتاء يأكل حسوله ولا يخرج قال الشاعر * كما أكب على ذى بطنه الهرم * قيل ان هرم بن حيان حملته أمه أربع سنين ولذلك سمى هرما) فاتفق هرم معه فى مسجد وهو يقول حدثنا هرم بن حيان مرة بعد مرة بأشياء لا يعرفها هرم فقال له يا هذا أتعرفنى أنا هرم بن حيان ما حدثتك من هذا بشئ قط فقال له القاص وهذا أيضا من عجائبك انه ليصلى معنا فى مسجدنا خمسة عشر رجلا اسم كل رجل منهم هرم بن حيان كيف توهمت أنه ليس فى الدنيا هرم بن حيان غيرك وكان بالرقة قاص يكنى أبا عقيل يكثر التحدث عن بنى اسرائيل فيظن به الكذب فقال له يوما الحجاج بن خنثمة ما كان اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنثمة فقال له رجل من ولد أبى موسى الاشعرى فى أى الكتب وجدت هذا قال فى كتاب عمرو بن العاص وقال القينى أنا أصدق فى صغير ما يضرنى ليجوز كذبى فى كبير ما ينفعنى وأنشد المازنى للاعشى وليس مما روت الرواة متصلا بقصيدة

فصدقتهم وكذبتهم * والمرء ينفعه كذابه

وروى أن رجلا وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فكذبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أأسألك فتكذبنى لولا سخاء فيك ومقك الله عليه لشردت بك من وافد قوم معنى ومقك أحبك يقال ومقته أمقه وهو على فعلت أفعل ونظيره من هذا المعتل ورم يرم وولى يلى وكذلك

ولان الجمع الذين سمعوا آخر العرض أكثر ممن سمع أوله فحملوا الناس على قراءة زيد دون أبى وعبد الله وان كان الكل حقا اذ كان ربما حق فى بعض الزمان أقطع للقيل والقال وأجدر أن يميت الخلاف ويحسم الطمع فتركوا حقا الى حق العمل به أحق ولو أن فقيها رأى اطباق العلماء على صوم يوم عرفة واستنكارهم الافطار فيه فأفطر وأظهر ذلك ليعلمهم موضع الفريضة من النافلة أو خاف ان يلحق الفرض على تطاول الايام ما ليس فيه كان مصيبا ولكان قد ترك حقا الى أحق منه وللحق درجات وللخلاف

يَسَعُ يَسَعُ كانت السين مكسورة وانما فتحت العين ولو كان أصلها الفتح لظهرت الواو ونحو وجل يوجل ووحل يوحل والمصدر مِقَة كقولك وعد يعد عدة ووجد يجد جدة ويروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم قال يارسول الله انما أوخذ من الذنوب بما ظهر وأنا أستسر بخلال أربع الزنا والسرق وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببت تركت لك سرا فقال له رسول الله دع الكذب فلما ولى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هم بالزنا فقال يسألني رسول الله فان جحدت نقضت ما جعلت له وان أقررت حددت فلم يزن ثم هم بالسرق ثم هم بشرب الخمر ففكر في مثل ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله قد تركتهن جمع وشهد أعرابي عند معاوية بشهادة فقال له معاوية كذبت فقال له الاعرابي الكذب مُتَزَمِّل في ثيابك فقال معاوية هذا جزاء من عجل وقال معاوية يوما للأحنف وحدثه حديثا أتكذب فقال والله ما كذبت مذ علمت أن الكذب يشين أهله ودخل عبد الله بن الزبير يوما على معاوية فقال اسمع أبياتا قلتهن وكان واجدا عليه فقال معاوية هات فأنشده

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ٭ على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه ٭ اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

فقال له معاوية لقد شعرت بعدنا يا أبا بكر ثم لم ينشب معاوية أن دخل عليه معن بن أوس المزني فقال له أقلت بعدنا شيئا قال نعم يا أمير المؤمنين فأنشده

لعمرك ما أدري واني لأوجل ٭ على أينا تغدو المنية أول

حتى صار الى الابيات التي أنشدها ابن الزبير فقال له معاوية يا أبا بكر أما ذكرت آنفا ان هذا الشعر لك قال أنا أصلحت معانيه وهو ألف الشعر وهو بعد ظئري فما قال من شيء فهو لي وكان عبد الله بن الزبير مسترضعا في مزينة وحدثت ان عمر بن عبد العزيز كتب في اشخاص اياس بن معاوية المزني وعدي بن أرطاة الفزاري أمير البصرة وقاضيها يومئذ فصار اليه عدي فقرب ان يعزنه عند الخليفة فقال يا أبا واثلة ان لنا حقا ورحما فقال اياس أعلى الكذب تريدني والله ما يسرني أني كذبت كذبة يغفرها الله لي ولا يطلع عليها الا هذا وأومأ الى أبيه ولي ما طلعت عليه الشمس (قال أبو الحسن التمزين المدح ولم أسمع هذه اللفظة الا من أبي العباس وهي عندي مشتقة من

درجات وللحرام درجات ألا ترى ان لولي المقتول أن يقتل أو يصفح وانه ان قتل قتل بحق وان صفح صفح بحق والصفح أفضل من القتل ولو ان رجلا أخرج ساكنا بيناله أو اقتضى دينا له عند حلول أجله أو طلق زوجته وما دخل بها لكان ذلك له ولحق فعل وغير ذلك الحق أولى به وكيف لا يكون أولى به وهو أحسن والثواب فيه أعظم والى سلامة الصدور أقرب وقد يكون الامران حسنين وأحدهما أحسن وقد يكون الامران قبيحين وأحدهما أقبح وبعد فعلى الناس طاعة الائمة في كل ما أمروا به الا فيما تبين أنه معصية فاما غير ذلك فانه

المازن وهو النصل وبهذا سميت مازن كأنه أراد منه أن يكبره ويروى يكثره قال القتبي المازن بيض النمل قال الشيخ قوله ان عززته عند الخليفة أي كأنه يجعله سيدا مزينة لانه كان مزنيا والصواب عززه قال الموصلي • وإني مع ذا الشيب لوكم بربر • ولم يكن في القضاة واتيا كان أميرا على البصرة الى ان مات عمر وكتب عمر الى عدى اجمع ناسا ممن قبلك وشاورهم في اياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة واستقض أحدهما فولى عدى اياسا) ويروى أن أخا اياس صار الى ابن هبيرة فقال طرقني اللصوص فخرجت اليهم فهزمتهم وظفرت بهم بهذا المغول فجعله ابن هبيرة تحت مصلاه ثم بعث الى الصياقلة فاحضرهم فقال أتعرف منكم الرجل عمله قالوا نعم فاخرج المغول فقال لمن عمل أيكم هذا فقال قائل منهم أنا عملته هذا واشتراه مني هذا أمس (المغول سيف صغير)

واجب مفروض ولازم غير مدفوع وعلموا أيضا انهم لا يبقون الى آخر الزمان وان من يجيء بعدهم لا يقوم مقامهم ولا يفصل الامور تفصيلهم ولو عرفوا كمعرفتهم وأرادوا ذلك كارادتهم لما أطيعوا كطاعتهم وعلموا أن الاكاذيب والبدع ستكثر وان الفتن ستفشو وان الفساد سيفشو فكرهوا أن يجعلوا للمتطرفين علة ولأهل الزيغ حجة بل لاشك انهم لو تركوا الناس عامة يقرؤن على حرف فلان وكلما أجاز فيه فلان عن فلان لألحق قوم في آخر الزمان بهم من ليس منهم ولا يجري مجراهم ولا يجوز مجازهم

(تم الجزء الأول من كتاب الكامل ويليه الجزء الثاني)

(وأوله باب ما يجوز فيه يفعل الخ)